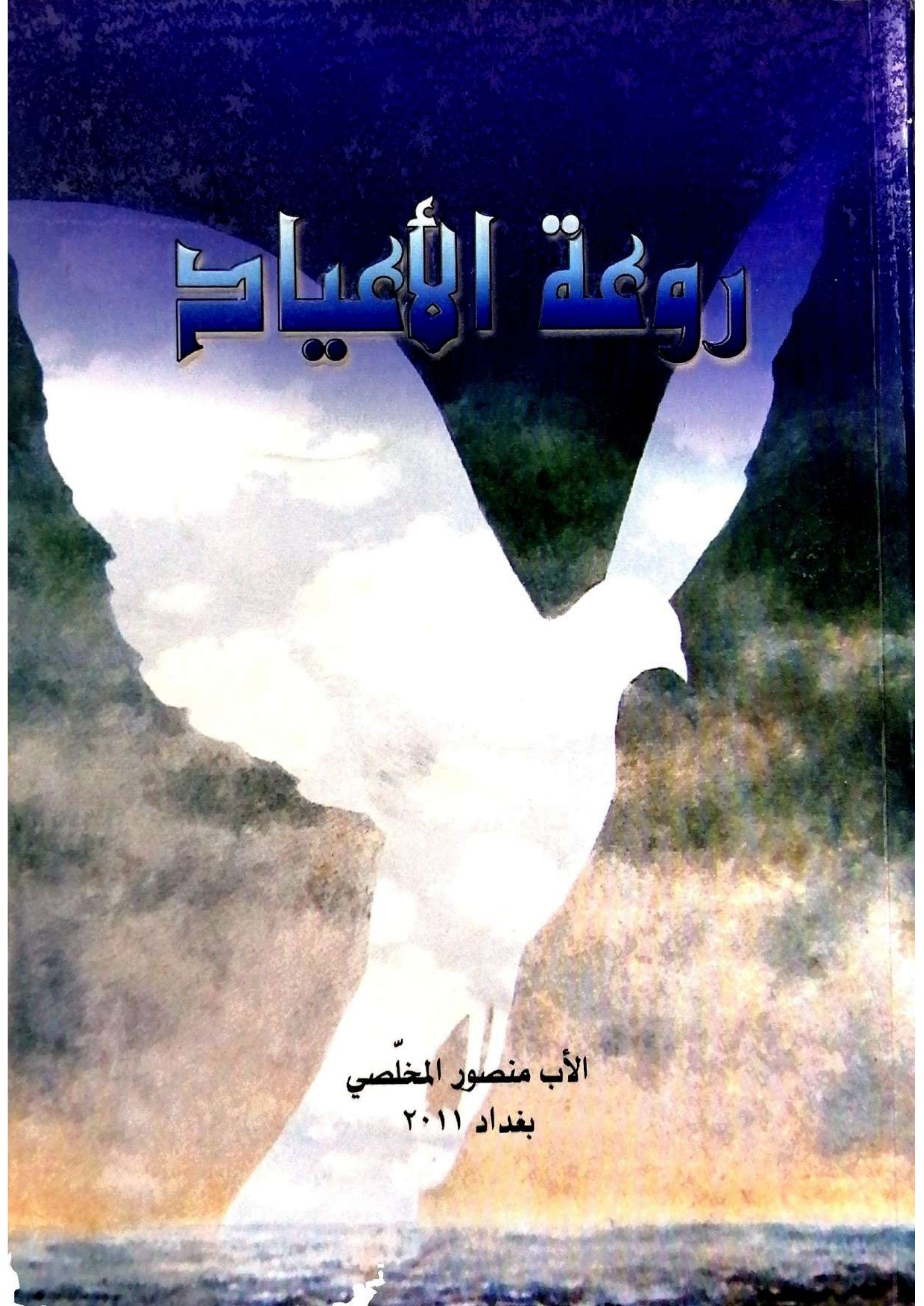


روعة الأعياد

الأب منصور المخلّصي

بغداد ٢٠١١

روعة الأعياد

منشورات مركز الدراسات المشرقية / بغداد

٣

روعة الأعياد

الأعياد المسيحية الكبرى:
الأصل والليتورجيا والصورة

الأب منصور المخلّصي

بغداد

٢٠١١

توطئة

العيدُ زمنٌ مباركٌ يتذكر فيه الإنسان حدثاً غير تاريخه الشخصي أو تاريخ الجماعة التي يتقاسمُ وإياها الحياة، إذ يحملُ فرحاً يُسعدهُ عندما يحتفل به، ويبعث فيه الرجاء من أن الحياة تبقى دوماً حسنة في عيون الله. والحال أن أعيادنا المسيحية تبشّرنا أن إلهنا وملكنا حَسُنَ له أن يشاركنا الفرحة، فكان قدومه إلينا عيداً أبدياً.

وللعيد احتفالاتٌ خاصةٌ تعبّر عن أهمية الحدث المُحتفَل به، وتبعثُ فينا شعوراً بالانتماء إلى الإنسانية التي صارت قبل أن نكون، وتتواصل معنا نحو مستقبلٍ نترجاه خيراً، فنعمل على تغيير الحاضر نحو هذا المستقبل الحسن جداً.

ولاحتفالات العيد طقوسٌ متجذّرة في حضاراتنا المتمايزة عن غيرها لتكون أصيلةً في انتمائها، وحية بل متجددة دوماً. فيكون كل عيدٍ دعوة لصعود جبل التجلي حيث الاحتفال بحضور إلهنا ومرافقته لنا.

وتسعدنا أكثر دعوة الأب منصور المخلّصي لنتأمل معه في روعة أعيادنا وما حملته لنا من بشرى سارة ومن تأملاتٍ عميقةٍ وفنٍ أصيلٍ، لتكون أعيادنا وقفةَ صلاةٍ وزمن احتفالٍ وتعليمٍ أصيل وقرار إيماني مسؤول.فألفُ شكرٍ لك أيها الأب الذي على الرغم من حر بغداد ولهيب صيفها، تمكنتَ من أن تعدّ لنا وليمة رائعة.

المطران بشار متي وردة

رئيس أساقفة أبرشية أربيل الكلدانية

أربيل ١ آب ٢٠١١، عيد القديس ألفونس دليغوري

مؤسس الرهبنة المخلّصية





المقدمة

بعد أكثر من ٢٥ سنة يُنشر كتاب "روعة الأعياد" مرة أخرى. إذ صدرت النشرة الأولى بطريقة بدائية وعلى أوراق جريدة وصور سوداء وحبر قليل، بحسب الظروف القاسية في ذلك الوقت. لكن الآن، وفي عهد الأنترنيت والطابعات الملونة وفي جو التغيير والتقدم الاجتماعي والاقتصادي، أمكننا نشره من جديد ولأسباب مختلفة:

- ظهرت فائدة الكتاب في الماضي، فمثلاً المطران أندراوس أبونا، رحمه الله، أغنى معلوماته من فصل "عيد الصليب" في تقديم أطروحته في كلية هايتروب (لندن) للحصول على درجة ليسانس ولهذا السبب أقدم هذا الكتاب لذكراه. وكذلك الأب زيد العزيز الذي استفاد من فصل "عيد البشارة" للحصول على شهادته في روما. والآن نلاحظ نوعاً من الالتزام الطقسي في بعض الأبرشيات الشمالية، إذ وضع مطران كركوك عدداً من الكتب عن الطقس الكلداني، ومطران أربيل شدّد على تجديد القراءات الطقسية، ومطران الموصل ألّف كتاباً عن روحانية الصلوات الطقسية بحسب الفرض الكلداني. ثم أُصدر في المحيط السرياني "المجلة الليتورجية" مع مقالات مختصة، ولا يمكن أن ننسى المطران جاك إسحق، المجدد التاريخي للطقس الكلداني من خلال كتبه النفيسة ومقالاته العديدة في موضوع الليتورجيا. وفي جو الحركة الليتورجية هذا، من الممكن أن يأخذ كتابنا أيضاً مكاناً متواضعاً.
- في أيامنا هذه، يهرب المؤمن الشرقي ويترك بلاده الأصلية وينسى تقليده ويعتبره بلا قيمة أو فائدة. وبهذا يخسر هذا المؤمن هويته ودعوته الفريدة كممثل للحضور المسيحي وسط العالم الإسلامي الكبير. في الماضي أثّر المسيحيون الشرقيون تأثيراً ثقافياً وفنياً على المحيط العربي لكن الآن لم يبقَ إلا المساكين الذين ينتظرون كل شيء من الغرب وذلك على حساب تقاليدهم الغنية العظيمة.
- إن هوية المؤمن الشرقي هي هوية ليتورجية، وجوهر شخصيته العميق ليس إلا الروحية الطقسية. إنه ليس إنسان العلم والتفسير الفلسفي، بل إنسان الإيمان بالكتب كما تُقرأ عليه من خلال الطقس. فلا يقصد هذا الكتاب إلا الدعوة للعودة إلى الجذور ليشرب المؤمن من ينابيعه الأصلية الأصيلة.

- إلى جانب تصليح النَص السابق، يختص الكتاب بالصور. في البداية قمنا بتأليف هذا الكتاب من أجل التثقيف الفني للمسؤولين في الكنيسة. تحت تأثير ما رأيناه في الخورنات الشمالية، من حيث عدم الاهتمام بالتراث التقليدي، مع خسارة فظيعة للأعمال الفنية في مختلف الميادين، وقبول الصور الغربية العاطفية البعيدة عن القيمة الدينية أو الفنية.
- أما الأيقونات والصور الدينية فهي تعبير عن الإيمان الليتورجي من الأجيال الماضية، في مختلف الطوائف والمراحل التاريخية والأماكن الجغرافية. إلى جانب الموسيقى والهندسة. يأخذ الفن التشكيلي مكاناً بارزاً في التراث المسيحي. ولقد جعل بعض الآباء تلك الصور على مستوى الأسرار وحتى الكتاب المقدس، كتعبير رمزي للحضور الإلهي. فعلاً، الصورة هي نافذة مفتوحة للعالم الآخر، أو بالأحرى في الصور الدينية يصبح غير المنظور منظوراً. والمفروض أن تكون حقيقية وروحية في آن واحد معاً. في كتابنا هذا نقدم صوراً عديدة وبدون شرح طويل، لكي تكون الصورة كدعوة موجهة إلى القارئ ليتأمل فيها ويكتشف هو بالذات، العمق غير المنظور وحقيقة الأعياد من خلال رمز الصورة. في جمال الصورة نفسها يحفظ سر نعمة الأعياد. لا تكفي نظرة عادية أمام هذه الصور التي تحمل ثقل الروح، مع أن لغتها صعبة وبحاجة إلى وقت وصمت. فبواسطة الصور يمكننا أن ندخل عالم الأعياد، عالم الملكوت، وعن طريق هذه الصور يمكننا التقرب منه. إن أطيب شيء في العيد، هو الرقص. والصورة هي نوع من الرقص، رقص الجمال. وتدعونا صور هذا الكتاب إلى مثل هذا الرقص الروحي. وقد رفعنا المسيح الصاعد من الجحيم، لنشترك في رقص القيامة نحو مجد الملكوت.

لذكرى الاب الشهيد ثائر عبدآل، مدير مركز الدراسات المشرقية (+ ٢٠١٠).

لذكرى الاب الشهيد وسيم بهنام، استاذ تاريخ الكنيسة (+ ٢٠١٠).

لذكرى المطران أندراوس أبونا، المعاون البطريركي (+ ٢٠١١).

ولذكرى الأخت ماريا تيريزيا، من راهبات التقدمة (+ ٢٠١١).

مع جزيل الشكر للمطران بشار وردة المحترم الذي شجعني لتكملة هذا العمل، وللأخت أنيتا داود مديرة مركز الدراسات المشرقية، وخصوصاً الأخت داليا خاي التي قامت بنقل الكتاب وترتيب الصور والغلاف، وجمال الكتاب يعود إليها. كما أقدم هذا الكتاب لطلاب المركز لأن حضورهم في الدروس عن الليتورجيا الشرقية كان بركة لهذه النشرة.

أخيراً أذكر إدارة كلية بابل وطلابها، الأب زيد والأب جنان الذي وفر لي الكتب المفيدة والمعلومات الفريدة، والأب فادي ليون المدير الفاضل الذي رأى الطبعة الأولى لهذا الكتاب (١٩٨٤) وهو صبي، والذي اضطرب وتردد من الصور السوداء المخيفة، لذا أحاول في هذا الكتاب الجديد أن أخلّصه من هذه العقدة، بتقديم صور تجذبه إلى عالم الجمال الذي كتب عنه القديس أوغسطينوس قائلاً: "يا جمال، متأخراً بدأتُ أحبك. أنت الجمال السماوي الموجود في جوف قلوبنا".

الأب منصور المخلّصي

عيد التجلي ٢٠١١

بغداد



الجزء الأول

الليتورجيا



الفصل الأول

الليتورجيا والطقوس

"المسيح الوسيط"

١ـ السر الإلهي : من السماء على الأرض

إنّ مصطلح "الليتورجيا" كلمة يونانية (تعني: فعالية الشعب) قبلت في المسيحية بمعنى جديد، حيث يشير مفهوم "الليتورجيا" قبل كل شيء إلى سر الاشتياق الإلهي (متى ١٣: ٨)، مجد الثالوث الأقدس، الرحمة الأبدية، الطاقة الروحية، نهر الحياة النابع من إنسانية الله المحب للبشر. واقترب هذا السر منا منذ عهد إبراهيم وحتى أيام مريم العذراء. هكذا ظهر "سر الليتورجيا" في العليقة الملتهبة وفي خيمة العهد وفي هيكل أورشليم، ظهوراً تاريخياً وحضوراً فعالاً. ثم وُضح هذا السر بكلمات الأنبياء، وتجسَّد أخيراً في شخص يسوع المسيح، حيث نزلت السماء على الأرض وصعدت الأرض إلى السماء. وبواسطة عظائم الصلب والقيامة والصعود والعنصرة، تجسدت الليتورجيا في إنسانيتنا واستمرت في هيكل الكنيسة وجماعة المؤمنين. وفي فجر يوم القيامة، عندما تدحرج الحجر من باب القبر، انشقت القشرة الأرضية بفيض الليتورجيا، نهر الحياة النابع من العرش الإلهي ومن جنب العريس المصلوب، ليتجدد وجه الإنسان بالصورة الإلهية الشاملة، ضمن جماعة المؤمنين، كباكورة العالم الجديد. هكذا وُلدت الليتورجيا في عالمنا بقيامة المســيح. وبحسب كلام الأب كوربون (Jean Corbon, Liturgie de Source, Paris ١٩٨٣،٤٢) "أصبح التدبير الخلاصي ليتورجيا" بفضل العريس، الكاهن المجيد (عبر ٢:١٢-١٧ / ٧:٢٧ / ٨:١١ / ٩:١٢/ رؤيا ٤) الذي أصعد تاريخنا معه إلى قلب الثالوث الأقدس. وفيه، وبقوة روحه، تجسدت الليتورجيا في الكنيسة وخيّم "حضور الله" في وسطها، ونزل السر الإلهي وسُلم بين أيدي البشر الخطأة الضعفاء ليحل فيهم.

٢ـ الليتورجيا في الاحتفال الكنسي: من الأرض نحو السماء

تعبر كلمة "الليتورجيا" أيضاً عن "الخدمة الطقسية الكنسية" حيث تقدّم جماعة المؤمنين المجدَ والشكر لله الآب الخالق باسم الابن يسوع المسيح المخلّص وبقوة الروح القدس، من أجل الخلاص الذي منحه الله برحمته العظيمة. قام المسيح بهذه الخدمة واستمرت الكنيسة بتقديمها منذ عهد الرسل حتى أيامنا هذه. ففي الليتورجيا يُجمع بين السماء والأرض، لأن الله الآب ينزل بين الجماعة من أبناء شعبه الذين يحتفلون بذِكر عظائمهِ، سر التدبير الخلاصي. وفي هذا الاحتفال، في عيد اللقاء، يجد الإنسان هويته ووجهه الحقيقي ضمن جماعته الكنسية، ليمجّد الكل الآب مع الابن المسيح في الروح القدس. يرجع هذا اللقاء السري إلى سر الاتحاد الأعظم وهو المسيح، الوسيط الوحيد، عندما تجسّد في إنسانيتنا، وفي الجماعة الكنسية، الجسد الروحي. إن الليتورجيا هي خدمة الكنيسة، المتحدة بالمسيح الممجّد الكوني، والتي تحتفل بسر الفداء، سر المحبة التي تدير الكل.

إن الليتورجيا ليست ذكرى أحداث من الماضي فحسب، لأنها لا يمكن أن تتكرر تاريخياً، بل هي احتفال بالقوة الإلهية التي ظهرت في الماضي، لكنها حاضرة في إيمان جماعة المؤمنين وفي تصرفاتهم اليومية. هكذا يُجمع في الليتورجيا بين الماضي والحاضر نظراً إلى التحقيق المستقبلي، بفضل قوة روح المسيح. إن الليتورجيا مثل أيقونة جميلة شفافة، من خلالها يظهر الملكوت على الأرض، وتتجلّى الأرض نحو الصورة السماوية. ويتبيّن جمال الليتورجيا في الاحتفال بطقس الأسرار وصلاة الفرض والسنة الطقسية. فتكون الكنيسة تعبيراً حياً عن رحمة الله للعالم، ويُطلب من المؤمنين الالتزام الإيماني الصادق في الحياة الأخلاقية والتواضع في العلاقات الاجتماعية.

٣ـ تطور الليتورجيا

منذ البداية حاولت الجماعة المسيحية التعبير عن رؤية الملكوت بواسطة لغة بسيطة وكلمات مفهومة، مع رموز مادية مأخوذة من الحياة اليومية المحلية، لكن المحتوى المقصود

نبع من خبرة جديدة، غير معروفة، ترجع إلى الإيمان بيسوع المسيح، الذي فيه ظهرت رحمة الله من أجل خلاص البشر.

على مرور الزمن تطورت الليتورجيا من صلاة بسيطة إلى احتفال معقد طويل. فقد نشأ الطقس الكنسي تحت تقاليد يهودية (طقس الكنشتا والرتب البيتية) ويونانية (أساليب القصر الإمبراطوري)، وتأثيرات رتب المراكز المسيحية الكبرى، بخاصة طقس أورشليم المتعلق بالأماكن التاريخية المقدسة. وقد ثبتت الليتورجيا وازدهرت في القرن الرابع والخامس، لكن فيما بعد توقف التطور نحو القرن العاشر وخسرت الليتورجيا حيويتها الأصلية بسبب قانونية الطقوس، نتيجة الانفصال بين الاكليروس والشعب، والاهتمام المبالغ بقدسية الأمور الطقسية. لقد تقلصت الليتورجيا تحت ثقل القوانين وزيادة الصلوات الكهنوتية الطويلة الصعبة. زد على ذلك تأثير الطقس الديري على الطقس الكاتيدرائي الشعبي. وهكذا أصبح "الاحتفال بالخلاص" شيئاً غريباً وغير مفهوم للشعب المؤمن. في القرن السادس عشر زادت قرارات المجمع التريدنتيني القانونية على فهم الأسرار السطحي، ورغم جهوده للتجديد شوهد نوع من التصلب واستمرت الطقوس غير المفهومة التي لا تجذب مشاركة المؤمنين. وفي عهد الانحطاط الطقسي هذا، أصبح علم الليتورجيا علم مراتب الطقوس القانونية (rubricism) مع المحافظة على التقاليد القديمة والرجوع إلى تحليل نصوص الصلوات وترتيب المراسيم كما وردت في المخطوطات حرفياً بدون أي تغيير أو تطوير، في الممارسات الكنسية الجارية.

٤ـ الحركة الليتورجية

في القرن ١٩: اجتهد دوم كيرانجيه البندكتيني (Dom Prosper Gueranger, ١٨٠٥-١٨٧٥) من دير سوليم في فرنسا من أجل اشتراك الشعب في الليتورجيا، ومراجعة الطقوس لتكون بحسب العادات الرومية الغريغوريوسية القديمة، كنموذج للصلاة الاحتفالية والفردية. لتحقيق هذا الهدف وضع كتاب "السنة الليتورجيا" في ١٥ مجلداً، على أساس دراسات تاريخية علمية. أما البابا بيوس العاشر (١٩٠٣-١٩١٤) فقد شجّع الموسيقى الغريغوريوسية (بحسب طريقة سوليم) في المنشور البابوي الصادر حول إصلاح الموسيقى الكنسية وصلاة الفرض والتناول

اليومي. وفي القرن ٢٠، وجد الإصلاح الطقسي تعبيره الواضح في اجتهاد دوم بودوان البندكتيني (Dom Lambert Beauduin,١٨٧٣-١٩٦٠, democratiser la liturgie) من دير ماردسو، الذي قصد "ليتورجيا ديموقراطية". ورد كلامه في محاضراته المشهورة لسنة ١٩٠٩، لا سيما في تركيزه على حركة العلمانيين واشتراكهم الفعال في الليتورجيا، السر الخلاصي، بواسطة طقس مفهوم وجذاب وبفضل الترجمة والتراتيل الشعبية. تعتبر هذه المحاضرة رسماً لولادة الحركة الليتورجية. وفي ألمانيا كان مركز الإصلاح دير ماريالأخ (Maria-Laach) مع هيرويكن (Ildefons Herwegen +١٩٤٦) وكاسل (Odo Casel, ١٨٨٦-١٩٤٨, *Das christliche Festmysterium*) والراهبة لور (Aemiliana Loehr, *Das Herrenjahr. Das Mysterium Christi in Jahreskreis der Kirche*, ١٩٣٤,١٩٥٥) وحتى كوارديني (Romano Guardini, ١٨٨٥-١٩٦٨, *Vom Geist der Liturgie*)؛ وفي النمسا بذل بارش (Pius Parsch, ١٨٨٤-١٩٥٤, *Das Jahr des Heiles*) جهوده من أجل الحركة الشعبية، وكذلك جامعة اينسبروك مع كارل راهنر ويونكمان (J.A.Jungmann, *Der Gottesdienst der Kirche*) وفي باريس تأسس مركز الليتورجيا الرعوية (CPL, ١٩٤٣) والمعهد العلمي لليتورجيا (ISL, ١٩٥٦)، وفي انكلترا صدر كتاب ديكس المشهور (Gregory Dix, *The Shape of the Liturgy*, Glasgow ١٩٤٥, ١٩٧٤).

٥ – المجمع الفاتيكاني

نُظمت الحركة الليتورجية في الرسالة البابوية في الطقس (Mediator Dei) لسنة ١٩٤٧، من قبل البابا بيوس الثاني عشر (١٩٣٩–١٩٥٨)، الذي أخذ موقفاً أكثر توازناً وتنوعاً، وأمر بإصلاح طقس ليلة القيامة والأسبوع المقدس. وفي الدستور الأول الذي أصدره المجمع الفاتيكاني الثاني:"الدستور في الليتورجيا المقدسة" (١٩٦٣)، طالب بتثقيف ليتورجي للمسؤولين والمؤمنين وبحقهم في الاشتراك الفعال: اللغة الشعبية، تبسيط الطقوس، الاهتمام بالكلمة والاحترام للمصادر القديمة والحضارات المحلية. نشأ الدستور في الليتورجيا مع مراجعة الكتب الطقسية، نتيجة بحوث الاختصاصيين التي استمرت لمدة قرن تقريباً. شدّد الدستور على

الحوار مع الله، إله المحبة والحق، وعلى اشتراك الشعب في سره الخلاصي. لقد فتح المجمع الفاتيكاني آفاقاً جديدة للكنيسة في كل الميادين، وبصورة خاصة الفن، والبحث عن رموز معاصرة. ومن هنا يمكننا القول إن المجمع قد خلق جواً جديداً فعالاً، حيث كان هدفه توحيد المسيحيين فيما بينهم، وتوافق المسيحية مع العالم الحالي. فكيف يتسنى للكنيسة القيام بمثل هذا الحوار، بدون أن تغير طريقة تفكيرها الجامدة وأسلوب تفاعلها مع العالم؟ ولأجل هذا الجهد، صدر نص الدستور في الليتورجيا (١٩٦٣/١٢/٤)، حيث قدمت الكنيسة كعائلة واحدة، شعب الله، ومع دور فعال لكل من أعضائه، العلمانيين والاكليروس. إن الشعب المسيحي واحد، والمسيح الممجد حاضر في كل الأعضاء بواسطة الكلام والأسرار. ومن ثم أصبح من الضروري إفهام الكلام بلغة الشعب للاشتراك في مائدة الرب، والاحتفال بسر المسيح الفصحي من خلال القداس والصلاة الفرضية ورتب الأسرار.

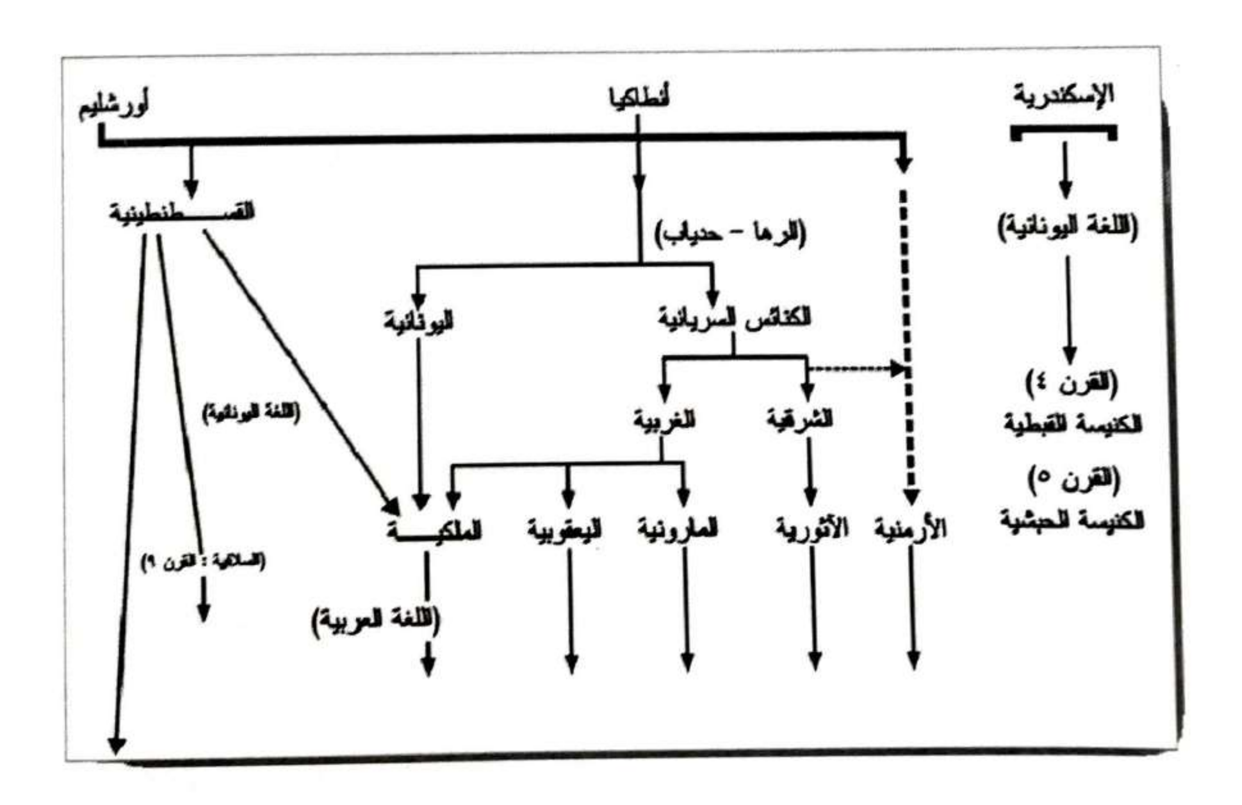
٦ـ مشكلة الليتورجيا الحالية

بعد مرور ٣٠ سنة على المجمع، تساءل الأساقفة في اجتماعهم (١٩٨٥،١٩٩٥) عن نتائج قرارات المجمع، فاكتشفوا إلى جانب تقدم التجديد، الصعوبات في تحقيق هذا البرنامج، والمشاكل التي تعود إلى أزمة المجتمع الغربية منذ الستينيات، وتتعلق بمشكلة علاقة الطقس بعقلية العالم المعاصر. إذ إنه في الوقت الذي تحتفل فيه الكنيسة بالعظائم الإلهية باستعمال رموز تقليدية لاهوتية كتابية، أصبح الإنسان المعاصر غريباً عن هذا التفكير اللاهوتي وبعيداً عن الرموز الطقسية. ومن هنا نطرح السؤال: هل يملك الإنسان المعاصر القدرة الكافية لفهم وجه الأمور الإلهية السرية الخفية؟ وكيف يمكنه إدراك سر تجسد الخلاص المستمر بالرغم من التعبير التقليدي؟ وبما يخص تطبيق الإصلاح، يظهر أن الشعب المؤمن لم يكن مستعداً لفهم هذا التجديد، ويعزى ذلك إلى عدم قيام المسؤولين بما يلزم من تخطيط وتحضير.

وبهذا حُددت أهداف الحركة بالشكل التالي: (١) تحضير الاكليروس والشعب وتثقيفهم الليتورجي، (٢) تحوير الطقس وتبسيطه بحسب الجوهر القديم، (٣) تكييف الطقس مع العقلية

المعاصرة وتحضيره (inculturation) وضرورة إعداد الليتورجيا لتتكيف مع حاجات الإنسان المعاصر ومتطلباته الإنسانية والاجتماعية والحضارية. فتحاول الحركة الليتورجية أن تستغل نتائج العلوم الاجتماعية والانطروبولوجية إلى جانب البحوث عن أصولها وتاريخها، وأن تهتم أيضاً بدور الشعب البسيط وعاداته التقوية بالمحاولات والتجارب العملية، مع تحليل موقف المؤمنين وطريقتهم الخاصة في ممارسة الطقوس وتعايشها.

خريطة الكنائس الشرقية القديمة



٧ـ طقوس وطوائف

١) **التعريف:** سألتُ شخصاً عن رأيه في المسيحيين الذين في محيطه، قال: "إنهم أهل طقوس". وكان يقصد إنهم متمسكون بتقاليدهم المعقدة وعاداتهم القديمة، معتقدين بأن حفظ الطقوس هو جوهر المسيحية. فعلاً، من الناحية الخارجية، تبدو المسيحية كأنها مجموعة من طوائف متعددة مختلفة بحسب العادات والطقوس. وقد نتساءل: ما هي الطقوس، ومن أين جاءت؟ وما هي العلاقة بين الطقس وجوهر المسيحية؟ قد ذكرنا أن كلمة "طقس" أو الأفضل "الخدمة الطقسية" تشير إلى ما يسمى في اليونانية بـــ"الليتورجيا" أي "الخدمة أو العبادة الكنسية لله"، وتستخدم العبارة لكل الممارسات الطقسية الرسمية في الاحتفالات، بصورة عامة، وتستعمل هذه اللفظة أيضاً بصورة خاصة، للاحتفال الإفخارستي، "الطقس الإلهي"، ولرتب الأسرار، وصلاة الفرض للساعات والترتيب السنوي للأعياد والآحاد. وَرَدَ تعريف "الليتورجيا" في الرسالة البابوية (Mediator Dei) التي صدرت في سنة ١٩٤٧، وفي قرار المجمع الفاتيكاني الثاني (Sacrosanctum Concilium ٧). لم يكن "الطقس" لدى المسيحيين القدماء مجرد رتبة خارجية فارغة، بل كان احتفالاً من أجل الحياة والخلاص. فعلاً، كانت الكنيسة كلها، فرداً وجماعةً، توجه الشكر لله، الخالق المخلّص، الذي حضر واستمر أثناء خدمتها الطقسية. وهناك تقاليد طقسية عديدة (طوائف)، بحسب المراكز الكبرى داخل الإمبراطورية: أورشليم، أنطاكيا، الإسكندرية، القسطنطينية، إلى جانب الغربية: مثل روما، ميلانو، رافينا، ليون، أو بحسب البلدان الخارجية: الفرس، ارمينيا، جورجيا، الحبشة.

٢) **التطور:** إنّ كل طقس من الطقوس الحالية، هو نتيجة تطور طويل، عبر القرون، بتأثير مصادر مختلفة، مع تغييرات في تركيبه، وذلك بترك بعض العناصر وإضافة البعض الآخر. فقد صدرت منذ القرن الثاني، كتب قانونية سُجّلت فيها الصلوات والرتب المحلية، وهي عديدة ومختلفة ومتنوعة. كان المسيحيون الأوائل ينتظرون مجيء الملكوت عن قريب، من ناحية ومن ناحية أخرى يحتفلون بموت المسيح في يوم الفصح التاريخي، من أجل عبوره إلى الحياة وعبورهم معه (راجع ١ قور ٥: ٦-٨). لكن نحو القرنين الرابع والخامس تكونت

طقوس المراكز الكبرى. وتطور كل واحد منها بحسب ظروفه الخاصة به، السياسية والثقافية والدينية. وهكذا أثرت عادات القصر على طقس القسطنطينية، والأماكن المقدسة على طقس أورشليم، والتفسير الإستعاري الروحي على طقس الإسكندرية، والتفسير الأخلاقي الواقعي على طقس أنطاكيا. مع مرور الزمن قلّ انتظار المجيء القريب، وأخذ المؤمنون يهتمون بلاهوت الطقوس الروحي وكأنه وسيلة تساعدهم للإقتراب من الألوهية. كما في عهد النضال الآريوسي قدمت الليتورجيا المسيح كالابن اللوغوس الموجود عند الآب منذ البداية.

إلى هذه الفترة أيضاً يعود التمييز بين الليتورجيا الكاتدرائية مع اشتراك الشعب كله، والليتورجيا الديرية الخاصة للرهبان. في بعض الأحيان أثرت عادات الأديار (مع الصلوات الطويلة والتأملية الفردية) على الطقس الكاتيدرائي الرئيسي، الذي أصبح، نتيجة هذا التأثير، أطول وأكثر تعقيداً.

٣) طقس أورشليم: منذ عهد قسطنطين أصبحت كنيسة أورشليم القديمة من أهم مراكز الحج المسيحي، و"أمّ الكنائس"، فأثرت بطقسها على طقوس المراكز الأخرى، حتى المناطق الخارجية. كانت الطقوس في "القدس" تجري بحسب الاحتفالات في الأماكن المقدسة نفسها، المخصصة لحادث من حوادث حياة المسيح التاريخية. وذلك من خلال قراءات وتراتيل معينة لكل المراحل. كان طقس أورشليم، كما صار فيما بعد طقس روما والقسطنطينية، طقساً موقعياً، موقفياً، جغرافياً، متعلقاً بموضع بعض البنايات الآثارية المحلية (stationes) حيث كان الشعب المسيحي يجتمع للاحتفال الطقسي الخاص بهذا المكان المعين. وعادة كانوا يتقدمون بشكل مسيرة، تطواف أو زياح، مرتلين المزامير والتراتيل، التي أضيفت بعدئذٍ إلى بداية القداس نفسه. لقد قام المسيحيون بزيارة حج إلى "القدس" منذ القرن الثالث، وزادت العادة بعدما تم اكتشاف القبر المقدس وبنيت باسيليكيات وكنائس تذكارية عظيمة على موقع الميلاد والصلب والقيامة. ذَكَرَها قورلس أسقف أورشليم في مواعظه للموعوظين، وقد زارتها ايجيرية نحو سنة ٣٨٢، وحُفظت جداول القراءات والتقويم بالأرمنية والجيورجية. لقد حاولت كل طائفة الحصول على موقع في أورشليم، من خلال بناء دير أو كنيسة، وتأصلت الطوائف واشتركت جميعاً بطقس أورشليم القديم. تألف هذا الطقس من قراءات طويلة واحتفالات شعبية

في الأماكن التذكارية المقدسة. وإلى جانب الوثائق المذكورة يمكننا ذكر صلاة كنيسة أورشليم في نافور مار يعقوب الرسول التي قُبلت وحُفظت باليونانية، والسريانية (القصيرة)، وأيضاً بالأرمنية والجيورجية والحبشية. وهكذا أثّر طقس أورشليم على كل الطقوس القديمة بصورة جوهرية. لكن من ناحية أخرى، أُدخل في طقس أورشليم بعض العناصر البديعة الفاخرة، تحت نفوذ طقس العاصمة في الفترة البيزنطية. ويمكننا معرفة هذا التمييز بين مراحل تطوره المختلفة:

(١) طقس القرن الرابع والخامس بحسب خطب القديس قورلس الأورشليمي (٣٤٨-٣٨٧)، وكتاب الأسفار لإيجيرية الراهبة الافرنجية سنة ٣٨١-٣٨٤، وجدول القراءات المحفوظ في مخطوطات ارمنية وغيرها. (في مقدمتها مخطوطة محفوظة في دير القديس يعقوب في أورشليم مرقمة ١٢١ عن حالة الطقس بين ٤١٧-٤٣٩)، وخطب هيسيخيوس الأورشليمي في منتصف القرن الخامس.

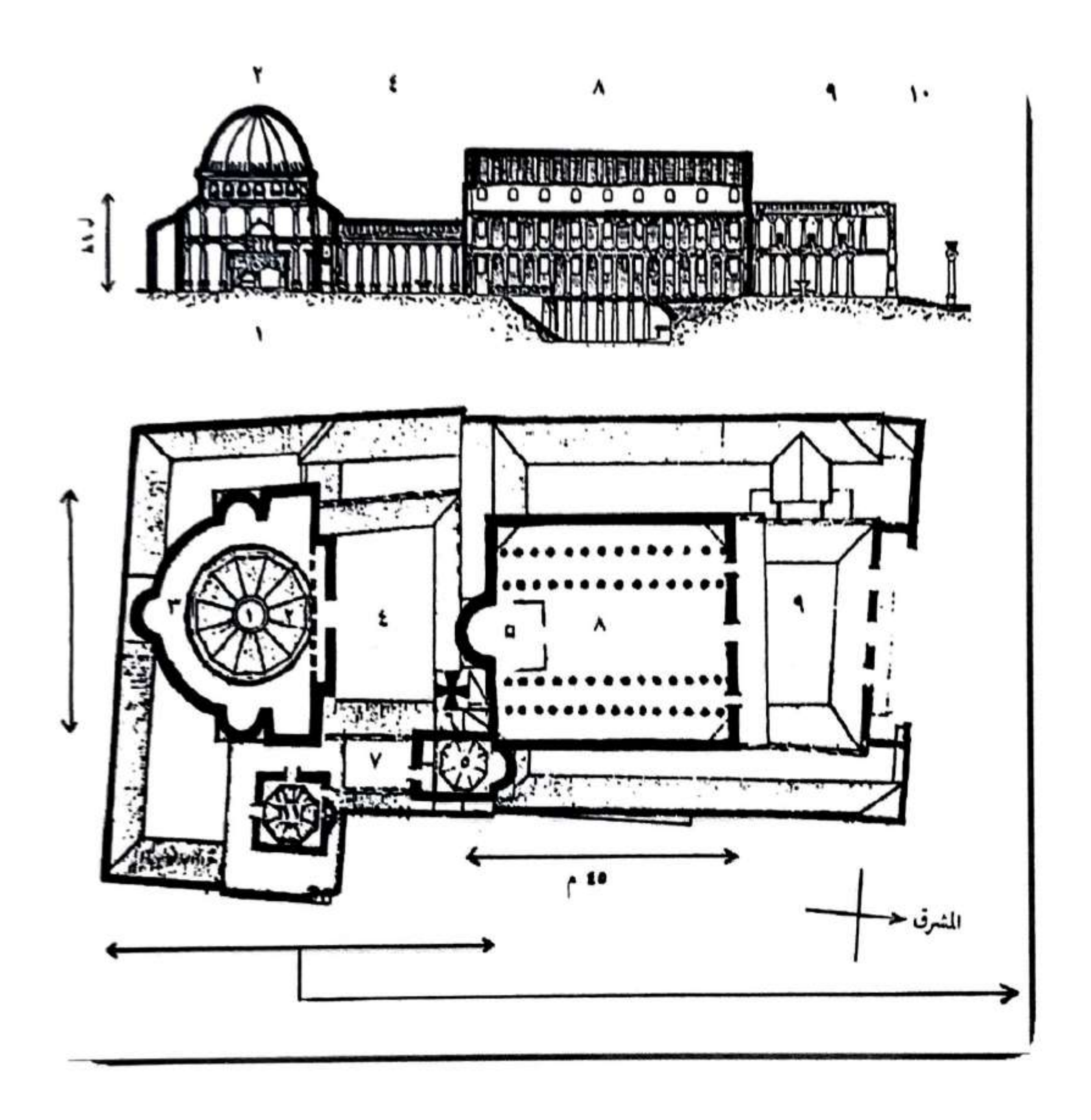
(٢) طقس القرن السادس إلى التاسع، بحسب جدول القراءات المحفوظ باللغة الجورجية (٤ نصوص).

(٣) طقس القرن العاشر إلى الثاني عشر، بحسب مخطوطة يونانية محفوظة في بطريركية أورشليم مرقمة ٤٣، ومكتوبة سنة ١١٢٢، وأيضاً من مذكرات بعض الحجاج والرحّالة خلال تلك الفترة. فقد كان طقس أورشليم يرتبط بالأماكن التاريخية والكنائس المبنية عليها.



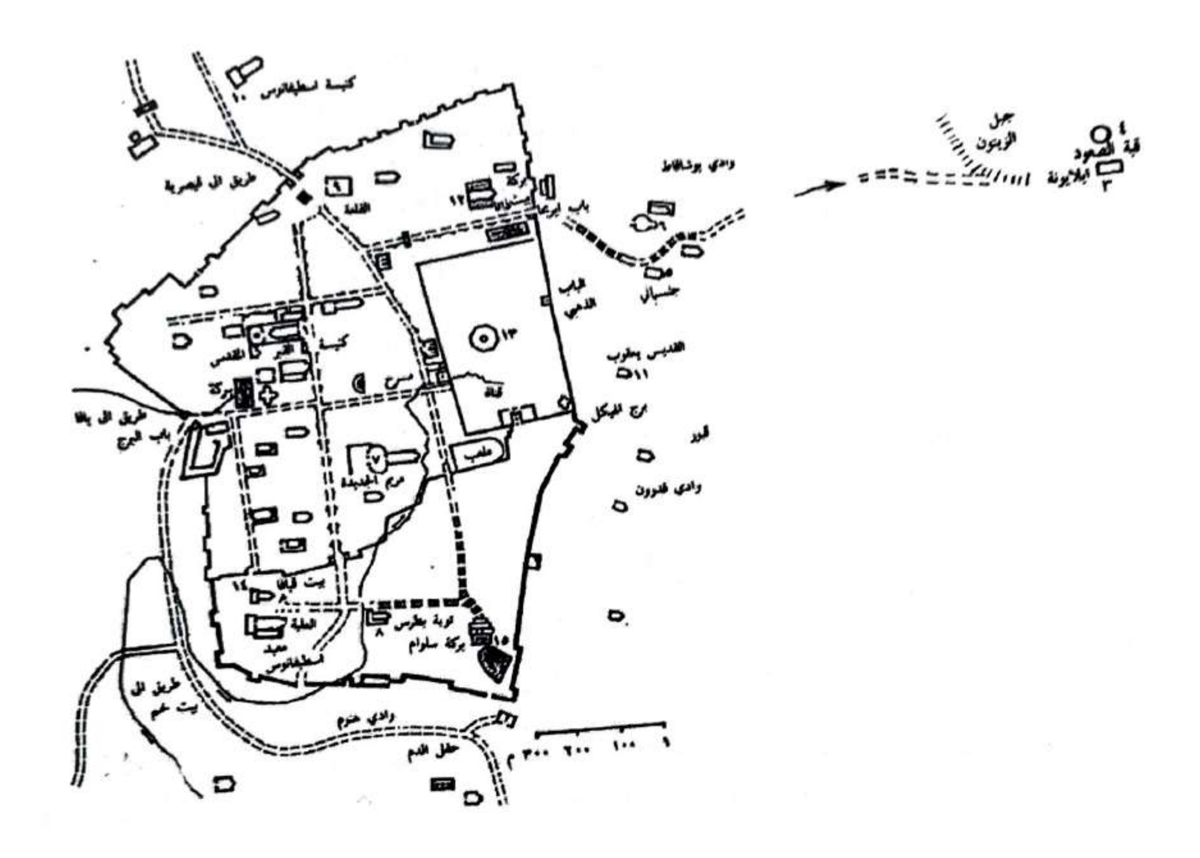
كنيسة القيامة حاليا

وكما كانت سابقا



(١) القبر المقدس (٢) قبة القيامـــة (٣) الأروقة في قبة القيامـــة (٤) الرحبة أمام قبة القيامـــة (٥) كنيســـة الجلجلة (مكـــان الصلب) (٦) الصليب الكبير (٧) الرحبـــة أمام كنيســـة الجلجلة (٨) الكنيسة الكبرى الباســـيليكا (مارتوريون) مع ٥ هياكل (٩) الرحبة أمام الكنيســـة الكبرى (١٠) المدخل (١١) بيت العماد.

القسم المحفوظ حالياً في أيامنا هو مكان قبة القيامة ورحبتها، والكنيسة التي بُنيت عليه ترجع إلى القرن ١١-١٢ والمسماة حالياً "كنيسة القبر" (أو كنيسة القيامة).



مدينة القدس الشريف من القرن الرابع الى التاسع: (١) كنيسة القبر المقدس. (٢) العلية. (٣) كنيسة إيلايونة. (٤) قبة الصعود. (٥) كنيسة جثسيماني. (٦) كنيسة قبر مريم. (٧) كنيسة مريم العذراء الجديدة. (٨) (كنيسة) توبة بطرس. (٩) القلعة (الأنطونية). (١٠) كنيسة القديس اسطيفانوس. (١١) دير القديس يعقوب. (١٢) بركة بيت ذاتا. (١٣) قبة الصخرة. (١٤) بيت قيافا. (١٥) بركة سلوام.

٤) **طقس أنطاكيا:** كما نميز بين المركزين اللاهوتيين الشرقيين، الأنطاكي والإسكندري، هكذا أيضاً ينبغي التمييز بين العائلتين الطقسيتين الصادرتين من هاتين المدينتين. فمنذ البداية تكونت ليتورجيا الإسكندرية بطريقة معينة، وقبلها فيما بعد الأقباط والحبشيون. أما الطقس الأنطاكي، فقد حُفظت آثاره في كتابات ثيودوروس المصيصي ويوحنا ذهبي الفم، وبعض الوثائق القانونية الطقسية، مثل كتاب "تعاليم الرسل"، ويتبين من هذه الكتابات الاهتمام بالسر العظيم، سر الخلق والخلاص، التدبير الإلهي، الذي يحضر من خلال الرموز الكنسية ليعد

المؤمنين لمستقبل بدون فساد. لقد امتد نفوذ كنيسة أنطاكيا على الأراضي داخل الإمبراطورية الرومانية، وحتى خارجها، عن طريق مركز الرها، نحو بلاد الفرس. وتطور طقس أنطاكيا في المنطقتين بطريقة خاصة، وهكذا تم التمييز بين النموذج السرياني الشرقي (طقس كنيسة المشرق) والنموذج السرياني الغربي (طقس كنيسة أنطاكيا للسريان)، بحسب التقسيم الجغرافي، وداخل الغرب، يمكننا التمييز بين طقوس سريانية ويونانية.

(١) **طقس كنيسة المشرق:** يمكن معرفة هذا الطقس من خلال وصف المفسرين العديدين، مثل مار نرساي وجبرائيل القطري، والأربيلي المنحول (المذكورين في كتاب المطران د. جاك اسحق "القداس الكلداني"، بغداد ١٩٨٢، ص ٣١-٤٨)، أكثر من الطقوس الأخرى، حفظت كنيسة المشرق ترتيب الصلوات اليهودية القديمة والروحية الكتابية الأصيلة، وذلك بفضل قرابة اللغات الطقسية (السريانية والآرامية والعبرانية)، والاشتراك في نفس الحضارة من بلاد ما بين النهرين، وتأثير نفوذ الجماعات والمدارس المشهورة في هذه المناطق.

(٢) **الطقس الأنطاكي الغربي السرياني واليوناني.** أثر على الطقوس السريانية والمارونية والأرمنية والبيزنطية:

((١)) طقس أنطاكيا للسريان. يرجع إلى الطقس الأنطاكي القديم كما حفظ في كتاب تعاليم الرسل" (القرن ٣)، والذي ازدهر في القرن الرابع وحتى السادس، بالسريانية واليونانية، مع قراءات متسلسلة وتفاسير لاهوتية على مدار السنة الطقسية واحتفالات وتطوافات وسهرات، ولكن بعد الانشقاق المونوفيزي، تداخلت مع عناصر سريانية قديمة (مار أفرام)، وعناصر يونانية كما رتبها ساويريوس الأنطاكي الذي ألّف مجموعات من الأناشيد والخطب الطقسية، وبعد تنظيم الكنيسة على يد يعقوب البرادعي، قام المعلمون السريان من القرن السابع والثامن (مثل يعقوب الرهاوي (٥٧٨))، بنقل النوافير والصلوات من اليونانية إلى السريانية، مستندين بذلك على طقس المحيط الإسكندري، أكثر من الأنطاكي، إلا أن هذا الطقس جُدد ونُظم فيما بعد على يد ديونيسيوس بر صليبا (+١١٧١) وميخائيل الكبير (+١١٩٩).

((٢)) الطقس الماروني. منذ القرن الخامس والسادس ظهر الموارنة كجماعة مسيحية أنطاكية حول دير القديس مارون، وبين القرن السابع إلى التاسع، أنشأت الكنيسة المارونية في جبال لبنان، جماعة خلقيدونية منفصلة عن السريان والروم الملكيين، وكانت طقوسها الأصلية مرتبطة بالتأثير السامي السرياني (رهاوي؟) المشترك مع كنيسة المشرق (كما يتبين من نافور مار بطرس الثالث "شرر")، وفيما بعد، نتيجة للظروف التاريخية الصعبة، تأثر الطقس الماروني بعناصر من الطقوس السريانية (القرن ٨-١٢) واللاتينية (منذ القرن ١٦).

((٣)) طقس الروم الملكيين. انه أيضاً طقس أنطاكي كان متعلقاً بطقس أورشليم قديماً، لكن منذ القرن الثامن ولغاية الثاني عشر أثرت عليه الليتورجيا البيزنطية، تأثيراً شديداً، بحيث تُركت اللغة السريانية، وقُبلت في الطقس العربية القديمة. إنّ الطقس البيزنطي له جذور أورشليمية – فلسطينية، مع أنه يرجع جوهرياً إلى أنطاكيا (القرن الرابع والخامس). إلا أنّ محيط العاصمة، حيث القصر الإمبراطوري، جعله يتطور ويتغير من ناحية الرتب والمفهوم اللاهوتي المثالي. ثم إضافة إلى الاحتفالات "الموقعية – الجغرافية"، أثّرت عليه الليتورجيا الديرية (دير مار سابا الفلسطيني من خلال دير السطوديون البيزنطي)، ومن القرن ١٢ إلى ١٥ تطورت الرتب الثانوية، مع الطلبات الطويلة.

((٤)) الطقس الأرمني. عرف هذا الطقس تطوراً خاصاً، منذ تكوينه من جذور قديمة (أورشليم وقبدوقيا وكنيسة المشرق)، حتى امتلك ليتورجيا أصيلة فنية منذ عهد الجاثليق ساهاك الكبير (٣٨٧-٤٣٨)، وذلك بفضل مؤلفات يوانيس مانداكوني (٤٩٠) وموسيس الخورين (٤٥٨) وغريغور من نارك (٩٥١) ونرسيس الرابع الشنورهالي (١١٦٦-١١٧٣) والمفسرين خوسرو الكبير أسقف أندريفانستنز (٩٧٢) ونرسيس اللامفروني أسقف طرسوس (١١٩٨).

٥ – **روحية الطقوس الشرقية** بصورة عامة تتميز هذه الطقوس بصفاتها الروحية التي تظهر من الرتب الطويلة والاحترام بتقوى للأمور المقدسة، عندما يحتفل بالسر الأعظم، الله في ثالوثه الأقدس، الخالق المخلّص. فبفضل قوة الروح القدس يأتي هذا السر حاضراً ليمكّن المؤمن من الالتقاء بالآب المحب للبشر، من خلال اشتراكه بذبيحة الابن الإلهية.

(١) <u>الطقس هو لقاء بالمسيح الحي</u>. قبل أن يشكّل الطقس مجموعة من الرُتب والعادات، هو في الخبرة الواقعية، يعني اللقاء بشخص يسوع المسيح. بحسب أقوال مار بولس، إن المسيح هو حياتنا، وهو فينا وبيننا. على أساس الإيمان نختبر حياة المسيح فينا. إنه يحضر فينا بفضل روحه القدوس. وفي المسيح يأتي الله إلينا بقوة الروح. في الطقس نحتفل بحياة المسيح وموته وقيامته، الحاضرة في الرموز الكنسية.

(٢) <u>الطقس محور التعليم اللاهوتي والحياة الروحية</u>. إن الطقس هو ينبوع الحياة الروحية حيث يُختبر الايمان بكل طهارته. ففي الاحتفال الطقسي يظهر السر الالهي ويحضر بين البشر، لكي يدخل المؤمن في هذا النور الحقيقي ويشترك في امتلاء الحياة. ان المؤمن، المسيحي الشرقي، هو "إنسان طقسي" حقاً. ليس بحسب المعنى السطحي كأن الطقس تقليد جامد أو عادة عنصرية؛ بل بالمعنى الروحي العميق، على أنه الوسيلة والوسيط، والملتقى، حيث يُجمع الله والإنسان معاً، وحيث يتم "التبادل العجيب". فالله يتجسد في طقس إنساني، ليتمكن الإنسان من الاشتراك في الطقس السماوي.

(٣) <u>الطقس والكنيسة</u>. في الاحتفال الطقسي يخفق قلب الكنيسة، العروس التي تقوم أمام ربها. وعندها يقوم الشعب مرتباً مزيناً بفضل قوة الروح القدس، أمام الله، ليشترك في حياته، بواسطة الرموز والرتب الطقسية (عبر ١٢:١٢). ففي الطقس تظهر حياة الكنيسة الحقيقية فعلاً. فالطقس إذاً ليس من شأن القس فحسب، بل من شأن الشعب كله، بطريقة جوهرية، لأنه تعبير عن حياة جماعة المؤمنين، جسد المسيح السري الروحي. إنّ الشعب كله صاحب الطقس والمسؤول عنه، إذ يحضر الله وسط شعبه في الحفل الجماهيري، ليكمله ويتحد ويتجسد به من خلال الذبيحة الإلهية. في الطقس يُعرض

الإيمان ويعبّر عنه الشعب كله، ويلتزم بحفظ القوانين الأدبية الأخلاقية. فمنذ القديم جرت العادة على جمع القرابين خلال الليتورجيا، لتوزيعها على الفقراء والمرضى والمحتاجين.

إن الطقس هو مركز الحياة الفردي والجماعي، لأن فيه يحيا المؤمن مع حضارته ولغته وتاريخه، باتحاد مع الأحياء والأموات، حاملاً التقليد المشترك لجماعته.

(٤) الطقس ورؤية الله. ان مفهوم "النور" في نصوص الصلوات الطقسية يشير إلى الحياة الروحية كأنها عبور من ظلام الخطيئة إلى طهارة النور. بفضل الاشتراك في الطقس يقترب المؤمن من رؤية الله المجيدة (التأليه). يتحقق هذا الاقتراب على مثال صعود جبل طابور، من خلال مراحل الأعياد السنوية الطقسية، نحو القمة حيث رؤية نور التجلي العظيم. في يوم القيامة ترتل كنيسة المشرق أمام أبواب القبر المقدس: "قومي استنيري يا أورشليم، استيقظ يا شعب الله، لأنه قد أشرق عليك نوره السماوي". فمنذ الآن ترى الكنيسة بعين الروح، الرؤية في الاحتفال الطقسي. فعلاً، الطقس هو مثل الأيقونة، النافذة المفتوحة التي ينزل منها النور السماوي من أجل تجلّي الإنسان والكون كله معه.

(٥) الطقس المرتكز على سر القيامة. إنّ كنيسة المشرق هي حقاً، كنيسة القيامة، وعيد القيامة في قلب السنة الطقسية، التي تستمد معناها من نور القيامة. إن العيد الوحيد، هو عيد القيامة المجيدة. إذ يضيء نور القيامة على الكنيسة فتحيا بفرح القيامة، لأنّ الرب الممجد، المنتصر على الموت والظلام، هو مع شعبه، متحداً بحياته الجديدة، وذلك في احتفال الكنيسة الطقسي. في القيامة يذكر المسيح الحي بكل مراحل حياته، هو الذي يتقدم ويجلب المائتين، في مسيرة سلام القيامة، من الموت نحو الحياة. في حياة الكنيسة الطقسية يحيا المسيح، ويستمر سر حضوره الخلاصي.

(٦) الطقس والروح القدس. يتم الطقس بفضل قوة الروح القدس. في كل الرتب الطقسية تجري صلاة خاصة لحلول الروح القدس على المادة الرمزية، ومنها على المؤمنين الذين يشتركون بها. إنّ هذا الروح هو مبدأ الكنيسة نفسها، منذ يوم الصعود والعنصرة، عندما حل الروح على الجماعة، الروح الصادر من المصلوب، ليكون الطاقة

الحية للكنيسة والمؤمنين. ان الروح القدس هو قلب الليتورجيا، وجمال وجه الكنيسة العروس. وكما قال مار أفرام:

"الروح في خبزك، النار في خمرك، اعجوبة فريدة، قبلتها شفاهنا...

هو ذا نار وروح في احشاء امك، هو ذا نار وروح في النهر حيث تعمدت،

نار وروح في عمادنا، نار وروح في الخبز والكأس"

(النشيد ١٠ في الايمان).



الفصل الثاني

مفهوم العيد المسيحي

"الله عيدنا"

١. معنى العيد

إن العيد شيء مهم في الحياة، وبصفة خاصة في حياة الإنسان الشرقي، وهو مهم لتعميق الإيمان والتقدم في الحياة الروحية للإنسان المؤمن الذي يحاول التقرب من الله تعالى وملكوته الخلاصي، فلا بد لنا إذاً، أن نذكر بعض صفات العيد العامة، والعيد الكنسي المسيحي بصورة خاصة. أن العيد ليس شيئاً عادياً، بل هو احتفال بالله الخالق المخلِّص، يشترك فيه كل أفراد الجماعة الكنسية بقلبٍ واحدٍ، ويعبِّرون عنه بالطقوس والألبسة النظيفة الجديدة والمدائح غير العادية التي تنم عن فرحهم وشكرهم. إن العيد يحل في مرحلة من مراحل السنة الكونية أو بمرحلة من مراحل الحياة الإنسانية، أو بمرحلة من مراحل التدبير الإلهي الخلاصي حسب العهدين القديم والجديد. إن العيد يجمع بين الزمن الحاضر والماضي والمستقبل:

(١) أكثر الأعياد الكنسية هي ذكرى لحدث من الأحداث العظيمة التي قام بها الله تعالى في الماضي.

(٢) من خلال ذكرى الحادث الاحتفالي تتحقق قوته الخلاصية في الحاضر للذين يؤمنون به، وبفضل فعالية الروح القدس يُملأ العيد من كنوز النعم.

(٣) في الاحتفال ذاته يفتح العيد باباً للمستقبل، عندما ينتظر المؤمن تحقيق الحادث المذكور، فنعمة العيد تشكل عربوناً لتحقيقه الكامل في المجد غير المدرك، مع جماعة المؤمنين كلهم، في المجد الذي أعدّه لهم الرب يسوع المسيح. إن المسيح هو محور الزمن، ويجمع بين كل الأبعاد. إنه أمير الأعياد، بحسب قول مار أفرام. إن العيد هو لقاء بالله تعالى الحي، الذي هو رب الماضي والحاضر والمستقبل، لأنه هو الحاضر الذي

يفوق الأزمنة، ويلتقي به المؤمن في صورته الجوهرية عن طريق ابنه يسوع المسيح. وفي الحقيقة ما من عيد إلا ويحتفل به تسبيحاً وتمجيداً لله تعالى الذي لا يزال يحقق خلاصه لنا إلى الآن. وهو عيدنا المستمر مهما حدث لنا من وقائع. فلنعيّد عيداً لله. الله كما ظهر لنا بصورة ابنه يسوع المسيح.

٢ـ العيد في تطور الحياة والكون

(١) الرموز الكونية. إن حياة الإنسان مرتبطة بفصول الأرض وبحركة الشمس والقمر والكون كله، ومنذ القِدَم كانت للإنسان خبرة بحركة الكواكب والأجرام الدورية المتكررة المرتبة بحسب الدور السنوي والشهري والأسبوعي واليومي. وتتكون كل دورة من ٤ مراحل : بداية الغروب والظلام الدامس، ثم بداية الشروق والنور الساطع. وهذا النظام هو مسيرة اليوم نحو الليل، ونظام مراحل القمر من الهلال إلى البدر، وكذلك مواسم السنة التي بدأت عند اليهود والبيزنطيين في شهر تشرين (الخريف) مع أن بدء السنة الطقسية يقع عادة في شهر آذار ونيسان (الربيع). في روما بدأت السنة بعيد الميلاد (الأحد الأول من المجيء. فيما بعد) أو ٢٥ آذار وفي مرحلة متأخرة من التحضير للصوم الكبير (مع قراءة سفر تكوين). كانت بعض الأعياد اليهودية متعلقة بالمواسم لأعياد الباكورة (الفصح) ولحصاد الشعير (الخمسيني) وتقديم الثمر والعنب (عيد المظال). وعندما قبلت الكنيسة هذه التقاليد والرموز الطبيعية، أكملت وعمّقت معناها ومقاصدها الأصلية.

(٢) وكذلك بالنسبة إلى الرموز الإنسانية، مثل مراحل الحياة وتصرف الإنسان (الاستراحة – العمل – الأكل – العلاقة الاجتماعية) والرموز الأساسية العامة المتعلقة بالحاجات العميقة لتحقيق السعادة والنور مع التغلب على الظلم والاستغلال.

٣ـ عيد واحد

في بداية المسيحية لم يحتفل إلا بعيد واحد، وهو عيد القيامة. أولاً من خلال الذكرى الأسبوعية في كل يوم أحد، كما وردت العادة في أعمال الرسل (١٠:١/ ١ قور ١١:١٧-٣٤/ الديداخي ١٤/ تعاليم الرسل ٢:٥٩) مع الاسم الخاص "يوم الرب" الممجد الذي قام فيه وهو

"اليوم الثامن" حيث بدأ الخلق الجديد على أساس قيامة الرب. وفيما بعد أمر قسطنطين بأن الأحد يكون يوم الاستراحة (سنة ٣٢١). منذ القرن الثاني (سنة ١٣٥ في أورشليم وسنة ١٦٥ في روما) حفظت شهادات عن ذكرى "عيد الفصح" السنوية، أحد القيامة، وقت الربيع في شهر نيسان، خلال السهرة الليلية الطويلة "أمّ السهرات"، كما سماها القديس أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠)، وكان المؤمنون يذكرون ذبيحة الحمل الفصحي الجديد، وهو المسيح الرب الذي انتصر بحياته وموته، مصلوباً على الخطيئة والشر. وفي نفس السهرة التذكارية كانوا ينتظرون رجوع ربهم الممجد – "في ليلة مثل ليلة الفصح هذه" – ثم أخذوا يحتفلون بهذا العيد الوحيد مدة خمسين يوماً، ويفرحون بتحقيق الخلاص لهم، وبعبورهم الروحي مع ربهم من ظلام الخطيئة إلى نور القيامة، وبالمصالحة الكونية بين الله تعالى وبين البشر الخاطئ، بفضل ذبيحة الحمل. إن عيد الفصح أو عيد القيامة، هو العيد الكبير العظيم الذي هو "عيد الأعياد وأهم الاحتفالات، كالشمس التي تضيء كل الأعياد الأخرى"، بحسب قول القديس غريغوريوس النزيانزي اللاهوتي (نحو ٣٣٥-٣٩٥). "هذا هو العيد العظيم فجر جميع الأعياد" (الحوذرا الكلدانية ٢ ص ٢٨٩). وفي منتصف القرن الرابع (المجمع النيقاوي ٣٢٥) تم تعيين تاريخ عيد القيامة رسمياً وحدد له يوم الأحد الذي البدر بعد ٢١ من شهر آذار.

٤ـ تعدد الأعياد

تطور عيد القيامة

كثرت الأعياد لأسباب مختلفة، نذكر منها:

١) الأعياد الطقسية اليهودية (الفصح والخمسين والمظال)،

٢) الأعياد الكونية الوثنية الرومانية (عيد الشمس الجديدة)،

٣) تمديد عيد معين لفترة تحضيرية للعيد أو متابعته (الصوم)،

٤) الاهتمام بعلاقة التوقيت (٦ كانون و٢٥ آذار)،

٥) تسلسل الأحداث الإنجيلية التاريخية (أسبوع الآلام).

٦) عادات الكنائس الخاصة المتعلقة بأماكن مقدسة (السعانين) أو ذكريات معينة لكنيسة من الكنائس المحلية (٢٥ كانون).

٧) عوامل سياسية واجتماعية لا سيما تعليمية عقائدية مثل عهد المناقشات في جوهر الكلمة والروح (مجمع نيقية والقسطنطينية)، وسر شخص المسيح ودور مريم العذراء (مجمع أفسس وخلقيدون)، وكذلك تقدّم الفهم اللاهوتي والخبرة الليتورجية بممارسة الأعياد من احتفال تذكاري (memoria) إلى احتفال خلاصي (sacramentum).

هكذا توسع (في القرنين الثالث والرابع) عيد القيامة بقبول بعض الأعياد الأخرى المتعلقة به مباشرة، وحُدد تاريخ احتفالها بالنسبة إلى تاريخ عيد القيامة بحسب التقويم المحلي المقبول. فأخذت الكنسية تهتم أكثر فأكثر بمراحل الخلاص المتسلسلة بحسب المراحل التاريخية لحياة يسوع الناصري، وذلك بصورة خاصة تحت تأثير كنيسة أورشليم التي عينت لكل من المراحل المهمة عيداً خاصاً مع طقس المكان التاريخي المعين لهذه المرحلة. وبسبب تقسيم هذه الأحداث الفصحية، تطورت طقوس عيد القيامة للأيام المقدسة الثلاثة، ومن ثم لأسبوع الآلام وأحد السعانين مع الفترة التحضيرية أي الصوم الكبير. وبعدئذٍ، في مرحلة متأخرة، جُعل ضمن عيد القيامة الخمسيني احتفال خاص لليوم الأربعيني (قُبل عيد الصعود في أنطاكيا وقبدوقيا منذ المنتصف الثاني من القرن ٤) وليوم الخمسين (عيد العنصرة).

أصول عيد الميلاد وتطوره



أما أصل عيد الميلاد وكل ما يتعلق به، فلم يُعرف حتى الآن لأي سبب وفي أي تاريخ أخذت الكنيسة تحتفل بهذا العيد، وهناك بعض النظريات المكملة حول أصل العيد.

(١) "النظرية الحسابية – التوقيتية" التي تعترف بأهمية الأرقام وعلاقة التواريخ الرمزية على أساس حسابات رياضية توقيتية قديمة (L.Duchesne ١٨٨٩, H.Engberding ١٩٥٢, T.J.Talley ١٩٨٠). ترجع هذه النظرية إلى استعمال تقاويم مختلفة، قمرية (بالنسبة إلى عيد القيامة) وشمسية (بالنسبة إلى عيد الميلاد). وقع الاعتدال الربيعي في التقويم اليولياني

٣/٢٥، وقبل هذا التاريخ في نيقية (٣/٢١ مع الإسكندرية) كأنه تاريخ بداية الخلق (تك ١-٢) تحت اسم "رأس الزمن" وأساس التوقيت الإنساني، وبحسب شهادة الآباء (ترتوليانس، هيبوليطس، يوليوس الأفريقي، أقليمس الإسكندري، مار أفرام، اوغسطينوس) اتفق تاريخ يوم الصلب مع تاريخ يوم الحبل والذي كان يصادف ٣/٢٥. هكذا يقول نيسيتاس الصربي (Nicetas of Remesiana, second half of IVth c.**): "قام المسيح من بين الأموات في تاريخ الاعتدال الربيعي وخلال البدر، يوم الأحد، المصادف يوم بدء العالم حسبما علمنا سفر التكوين"**. ثم عُيّن تاريخ عيد الميلاد ١٢/٢٥ (الانقلاب الشتوي) وهو ٩ أشهر بعد عيد البشارة. وعُرف هذا التاريخ (١٢/٢٥) تاريخ الميلاد في روما قبل سنة ٣٣٦، وفي أفريقيا قُبل سنة ٣١٢ (بحسب تفسير خطبة ٢:٢ لأوغسطينوس). والجدير بالذكر أن ٣/٢٥ يصادف ١٤ نسيان في التقويم اليولياني الغربي، أو ٦ نيسان في التقويم اليولياني الشرقي. ومن ثم قبول ٤/٦ كتاريخ صلب المسيح والحبل به. هكذا قد قُبل عيد الظهور (الدنح) في المشرق، وعُيّن تاريخه في ٦ كانون الثاني، وصادف هذا اليوم، بحسب التقويم، ٩ أشهر بعد يوم الصلب الذي ذُكر فيه خروج "الكلمة" من العالم وأيضاً دخوله الأول. مع ذلك لم تكن كنيسة أورشليم في القرن الرابع (وحتى السادس)، تعرف إلا عيداً واحداً للميلاد والدنح معاً، في ٦ كانون الثاني، كما أنها لم تحتفل بالصعود إلا في اليوم الخمسين. أما الكنائس الغربية فاحتفلت بنفس العيد، عيد الميلاد في ٢٥ كانون الأول (من تقليد كنيسة روما) ومعه عيد التقدمة (بعد ٤٠ يوماً) وعيد البشارة (٩ أشهر قبله) وعيد الانتقال (وهو بالأصل عيد محلي لكنيسة أورشليم). نحو سنة ٣٨٠ أُدخل عيد الميلاد (١٢/٢٥) في القسطنطينية بحسب شهادة غريغوريوس النزيانزي، وفي أنطاكيا بحسب شهادة يوحنا الذهبي الفم (٣٨٦)، ويُذكر في الإسكندرية سنة ٤٣٢. أما عيد التجلي فعُيّن تاريخُه في ٦ آب (٧ أشهر بعد عيد الدنح. نحو ٥٠٠: راجع ماري ٤٦). وفيما بعد أُضيف إلى هذا الترتيب السنوي عيد الصليب والأعياد المريمية.

<u>(٢) **"النظرية الفلكية"**</u> (Religionsgeschichtliche Hypothese)، المستندة على العلاقات بين الأديان نظراً إلى الأجرام السماوية (H.Usener ١٨٨٩, F.J.Doelger ١٩١٨, O.Casel ١٩٢٨, K.Holl ١٩٢٨, B.Botte ١٩٣٢,١٩٥٥, H.Frank ١٩٥٢,١٩٦٦) تقول بأن تاريخ عيد الميلاد المسيحي عُيّن تحت تأثير عيد ديني وثني، وذلك بالإشارة إلى ظواهر كونية كوكبية وبالذات عيد الشمس التي لا يتغلب عليها (natalis solis invicti)، واعترف البابا ليون الكبير (٤٤٠-

٤٦١) بتأثير هذه العادة الوثنية (تغلب الشمس على الظلام) على المسيحية، حيث تغلب المسيح. وهو شمس العدالة، على القوة الشيطانية، وحيث يلقب أوغسطينوس الميلاد بالتذكار (memoria)، يشدد البابا ليون انه سر قوي للخلاص (sacramentum salutis)، وهو بداية الأعياد (sacra primmordia). (ا) – ورد تذكار "ميلاد المسيح" في تاريخ ٢٥ كانون الأول، بحسب التقويم (لسنة ٣٥٤) الذي يحفظ الأعياد لمدينة روما، ويرجع أصله إلى سنة ٣٣٦، كما يتبين منه أيضاً إن السنة بدأت في ٢٥ كانون الأول. لقد عيّن الإمبراطور أورليوس الوثني عيداً للشمس في ٢٥ كانون، منذ سنة ٢٧٤، وكان ذلك في تاريخ الانقلاب الشتوي (١٢/٢٥) بحسب التقويم اليولياني (تأسيسه سنة ٤٥ ق. م). (ب) قال القديس أوغسطينوس (+٤٣٠) في خطبة من خطبه إن الدوناطيين لا يذكرون "المجوس" عندما يحتفلون بعيد الميلاد. والجدير بالذكر إن أصول الدوناطية تعود إلى ما بين سنة ٣٠٠-٣١١، فيسأل بعض الباحثين عن بدايات عيد الميلاد، حتى من قبل سنة ٣١٣. (ج) نحو ٣٨٠ قُبل عيد الميلاد "الغربي" (١٢/٢٥) في القسطنطينية، وقبدوقيا، وأنطاكيا. ورد ذكر هذا التقليد حتى عند ديونيسيوس بر صليبي (+١١٧١) (راجع السمعاني م ش ٢ :١٦٤).

<u>(٣) "النظرية العقائدية"</u> القائلة إن أحد العناصر الذي سبب تعيين بعض الأعياد هو الدفاع عن مواقف عقائدية (عظمة الكلمة الإلهية أو ألوهية المسيح وغيرها) ضد التعاليم الهرطوقية مثل الآريوسية والآبوليناريوسية.

<u>(٤) "النظرية الكتابية"</u> القائلة إن تعيين تاريخ بعض الأعياد يعود إلى نصوص كتابية خاصة، عندما جمعت في بعض الترجمات الإنجيلية بين عماد المسيح وولادته، مثلاً في نقل سرياني قديم: "تزل الروح فيه، واستراح وبقي عليه" (مر ١:١٠)، أو في إنجيل العبيونيين: "عندما صعد المسيح من الماء انفتحت السماوات ورأى الروح القدس في شكل حمامة، نازلاً عليه وداخلاً فيه، وصوت من السماء قائلاً: "أنت ابني الحبيب الذي به رضيت. اليوم ولدتك. وحالاً أشرق نور عظيم على المكان". ومار أفرام: "حبلته أحشاء المياه الرطبة في الطهارة، وولدته في البهاء، وأصعدته في المجد" (الكنيسة ٣ :٣٦). وهنا نص من القرن الثاني يقول:

"في ٦ كانون أشرقت قوة نورانية شديدة ونزلت على يسوع وأحاطت به كلياً واستنار... ثم صعد يسوع إلى الأعلى" (أقليمس الإسكندري).

كان يوم السبت من الأسبوع السادس مكرساً لعماد الموعوظين على مثال "عماد الرسل" على يد المسيح (مذكور في إنجيل غنوصي قديم). لكن في نهاية القرن الرابع، نُقل الصوم من موقعه بعد عيد الدنح إلى ما قبل أحد السعانين. وذُكر هذا الصوم المتعلق بعيد الدنح أيضاً عند الأربيلي المنحول حيث يتكلم عن عادة الآباء قبل إصلاح الجاثليق ايشوعياب الثالث. وكذلك حفظت قراءة إنجيل مرقس المتسلسلة في الطقس البيزنطي للصوم الكبير. والجدير بالذكر إن الصوم القصير، تحضيراً لعيد القيامة تطوَّر من يوم واحد إلى ٣ أيام ، ثم إلى أسـبوع، وإلى ٣ أسابيع في روما. – نتيجة لبعض الدراسات الحديثة – إن هذه العادة ذات علاقة بالطقس اليهودي القديم الذي عرف فترة تحضيرية لعيد الفصح، لمدة ٣ أسابيع. يذكر الأربيلي أيضاً إن صوم كنيسة المشرق يحتوي على ٦ أسابيع من ٦ أيام (= ٣٦، ما عدا الآحاد)، مع الأيام الأربعة الأولى من أسبوع الآلام (= ٤٠)، في حين أن صوم جمعة الآلام وسبت النور، هو صوم خاص للصليب. كما تطور الصوم الأربعيني خلال القرون ٤ إلى ٦ من فترة تحضيرية للموعوظين (مع منح العماد في يوم سبت النور)، إلى فترة التوبة الأخيرة للتائبين (مع الاحتفال بسر المصالحة في يوم خميس الفصح).

الأعياد الخاصة بمريم العذراء: (١) ميلاد العذراء (٨ أيلول)، (٢) دخول (تقدمة) العذراء إلى الهيكل (٢١ تشرين الثاني)، (٣) لقاء المسـيح بشـمعون الشيخ (٢شباط)، (٤) البشارة (٢٥ آذار)، (٥) انتقال العذراء (١٥ آب). **الأعياد الخاصة بربنا يسوع المسيح:** (٦) ارتفاع الصليب (١٤ أيلول)، (٧) ميلاد المسيح (٢٥ كانون الأول)، (٨) ظهور المسـيح (٦ كانون الثاني)، (٩) السـعانين (الأحـد قبل عيد القيامة)، (١٠) الصعود (أربعون يوماً بعد عيد القيامة)، (١١) العنصرة (الخمسيني)، (١٢) التجلي (٦ آب). **لا يرد ذكر عيد القيامة (الأيام المقدسة الثلاثة) في ترتيب هذا الجدول، لأنه يفوق الأعياد الأخرى برمتها وهو مركز الأعياد كلها، إذ انه ينبوع الأعياد وأصلها وهو العيد الذي ينير كل الأعياد، كالشمس التي تضيء الكل. حفظت لنا بعض الصور من تقليد الكنيسة البيزنطية، التي تعبّر عن ترتيب الأعياد القانوني، ففي لوحة واحدة جُمعت رموز الأعياد الكبرى كلها.**



نحت على عاج من القرن العاشر

(محفوظ في لينينغراد)

(أسرار الطفولة)	١ البشارة	٢ الزيارة	٣ الميلاد	٤ التقدمة
(أسرار الحياة العلنية)	٥ العماد	٦ التجلي	٧ السعانين	٨ الصلب
(أسرار المجد)	٩ القيامة	١٠ الظهور	١١ الصعود	١٢ العنصرة



نحت على عاج من القرن الثاني عشر
(محفوظ في طليطلة)

٣ التقدمة	٢ الميلاد	١ البشارة	(الطفولة)
٦ إحياء لعازر	٥ التجلي	٤ العماد	(الكشف عن المجد)
٩ القيامة	٨ الصلب	٧ الشعانين	(الأسبوع المقدس)
١٢ الانتقال	١١ العنصرة	١٠ الصعود	(التمجيد)

حسب الرسومات في المخطوطات
الطقسية السريانية من القرن ١٣

١ البشارة	٢ الميلاد	٣ العماد	٤ التقدمة
٥ السعانين	٦ الصلب	٧ القيامة	٨ الصعود
٩ العنصرة	١٠ التجلي	١١ الانتقال	١٢ ارتفاع الصليب

ايقونة روسية من القرن السابع عشر

٤ ميلاد المسيح	٣ البشارة	٢ تقدمة مريم	١ ميلاد مريم
٦ العماد	القيـــامة		٥ التقدمة
٧ التجلي			٨ السعانين
١٢ ارتفاع الصليب	١١ الانتقال	١٠ الثالوث العنصرة	٩ الصعود

الفصل الثالث

السنة الطقسية

"المسيح محور الزمن"

١ـ التقويم " المسيحي"

كان لكل شعب من الشعوب القديمة توقيت خاص يستند إلى حادث مهم من تاريخه، مثل تأسيس المملكة أو السلالة أو العاصمة .... وهناك أيضاً تباين في طريقة حساب السنة، فالتوقيت القمري (تحتوي السنة على ٣٥٤ يوماً فقط) المقبول عند اليهود (عيد الفصح ١٤ نيسان) والتوقيت الشمسي (٣٦٥ يوماً) المعروف عند الرومان وبدايته في شهر آذار.

في البدء لم يكن للكنيسة تقويم خاص وإنما كانت تتبع تقويم الدولة التي انتشرت وتكونت فيها، وهكذا حتى القرن السادس عندما عُيّن في روما تاريخ ولادة المسيح من قِبَل الراهب ديونيسيوس الصغير الذي جعل تاريخ الولادة في سنة ٧٥٤ من تأسيس مدينة روما. إرتكب هذا الراهب خطأ في الحساب عندما اعتقد أن ولادة المسيح التاريخية الصحيحة تمت بين ٤ إلى ٧ سنين "قبل المسيح". وقد قُبِل هذا التقويم (مع سنة الصفر بحسب حساب ديونيسيوس) في إنكلترا عند بيدا المحترم (المتوفى ٧٣٥) وفي روما منذ القرن العاشر ورسمياً منذ سنة ١٤٣١، ثم شاع هذا التوقيت الميلادي.

شهد التقويم الطقسي تطوراً وتجديداً متكرراً، وبذلك جمع بين مختلف التقاويم – كتقويم الأعياد والآحاد حيث تذكر عظائم المسيح التاريخية الخلاصية وتقويم تذكارات الشهداء والقديسين.

ما زال هناك، حتى في أيامنا هذه، عدم اتفاق بين الكنائس على توحيد تاريخ الأعياد. فكما ذكرنا كان الاختلاف في بداية المسيحية حول تاريخ عيد القيامة نفسه (١٤ نيسان أو يوم

الأحد). لكن أخيراً قبلت الكنائس تحديد كنيسة روما والإسكندرية وأورشليم وغيرها في مجمع نيقية (٣٢٥) (الأحد الأول بعد اكتمال القمر (٢١ آذار)). تمّ تعيين هذا الأحد أيضاً بحسب التقويم المدني الجاري وقتذاك (وهو اليولياني). إنّ السبب الأول للاختلافات يعود إلى التقاليد المحلية المختلفة الخاصة باستعمال تقويم معين في كل كنيسة من الكنائس، خاصة في الكنائس المنفصلة عن غيرها جغرافياً أو سياسياً أو لاهوتياً. ويرجع السبب الثاني إلى رفض التوقيت الغريغوريوسي من قِبَل الكنائس الأرثوذكسية سنة ١٥٨٣ و ١٥٩٣.

لقد عُرف التقويم اليولياني في المملكة الرومانية منذ عام ٤٥ ق.م (نسبة للإمبراطور يوليوس قيصر الذي أوجده) والذي قُبل في أكثرية كنائس المملكة، لكنه لم يكن حساباً توقيتياً سليماً وبدون خطأ، حيث تتخلف كل سنة قليلاً عن التوقيت الشمسي الحقيقي، وفي القرن السادس عشر أصبحت فترة التأخير ١٠ أيام تقريباً.

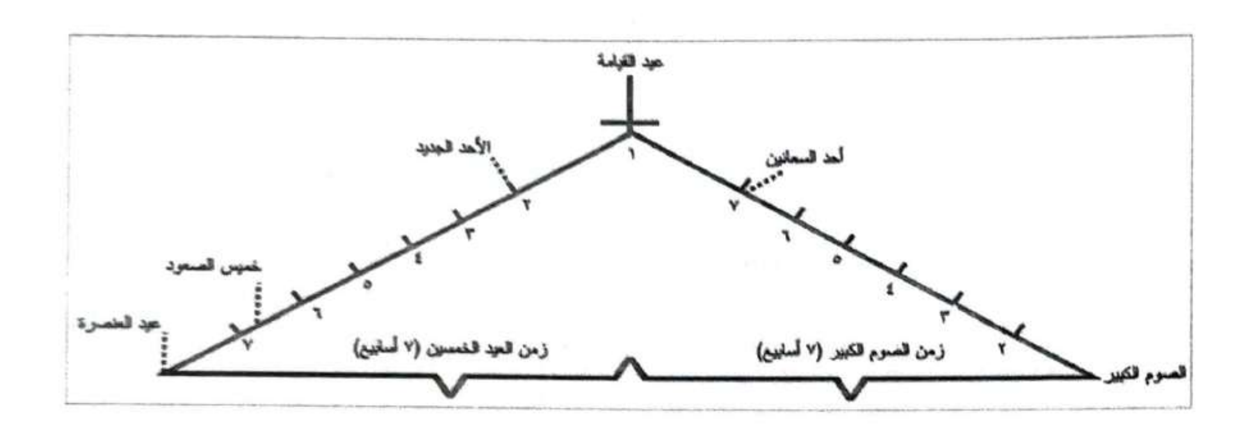
ثم قام البابا غريغوريوس الثالث عشر بتجديد وتحسين الحساب التوقيتي القديم فعيّنه سنة ١٥٨٢. ومنذ سنة ١٩٠٠ أصبح الفارق الزمني بين التقويم اليولياني والغريغوري ١٣ يوماً. وقد قبلت بعض الكنائس الأرثوذكسية التقويم الغريغوري بتعيين كل الأعياد ما عدا تاريخ عيد القيامة.

٢- معنى السنة الطقسية وتطويرها

تكونت السنة الطقسية تدريجياً حول موضوعين أو مركزين، عندما شُكّلت حول عيد الفصح (عيد الميلاد) مجموعة من الأعياد والفترات التحضيرية أو التوضيحية المتعلقة به. وعلى مسار الأعياد اليهودية قام المسيحيون بحفظ عيد الفصح كعيد القيامة، وعيد اليوم الخمسيني مع ذكرى منح الوصايا، كعيد منح الروح القدس. وقد عُرفت الفترة الخمسينية منذ القرن الثاني بكونها عيد القيامة الكبير الأوحد. ومنذ القرن الرابع امتد العيد بمدة تحضيرية: أيام الفصح الثلاثة، ثم الصوم الأربعيني (٧ أسابيع).

أما المركز الثاني، الفترة الميلادية، فقد تكونت تدريجياً منذ القرن الرابع، مع بعض الأسابيع التحضيرية وبعض الأعياد المتعلقة بطفولة المسيح ومريم العذراء. إن عيد الميلاد (مع الدنح) عيد النور – المسيح شمس العدالة (اش ٩/ يو ١) مع التركيز على الأم البتول التي

حبلت وولدت ابن الله. هو الذي كان في بطنها نراه في المغارة، ثم في نهر الأردن حيث أشرق نوره على المياه.



ولمدة معينة (وطويلة) تطورت الفترتان بصورة مستقلة، مع أن موضوع احتفالهما متعلق بالمسيح: المسيح الآتي في إنسانيتنا والمسيح الممجد بموته وقيامته. خلال هذه الفترة، ما زالت أكثرية الكنائس تتبع السنة المدنية. لم يعرف الغرب (روما)، السنة الطقسية بكاملها قبل القرن السادس عشر. حتى في المجمع التريدنتيني لم تُذكر السنة الطقسية، مع أن السنة بدأت بالأحد الأول من فترة المجيء*(منذ القرن ٧). وفي القرن ١٧ بدأ استخدام مصطلح "السنة الكنسية" أولاً عند البروتستانت (Johannes Pomarius, ١٥٨٩ "Postille")، وفي القرن العشرين وضّح دوم كاسل (Odo Casel) معنى السنة الليتورجية، كأنها احتفال مستمر بسر المسيح الخلاصي. وإلى جانب هاتين القمتين تطورت تذكارات القديسين بحسب ترتيب طقسي معين، كما وُضعت ونُظّمت أيضاً دورات القراءة المتسلسلة. وبالتالي أثرت كل هذه الأمور على تشكيل السنة الطقسية، بحيث أن الكاتب المجهول يذكر في بداية تفسيره، ٤ بدايات من دورات سنوية ضمن السنة الطقسية نفسها، وهي بداية السنة القمرية في شهر تشرين، وبداية السنة الطقسية في شهر كانون، وبداية القراءات الكتابية المتسلسلة عند انطلاق الصوم الكبير، وبداية فترة "الرؤساء" بعد عيد القيامة المجيدة. إن كل هذه الأمور وغيرها أثرت على تنظيم السنة

الطقسية، سنة الرب الممجد الذي يشرق مثل الشمس ليكمل مسيره السنوي وليجذب المؤمنين في أثره.

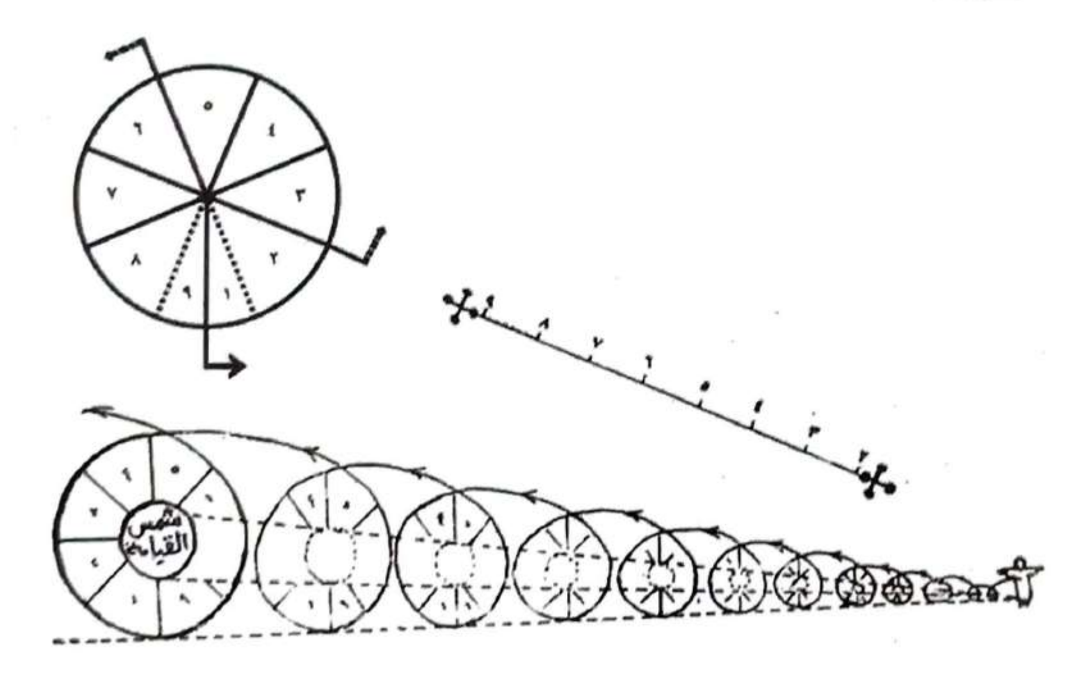
إن السنة الطقسية ليست تقويم كنسي للأعياد فحسب، أو ذكرى أحداث حياة المسيح مع هدف تعليمي تربوي، وإنما هي سر رمزي، يمكّننا من الالتقاء بالمسيح وجهاً لوجه وكأنها المسيح بالذات (annus est Christus)، "رب الأعياد" (مار أفرام). وعندما نعيشها بعمق الروح، ينطبع المسيح على ظهر قلوبنا ويتجدد فينا لنعبد الله الآب معه بقوة الروح القدس. إن السنة الطقسية مثل أيقونة، يرى المؤمن فيها حضور الماضي الخلاصي ورؤية المستقبل المجيد. وتعطي للزمن الأرضي ولوجود الإنسان الوقتي عمقاً جديداً غير متوقع وأبعاداً غير معروفة، ليعيش المؤمن حياته برفقة يسوع التاريخي القائد المخلص وبرؤية المسيح المنتصر العريس السماوي. إن السنة الطقسية هي الملتقى بين الأرض والسماء، بين الزمن والأبدية، بين الإنسان والله الرب. لقد جعل الروح القدس السنة الطقسية، سراً فعلياً ورمزاً حقيقياً لذكرى التدبير الخلاصي، الذي من خلاله يأتي رب الأزمان حاضراً في ترتيب زماننا، على أساس طاقة القيامة التي هي جوهر السنة الطقسية كلها. فالمطلوب من الكنيسة إذاً أن تلتزم بها وتحييها باحتفال مستمر من أحد إلى أحد، وذلك من خلال خدمتها المتواضعة للعالم الضمآن، لكي يشرق منه وجه الإنسانية الحقيقية. إن عيد القيامة هو حقاً مركز السنة الطقسية الوحيد، إذ بزغت هذا اليوم شمس فدائنا (مار أفرام)، وبأشعة هذه الشمس استنارت جميع الأعياد والآحاد، إنها قلب التاريخ البشري كله (راجع ١ قور ١٥:١٢-٢٨).

إنّ تسلسل الآحاد والأعياد نعمة! كما كان مار أفرام يغني عن لاهوت الأعياد: الأعياد خزائن للنعم وبهذه المناسبات يفتح الله أبواب نعمه بأوسع طريقة ممكنة. هكذا بمناسبة عيد القيامة تحتفل جماعة المؤمنين الكنسية بذكرى الانتصار الماضي. وتكون القيامة حاضرة بيننا في سر الرموز الطقسية بكل قوتها ونعمتها، لكي يستطيع المؤمن أن يشترك حقاً في قيامة ربه وينتصر معه على الموت وعلى الشر. فلهذا السبب ترتل الكنيسة كل سنة من جديد: "اليوم غلب المسيح الموت". إذاً تسلسل الأعياد يخطط لنا "تاريخ الخلاص" ويضعه حاضراً

أمام أعيننا حتى نتمكن من قبوله في هذا اليوم. كان المسيح يقول: "من يريد أن يكون لي تلميذاً، فليتبعني" (لوقا ٩:٢٣-٢٧). لقد فهم الشهداء والرهبان هذا القول حرفياً. أما نحن فينبغي لنا اتّباع المسيح على أساس عمادنا بأسرار حياته، التي تمثّلها لنا السنة الطقسية. ظهر هذا الموقف من استشهاد مار شمعون برصباعي، الشهيد العظيم لكنيسة العراق، وكيف تبع ربه وتشبّه به من خلال حمل الشكاوي من فم اليهود ومن ثم إرادته ليقدّم حياته فداءاً عن قطيعه الصغير (كنيسة العراق)، كما قدم المسيح حياته عن القطيع كله. سيق أمام الحاكم واتهمه كهنة النار وحُكم عليه بالموت. وحدث هذا يوم جمعة الآلام في الساعة الثالثة من بعد الظهر، عندما عُذِّب واستُشهد وتكلل تماماً كربه المسيح. فينبغي للمؤمن الذي يتبع خطى المسيح الرب أن يحاول السير حثيثاً في طريق الأعياد، من ذكرى المجيء الأول إلى المجيء الثاني، ليتحد مع ربه يسوع المسيح، خطوة فخطوة، من خلال ذكر مراحل حياته الاحتفالية، من عيد إلى عيد، ومن مجد إلى مجد... **أدناه رسم رمزي لترتيب السنة الطقسية الشرقية بطريقتين:**

(١) خط صاعد، من البشارة إلى كنيسة الأواخر، مع دوائر تتزايد على شكل نابض.

(٢) دائرة مقسمة إلى ٧ أقسام بحسب السنة القمرية، تحيط بدائرة مركزية تمثل شمس القيامة.



٣- تكوين وتطوير السنة في كنيسة المشرق

١) لم تصل إلينا المصادر القديمة عن البدايات، لكن يمكننا القول إن المسيحيين كانوا يتبعون السنة المعتادة في هذه المناطق منذ زمن السومريين والأكاديين، حيث قسّمت السنة القمرية إلى ٧ مراحل ذات ٧ أسابيع مع زيادة يوم واحد. وفي بعض المصادر السريانية (أفراهاط، مار أفرام، تعاليم الرسل) حُفظت آثار من طقس الفصح القديم، والمؤرّخ في ١٥/١٤ نيسان بحسب التوقيت اليهودي والذي كان مقبولاً منذ القرن الثاني في كنائس آسيا الصغرى وما بين النهرين. وكان طقس السهرة هذا يحتوي على صوم مع صلاة (في "توبة اليهود)، وقراءة سفر الخروج ١٢ (في حمل الفصح) وإنجيل الآلام والقيامة مع خطبة تفسيرية وأناشيد مناسبة، ثم الاحتفال بسر الإفخارستيا. يبدوا أنه في القرن الرابع أضيف طقس العماد إلى سهرة الفصح. وبحسب توقيت مسيحي سرياني قديم (قيامة ٤:١٠-١٤) اعتُبر شهر نيسان (٦ أو ١٠) الشهر الذي خُلق فيه آدم في البدء، وأيضاً شهر الحبل البتولي بالمسيح (٩ أشهر من تاريخ ٦ كانون)، وشهر الموت والقيامة. لم يعرف مار أفرام عيد ٦ كانون إلا كعيد للميلاد فقط، ويسميه "العيد الذي تتعلق الأعياد كلها به ويحملها" (ميلاد ٤:٢). لقد عبّر عن هذه العلاقات التوقيتية الحسابية أيضاً مار نرساي واسحق الأنطاكي وغيرهم من الآباء السريان.

٢) تطورت الطقوس بتأثير عادات الكنائس اليونانية من القرن الثاني – الثالث، وفي منتصف القرن الرابع يشير مار أفرام إلى ٣ أعياد للمسيح وهي الفصح والصعود والميلاد (ميلاد ٤:٥٧-٦٠ ؛ قيامة ١:١٦-١٨). يظهر أنّ كنيسة نصيبين (قبل ٣٦٣) كانت تحتفل بعيد القيامة يوم الأحد (ن ن ١:١١؛ ٢:٤٤؛ ٣:٦). حُفظت لنا مجموعات من الأناشيد الطقسية لمار أفرام، ومن المحتمل أن تشكيل هذه المجموعات يرجع إلى المؤلف النصيبيني نفسه (قيامة ٢:١٢) تحت العناوين التالية (في مخطوطات من بداية القرن السادس): الأناشيد في الصوم (٢١) وفي الفطير (٢١) وفي الصلب (٩) وفي القيامة، فعرفت جماعة نصيبين عيد القيامة مع الصوم الكبير وذكرى عشاء الفصح، لكن مع التركيز على جمعة الآلام، وأخيراً مع عيد الصعود الخمسيني. وردت هذه العبارة أيضاً في كتاب "تعليم الرسل" ٤-٩ (القرن الرابع) حيث قال: "عيد الصعود عيد تكملة خمسين يوماً بعد القيامة". أما في ما يخص عيد الميلاد فلم يعرفه إلا في ٦ كانون الثاني وكذكرى لميلاد الرب ومجيء المجوس وكل ما هو متعلق بهذين المشهدين فقط، مع انه يتكلم أيضاً عن الأيام الإثني عشر بين ١٢/٢٥ و١/٦ كأن

تحضير العيد قد بدأ منذ هذا اليوم. بعد وفاة مار أفرام، نحو نهاية القرن الرابع تلقى عيد الدنح أهمية كبرى بسبب ممارسة العماد في هذا اليوم المكرّس للاحتفال بعماد المسيح في نهر الأردن وبرتبة سر العماد. لقد احتفلت كنيسة روما بعيد الميلاد في ٢٥ كانون الأول نسبة إلى ٢٥ آذار التاريخ العام للبشارة وللموت (يشير إلى ذلك حتى الأربيلي المنحول)، ومن المحتمل أن هذا العيد قُبل في المشرق نحو بداية القرن الخامس. لقد حاول مار أفرام الشماس الشاعر أن يساعد المؤمنين على الاشتراك في الاحتفال بالخلاص، بواسطة تقديم رموز مأخوذة من الكتاب المقدس ومن الخبرة الإنسانية الأساسية بما حدث في طبيعة الكون وحياة الفرد والمجتمع. هكذا يتكلم عن شهر نيسان بمناسبة عيد القيامة، الفرح بعد الدمار، والنور بعد الظلام، والحياة بعد الموت، والحرية بعد العبودية... أو عن عيد الميلاد، عن تغلب الشمس، وظهور الطفل المنتظر، الضعيف القوي، وعن عظمة الولادة البتولية، مع اشتياق النساء والرجال وسكن الله في بطن العذراء الضيق.

٣) يظهر من المقدمة ومن قانون ١٣، لمجمع الجاثليق اسحق في مدينة طيسفون سنة ٤١٠، أنه قرر إقامة احتفال كنسي موحد، (= في نفس الوقت وعلى نفس الطريقة)، للعيدين الكبيرين، "عيد ظهور مخلّصنا" و"يوم قيامته العظيم". "لنحتفل معاً وسوية بالعيد الأول بين الأعياد، (١) عيد الميلاد المجيد وظهور مخلّصنا المسيح، ثم (٢) بالصوم الكامل من ٤٠ يوماً (٧ أسابيع)، و(٣) بعيد الفصح المقدس ويوم الصلب العظيم وآلام مخلّصنا وقيامته". كما يمنع الاحتفال المنفصل عن اشتراك الكنيستين الشرقية والغربية، (١) في عيد الميلاد و(٢) الصوم الأربعيني و(٣) يوم الفطير العظيم (= أسبوع الآلام). حفظ أيضاً تذكار الموتى في بداية شباط. والجدير بالذكر أن الخدمة الطقسية تجري بحسب تقسيم أسبوعي.

في جدول القراءات القديم (القرن ٥، الرها؟) ذُكِر إلى جانب عيد الدنح (٦ كانون)، صوم الأربعين وأسبوع الفطير العظيم (مع ساعات جمعة الآلام، وغسل المذبح عصراً يوم السبت)، ثم أحد قيامة الرب الكبير مع أسبوع الراحة (نياحثا) وأيضاً يوم الصعود وأحد الامتلاء (العنصرة).

تطورت السنة الطقسية بفضل جهود مار نرساي (٥٠٢) وعلماء مدرسة نصيبين حيث اشترك المعلمون والتلاميذ في الاحتفالات الطقسية، لاهوتياً ورعوياً، فوصلت إلينا، من القرن السادس والسابع، مجموعة محاضرات تفسيرية (علاثا د-عيذى)، ألقيت شفهياً في حينه،

بمناسبة أهم الأعياد من قبل المعلمين، نذكر منهم: مار آبا الأول (٥٤٠-٥٥٢)، وتلميذه توما الرهاوي (٥٣٨-٥٤٣) (في عيد الميلاد والدنح)، وبعده قيورا الرهاوي من مدرسة ساليق (٥٤٣-٥٥١) (في الصوم والفصح والآلام والقيامة والصعود والخمسيني). هكذا رُتبت المجموعة في مدرسة ساليق حيث أضاف إليها المعلم إيشاي المقال في الشهداء (الجمعة بعد القيامة). من المحتمل أن تكون قد أُضيفت ٤ مقالات إلى هذه المجموعة من المقالات التفسيرية، التي أُلقيت في أعياد الرب، في مدرسة نصيبين، نحو نهاية القرن السادس، على يد حنانا الحديابي (٥٧٢-٦١٠) في أحد السعانين وجمعة الذهب واكتشاف الصليب والباعوثا. أخيراً وضع معلم من معلمي نصيبين مقالاً في تهنئة العذراء وأعاد المعلم فوسي المقال في الصوم. حُفظت في دير الرهبان الكلدان نسخة (لسنة ١٨٨٥) من مخطوطة قديمة فريدة (تعود إلى القرن ١٦) حيث تُقرأ ١٣ "مقالة في أعياد التدبير". تخبرنا هذه المقالات أيضاً عن عيدين لمريم العذراء وعيدين ليوحنا المعمدان، ومن خلال هذه المقالات كلها يقدِّم وصفاً متحداً شاملاً عن التدبير الإلهي الذي لا يقصد إلا خلاص الإنسان من الخطيئة والموت، بفضل سر التجسد، ورجوعه إلى حالة عدم الفساد الفردوسية. فيما بعد جُمعت ووُجدت هذه الخطب في كتاب تحت عنوان "مقالات (علاثا) في الأعياد". يذكر ماري بن سلستان (كتاب المجدل ص ٤٦) ان في أيام الجاثليق باباي (٤٩٧-٥٠٣) أُقيم في نصيبين والمدائن عيد الشعانين (والتجلي) واللذان يُعتبران من الأعياد الشريفة عند اليونانيين.

٤) لكن نحو منتصف القرن السابع قام الجاثليق إيشوعياب الثالث الحديابي (٥٨٠-٦٥٩) بتنظيم الصلاة الفرضية (طوقاس فنقيثا د-حوذرا)، كما هو مذكور في جدول عبديشوع وبإصلاح طقس العماد والمصالحة وتكريس الكنيسة الجديدة ووضع اليد لكل الرسامات. من المحتمل أن إيشوعياب اعتمد في عمله الخاص بتنظيم السنة الطقسية وكتاب الصلوات، على أنظمة معروفة، مثل طريقة كنيسة كوخي الكبرى، كما رتّبها وجددها بحسب الممارسة الطقسية في دير عابي وبالتعاون مع صديقه راهب الدير حنانيشوع وهو موسيقار ومؤلف أناشيد، "الذي فهم الكتب أكثر من الآخرين"، لكن طريقة القراءات وطقسها كانت تُرفَع إلى مار يعقوب مؤسس الدير (القرن السادس). بحسب تفسير الكاتب المجهول في عمل

إيشوعياب، قبل ترتيب السنة القمرية القديمة مع ٧ فترات تحتوي كل فترة منها على ٧ أسابيع (١٣+٣٥٠ يوماً)، وعيَّن إيشوعياب ٧ فترات (مبدئياً) من ٧ أسابيع وأضاف إليها فترتين من ٤ أسابيع، "لكي تبدأ السنة الطقسية وتنتهي بشكل الصليب المقدس"(+). حُفظت مبادئ وقوانين هذا التجديد في كتاب "فنقيثا" (المفقود) الذي اعتمد عليه كاتب "تفسير الأسرار كلها" المجهول. وبالفعل تم تفسير عمل الجاثليق إيشوعياب بشكل خاص بقلم الأربيلي المجهول (القرن ٩) الذي يمجده بسبب ترتيب السنة الطقسية بكاملها بحسب لاهوت التدبير الخلاصي ويقول عنه: "بدأ إيشوعياب تنظيمه عند بداية ... لأنه أراد أن يعبر بواسطة الصلوات الطقسية عن أسرار الأمور التي تستمر حتى منتهى العالم". يظهر أن إبراهيم بر ليفيه القطري (القرن ٧ أو ٨) قد كتب في موضوع السنة الطقسية لأن المجهول يذكره وغيره، بالنسبة إلى تفسير المعنى اللاهوتي للفترات الأخيرة للسنة الطقسية. ويقول إن إيشوعياب ترك مجالاً لحرية التفسير في هذا الموضوع. كرّس المجهول المقال الأول لتوضيح ترتيب إيشوعياب وتقسيمه إلى ٩ فترات (شوبعى) ابتداءً من شهر تشرين، إيليا والصليب، موسى، قوداشا، سوبارا والميلاد، الدنح، الصوم والآلام، القيامة، الرسل، الصيف، وإيليا من جديد، ويظهر انه اعتبر هذه الفترة هي ختامية أكثر مما هي بدائية. يظهر أيضاً أن كتاب صلاة الفرض (فنقيثا) بدأ مع شهر كانون الأول، وقراءة الأسفار المقدسة مع بداية الصوم (تك، يشو، مز ١، روم). مرة أخرى يطبّق المجهول هذا التقسيم على ترتيب الأشهر وهنا يبدأ مع فترة "قوداشا" في شهر تشرين الثاني. ثم يفسر هذا الترتيب في ضوء التدبير الخلاصي وكيف يمكن للمؤمن أن يشترك بأسرار تجسد المسيح، والتقدم نحو الانتصار المطلق الأخير.

وعلى سبيل المثال نسأل هنا عن مصادر إيشوعياب الثالث التي دفعته لإدخال "فترة تكريس البيعة" في دورة السنة الطقسية. لقد اكتشفت (M.Black,B.Botte) علاقة تجديد تكريس البيعة بالعيد اليهودي (حنوك egkainia) المصادف ٢٥-٢٩ كيسليو (تشرين الثاني-كانون الأول) لذكرى تطهير الهيكل عهد المكابيين سنة ١٦٤ (١ مك ٤:٣٦-٥٩ و٢ مك ١-٢ و ١٠:١-٨) وهو عيد شعبي مفرح يلقّب أيضاً بـــ"عيد الأنوار" (راجع يو ١٠:٢٣-٣٩). تباين هذه العلاقة من بعض القراءات المستعملة في طقس كنيسة المشرق (عبر ٨-٩ ومتى ٢٣ ويو ٢). هل وصل هذا التقليد إليها عن طريق أورشليم (بحسب ملاحظة متأخرة في مخطوطة باريس الأرمنية ٤٤ "تكريس كل المذابح المبنية"؟. وفي جدول القراءات السريانية من القرن الخامس

حيث تذكر قراءة يو ٢٢:١٠ لتكريس الكنيسة، ومتى ١٢:٢٣ لتكريس المذبح) أو من محيط نصيبين كَرَدْ فعل من قبل المسيحيين على طقس اليهود الجاذب. لم يرد ذكرى هذا العيد في كتاب "أسباب الأعياد" لمعلمي مدرسة نصيبين، لكن نرساي وضع ميامر حول هذا الموضوع (المرقمة حالياً ٥٦-٦٠) وفيما بعد رتبت الميامر – كما تشهد المخطوطات منذ القرن ١١ – بحسب مراحل السنة الطقسية، مع ٤ ميامر في البداية حول البشارة، وفي النهاية ٥ عن الكنيسة. تم هذا الترتيب تحت تأثير إصلاح إيشوعياب، لكن مع ذلك نسأل عن تأثير ميامر نرساي، المعلم الأساسي، على عمل الجاثليق، وذلك عن طريق دير عابي حيث كان إيشوعياب يترهب وحيث أُقيمت وحُفظت عادات طقسية للمؤسس ربان يعقوب الصادر من دير إيزلا. ويذكر في "حياة ربان هرمزد" كيف تلوت ميامر نرساي على الرهبان خلال الأكل، فمن المحتمل أن ترتيب الميامر بدأ في النطاق الديري أولاً، وانه جُرِّب هناك قبل أن يكمله الجاثليق رسمياً. أما المحتوى الجديد، كما حُفظ في صلوات الحوذرا، في العلاقة العريسية بين المسيح والكنيسة، فهو مأخوذ من مصادر سريانية خاصة. أخيراً وُضعت هذه الفترة في نهاية السنة كرؤية مستقبلية عن اتحاد الإنسان بالله، في حين أنها تشكل فاتحة السنة عند السريان، متعلقة بالبشارة، حول سكنى الله في هيكل بشريتنا.

في مقدمة الحوذرا – الذي وضعه ربان بريخيشوع بر اشكفى، رئيس دير قوما (القرن ١٤/١٣) – يفسّر قصد الجاثليق الذي أعطى معنىً مسيحياً للسنة حسب الفترات السبعة وأضاف إليها المقدمة والختام يحتوي كل منهما على ٤ أسابيع (شكل صليب) وجعل السنة بكاملها ذكراً للتاريخ الخلاصي حسب تدبير المسيح منذ الحبل به عند بشارة الملاك جبرائيل وإلى الميلاد (مع يوم أحد الأطفال وأحد شمعون الشيخ)، ثم عماد المخلّص وصومه عندما حارب الشيطان، مع القيامة (الآلام والدفن والقيامة والصعود)، ثم فترة الرسل منذ حلول الروح القدس عليهم ليبشروا بالإيمان الصحيح لدى الأمم رغم الاضطهادات، وبعدها فترة الصيف ذكراً لتعليم الرسل وانتصارهم على عبادة الأصنام إلى أنحاء العالم حيث يصلي المؤمنون أبناء الكنيسة طالبين غفران الخطايا (قائلين: حللي ...)، وأضاف إليها فترة إيليا

(الأخيرة) نبي نهاية الزمن، مع آية الصليب المظفر، أمام مجيء المسيح. وختاماً آحاد تكريس البيعة حيث تعبّر عن انتظار العريس السماوي وتأتي الكنيسة المقدسة عروس المسيح إلى لقائه بابتهاج ويجلسها أخيراً عن يمينه في السماء.

من المخطوطات التي تحفظ القراءات الطقسية نتعلم أن هذا الترتيب السباعي الطقسي قد قُبل بصورة عامة منذ القرن السابع مع دورة القراءات بحسب الطرق الأربعة (دير عابي، ودير العليا، والموصل، وكنيسة كوخي)، وترجع أقدم مخطوطة (Leningrad ٦٢١) التي تحتوي على طريقة كنيسة كوخي (مع فترة الميلاد وتكريس البيعة)، وترجع هذه المخطوطة إلى سنة ٧١٩ تقريباً. وهناك مخطوطة أخرى (Brit.Mus.Add. ١٤٤٩١) من القرن التاسع، وترجع طريقة القراءات الكاثيدرائية (كنيسة كوخي) إلى القرن السادس وحتى الخامس. كما وصلت إلينا مخطوطة من القرن السابع (Sachau ٢٠) تحتوي على القراءات بحسب طريقة الأديار. والجدير بالذكر أن فترة تكريس البيعة – بطريقة كوخي- كانت تحتوي على ٥ أسابيع ومع قراءات متكونة من اختلاط بين أسفار مختلفة مع ختام احتفالي. لقد قام بتوضيح القراءات الطقسية كل من مار آبا الكشكري الثاني (٧٤١-٧٥١) وحنانيشوع الأول (٦٨٥-٧٠٠) وصليبا زكا صهاربوخت بر ميسركيس (القرن ٩) وكتاب "جنة النعيم" (القرن ١٠)، ووضع البطريرك إيليا الثالث، أبو حليم (١١٧٦-١١٩٠) خطبة وصلوات في كل الأعياد المذكورة مع عيد التجلي وانتقال مريم العذراء وارتفاع الصليب وتقديس البيعة.

وفي الوقت الحالي ما زال ترتيب الأعياد في السنة الطقسية لدى كنيسة المشرق على النمط نفسه:

(١) **فترة البشارة والميلاد (٤ أسابيع لفترة البشارة وأسبوعان للأعياد الميلادية: عيد تهنئة العذراء، تذكار قتل الأطفال، عيد الختان والتقدمة).**

(٢) **فترة الدنح (٧ أسابيع مبدئياً، مع صوم الباعوثا في الأسبوع الخامس، وجمعة الموتى في الأسبوع السابع).**

(٣) **فترة الصوم الكبير (٧ أسابيع) مع أسبوع الآلام.**

(٤) **فترة القيامة (٧ أسابيع): عيد القيامة والأحد الجديد والصعود والعنصرة.**

(٥) **فترة الرسل (٧ أسابيع: مع جمعة الذهب وعيد الرسولين).**

(٦) **فترة الصيف(٧ أسابيع مبدئياً): أحد نوسرديل هو الأحد الأول من هذه الفترة التي هي فترة خاصة للتوبة.**

(٧) **فترة إيليا وارتفاع الصليب (٧ أسابيع مبدئياً) مع عيد الصليب ٩/١٤، وترمز هذه الفترة إلى مجيء إيليا في أواخر الأزمنة مع طرد الدجال وأبناء الظلم، وظهور الصليب المنتصر، وقيامة الأجساد.**

(٨) **فترة موسى (٧ أسابيع مبدئياً) التي تكمل الفترة السابقة وتذكر أيضاً انتصار الصليب والمجيء الثاني.**

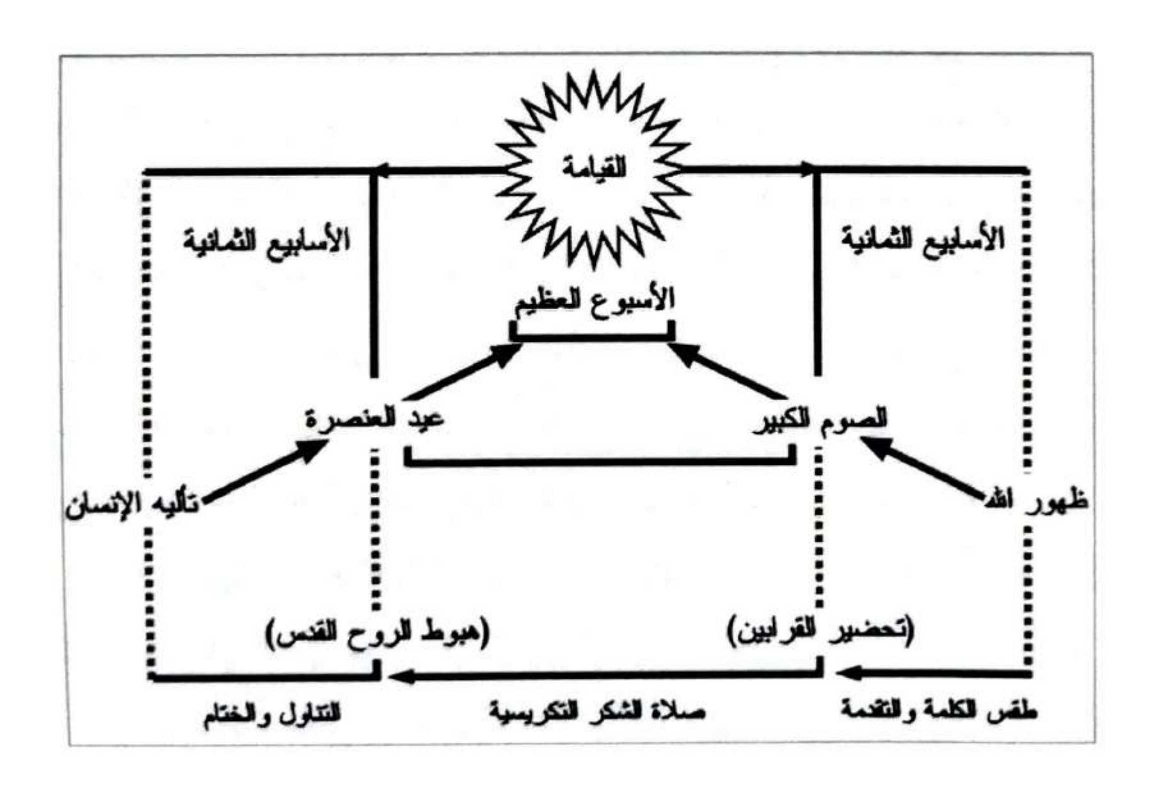
(٩) **فترة تقديس الكنيسة (٤ أسابيع) وترمز هذه الفترة إلى كون الكنيسة هي عروس المسيح السماوية المنتصرة.**

(يجمع بعض المفسرين بين "الرسل والصيف" وبين "ايليا وموسى" لكي تحفظ ٧ فترات فقط).

٤ – ترتيب الأعياد في السنة الطقسية في الطقس البيزنطي

من وجهة نظر سطحية، يتبين لنا أن الطقس البيزنطي ارتكز على الأعياد الكبرى (١٢-١٦)، وقد يتقدم الطقس السنوي من عيد إلى عيد، بدون أن يظهر بوضوح دقيق تنظيم المراحل. وقد جرى إعداد برنامج الأعياد تدريجياً، ففي القرن الخامس ذكر بروكلوس بطريرك القسطنطينية (٤٤٦) ٧ أعياد بحسب الأيام السبعة الأولى في سفر التكوين، ومن القرن الثامن وصلت إلينا لوحة مع ٧ أعياد، ثم في القرن العاشر يظهر برنامج الأعياد الإثني عشر، لكن مع اختلاف الأعياد المذكورة من لوحة إلى لوحة، ثم وضع برنامج ذات عدد أكثر من الأعياد يربو على ١٦ عيداً. بحسب التقويم المدني الذي يرجع أصلهُ إلى عهد قسطنطين (سنة ٣١٢)، تبدأ السنة البيزنطية في الأول من أيلول، وتجمع بين دورتين من الأعياد، دورة (cycle) الأعياد الربانية "الثابتة" ودورة أعياد القديسين (Menaia, Synaxarion). لكن الربط السنوي يتبين أكثر في ترتيب صلوات الفرض اليومي والأسبوعي (Horologion)، ومن القراءات المتتابعة حيث تقسم السنة الطقسية على أساس قراءة الأناجيل بصورة متسلسلة الواحد بعد الآخر، ابتداءً من يوحنا (القيامة) ثم متى (العنصرة١) ولوقا (العنصرة ٢ حتى الدنح) ومرقس (الصوم). جُمعت قوانين هذا النظام الطقسي في كتاب (Typicon) بحسب تقاليد

الكنسية "الكبرى" (القرن ٤-٧) التي تعود إلى عادات أورشليم وأنطاكيا وقبدوقيا والقسطنطينية، مع قبول رُتَب ديرية من دير مار سابا الفلسطيني وبعدئذٍ من أديار القسطنطينية (أسطوديون) التي ثبتت أخيراً في جبل آثوس (القرن ١٣-١٤). وفي مرحلة متأخرة أُضيفت وبكثرة أعياد مريمية وتذكارات للقديسين وحوادث تاريخية، حتى ضمن الفترات الطقسية الخاصة، مثال على ذلك، عيد الأرثوذكسية، وذكرى مريم المصرية، ويوحنا السلمي، وغريغوريوس البلاميسي، في آحاد الصوم المبارك. مع كل ذلك تبرز فترة القيامة بترتيب يجذب كل الاهتمام (Triodon, Pentecostarion). يُحضَّر عيد القيامة خلال ١٠ أسابيع حتى يوم السبت الكبير، ويُحتَفَل بالقيامة "عيد الأعياد" لغاية الأسبوع الجديد، ثم من أحد الرسول توما إلى أحد كل القديسين (الأحد بعد العنصرة)، مدة ٨ أسابيع حسب المقامات الثمانية، وتتجدد وتستمر دورة "الأسابيع الثمانية" فيما بعد (Octoekhos)، وبواسطتها تمتد قوة يوم القيامة على مدار السنة الطقسية كلها، كأنها "يوم لا ينتهي". تحتفل الكنيسة البيزنطية أكثر من الكنائس الأخرى بعيد القيامة أثناء السنة كلها، بحيث أن السنة تتحد اتحاداً عميقاً ملتفة حول الاحتفال بسر القيامة الواحد.



٥ – ترتيب السنة الطقسية لدى كنيسة أنطاكيا للسريان

أثناء تسجيل المخطوطات التي تحتوي على مجموعات من الدروس الطقسية لمار أفرام (Br.Mus.Add. ١٤٥-١, ٥١٩ A.D.: Nat.Epiph.Ieun.Cruc.) وضع يعقوب السروجي (٥٢١) عدداً من الميامر في الأعياد، ثم جُمعت ضمن مجموعات من الخطب الطقسية المأخوذة من كتابات الآباء اليونان والسريان، حيث رُتبت هذه الخطب مراتب السنة الطقسية. كما عُرفت هذه المجموعات عند البيزنطيين والسريان والأرمن والجيورجيين. أما مار يعقوب السروجي، الذي حفظ لنا تقليد الرها (أنطاكيا) من القرن الخامس، فقد أورد بين الميامر ذكرى الأعياد التالية: تكريس البيعة أو تجديد البيعة (حودت عيتا)، البشارة لزكريا ثم لمريم، الميلاد (٢٥ كانون)، مريم أم الله، الدنح، (التقدمة، الباعوثا)، الصوم، أحد السعانين، جمعة الآلام والصلب، تكريس الميرون، أحد القيامة، جمعة الذهب، أحد مار توما، الصعود، العنصرة، التجلي، رقاد مريم، اكتشاف الصليب. كما أن "كتاب الأناشيد" (معنياثا) لساويريوس يبدأ بمجموعة "في ميلاد المسيح (ابن) الله". ومن بين الخطب في مجموعة من القرن الثامن (م الفاتيكانية سر ٢٥٣) حُفظت خطبة في "الوصول إلى الميناء" لمساء أحد السعانين. وتظهر من بين الخطب الكاثيدرائية التي ألقاها ساويريوس في أنطاكيا بين سنة ٥١٢-٥١٨، خطبة في "دخول المسيح إلى الهيكل" (عيد التقدمة)، وفي "منتصف فترة العنصرة"، لكن يتبين أن السنة الطقسية بدأت مع تكريس البيعة. كما ألّف يوحنا الأول بر سدرا (٦٣١-٦٤٨) مجموعات من الصلوات، ثم رتبها قانونياً يعقوب الرهاوي (٦٣٣/٦٨٤/٧٠٨)، وكتب في معنى الأعياد كيوركيس أسقف العرب (القرن ٧) وبعده موسى بر كيفا (٩٠٣) في كتابه "أسباب الأعياد" الذي وضعه شاباً، وذلك تحت تأثير مؤلف معلمي مدرسة نصيبين، مع إضافة ٦ أعياد، وبعدئذٍ في كتابه "خطب (تركامى) في الأعياد" الذي ألفه تحت تأثير الخطب التفسيرية لمار آبا الثاني. وفي المجموعات السريانية من هذا الوقت، تبدأ السنة الطقسية بخطبة عن تكريس الهيكل (حالياً لمدة أسبوعين) والتي تتبعها خطبة عن زكريا (حالياً تمتد فترة البشارة لمدة ٦ أسابيع). هذا وقد كتب في الخط نفسه يحيى بن جرير (١٠٥٨) وديونيسيوس بر صليبا (١١٧١). ثم نُظمت

الرتب الطقسية بصورة ثابتة على يد البطريرك ميخائيل الكبير (١١٢٦/١١٦٦؛١١٩٩)، خاصة في كتاب الخبريات (١١٧٢) الذي يرجع إليه أساساً "كتاب رتب الأعياد" المستعمل حالياً والمسمى باسم "المعدعدان". فيظهر أن التقسيم الشرقي الأسبوعي لم يحفظ إلا في المراحل المتعلقة بالقيامة، مع ١٤ أسبوعاً حتى عيد الصليب (مبدئياً). حفظت كنيسة السريان أكثر من الكنائس الأخرى التقليد الأنطاكي القديم، مع قبول تذكارات القديسين في كل أيام الشهر. لكن الكتب الطقسية المطبوعة تميز بين ثلاثة مواسم أو أقسام وهي القسم الشتوي، وقسم الصوم، والقسم الصيفي.

القسم الشتوي:

(١) تبدأ السنة الطقسية في تشرين الأول (بحسب السيناكسار) أو في تشرين الثاني (بحسب الكتب الطقسية حالياً). مع عيد الكنيسة خلال أحدين: تجديد الكنيسة وتكريسها.

(٢) فترة البشارة وهي الفترة التحضيرية لعيد الميلاد أمدها ٦ أسابيع.

(في القرن السادس امتدت هذه الفترة لمدة أسبوعين: أحد البشارة لزكريا وأحد البشارة لمريم).

(٣) عيد الميلاد في ٢٥ كانون الأول (منذ نهاية القرن الرابع) مع رتبة النار.

ثم الأعياد المتعلقة بعيد الميلاد: (قبل القرن السادس عيد مريم أم الله القديسة في ٢٦ كانون الأول. عيد قتل الأطفال (أو شمعون الشيخ) في ١٢/٢٨ وفي ١/١ (بعد القرن السادس) تذكار ختان الرب. عيد دخول ربنا إلى الهيكل وهو عيد التقدمة في ٢ شباط مع تبريك الشموع. تذكار "وجود المسيح في الهيكل بين العلماء" في أحد من الآحاد بين عيد الميلاد والدنح.

(٤) عيد الظهور (الدنح) في ٦ كانون مع رتبة تبريك الماء.

(٥) ثم نهاية هذه الفترة تُقام ذكرى الموتى بثلاث مراحل وهي: جمعة الكهنة المتوفين، وجمعة المؤمنين، وجمعة الغرباء (الموتى غير المعروفين). (في بعض المخطوطات جُمعت هذه الجمع الثلاث في أحد واحد "أحد الأبرار والآباء، الكهنة والشمامسة"...)

(٦) أخيراً قُبل عند السريان أيضاً صوم نينوى لكن بصورة غير رسمية (وهو الباعوثا التي عينها الجاثليق حزقيال (٥٧٠-٥٨١) التي تعني شكراً للخلاص من الطاعون في منطقة نينوى وبيت كرماي، والتي مدتها ٣ أيام).

قسم الصوم الكبير:

(١) الصوم الكبير: في بعض المخطوطات التي ترجع إلى القرن التاسع، جاء فرض الصوم بحسب النظام البيزنطي القديم مرتباً في ٦ أسابيع، ابتداءً من يوم الإثنين قبل الأحد الأول، إلى "يوم جمعة الأربعين" الواقع بعد الأحد السادس وقبل أحد السعانين. لكن منذ القرون الوسطى تم "ترتيب الصوم الكبير"، على مدة ٧ أسابيع وحُفِظ هذا الترتيب إلى يومنا هذا.

(٢) أسبوع الآلام:

- أحد السعانين مع رتبة تبريك الأغصان والمسيرة. مع رتبة النهيرة (أو الوصول إلى الميناء).
- خميس الفصح مع رتبة غسل الأرجل وتكريس الميرون والقداس الفصحي المشترك...
- جمعة الآلام مع مسيرة الصليب ورتبة السجود للصليب ورتبة الدفن.
- سبت النور أو سبت البشارة مع رتبة الغفران (سر المصالحة)، والقداس الليلي الذي يحتوي على ١٢ قراءة من العهد القديم، ورتبة قيامة الصليب الكوني ثم قديماً جرى أيضاً سر العماد.

القسم الصيفي:

(١) عيد القيامة الذي يتم خلال السهرة الليلية وصلاة الصبح في يوم الأحد مع مسيرة السلام والقداس الاحتفالي الكبير.

يوم جمعة المعترفين وهو عيد كل القديسين (عند كنيسة المشرق عيد الشهداء لسنة ٣٤٠).

يوم الأحد الجديد أو أحد مار توما (قارن يو ٢٠: ١٩-٣١). وخلال الفترة الخمسينية تُقرأ بصورة مستمرة سلسلة قراءات من إنجيل يوحنا.

ويذكر الأحد الواقع في نصف الفترة الخمسينية والمسمى "أحد نصف الخمسين". وفي يوم الخمسين من الأسبوع السادس الذي هو يوم الأربعين يقع عيد الصعود (منذ القرن الخامس)، وعيد العنصرة الذي هو ختّام الخمسين.

(٢) يوم أحد العنصرة، عصراً تُقام رتبة الركوع "احتفال إحناء الركب".

يوم الجمعة بعد العنصرة هي "جمعة الذهب" حسب القراءة من أعمال الرسل ٣: ١-١٠. ثم يأتي صوم الرسل (٧ أسابيع) وصوم الوداع (تحضيراً لعيد الانتقال في شهر آب).

(٣) عيد التجلي في ٦ آب المسمى في مخطوطة من القرن الثامن "عيد جبل طابور". عيد انتقال مريم العذراء أم الله في ١٥ آب وهو واحد من الأعياد المريمية الثلاثة المعروفة عند السريان منذ القديم (١/١٥ و٥/١٥). عيد ارتفاع الصليب المنتصر في ١٤ أيلول مع ذكرى مجيء ربنا المسيح في أواخر الأزمنة.

لقد حُفظ ترتيب السنة السريانية (الأنطاكية؟) جوهرياً في تقويم الكنيسة المارونية، خاصة في المخطوطات القديمة (القرن ١٢-١٦) دون تبيان الفرق، بينما هو مستمد من التقليد الأنطاكي العام وليس من التقليد الميافيزي الخاص، وفيما بعد منذ نهاية القرن ١٦ أثّر التقويم اللاتيني على الماروني، بحيث تم قبول عدد من الأعياد الغربية على حساب الترتيب السنوي السرياني القديم.

٦- ترتيب الأعياد في السنة الطقسية لدى الكنيسة الأرمنية

إن ترتيب السنة الطقسية الأرمنية تدور حول عيد القيامة، مع أنه يتبع أيضاً التقسيم القديم الذي كان يتكون من فترات تحتوي على ٧ أسابيع (مبدئياً):

الفترة التحضيرية قبل عيد القيامة التي تحتوي على ٧ أسابيع للصوم الكبير مع أسبوع الآلام، وعلى أسبوعين أو ثلاثة، كمرحلة تحضيرية قبل الصوم نفسه (أحد الصيام وأحد المرفع).

فترة عيد الخمسين: من القيامة إلى العنصرة: ٧ أسابيع.

الفترة من عيد العنصرة إلى عيد التجلي: ٧ أسابيع (مع أحد الثالوث وعيد تأسيس الكنيسة على يد غريغوريوس المنور).

فترة التجلي، من عيد التجلي (المصادف في يوم الأحد بعد ٧ أسابيع من عيد العنصرة) إلى الأحد الأقرب إلى ١٠ آب.

الفترة حول عيد انتقال مريم العذراء، لمدة ٩ أيام متوالية (من الأحد القريب من ١٥ آب حتى الأقرب من ١٤ أيلول).

الفترة حول عيد ارتفاع الصليب (من الأحد القريب من ١٤ أيلول، مع عيد تكريس البيعة في أرمينيا خلال ٣ أيام، وتنتهي قبل عيد الظهور بخمسين يوماً).

الفترة حول "أحد المرفع" (القريب من ١٨ تشرين الثاني) المعروفة كـــ"المرفع الخمسيني".

وهي الفترة التحضيرية قبل عيد الظهور (٦ كانون الثاني)، التي تحتوي عند الكاثوليك، على عيد الميلاد (٢٥ كانون الأول). إن الأرمن ما زالوا محافظين على تقليد أورشليم قبل القرن السابع، حيث أحتُفل بعيد الميلاد في ٦ كانون الثاني فقط حسب التقويم اليولياني.

الفترة بعد عيد الظهور (مع عيد يوحنا المعمدان بعد ٨ أيام)، حتى بداية الصوم الأول قبل ١٠ أسابيع من عيد القيامة. تعرف كنيسة الأرمن ٧ أعياد ذات تاريخ ثابت وتذكر موتاها في خمسة أيام وهي: يوم الإثنين بعد عيد القيامة ويوم الإثنين بعد عيد التجلي ويوم الإثنين بعد عيد الانتقال ويوم الإثنين بعد عيد الصليب ويوم الإثنين بعد عيد الظهور.

٧- السنة الطقسية القبطية

تتبع هذه السنة النظام الفرعوني القديم الذي تم تثبيته في القرن الثالث ق. م، وتنقسم السنة إلى ١٢ شهراً يحتوي كل شهر على ٣٠ يوماً، مع إضافة شهر قصير (٥-٦ أيام) في النهاية. حُفظ هذا النظام الشهري في السنة الكنسية كأساس، مع ارتباط جوهري بمواسم الحياة الفلاحية ودورات نهر النيل (وقت صعود المياه، وقت الزرع ووقت الحصاد). وتحتوي (١) دورة القيامة على الصوم الكبير (٥٥ يوماً) مع الفترة الخمسينية الممتدة من عيد القيامة إلى العنصرة. وبالنسبة إلى الصوم يميز بين أسبوع هرقل التحضيري (منذ القرن السابع) وبين الصوم الأربعيني الشديد، حتى يوم الجمعة السابق لأحد السعانين، ثم أسبوع الآلام مع قراءة سفر الرؤيا بكامله يوم سبت النور. (٢) إلى جانب هذه الدورة تَرِدُ الأعياد التالية: الأعياد الربانية (١٤) مثل البشارة والميلاد والعماد والسعانين والقيامة والصعود والعنصرة، وأيضاً الختان والتقدمة والهرب إلى مصر وعرس قانا والتجلي و"خميس العهد" وأحد توما وعيد الصليب. تبدأ السنة ٢٩ آب (١١ أيلول) عيد ولادة مريم العذراء، وتهتم الكنيسة القبطية بحفظ الصيام الشـــديد: مثل الصوم التحضيري للميـــلاد (٤٣ يوماً)، وصوم نينوى (٣ أيام منذ

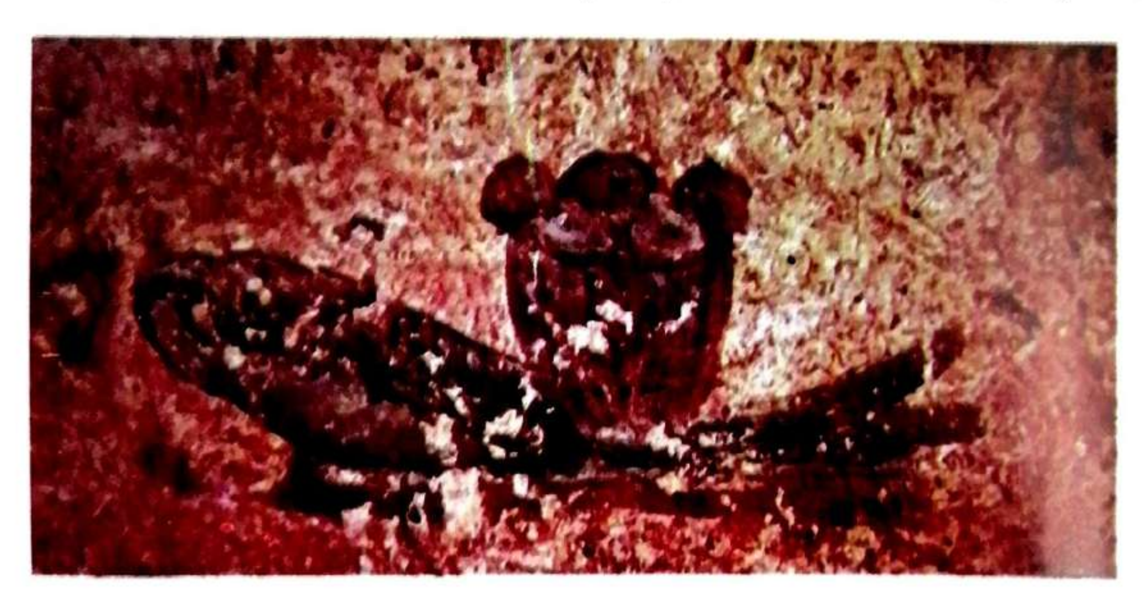
القرن ١٠)، الصوم الكبير، صوم الرسل (من العنصرة إلى عيد الرسولين (٧/١٢)، صوم العذراء (١٠ أيام)، الصوم الأسبوعي خلال أيام الأربعاء والجمعة.

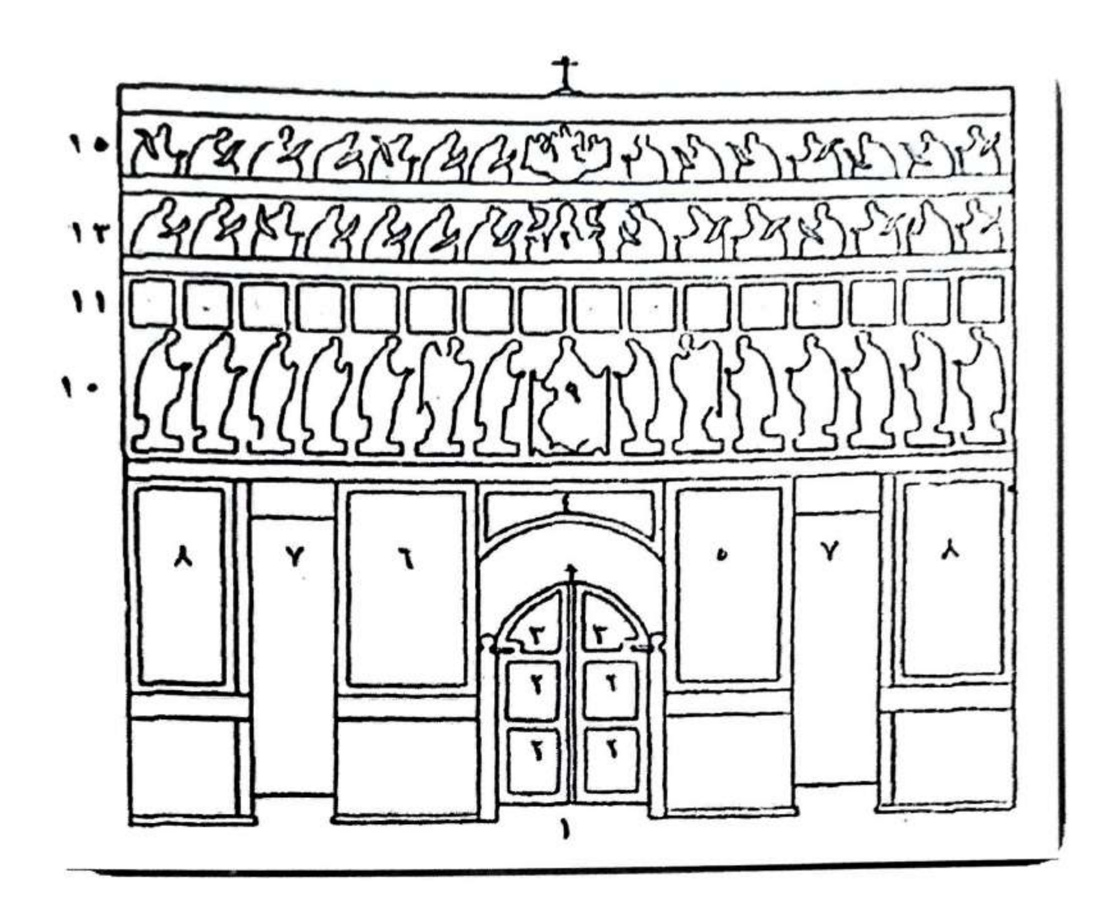
لقد حُفظت جداول ترتيب الأعياد في تقاويم قديمة (القرن ٩-١٠) وعند أبو البركات "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"، وعند تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (١٣٦٤-١٤٤٢) "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار".

إن تسلسل الأعياد في بعض اللوحات من القرون الوسطى نلاحظ فيه التطور نحو تسلسل الأعياد في الكتب الطقسية البيزنطية الحالية وهو كما يلي:

- الأعياد الخاصة بمريم العذراء : ١. ميلاد العذراء (٨ أيلول)، ٢. دخول (تقدمة) العذراء إلى الهيكل (٢١ تشرين الثاني)، ٣. لقاء المسيح بشمعون الشيخ (٢شباط)، ٤. البشارة (٢٥ آذار)، ٥. إنتقال العذراء (١٥ آب).

- الأعياد الخاصة بربنا يسوع المسيح : ٦. إرتفاع الصليب (١٤ أيلول)، ٧. ميلاد المسيح (٢٥ كانون الأول)، ٨. ظهور المسيح (٦ كانون الثاني)، ٩. السعانين (الأحد قبل عيد القيامة)، ١٠. الصعود (أربعون يوماً بعد عيد القيامة)، ١١. العنصرة (الخمسيني)، ١٢. التجلي (٦ آب). فلا يرد ذِكْر عيد القيامة (الأيام المقدسة الثلاثة) في ترتيب هذا الجدول، لأنه يفوق الأعياد الأخرى برمتها وهو مركز الأعياد كلها، إذ انه ينبوع الأعياد وأصلها وهو العيد الذي ينير كل الأعياد، كالشمس التي تضيء الكل.





ايقونستس كبير بين هيكل الكنيسة وقدس الأقداس، يظهر فيه :

١/ الباب الملكي. ٢/ صور الإنجيليين الأربعة. ٣/ صورة البشارة. ٤/ صورة العشاء الأخير. ٥/ صورة ربنا يسوع المسيح. ٦/ صورة مريم العذراء. ٧/ بابان جانبيان. ٨/ سبعة صور لملائكة أو شمامســة. ٩/ سجود مريم العذراء ويوحنا المعمدان للمســيح الممجد الجالس. ١٠/ صور الرسل والملائكة. ١١/ صور الأعياد الكبرى (١٢ أو ١٦ صورة). ١٢/ صورة مريم "أم عمانوئيل". ١٣/ صور الأنبياء. ١٤/ صورة الثالوث الأقدس. ١٥/ صور أجداد المسيح.

الفصل الرابع

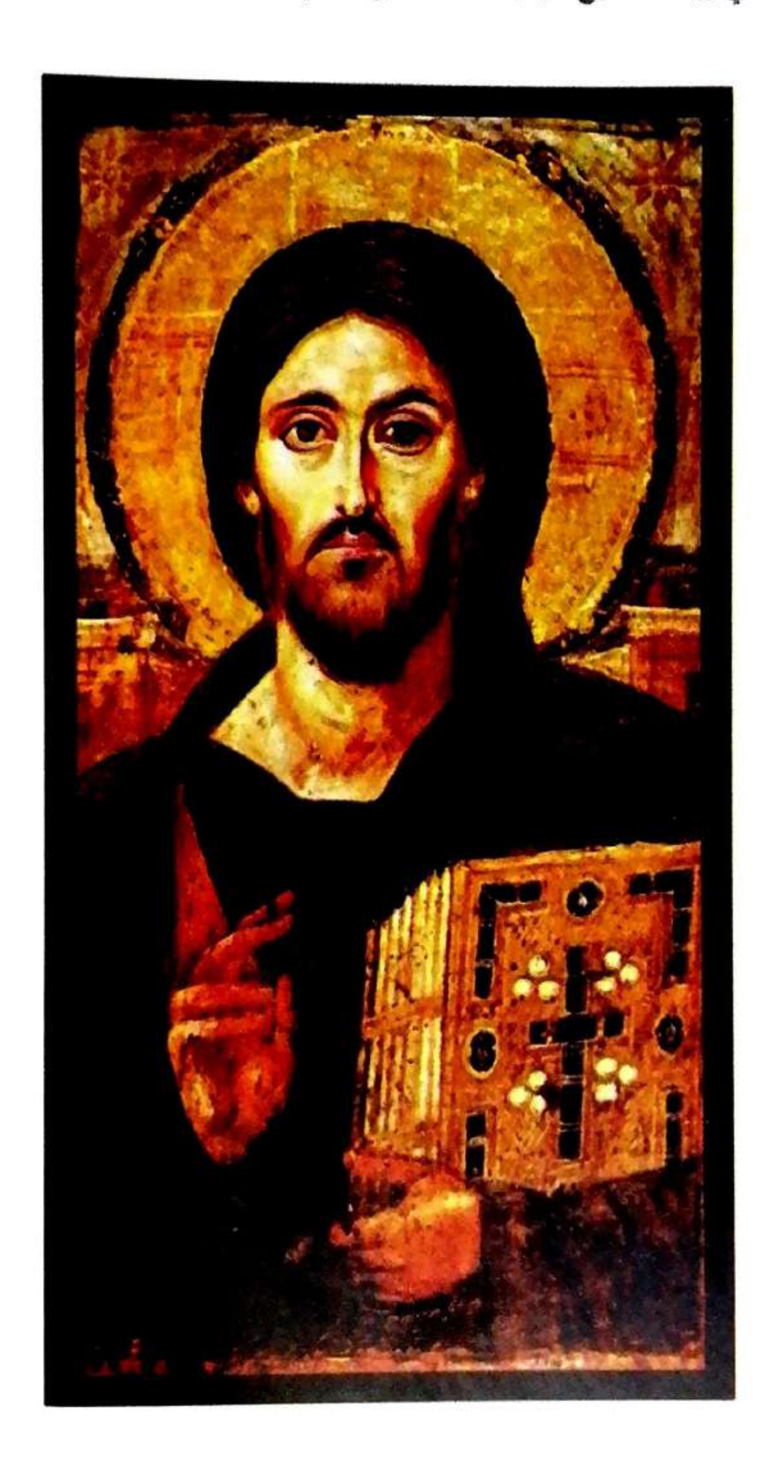
مفهوم أيقونة الأعياد

"المسيح صورة الله"

١- صور ورموز إنسانية تذكارية

لا بد لنا أن نذكر بأن الإنسان كان منذ فجر التاريخ وعبر العصور الغابرة، ولا يزال حتى يومنا هذا، يسجل الحوادث والمناسبات التي جذبت انتباهه وأثارت اهتمامه خلال الأزمنة والحقب التاريخية المختلفة المارة على وجوده فوق ظهر البسيطة، وذلك بواسطة خطوط وأشكال، وتماثيل ونقوش ومنحوتات وصور ورسومات... بحسب تطوره الحضاري وتقدمه الإنساني الفكري والروحي، لكي يستذكر تلك الحوادث والمناسبات التي استحوذت على حياته وعلى مشاعره وأحاسيسه، للتعلم منها واستنباط الدروس والعِبَر من خلالها، ولتعريف الأجيال القادمة من بعده بمغزاها ومعانيها. فاهتمامنا يصب على تقديم مجموعة من الصور والرسوم الدينية التي تعنى بالتراث والتقليد الشرقي القديم التي قد تبدو للمشاهد والناظر إليها لأول وهلة بأنها ساذجة وخالية من أية جمالية فنية، أو حتى أنها "غير حلوة" كما يُقال بالعامية وفي عُرف الذوق الشعبي، ذلك لأنها غريبة عما اعتادت عليه عامة الشعب في العقود الأخيرة من عصرنا هذا، ولأن الصور الدينية الأكثر تداولاً والأوسع انتشاراً بين عموم الشعب، في الصور المقتبسة من الفن الأوربي الغربي، ومعظمها إن لم تكن كلها، وليدة القرن الماضي الذي هو حقبة تعتبر في تاريخ الفن عصر الانحطاط.

ونسمي ربنا المسيح "أيقونة الله تعالى" يعني "صورة الله" (كول ١/١٥).

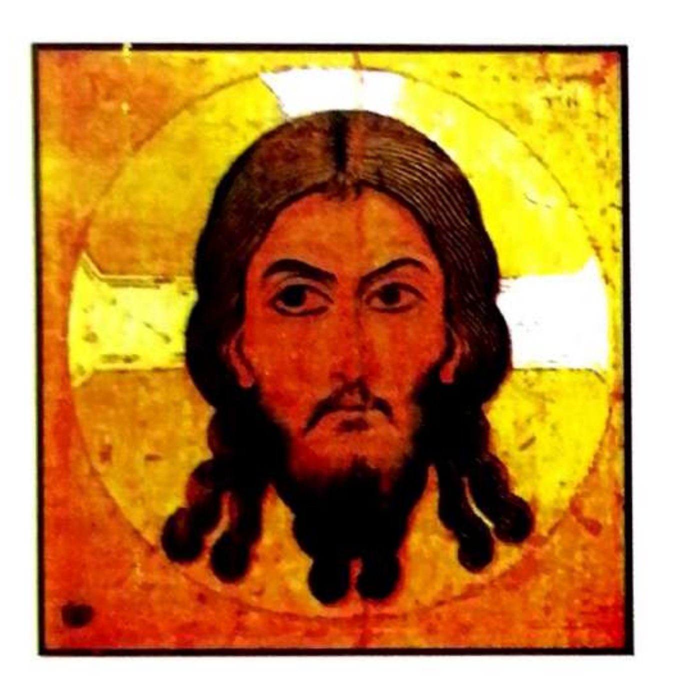


هذه الأيقونة من القرن السادس هي أقدم أيقونة تعبّر عن وجه ربنا يسوع المسيح **بطريقة** رائعة. مصنوعة في **القسطنطينية** ومحفوظة في دير **القديسة كاثرينة على جبل سيناء. يظهر فيها** وجه المسيح الإنساني مع أنه يحمل "الحضور" **الإلهي.**

"بنى مار دنحا كنيسة جميلة في قلعة أربيل وزينها بزخارف وأيقونات رائعة للغاية، وصوّر تدبير ربنا كله لكي يراه الظالون ويرجعون إلى طريق الحق".

(بيجان، قصة بطريرك مار ياولاها... باريس ١٨٩٥، ٣٣٨)

ܒܥܕܬܟ ܡܪܢ ܕܡܫܒܚܬܐ. ܘܩܝܣܐ ܡܫܒܚܐ ܕܨܠܝܒܟ. ܘܟܬܒܐ ܦܐܝܐ ܕܐܘܢܓܠܝܘܢܟ.
ܢܛܝܪܝܢ ܐܪ̈ܙܐ ܕܦܘܪܩܢܢ.(بيجان، الحوذرا ٣، ٢٩١)



في كنيستك يا رب

تحفظ أسرار الخلاص

كتاب إنجيلك العظيم

وخشبة الصليب العجيبة

(طقس كنيسة المشرق)

أيقونة ربنا يسوع المسيح، بحسب "المنديل" الذي سلمه ربنا المسيح إلى الملك أبجر، بيد الرسول أدي. (أيقونة من مدرسة نوفكورود، القرن ١٢، ومحفوظة في متحف تريتياكوف، موسكو).

أما الصور والرسوم الدينية التي وصلتنا من التقليد الشرقي القديم، وإن كانت مجهولة وغير معروفة لدى الكثيرين منا، فهي بمجموعها ترتبط ارتباطاً حيوياً بمختلف مراحل الحياة الروحية لقدماء المسيحيين في المشرق، وتتصل اتصالاً وثيقاً بالأعياد المسيحية الكبرى، واهتمام المسيحيين الأقدمين واحتفالاتهم العظيمة بتلك المناسبات الدينية المهمة في حياتهم الروحية، هذه الصور كلها تحكي وتعبّر تعبيراً صادقاً عن عقيدتهم المسيحية الراسخة وإيمانهم العميق بها. الأمر الذي حدا بنا ودفعنا إلى تقديم بعض النماذج من هذه الصور والرسوم، لغرض التعرف على أهميتها التاريخية، وإظهار قيمتها الروحية وإبراز علاقتها بالأعياد الدينية

المسيحية، حيث كانت المرآة الصافية التي عكست منها هذه الصور المعبّرة تعبيراً روحياً صادقاً عن تلك المناسبات العظيمة. وغايتنا من كل ذلك هي إسداء العون لكيفية قراءة رموز هذه الرسوم والصور فنياً، واكتشاف الإيمان العميق الذي تتضمنه وتحتوي عليه.

٢- لاهوت الصورة الدينية (الأيقونة)

رُبّ سائل يسأل: لماذا الصور؟ هل بإمكان الصور التعبير عن عظائم الله تعالى غير المنظور؟... لقد حدث فعلاً خلال التاريخ أن الصور الدينية رُفضت وحتى مُنعت من قبل بعض الكنائس لمدة معينة، على أساس الموقف القديم الذي كان يقول بأنه لا يمكن التعبير بالرسومات والصور عن الأمور والأشياء الخارقة التي تفوق العالم الإنساني والإدراك البشري... لكن مع ذلك، فقد بقي المسيحيون وما زالوا يعبّرون عن إيمانهم بواسطة صور ورسوم ومنحوتات...

– في البداية (القرن الثالث) كانت المسيحية تعبّر عن إيمانها بواسطة صور وأشكال رمزية ترمز إلى الخلاص، أو تقدم حادثاً من الحوادث الخلاصية، كما يظهر من الرسومات البدائية، في دياميس روما القديمة، أو على جدران أحد البيوت المسيحية الواقعة على نهر الفرات (دورا أوروبوس نحو سنة ٣٢٠).

– ثم جاء القرن الرابع لتأخذ فيه الصور أبعاد ومضامين أخرى كما يظهر من أعمال الفسيفساء التي تقدم صورة المسيح الرب في مجده الإلهي... ويأتي القرن الخـــامس وتتوارد معه القصص الشـــعبية – للدفاع عن أصـــالة الأيقونات – التي تحكي عن وجود صورة المسيح "غير المصنوعة بيد إنسانية" أو "صورة مريم العذراء التي رسمها لوقا الإنجيلي" (قارن القصة السريانية مع صورة ربنا يسوع المسيح المطبوعة على المنديل الذي أرسله إلى أبجر ملك الرها).

– وهكذا قُبلت الصور في البناء الكنسي كتعبير رمزي عن سر حضور الله الخلاصي لتوجه قلوب المؤمنين إلى الحقائق السماوية، وكوسيلة تعليم مصور يقوي إيمان البسطاء. (قارن كنائس بغداد والموصل في القرون الوسطى التي كانت مزدانة بالأيقونات، بحسب كتاب المجدل الذي في بدايته يذكر عن مار ماري رسول من رسل المشرق: "وانحدر مار ماري إلى

دستميسان... وصوّر في البيعة صورة السيدة (مريم العذراء) والأشخاص الأبرار بعد شخصية سيدنا، لتستنير قلوب المؤمنين برؤيتها ذِكراً لصورة سيدنا على المنديل المرسَل لأبجر الملك".

– لقد أثّرت عناصر عديدة اجتماعية وفلسفية ولاهوتية وغيرها على تشكيل الصور عبر التاريخ الطويل. وهنا نقدم بعض الصور غير الشعبية التي يطلق عليها أحياناً باليونانية اسم "أيقونات"، وهي صور من طراز خاص، تتسم بالصفات التالية:

(١) إنّ الأيقونة ليست نوعاً من صنم أو وثن يعبده المؤمن عوضاً عن الله تعالى، لأن المؤمن يعرف كل المعرفة أن اللاهوت لا يمكن تصويره بشئ إنساني مادي محدود، فهنا المطابقة بين الصورة ومحتواها يكون مستحيلاً وغير ممكناً. كما لا تقصد الأيقونة أن تقدم تعبيراً شكلياً فوتوغرافياً طبيعياً عن المواضيع السماوية، كما يذكره عبديشـــوع الصوباوي، أسقف سنجار وبيت عرباي (١٢٨٥) ثم مطران نصيبين وأرمينيا (١٢٩٠-١٣١٨)، وفي كتابه "الجوهرة": **"إننا نسجد لناسوت المسيح لأن الله فيه. كذلك بالنسبة للصليب، إننا نسجد لله مخلّصنا. لأن الصليب اسم للمسيح (المصلوب)، مثلما نقول قتيل وسجود، لأن هذه التسمية لا تليق بالخشب والفضة والنحاس... عندما ننظر إلى شعار خلاصنا، نتأمل بالمعلّق عليه..."**.

(ترجمة: المطران لويس ساكو ص ٦٢)

(٢) لكن تعبير الأيقونة هو من نوع خاص لا يُقصد به إلا الاتصال الروحي بالعالم السماوي الذي يفوق التعبير. والأيقونة صورة رمزية سرية، تعبيرها غالباً يكون غير طبيعي (موحى)، وبالإيحاء يدعو المشاهد المؤمن إلى الالتقاء بحقيقة روحية تفوق ماهية الصورة. إنّ نوعية الأيقونة الفنية التشكيلية الخاصة يقصد بها تقديم مساعدة حسية للمؤمن ليخرج من عالمه الأناني المادي إلى عالم الحقائق الإلهية الروحية.

(٣) أخيراً يعود معنى الأيقونة إلى سر التجسد نفسه، حيث أن غير المنظور أصبح منظوراً (قارن يو ١: ١٤و١٨/١٤: ٩)، فهكذا أيقونة ربنا يسوع المسيح مثلاً، التي تحمل شكل وجهه واسمه بطريقة خاصة، ترمز وتشير إلى ربنا المسيح نفسه في سر شخصيته العظيمة (قارن كول ١: ١٥)، وهي تساعد المؤمن وتحفّزه ليرفع قلبه إلى شخص ربه ويتصل به، فيعظّمه ويمجّده بصفة من صفاته العديدة بحسب تعبير الصورة. وعندما يرى أمام عينيه الأيقونة الخاصة بالأعياد التي تذكّره بأسرار التجسّد وحياة ربه المسيح التاريخية وبآلامه وموته وقيامته ورجوعه الأخير ... فإنه بذلك يشترك في قوة الخلاص التي تنبع من هذه

المشاهدة، للأسرار المصورة، فالأيقونة تشبه كتاباً مفتوحاً ملوناً يتكلم عن الله المحب للبشر، وتدعو إلى اكتشاف وجود الله الحي معنا، وجهاً لوجه.

في نهاية فترة تحطيم الأيقونات (٦٢٦-٨٤٣) جعل بعض اللاهوتيين الأيقونة في مستوى الكتاب المقدس وحتى الخبز الإفخارستي، كأنها مادة دينية ترمز إلى إيقاع روحي بينها وبين المشاهد المؤمن بحسب التقاليد الكنسية. فتمثّل الصورة، لاهوت العيد وقوته الخلاصية، إلى جانب الصلوات والقراءات والتراتيل وخبز القربان.

٣- المراحل الكبيرة من تطور الفن الشرقي المسيحي

(١) تقديم بعض الصور التي تعود إلى القرن السادس، وهو فترة الازدهار الأول للفن البيزنطي، وهو أيضاً فترة الفن الفلسطيني المتعلق بتزيين الكنائس في الأماكن المقدسة، وبالتصاوير التذكارية للحجاج (قارن القناني التذكارية مع صورة الصلب والصعود)، وتأثيرهما على المحيط السرياني (قارن صورة الصلب والصعود والعنصرة في مخطوطة ربولا سنة ٥٨٦).

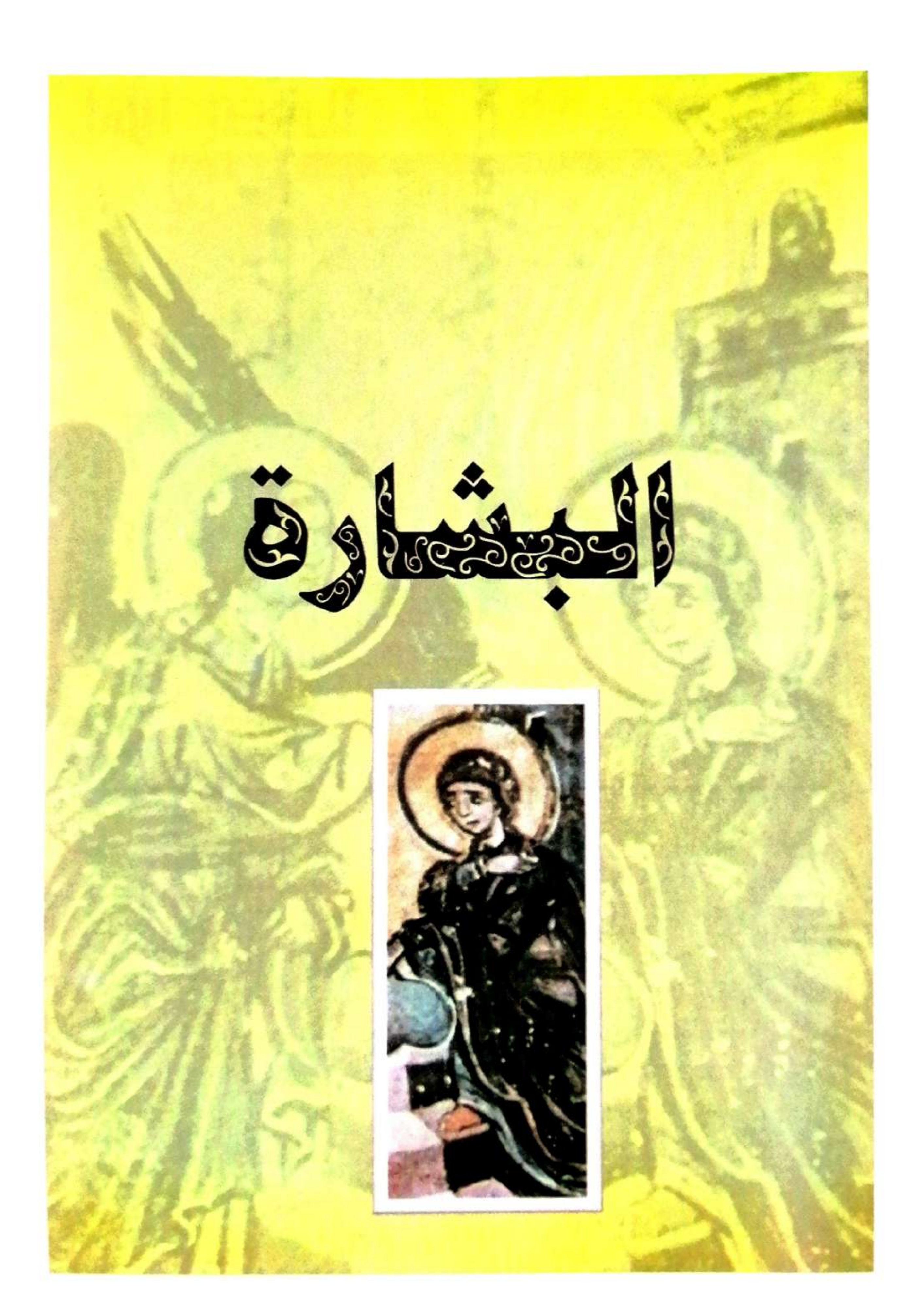
(٢) تقديم بعض الصور التي تعود إلى القرن الحادي عشر (أنظر إلى صورة القيامة والتجلي). من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر حيث وصلت الحضارة البيزنطية إلى قمة ازدهارها، وخلال هذه الفترة نجح الفن المسيحي في تعبيره التشكيلي الرائع عن العالم الروحي وعن رؤيا اللاهوت الشرقي، في كل عمقه وبهائه. فتشكّلت نماذج جديدة، وتجدد تشكيل الصور الدينية وبرنامجها كما قبلتها الكنائس الشرقية.

(٣) تقديم بعض الصور التي تعود إلى القرن الثالث عشر (أكثرية الصور) وخلال هذا القرن وصل الفن المسيحي السرياني إلى قمة ازدهاره في بلاد ما بين النهرين وحافظ الفن السرياني على النماذج القديمة، الفلسطينية والسريانية والبيزنطية من الفترة السابقة، أحياناً عن طريق الفن القبدوقي وأحياناً أخرى الفن الأرمني، مع بعض العوامل الخاصة التي تعود إلى نفوذ المحيط الفني الإسلامي في تلك الفترة. وفيما بعد قُبلت هذه العوامل أكثر فأكثر على حساب النماذج القديمة.

الجزء الثاني

الصور




البشارة



الفصل الأول



الأسماء:

عيد بشارة الكلية القداسة سيدتنا والدة الإله مريم الدائمة البتولية.

عيد تجسّد الكلمة في أحشاء مريم العذراء. يوم السيدة، ويعتبر رأس السنة (انكلترا).

التاريخ:

- في ٢٥ آذار بحسب طقوس أكثرية الكنائس.
- قبل عيد الميلاد خلال فترة البشارة:
  (الأحد الثاني عند كنيسة المشرق، والأحد الخامس عند الموارنة).
- في ٦/٥ كانون الثاني (قديماً) أو في ٧ نيسان (حالياً) في الكنيسة الأرمنية.
- في ١٨ كانون الأول في الكنيسة البيزنطية وكنيسة أسبانيا قديماً.

المصادر: تك ١٨ :١-٢٢/ خر٣: ١-٨/١٥: ١١-٢١ / عدد ١٧: ٢٣/ ٢صم ٦ / اش٧: ١٤/ صفنيا ٣: ١٤-١٧ / مز٤٥: ١١-١٦ / ٧٢: ٦ / ١٣٢: ١٣ / لو١: ٢٦-٣٨ / ٣: ٢٣-٣٨ /متى ١: ١-٢٥.

إنجيل يعقوب المنحول والمنسوب إليه (من القرن الثاني) ١١: ١-٣ / إنجيل الطفولة الأرمنية (وهو ترجمة إنجيل يعقوب) / إنجيل متى المنحول والمنسوب إليه (من القرن السادس أو التاسع).

١– أصل عيد البشارة وترتيب فترة البشارة

(١) بحسب تقويم مصري قديم (جرى استعماله في مصر خلال القرن الرابع) وقعت ذكـرى موت ربنا المسيح (تركه العالم) والحبل به (دخوله العالم) من قبل مريم العذراء، في نفس التاريخ، أي اليوم المصادف الخامس والعشرين من آذار. لذا فقد كان عيد البشارة عيـداً للمسيح. (٢) فَسّر مار أفرام في تفسيره للدياطسرون (١: ٢٥) لو ١: ٣٦، كأنّ زكريـا كان رئيس الكهنة، الذي دخل المقدس مرة واحدة في السنة، وفي يوم معـيّن (١٠/١٠). يعتبره اليوم الذي حبلت أليصابات بابنها يوحنا. بعد ستة أشـهر (٤/١٠) أتـى المـلاك جبرائيل إلى مريم، فيصادف يوم البشارة هذا في ٦ نيسان. وبحسب خر ١٢ دخل الحمل الفصحي في العزلة في اليوم نفسه (٤\١٦)، تحضيراً للذبح. كما ذكرنا سابقاً تحفـظ لنـا تقاليد سريانية تقول إن الكلمة دخل العالم وخرج منه في اليوم نفسه. (٣) في القرن الرابع بُنيت كنيسة في الناصرة، القرية الفلسطينية، فوق البيت الذي سكنت فيه مريم العذراء عند البشارة. وفي نفس الوقت تقريباً انتشر عيد طقسي إكراماً لمريم العذراء "والدة الله"، وهو متعلق بعيد الميلاد. (٤) ثم عُيّن تاريخ هذا العيد في الفترة التحضيرية للميلاد (في الأحد الأخير من الفترة) ولحد الآن ما زالت كنيسة المشرق تحتفل بذكرى البشارة من خـلال هذه الفترة كلها. (٥) لقد حُفظت لنا خطبة لهيسيخيوس الأورشليمي (قبل سنة ٤٣١) عن البشارة باللغة اليونانية، التي ألقاها بعد أربعة أيام من عيد الدنح (الذي هو عيد الميلاد في تقليد أورشليم) والمصادف ٩ كانون الثاني. قارن أيضاً التقليد الأرمنـي المـذكور فـي العنوان. (٦) الكنيسة البيزنطية عيّنت العيد في ١٨ كانون الأول ولكن بعـد مـدة نقلته إلى ٢٥ آذار، وعيّنت عيداً خاصاً تكريماً لمريم "أم الله" في اليوم الثاني بعد عيد الميلاد. هذا ومن الممكن والجائز أنّ الحساب التوقيتي الطقسي الغربي قد أثر على اختيـار هـذا التاريخ، لأنه وقع في ٢٥ آذار وهي الفترة التي تسبق الميلاد بتسعة أشهر (مدة الحمـل الطبيعي).(٧) ترتيب فترة البشارة بحسب الأناجيل المـستعملة فـي الكنـائس الناطقـة بالسريانية : السريان والموارنة – الكلدان والآثوريون.

الطقس السرياني	الطقس المشرقي
- أحد الظهور (البشارة) لزكريا	
- أحد البشارة لمريم العذراء	
- أحد زيارة مريم لإليصابات	أحد زكريا (لو ١: ٥-٢٦)
- أحد ميلاد يوحنا المعمدان	أحد البشارة (لو ١: ٢٦-٣٨)
- أحد الرؤية ليوسف	أحد الزيارة وميلاد يوحنا (لو ١: ٣٩-٨٠)
- أحد سلسلة نسب ربنا المسيح	أحد رؤية يوسف (متى ١: ١٨-٢٥)

٢- أفكار وعادات

- في بشارة ملاك الرب لمريم العذراء، كُشف الستار عن سر إلهي عظيم ألا وهو سر الثالوث الأقدس، لأن في البشارة يظهر أن الله تعالى يعبّر عن نفسه وكأنه جوهر واحد في ثلاثة أقانيم: الآب الذي يُرسل ابنه بقوة الروح.

- إنّ الله تعالى، بواسع رحمته، يقترب من الإنسان ليجدده بحسب صورته الأصلية الفردوسية، بواسطة الصورة الكاملة التي ظهرت في يسوع المسيح الرب (كول ١: ١٥).

- قديماً كلم الله الإنسان من خلال الطبيعة وصوت الأنبياء، لكن عند البشارة تكلم بطريقة جديدة مباشرةً، عندما زرع كلمته في أحشاء مريم. "الكلمة صار بشراً". منذ هذه اللحظة، يحاول كل إنسان أن يقبل ويحقق في مسيرة حياته كلمة الله المتجسدة، على مثال مريم، الأرض الطيبة، التي قبلته ليسكن فيها ويتجسّد منها.

- في البشارة نرى كيف أن الله تعالى يأخذ زمام المبادرة فيبادر ويختار صبية وينعم عليها. وكذلك نرى الصبية هي أيضاً وبكامل حريتها تختار الله تعالى وتقبل كلمته بصدق وإيمان ومحبة.

- حيث رفضت حواء وأصبحت أماً للموت قديماً، هنا قبلت مريم وأصبحت أماً للحياة.

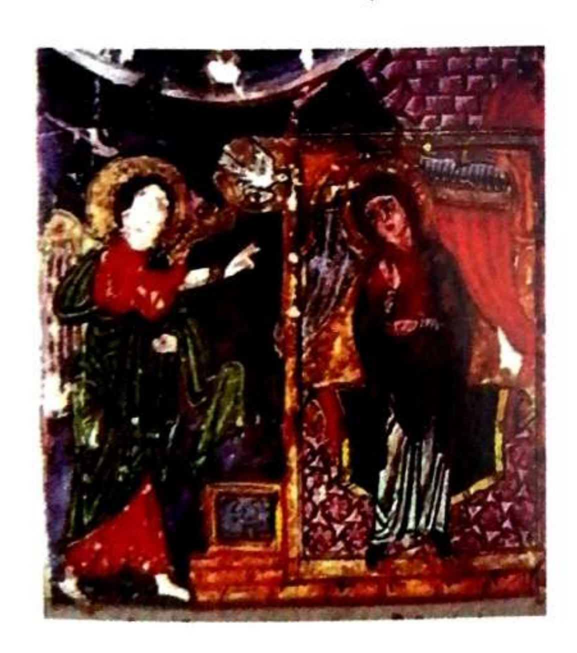
- يبشّر الملاك بسلام عظيم، سلام حضور الله في قلب الفقيرة: إفرحي يا مريم ... أبشركم بفرح عظيم ... ثم صرخت مريم : تعظّم نفسي وتبتهج روحي بالله مخلّصي.

- اقترب الله منها وسط حياتها اليومية البسيطة عندما ذهبت إلى عين الماء، وجلست تحت الشجرة، لأن المولود منها جدّد وقدّس المياه وصُلب على شجرة الحياة.

- في إنجيل يعقوب المنحول نقرأ أن مريم قد اختيرت لتنسج ستار الهيكل ... وبدأت تنسج بالخيط الأحمر، ثم قامت وأخذت الجرة وذهبت لتملأها بالماء وعند العين سمعت صوتاً قائلاً: "السلام عليك ممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة أنت في النساء". والتفتت العذراء إلى اليمين وإلى اليسار لترى مصدر الصوت، فخافت ورجعت وبدأت تنسج بالخيط البنفسجي، وهو لون الملابس الملكي. وإذا بملاك الرب قائماً أمامها قائلاً: "لا تخافي يا مريم قد وجدت نعمة أمام الله، وستقبلين كلمة الرب وتحبلين به"، وكانت مريم العذراء في السادسة عشر من عمرها عندما سمعت هذه البشارة.

- تنسج مريم ستاراً للهيكل ويشكل هذا الستار نوعاً من اللباس لحضور الله في الهيكل. لكن الآن هي تنسج لباساً سيلبسه طفلها، وفي نفس الوقت تُنسج في أحشائها لباس جسده (بحسب مار أفرام).

- التعجب من المعارضات: النار الإلهية المضطرمة في أحشاء بشرية ضيقة (مار أفرام. للمزيد من التوضيح، راجع كتابنا "ظهور الرب"، بغداد ٢٠٠٧).



- سر الحبل البتولي: قارن رمز العليقة الملتهبة، وباب الهيكل الذي لا يفتح إلا لله، والقبول بالكلمة عن طريق الأذن... هو الذي يحمل جبال الأرض كلها، تحمله أحشاء صبية...

- يُشدد التقليد الغربي على "الانتظار" (فترة المجيء)، وكأن انتظار ابرار العهد القديم وجد تكملته في انتظار مريم العذراء. والكنيسة تذكر المجيء الماضي وتجتهد من أجل المجيء في قلوب البشر، عندما تنتظر المجيء النهائي في المجد.

صلاة طقسية

اليوم بدأ خلاصنا، وظهر السر المختوم منذ الأزل، فإن ابن الله يصير ابن البتول، وجبرائيل بالنعمة يبشر، السلام عليك يا ممتلئة نعمة.

إفرحي يا أرضاً غير مزروعة. إفرحي يا جسـراً ناقلاً إلى السـماوات. إفرحي يا معيدة دعوة آدم. الرب معك.

إفرحي أيتها البتول النقية. إفرحي يا عروسة بدون زواج. إفرحي يا أم الحياة، مبارك هو ثمرة بطنك.

إفرحي أيتها المنعم عليها. التي منها المسيح إلهنا ومخلّصنا. يأخذ الطبيعة المختصة بنا ليتحد بها. (الطقس البيزنطي)

الكلمة الساكن في حضن الآب نزل في أحشاء مريم

في أحشاء ضيقة حلت القدرة الضابطة للكل، وحينما هو حال فيها، كان يضبط ضوابط الكون. وكان يضحي لوالده لصنع مشيئته. وملأ السموات والبرايا كلها.

دخلت الشمس إلى الحشى، وفي الأعلى وفي الأعماق انتشرت أشعتها.

حل في أحشاء البرايا الرحاب بأجمعها، وهي أضيق من أن تتسع لعظمة البكر.

وكيف كفاه إذن من مريم حشاها؟

غريب أن يكون قد كفاه، وضلال إن قلنا لم يكفه، بين كل الأحشاء التي حملته،

حشى واحد كفاه، حضن والده الفسيح. يساوي الحضن الذي ضبطه،
إن كان قد ضبطه كله.

الحضن العجيب الأعظم من حضن، ومن يجسر ويقول إن الحضن الضيق الضعيف الحقير، يساوي حضن الكائن العظيم؟

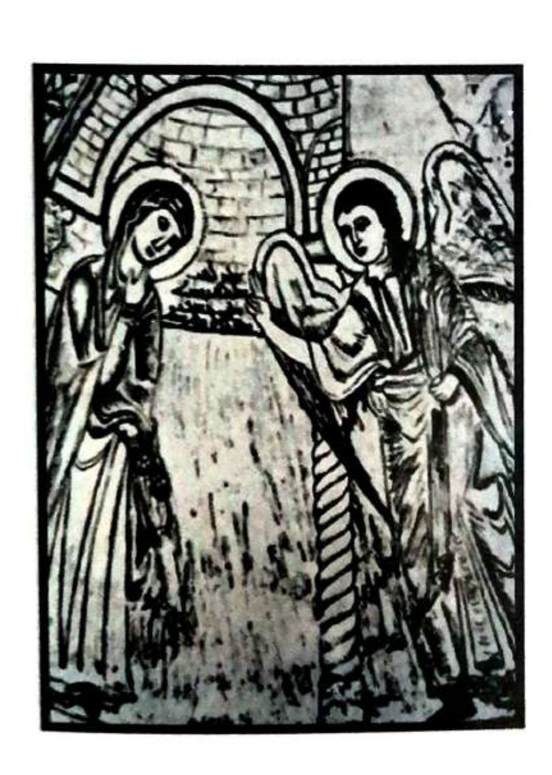
حل فيه حناناً، الذي عظمة طبيعته لا شيء يحدها. (مار أفرام، الميلاد: ٢١: ٦)

٣- صورة البشارة

١) تطور الصورة

لعل أقدم صورة عن بشارة الملاك جبرائيل لمريم العذراء وعن طفولة ربنا يسوع المسيح، هي الصورة التي نراها في عمل بهي من الفسيفساء على القوس الكبير لكنيسة مريم العذراء الكبرى في مدينة روما، والتي يعود تاريخها إلى القرن الخامس (سنة ٤٣٢). في هذه الصورة نشاهد مريم العذراء جالسة على كرسي واسع، ومتشحة بملابس سيدة نبيلة وهي تنسج بيدها. بينما نرى الملاك (أو أربعة ملائكة) يقترب منها والحمامة تنزل من فوق عليها، ولكن لم يكن لهذا المشهد أي تأثير على النموذج المقبول لصورة البشارة فيما بعد.

أما النموذج المقبول لصورة البشارة فيعود أصل تشكيله إلى القرن السادس. بحسب هذا النموذج، نرى عادة مريم العذراء من جهة وهي جالسة على كرسي كبير من القصب (الخيزران) وسلة النسيج إلى جانبها، بينما يأتي الملاك مسرعاً إليها من الجهة الأخرى، كما يتبين ذلك من حركة أجنحة الملاك وثباته، وهو يحمل بإحدى يديه عصا المبشر الرسمي، ويسلم أو يشير بيده الأخرى إلى مريم العذراء، قائلاً: "أنت هي المختـــــارة"، وعادة يظهر الملاك من الجهة اليسرى، لكن في بعض الأحيان،





وخاصة في الأعمال الفنية القديمة التي يرجع أصلها إلى فلسطين أو إلى بلاد ما بين النهرين، نرى الملاك قادماً من الجهة اليمنى للصورة (كما يظهر لعين المشاهد) ويوافق هذا طريقة الكتابة السريانية، كما يتبين من جدارية (رسم جداري) في دير للسريان في مصر، حيث كتابة كلمات "السلام لك" توافق مع اتجاه حركة الملاك.

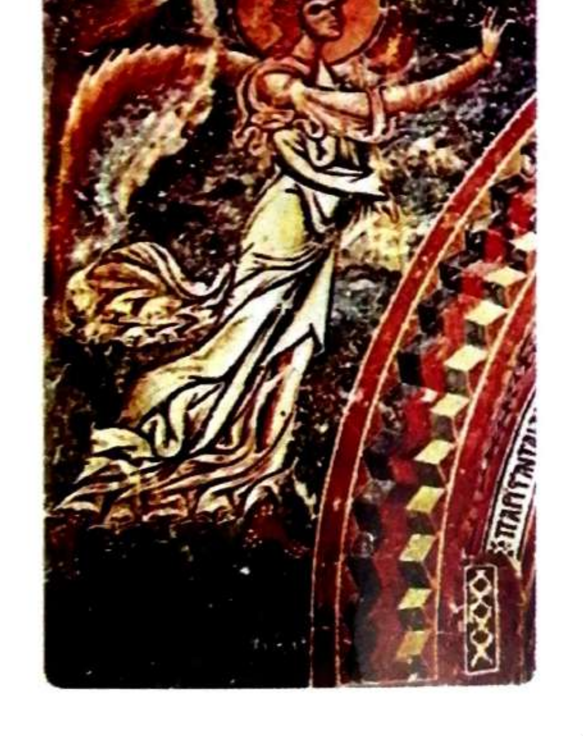
وفي بعض النماذج الأخرى تظهر عناصر مأخوذة أو منقولة من إنجيل يعقوب المنحول، حيث تشاهد مريم العذراء وهي واقفة أمام بناء كبير وكأنها خارجة منه وأمام المدخل ستار مفتوح، أو في نموذج آخر نشاهد مريم العذراء وهي مقتربة من نهر صغير أو من ينبوع ماء، لتسقي منه بجرتها، أو هي قائمة تحت شجرة عندما يأتي الملاك إليها بالبشارة.

في القرن الثامن تأخذ الصورة المقبولة للبشارة تكتمل شيئاً فشيئاً ويظهر لنا معناها الروحي أكثر فأكثر، وعلى سبيل المثال يمكننا أن نشير إلى عمل فني وهو نحت على العاج يقال إن أصله يعود إلى فلسطين أو إلى بلاد ما بين النهرين، كما يستدل على ذلك من الكتابة التي وردت إلى جانب العذراء والتي تقرأ "مريم القديسة" (وليس "أم الله")، ومن ذلك الفن التشكيلي الرائع والدقيق الذي فيه قدم لنا الفنان مريم العذراء وعينيها الكبيرتين الواسعتين بطريقة لا نظير لها في الحسن والجمال.

وخلال هذه الفترة تشاهد مريم العذراء أما جالسة أو واقفة أمام بناية تشير إلى بيتها أو إلى الهيكل، وتحت رجليها قاعدة صغيرة تعبّر عن شرفها وسموها ورفيع مقامها مع الكرسي الذي يعبّر عن العرش الملكي، وإن لم يظهر شكله في بعض الأحيان.



وتظهر لنا أيضاً سلة النسيج التي تتحول في أحيان أخرى إلى ينبوع صغير، كما نرى أيضاً شعاع النور السماوي الذي يشرق



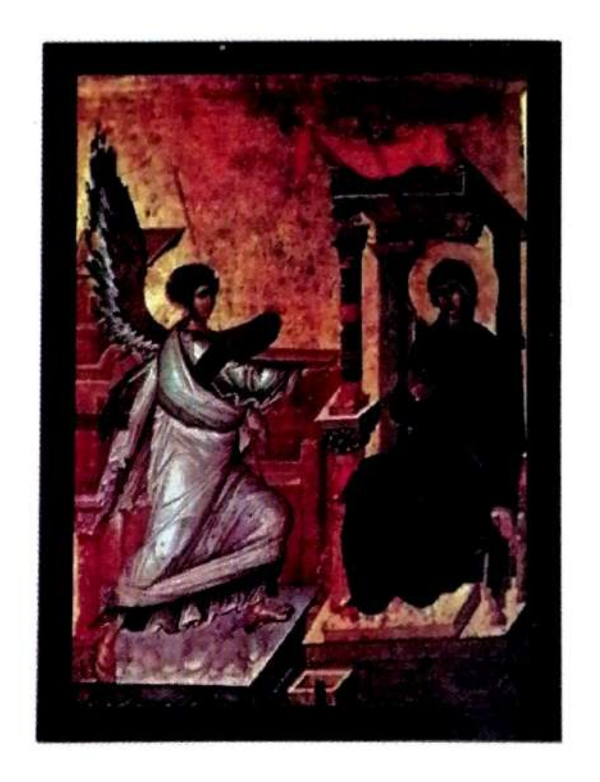
عليها من فوق، والحمامة البيضاء، التي تهبط من العلى لتحل عليها رمزاً إلى الروح القدس.

وفي بعض النماذج من الصور والأعمال الفنية التي ترجع للقرنين الحادي عشر والثاني عشر، يقدم لنا مشهد البشارة بقسمين، في جهتين من القوس (الطاق) فوق البوابة الملكية، الذي يفصل بين هيكل الكنيسة وقدس الأقداس، وفي الركن الأيسر يظهر الملاك جبرائيل وعلى الركن الأيمن العذراء مريم.

في كاتيدرائية مونريال (صقلية، سنة ١١٧٦) وكنيسة القديس كيوركيس في قوربينوفو (يوغسلافية، القرن ١٢)، وفي الكنائس البيزنطية والروسية يظهر مجدداً مشهد البشارة فوق رأس البوابة الملكية ذاتها، قائماً فوق صورة الإنجيليين الأربعة. والجدير بالذكر أن كلمة إنجيل باليونانية تعني البشرى السارة.

لا بد أن نذكر هنا أيضاً أيقونتَيْن من القرن الثاني عشر: الأولى من القسطنطينية، محفوظة في دير القديسة كاثرينة في جبل سيناء، والثانية من مدرسة نوفكورود (روسيا). في هذه الأيقونة الأخيرة لا يظهر سوى مريم العذراء والملاك وهما قائمان بكل هدوء وجمال.

كما نشاهد في هذه الأيقونة صورة ربنا المسيح مكررة مرتين: المرة الأولى وهو في السماء كما هو الذي "من الأزل وقديم الأيام"، والمرة الثانية كطفل صغير على صدر أمه مريم. أما الصورة البيزنطية فتبرز باللون الذهبي وبطريقة تقديم الشخصين، بكل شرف وعظمة دورهما الخلاصي. لا بد من ذكر أيقونة يونانية مشهورة من القرن الرابع عشر، محفوظة في كنيسة القديس قليمنس في أوخريد (مقدونيا)، حيث تظهر كل عناصر سر البشارة بأبهى طريقة.



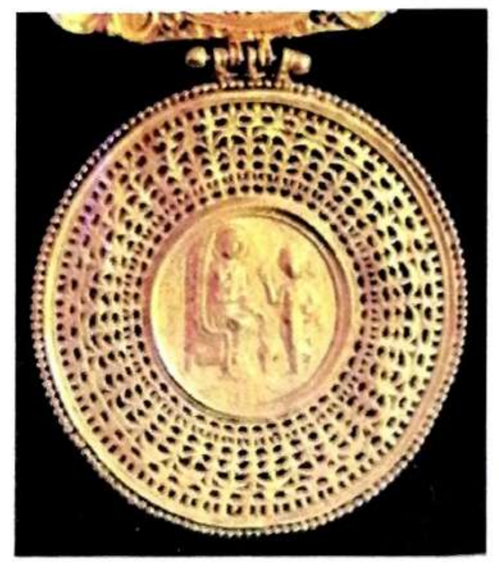


هنا رسم في مخطوطة سريانية محفوظة في دير الزعفران (تركيا) ومكتوبة سنة ١٢٥٠ في مكان قرب أرمينيا. إنها في خط التقليد الشرقي القديم، نرى مريم العذراء إلى اليمين قبالة الهيكل، الذي كانت تسكن فيه، كما ورد في الإنجيل المنحول، وهي جالسة على مقعد ذهبي مرصّع باللآلئ الحمراء والزرقاء، ويرمز هذا إلى عظمة مريم وجلالها الملكي. وكذلك ثوبها البُني وأزرارها البنفسجية، والنجمة التي علّقت فوق جبينها (وعلى كتفيها) تشير إلى بتوليتها. وفي قدميها نعلين أحمرين بلونٍ قانٍ، وهي تمسك المغزل بيدها اليمنى لتنسج الصوف البنفسجي، ويدها الأخرى ترتفع نحو صدرها تعبيراً عن الاضطراب الذي أصابها لدى مشاهدة الملاك وسماع بشارته، وقبولها بما بُشِّرَت به. كما نرى أيضاً مريم العذراء وقد استدارت برأسها والتفتت بوجهها المبتسم نحو الملاك.



وفي وسط الرسم نرى السماء الزرقاء والحمامة البيضاء التي ترمز إلى الروح القدس، كما جاء في قول الملاك لمريم: "إنّ الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك... لذلك يكون المولود منك قدوساً وابن الله يدعى". في أسفل الصورة تظهر عين الماء (النهر)، حيث كانت مريم تستقي الماء. وشجرة ترتفع إلى الأعلى من جانبها، رمزاً للحياة. إلى اليسار نرى الملاك جبرائيل في حركة جسمه وجناحيه وتموج ثيابه، يتقدم نحو مريم العذراء مسرعاً بخفة وفرح، ليتلو عليها البركة والبشارة بمجيء المخلّص، كما تعبّر عن ذلك يده اليمنى بينما يحمل بيده اليسرى العصا الربانية تعبيراً عن درجة سلطانه وقوة كلامه. قارن نبوءة أشعيا عن ركض مبشر السلام عبر الجبال: ما أجمل على الجبال قدمي المبشر بالسلام... (٥٣: ٧)، وهكذا تحقيقاً لهذه النبوءة، وبعد الانتظار الطويل، يأتي المبشر الحقيقي الموعود به، وينزل إلى الأرض ليعطي البشارة، سلام الله العظيم.









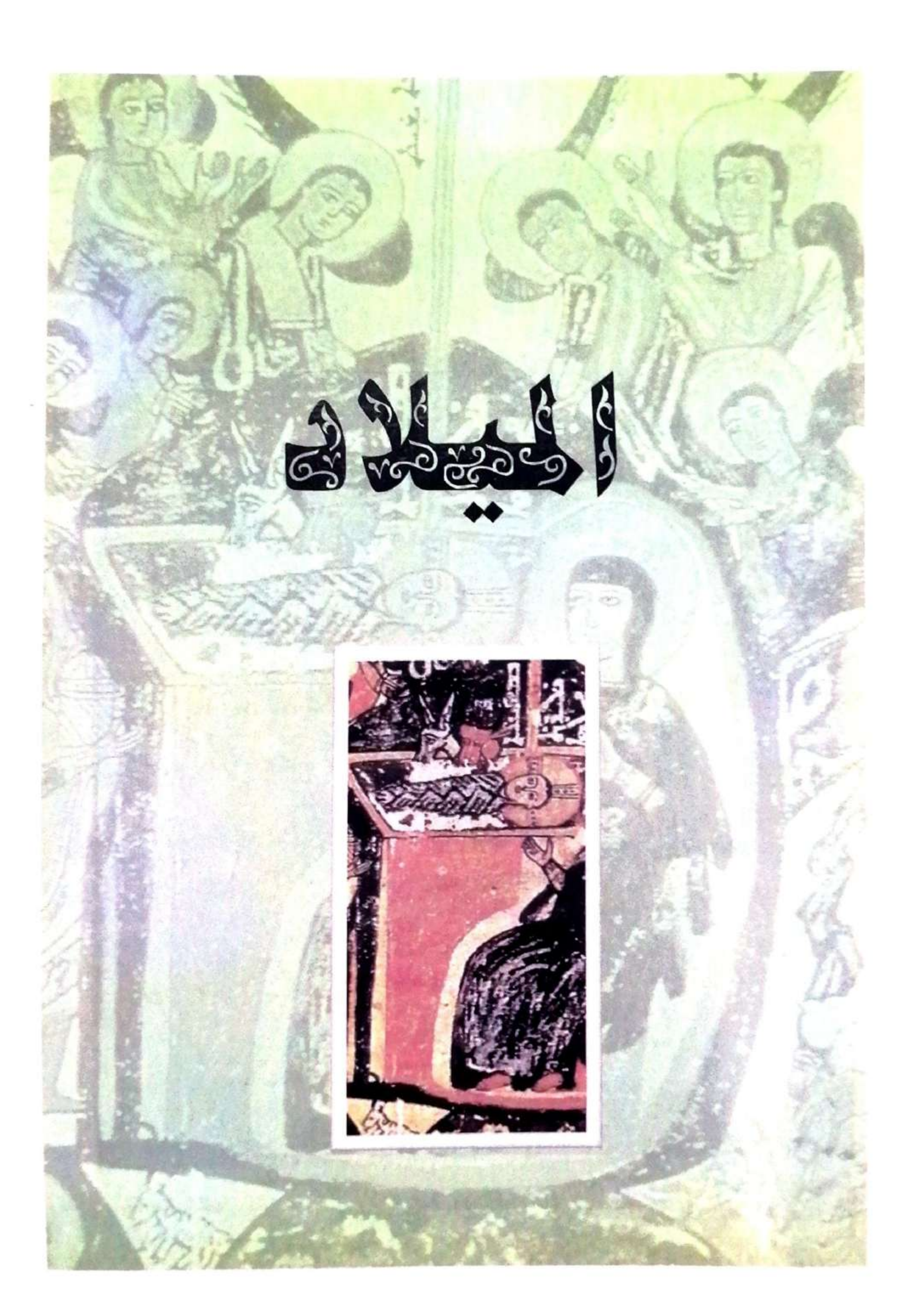
٣) أما في الغرب فقد تطورت صورة البشـــارة في ذلك الوقت على النحو التالي : **يظهر فـــي** الصورة، الملاك جبرائيل راكعاً أمام مريم العذراء وهو يكلمها بالسلام عليها وبشارتها، **بينمــا** كانت هي جالسة أولاً (فرا أنجيليكو)، ثم نراها تنهض لتركع وتسجد بعدئذ على كرسي خاص للصلاة والتأمل، وأمامها كتاب الصلوات الطقسية، والسماء مفتوحة من فوقها تنزل منها أحياناً مجموعة من الملائكة. وكالعادة يهتم الغرب أكثر بالمشاعر الإنسانية بحـــسب محـــيط الفنـــان الاجتماعي، أكثر منه باللاهوت بحسب النصوص الكتابية كما هو الحال في الصورة **الشرقية**.

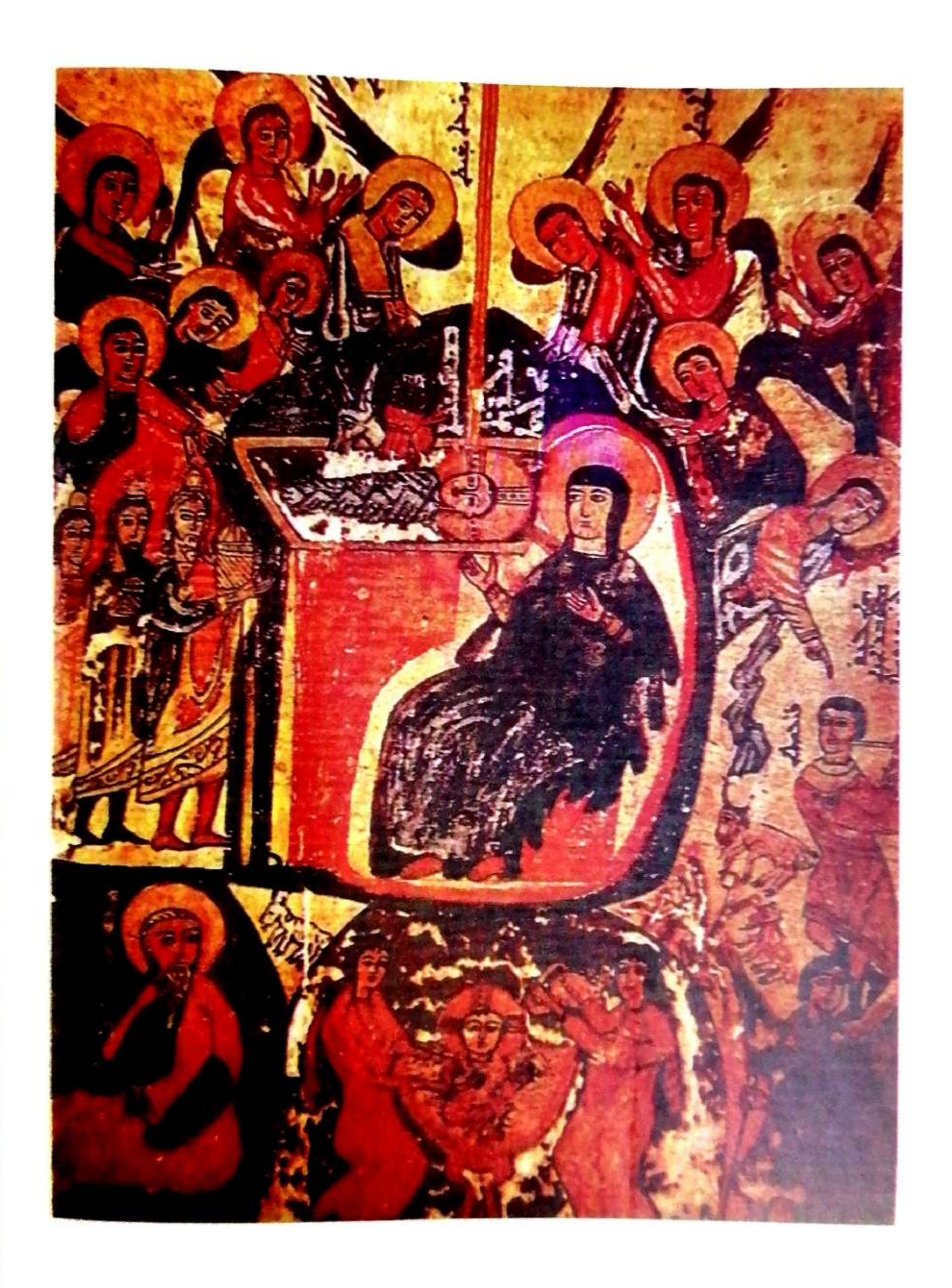




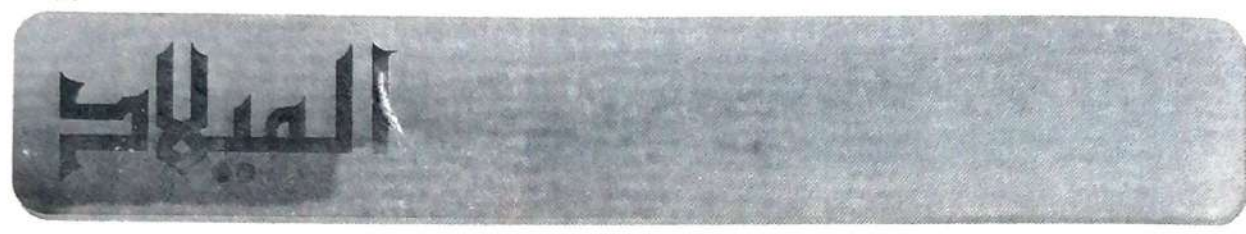


الميلاد





الفصل الثاني



الأسماء:



عيد ميلاد ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح بحسب الجسد، عيد إرسال المسيح من قبل الله تعالى (كريستماس).

التاريخ:

في ٢٥ كانون الأول بحسب طقوس أكثرية الكنائس.

في ٦ كانون الثاني بحسب طقس أورشليم قديماً والكنيسة الأرمنية حالياً.

في ١٨ كانون الأول في الكنيسة البيزنطية وكنيسة أسبانيا قديماً.

المصادر:

تك ٢١: ١-٢١ / ٣٥: ١٦-٢١ / عدد ٢٤: ١٧ / ١ صم ١: ٢٠ / ٢ صم ٧: ١٢-١٦ / أش ٩: ١-٦ / ١١: ١-١٠ / ٥٢: ٧-١٠/ ميخا ٥: ١-٤، مز ٢: ٧/ ١١٠/١١٨: ٢٦-٢٩ /١٣٢: ١-١٨/ حكمة ١٨: ١٤-١٥، متى١: ١٨-٢ : ٢٣ / لو٢: ١-٢١/ يو١: ١-١٨ /روم١: ٢-٦ / غل٤: ٤-٧ / اف١: ٢-٦ / عبر١: ١-٦ / ١ يو٤: ٧-١٠، إنجيل يعقوب المنحول ١٧-٢٠ / إنجيل متى المنحول ١٣-١٤.

١- أصل عيد الميلاد

١) لقد جاء ذكر عيد الميلاد في الطقوس الكنسية منذ القرن الثالث والرابع في الغرب والشرق على السواء، ولكن باختلاف تاريخه ومعناه، فالعيد واحد احتفل به الغرب في ٢٥ كانون الأول والشرق في ٦ كانون الثاني (راجع الجزء الأول، بما يخص النظريات المختلفة).

لقد ورد هذا العيد في وثيقة تاريخية يظهر منها بأن العيد كان قد عُرف في روما قبل سنة ٣٣٦. يقال إنّ هذا العيد عُيّن عوضاً عن عيد وثني قديم لميلاد الشمس التي لا تُغلب ولا تُقهر، وذلك في يوم الانقلاب الشتوي المصادف هناك في ٢٥ كانون الأول. وقد طبقت الكنيسة رمز الشمس على المسيح، كلمة الله "شمس العدالة" (ملاخي ٤: ٢) التي تنير العالم (يو٨: ١٢/ أش ٩: ٢). كما يتبين من أقدم فسيفسائية مسيحية من القرن الثالث والمحفوظة في الدياميس الفاتيكانية، يقدم فيها المسيح بشكل إله الشمس، راكباً عربة النصر النارية عندما يبدأ صعوده، بحسب مزمور ٨ (قارن أيضاً يو ١: ٣ و ٩). (راجع الجزء الأول ص٢٢)

٢) بحسب نظريات أخرى يتضح بأن تاريخ هذا العيد كان متعلقاً بتاريخ صلب ربنا المسيح المصادف في ٢٥ آذار، تظهر هذه النظرية القديمة في كتابات الآباء التي ترجع إلى القرن الثالث (المحفوظة أيضاً عند القديس أوغسطينوس المتوفى سنة ٤٣٠)، والتي تقول إنّ المسيح دخل العالم وتركه في نفس اليوم التاريخي، ففي نفس التاريخ تحددت ذكرى موت ربنا المسيح والحبل به. ومن ثم عُيّن تاريخ عيد الميلاد عادة بعد ٩ أشهر من قبول مريم به في أحشائها ويصادف هذا اليوم الخامس والعشرين من كانون الأول (بعد ٢٥ آذار) أو السادس من كانون الثاني (بعد ٦ نيسان) بحسب التقويمَين المحليين المقبولين في الغرب أو في الشرق.

٣) إنّ عيد الميلاد هو ذكرى بداية الخلاص الفصحي، وهو ميعاد ظهور الكلمة ليبدد الظلمات (طيطس ٢: ١١/٣: ١٣)، وذلك من خلال سر التجسد في بيت لحم، مع بشارة الملائكة للرعاة، والسجود من قبل المجوس، وقتل الأطفال. وبعد قبول عيد الدنح الشرقي في الغرب، (نحو نهاية القرن الرابع)، نقلت ذكرى "السجود من قبل المجوس" إلى ذلك اليوم (٦ كانون الثاني).

٤) أما تاريخ عيد الميلاد الشرقي الواقع في٦ كانون الثاني، فمن الجائز أن يعود أصل ذلك، إلى عيد وثني مصري قديم متعلق بولادة إله من مياه نهر النيل. وقد أكّد أقليمس الإسكندري نحو سنة ٢٠٠ إن المسيح ولد في بيت لحم يوم ٦ كانون الثاني. وفي أورشليم، نحو سنة ٣٨٣، ذهب الشعب المؤمن إلى بيت لحم، لاحتفال طقسي، في ٥ كانون الثاني. في أورشليم نفسها جرى عيد الميلاد يوم ٦ كانون الثاني (بحسب إيجيرية الراهبة الإفرنجية). ومن الممكن أيضاً أن التاريخ للعيد في ٦ كانون الثاني قد كان معروفاً منذ القرن الثاني والثالث، حسبما ذكرنا عن تاريخ موت ربنا المسيح في ٦ نيسان في بعض التقاويم القديمة.

٥) ثم قُبِلَ العيد الغربي (في ٢٥ كانون الأول) في المشرق، إلى جانب العيـد الـشرقي. وعلى سبيل المثال: في أنطاكيا نحو سنة ٣٧٥، وفي القسطنطينية قبل سنة ٣٧٩، وفي قبدوقيا نحو سنة ٣٨٠، وفي مصر قُبل العيد إبان انعقاد مجمع أفسس (٤٣١). ولكن في أورشليم لـم يتم قبوله بصورة ثابتة، إلا في القرن السادس (نحو ٥٧٠)، ولم تقبله الكنيسة الأرمنية حتـى يومنا هذا. وفي أورشليم كان يوم ٢٥ كانون الأول يوماً لتذكار أجداد ربنا يـسوع المـسيح، يعقوب وداود.

٦) حفظت لنا خطب عديدة ألقاها الآباء بمناسبة عيد الميلاد المبارك (أقدمها سـنة ٣٦٠)، ونستطيع القول إن الآباء، لم يذكروا الحوادث التاريخية بوصف طويل، ولكنهم اهتموا غايـة الاهتمام بمعنى العيد اللاهوتي الخلاصي. وكانوا يعبّرون بصورة خاصة عن عظمة "الكلمـة" التي تظهر من التناقضات في سر التجسد العظيم: "حامل الكون، تحمله ذراعا امرأة..."، وعن هدف التجسّد الخلاصي: "إنّ الله تعالى صار إنساناً، ليصير الإنسان إلهياً".

٢- أفكار وعادات

- جرت العادة أن يقوم المسيحيون في بداية القداس (في الأصل بعد القسم الثاني من صـلاة الليل)، أو خلال قراءة إنجيل لوقا، برتبة تبريك "نار الرعاة" مع "مـسيرة المـيلاد"، بحـسب الطقس السرياني. يمكن أن تتم هذه الرتبة في داخل الكنيسة بطريقة مخففة، أو فـي تطـواف نحو الخارج بطريقة احتفالية، مع اشتراك الشعب المؤمن الذي سيرمي البخور في هذه النـار، إشارةً إلى قدوم المجوس. هناك يقرأ عبر ١: ١-١٢ ولو ٢: ١-١٤، وخلال النص "وظهـر مجد الله وأشرق حولهم" تشعل النار ويرتل "المجد لله...". بعد الرجوع إلى الكنيـسة تتبـارك جهات الكون الأربعة بالصليب المظفر. ومع أن فكرة "ظهور النور الجديد.. والنجمة العجيبة.. والشـمس المشرقة." تتفق بالنصوص الكتابية والطقسية. فإن وصف رتبة النار لم تظهر فـي المخطوطات الطقسية القديمة، مع إنها كانت معروفة. لقد ذكرنا إن في المشرق، قبـل نهايـة القرن الرابع، لم يكن إلا عيداً واحداً، يحتفل به بالميلاد والعماد. في نصوص ترجع إلى القرن الثاني (الدياطسرون وغيره) ورد ذكر إشراق النار (والنور) متعلقاً بعماد المـسيح فـي نهـر الأردن، وتعتبر أحياناً لحظة ولادته الروحية ("هو ابني الحبيب الـذي ولدتـه اليـوم"). مـن

المحتمل أن "ظهور النار" نقل إلى عيد الميلاد، بعدما شكّل له عيداً منفصلاً خاصاً. تعبّر هذه النار عن الحضور الإلهي الخاص في المولود البشري.

– مكان المغارة بيت لحم كان معروفاً عند الآباء من القرن الثاني، ثم بُنيت كنيسة باسيليكية فوق هذا المكان على يد قسطنطين الكبير مزدانة بفسيفسائيات ورسومات، ولا تزال موجودة إلى يومنا هذا وكان الفرس قد أبقوا عليها بعد تدميرهم بقية الكنائس الأخرى (سنة ٦١٤) بسبب وجود صورة سجود المجوس بالألبسة الفرثية الفارسية على جدارها. فمكان المغارة حُفظ تحت الكنيسة وتشير إليه الكتابة: "هنا ولد ربنا يسوع المسيح من مريم العذراء".

– في كنيسة مريم العذراء الكبرى الباسيليكية، في روما، ما تزال محفوظة أيضاً بعض الأخشاب من المذود الذي نقله إلى روما البابا ثيودورس الفلسطيني الأصل (٦٤٠-٦٤٩). لقد عين البابا سيكستوس الثالث (٤٣٢-٤٤٠) احتفال القداس الثاني في هذه الكنيسة لأن فيها عرضت المغارة مع آثار مذود، وذلك في منتصف ليلة عيد الميلاد. في روما أحيا البابا ثلاثة قداديس (في كنيسة مار بطرس، وفي كنيسة مريم الكبرى، وفي كنيسة القديسة أنَستاسية التي استشهدت في ٢٥ كانون الأول). ثم نحو بداية القرون الوسطى منح كل القسس حق تقديم ثلاثة قداديس تذكاراً لولادة الكلمة من الآب (يو١: ١-١٤ ليلة العيد) وولادة الطفل يسوع من مريم (لو٢: ١-١٨ صباح العيد) وولادة المسيح الرب من الكنيسة، في قلوب المؤمنين (متى٢: ١-١٢ أثناء النهار).

– ثم يأتي دور عرض المذود، وتعود هذه العادة الشعبية إلى القديس فرنسيس الأسيزي، ففي سنة ١٢٢٣ بعد رجوعه من روما، أخذ يعرض مشهد الميلاد للشعب، وجاء هو نفسه خلال قراءة الإنجيل ليضع الطفل في المذود.

– عادة زيارة البيوت، مع تقديم المدائح وتراتيل ترجع إلى القرون الوسطى، لكن إقامة شجرة الميلاد والأوراق الخضراء ترجع إلى عادات وثنية قديمة، وكذلك شخصية "بابا نوئيل". مع ذلك يمكننا أن نرى في الشجرة رمزاً لشجرة الصليب والتي ترجع جذورها إلى بيت لحم.

– يتعجب المؤمن أمام سرّ التجسد، حيث يظهر الله ضابط الكل وغير المنظور، في طفل ضعيف. لقد اقترب منّا، بتواضعه الذي يفوق كل إدراك. أصبح "الكلمة" الأبدي طفلاً صامتاً بين الحيوانات ومقمطاً في مذودٍ ومطروداً من شعبه.

– تظهر المغارة في بطن الأرض المظلمة في أيقونة الميلاد، وكذلك في أيقونة العماد والصلب والقيامة، لأن الله يعمل عظائمه ابتداءً من "جوف الأرض"، ومن وسط الليل، حيث تحفظ سرّ تدبيره. لكن بفضل النجمة المنيرة، أصبحت الأرض مثمرة ومزدهرة.

– في بعض الصور تشير إلى الولادة العجيبة البتولية، بواسطة موقف مريم التي تتأمل، أو يوسف الذي يتعجب أو المشاهد من الأناجيل المنحولة. فعلاً، تحقق التجسد بقوة روح الله وبدون تدخل إنساني.

– في هذا الطفل يُجمع بين السماء والأرض. إنه مصدر النور الذي يجدد العالم ويتجلى الكون كله. فيستمر سر التجسد فينا، في قلب الإنسان الذي يقبل أن يتبع النجمة.

صلوات طقسية

ماذا نقدم لك أيها المسيح؟ لأنك ظهرت على الأرض إنساناً لأجلنا، فكل نوع من الخلائق التي أبدعتها، يقدم لك الشُكر، فالملائكة التسبيح، والسماوات الكواكب، والملوك الهدايا، والرعاة التعجب، والأرض المغارة، والفقر المذود، وأما نحن؟ فأمّاً بتول. (الطقس البيزنطي)

مريم تغني:

أنا أشاهد صورتك الظاهرة أمام عيني وصورتك الخفية مصورة في عقلي.
في صورتك الظاهرة رأيت آدم وفي صورتك الخفية رأيت أباك متحداً بك.
هل ظهرتَ لي وحدي جمالك بصورتين؟ فليصورك الخبز والعقل لأنك تسكن في الخبز
وفي آكليه. لتراك بيعتك بالصورة الخفية والظاهرة مثل والدتك.
كيف أدعوك أيها الغريب عنا والذي صار منا؟ هل أدعوك ابناً؟
هل أدعوك أخاً؟ هل أدعوك خطيباً؟
هل أدعوك رباً؟ يا والداً أمّه ولادة ثانية من الماء. يا ابن العلي الذي أتى وحل
بي وصرت أمه. وكما ولدته مولوداً آخر ولدني هو أيضاً ولادة ثانية.
يا لابس أمه الذي لبس جسدها وهي لبست مجده.
لقد صار ميلادك يا ربي، أماً للخليقة، التي حبلت من جديد
وولدت الإنسانية، التي أنت ولدت منها.
إنها ولدتك جسدياً في حين أنك ولدتها روحياً. ولهذه الغاية أتيت وولدت،
لكي يلد الإنسان من جديد على صورتك. هو ذا ولادتك التي تلد الكل.
(مار أفرام الميلاد ٣٢: ٥)

٣- صورة الميلاد

منذ القرن الثاني سُجلت وجُمعت قصص شعبية كثيرة وجميلة عن ميلاد ربنا يسوع المسيح وعن طفولته، لا تذكرها الأناجيل القانونية، وبصفة خاصة في إنجيل يعقوب ومتى المنحولين. وكذلك قصص عن سفر مريم العذراء على ظهر الحمار، وعن الولادة البتولية في المغارة، وعن تعجب مار يوسف من وقفة حركة العالم لحظة الولادة، وعن دور الحاضنتين زلامة وسلومة، وهذه الأخيرة هي التي تشك ببتولية الولادة، ثم عن النجمة المشرقة التي تهدي المجوس. وأثرت هذه القصص على الفن التشكيلي في التعبير عن سر الميلاد.

١) **الصورة الغربية.** حُفظت لنا أقدم النقوش والصور من القرن الثالث إلى القرن الخامس نرى فيها العناصر النموذجية التالية: الطفل المقمّط في مذود كبير من قصب، بين الحمار والثور (أحياناً مع راعي واحد أو أكثر)، بحسب النبوءة عن الحيوانات التي "تعرف صاحبها في حين أن الإنسان لا يعرف سيده" (أش١: ٣/ حب٣: ٢ في اليونانية). وتشكل هذه الصورة دعوة إلى الإيمان بالطفل الإلهي المولود فقيراً بين الرعاة ليجمع الخراف الضالة ويشفيهم (أش٤٠: ١١). بعدئذٍ أضيفت إليها مريم ويوسف من الجانبين وشكل إسطبل فوق المذود. في تطور هذه الصورة ستظهر مريم مستلقية على فراش الولادة. قديماً يجلسان مريم ويوسف في حركة التأمل، ثم يقومان ويتحدان وفي مرحلة أخرى يركعان ويسجدان للطفل الإلهي.

صورة السجود من قبل المجوس، ممثلي الأمم، بملابس شرقية، بحسب إشارة النجمة (النبي بلعام في عدد ٢٤: ١٧)، ونراهم (منذ القرن الثالث) يسرعون إلى العرش الملكي حيث تجلس مريم، والطفل على ركبتيها. تعبّر هذه الصورة عن لاهوت الطفل، وعن انتصاره على الشياطين الذين كانوا يقيّدون الأمم بعبادة الأصنام. في تطور هذا النموذج وضعت مريم في مركز الصورة متجهة نحو المشاهد. قديماً كان أحد المجوس يشير إلى النجمة، ثم نرى أولهم يركع ويسجد أمام الطفل، وأخيراً منحت أهمية كبيرة للهدايا والخدام. تجمع صورة أخرى بين النموذجين الأول والثاني، من القرن الرابع، فتقدم في مركز الصورة الطفل في المذود مع الحيوانين، ثم الملوك من جهة ومن جهة أخرى مريم (ويوسف).



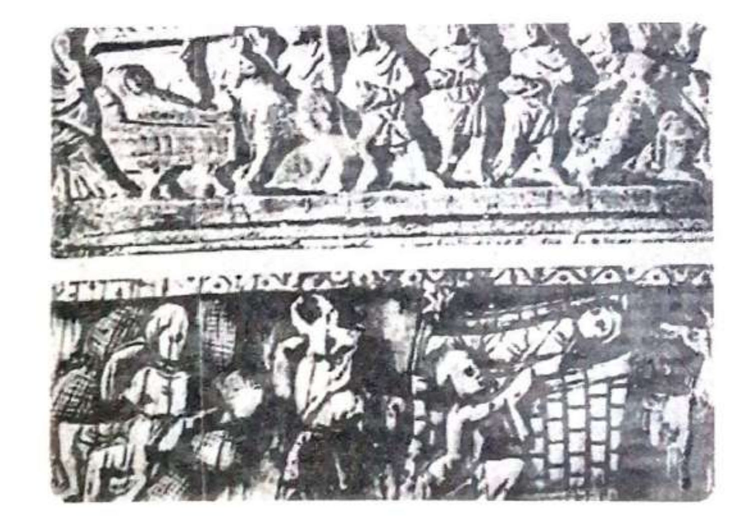
٢) **الصورة الشرقية**. منذ القرن السادس حفظت لنا صورة شرقية في خط النموذج الغربي الأول. فمن فلسطين وصلت إلينا صور تظهر فيها مغارة كبيرة، تحتوي في قسمها الأعلى الطفل مع الحيوانين، وفي الأسفل يوسف، ومريم مستلقية على فراشها تشير إلى الطفل أو متأملة (لو٢: ٩). لكن مكان المشهد حيث نرى حادث الميلاد، هو مغارة مظلمة، وفيها يظهر المذود الذي قد أصبح هنا نوعاً من البناء، يذكّرنا بشكل مذبح كنيسة بيت لحم في ذلك الوقت.













في الصورة الشرقية لا تنظر مريم العذراء إلى طفلها، إلا في بعض الصور من القرن العاشر حيث يظهر اهتمامها وحنانها الأمومي. إنها "أم الله القديسة" التي في قلبها تفكر بإيمان وتعجب بسر الميلاد الخلاصي العظيم. وطفلها المقمط هو مدبر الكل.

في نحت على العاج من القرن الخامس، يظهر مشهد غسل الطفل على يد الحاضنتين، ويشير هذا المشهد إلى حقيقة الولادة الجسدية، وإلى تواضع "الكلمة" الذي يخضع للظروف الإنسانية الضرورية، وأيضاً إلى العماد الذي هو سر الولادة الجديدة.



في القرن التاسع والعاشر عيّن نموذج الصورة التي قبلت في المشرق. وجمعت هذه الصورة بين مشاهد عديدة مختلفة، وترتيبها في تركيب مستدير حول المركز وفي خط حلزوني يربط بين الأشخاص. في القرون الوسطى، تحت تأثير الفن الغربي، قدم أحياناً مريم ويوسف وهما يسجدان من كلا الجهتين للطفل الذي يظهر في مركز الصورة.

٣) صورة الميلاد بحسب مخطوطة سريانية عراقية محفوظة في المتحف البريطاني مرقمة ٧١٧٠ (مكتوبة سنة ١٢٢٠). إنّ هذه الصورة متكونة من عناصر ومشاهد عديدة: في وسط الصورة ومن المنظر الجبلي، نرى مغارة عميقة مظلمة، من هذا المكان التاريخي الحقير الضيّق، من جوف أرضنا الخاطئة، كما من أحشاء البتول الوضيع، أشرق النور الإلهي العظيم، وأشعة النجمة السماوية ذي ثماني أوراق، تسقط على الطفل المقمط في المذود في المغارة، وبين الحمار والثور اللذين يرمزان إلى سجود الأمم، وإلى إيمانهم بشخصية الطفل الإلهي.

إنّ المذود، على شكل المذبح، يشير إلى يسوع الذي هو الخبز الحي المذبوح لحياة العالم. (قارن اسم قرية بيت لحم "بيت الخبز"، وما قلنا عن شكل بناء المذبح في كنيسة بيت لحم الذي

أثر على تعبير المذود التشكيلي في الصور). في المغارة أيضاً، أو بقربها، نـرى أم الطفـل البتول وهي تستريح بعد الولادة العجيبة، مستلقية على فراشها، وتفكر وتتأمل في سر شخصية ابنها الذي هو كلمة الله تعالى، وتمد يدها إلى الطفل لتشهد به. وكذلك خطيبها مـار يوسـف متأملاً في سر الأم البتول، ومتعجباً من أعجوبة الولادة، ومندهشاً مع الخليقة كلها، التي كانت قد أوقفت حركتها لحظة الولادة في منتصف الليل (كما جاء في إنجيل يعقوب المنحول). فـي بعض الصور يأتي الشيطان إليه، بشكل الراعي الشيخ، ليجرب إيمان مار يوسف.

في الجهة اليمنى يظهر الملاك الذي يبشر الرعاة بفرح عظيم "اليوم ولد لكم المخلّص" (لو٢: ٨-١٢). وخلفه جوقة الملائكة التي تنشـد: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام" والرجاء الصالح لبني البشر (١٣-١٤). الرعاة الفقراء السـاهرون على غنمهم يخافون أولاً من كلام الملاك.

ثم يسرعون إلى المغارة (١٥-١٨)، وأحدهم يحمل المزمار والثاني وهو الصغير يقود الثالث وهو الشيخ المتردد، والذي يرتدي جلد الغنم.



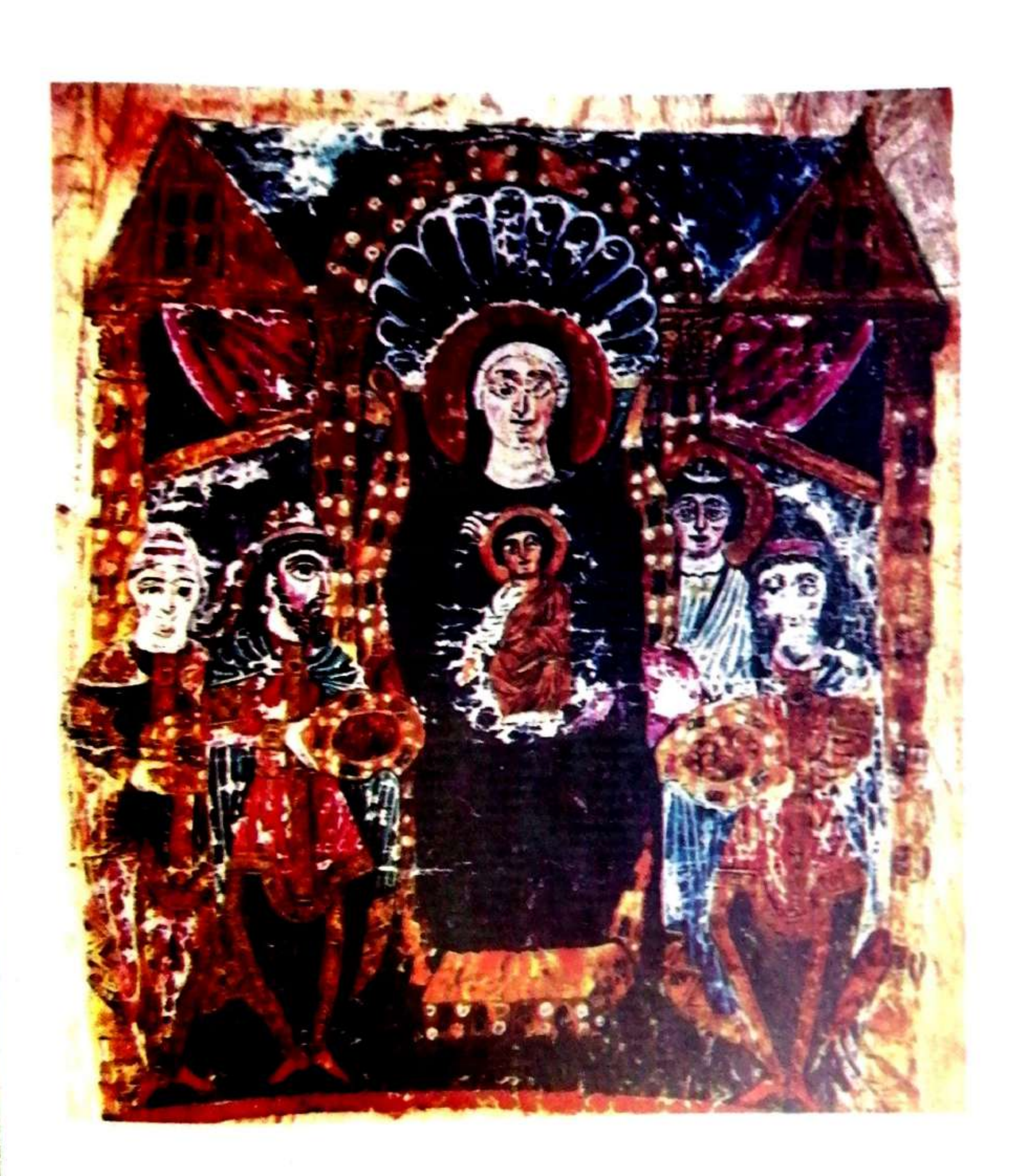


في الجهة المقابلة نرى المجوس الثلاثة، الذين، مثل الرعاة أحياناً، كانوا يمثلون بأعمارهم، مراحل الحياة الإنسانية الثلاث، الشباب والبلوغ والشيخوخة، وهم يأتون من المـشرق، علـى خيولهم (أو الجمال في الصور الغربية)، قادمين من القارات الثلاثة: أوروبا وآسيا وإفريقيـا، وباحثين عن المولود الذي كلمتهم عنه النجمة. "وقدموا له هدايا كريمة ذهباً خالصاً بمـا أنـه ملك الدهور، ولباناً (أو بخور) لأنه إله الكل، وكأنه ماءت ذي ثلاثة أيام، قدموا مـراً للمنـزه عن الموت". "الذهب يشير إلى كونك ملكاً، واللبان (أو البخور) إلى أزليتك، والمر إلى دفنتك"

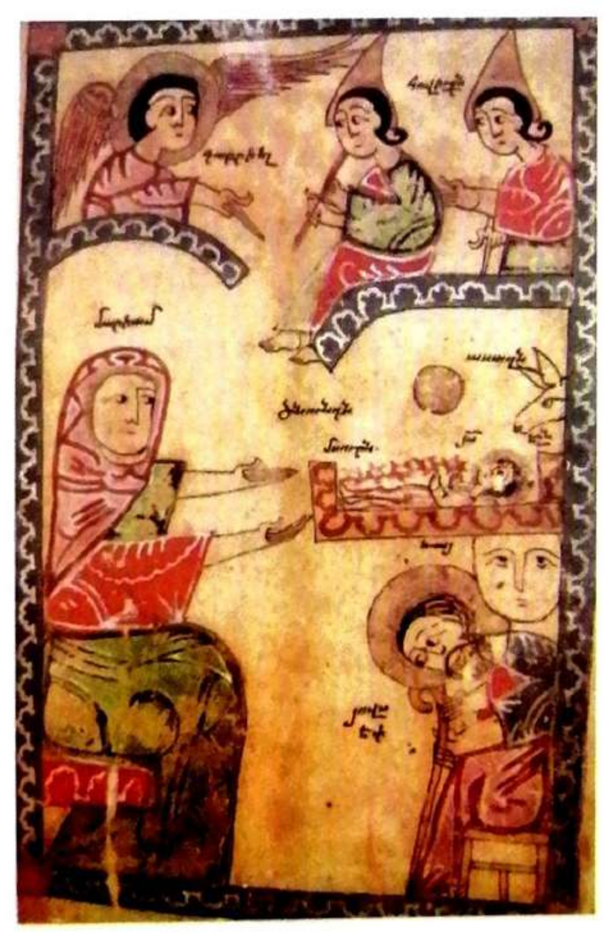
(مار أفرام). بحسب كتاب "مغارة الكنز" السرياني حُفظت هبات من الفردوس في المغارة، منذ عهد آدم، لتُهدى إلى المسيح المنتظر، وقت ظهور النجمة.

تذكر في الأيقونات الشرقية مشهد "غسل الطفل" في جرن العماد. ذلك لأن غـسل الوليـد وتطهيره بيد النساء كان شيئاً مهماً عند القدماء، وهو البرهان علـى أن المولـود حـيٌّ حقـاً وحاضرٌ ليشترك في أمور الحياة الإنسانية كلها.

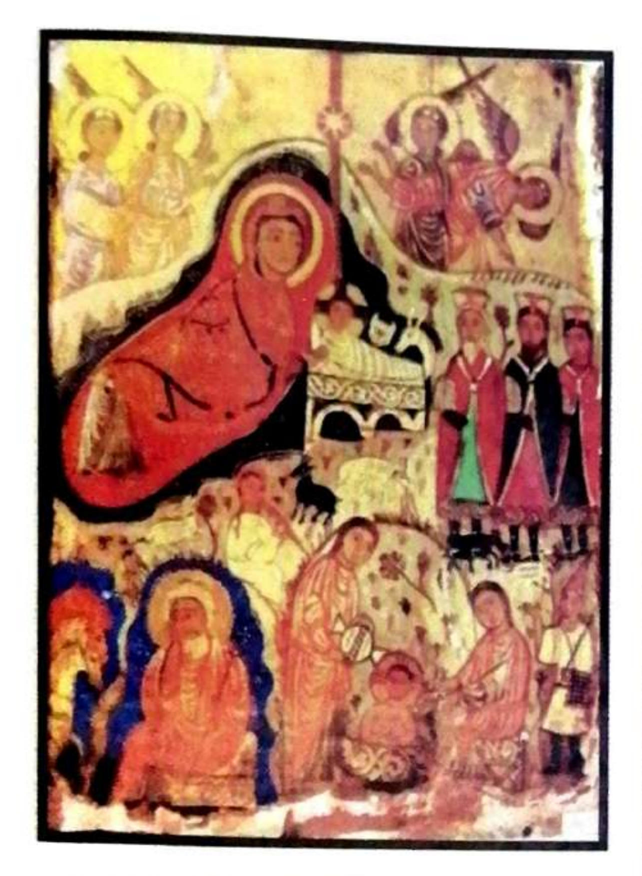




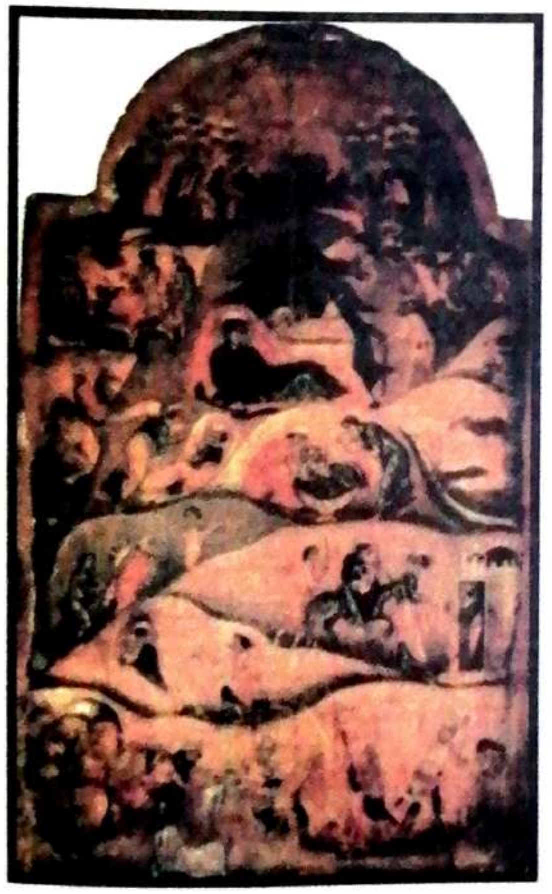


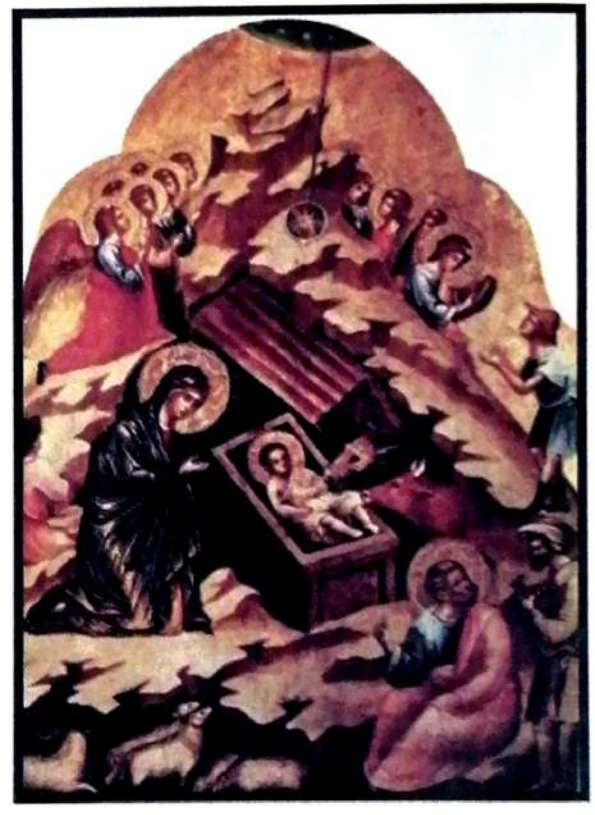


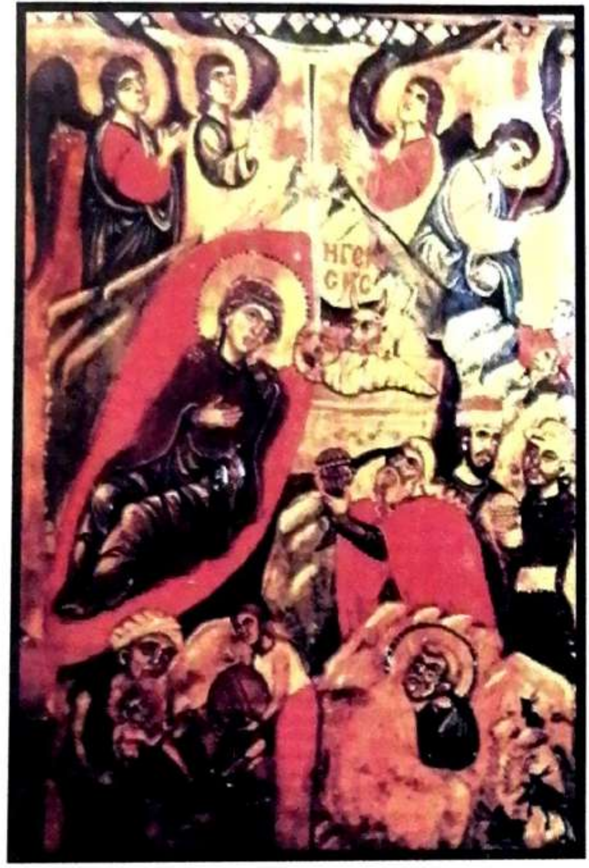




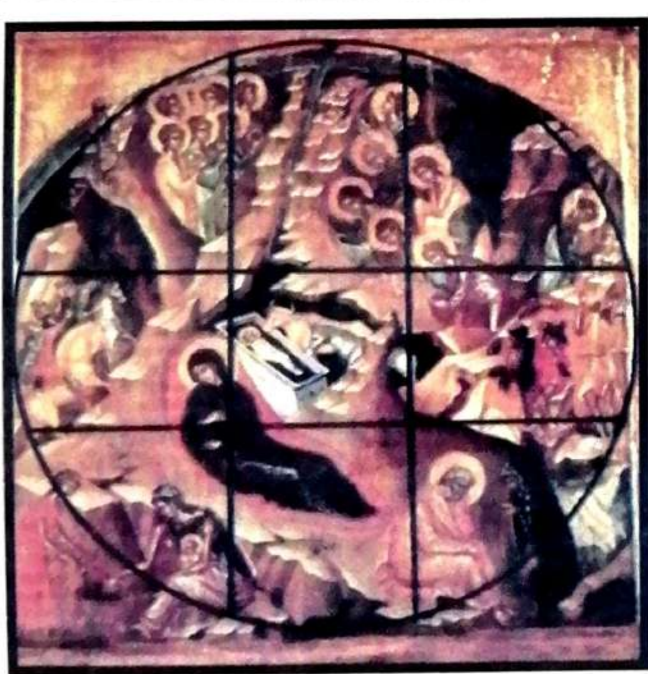










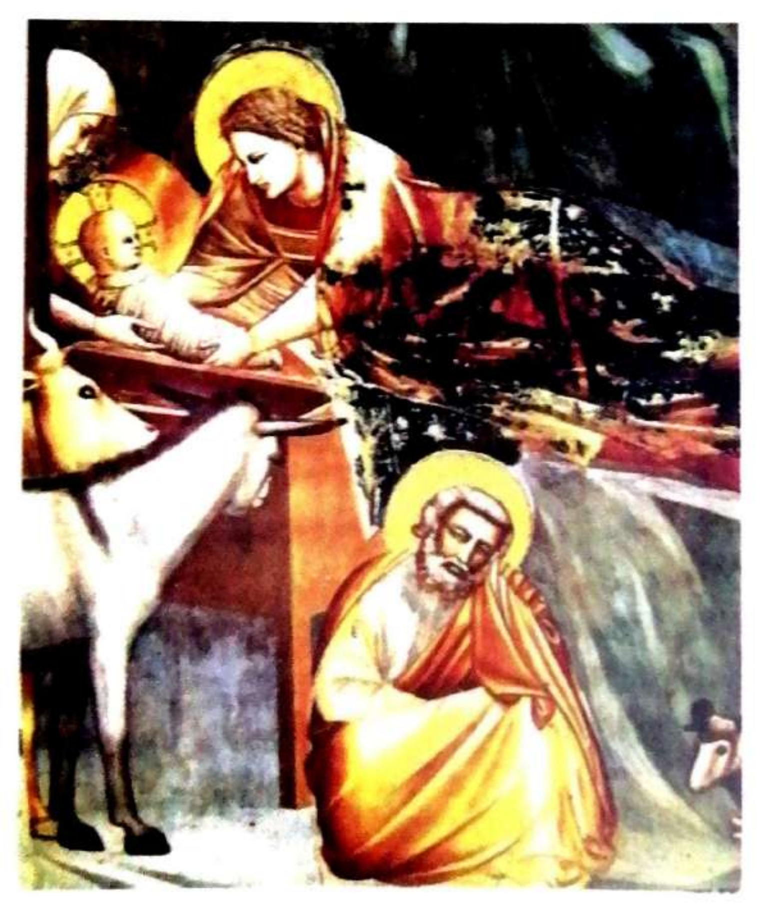


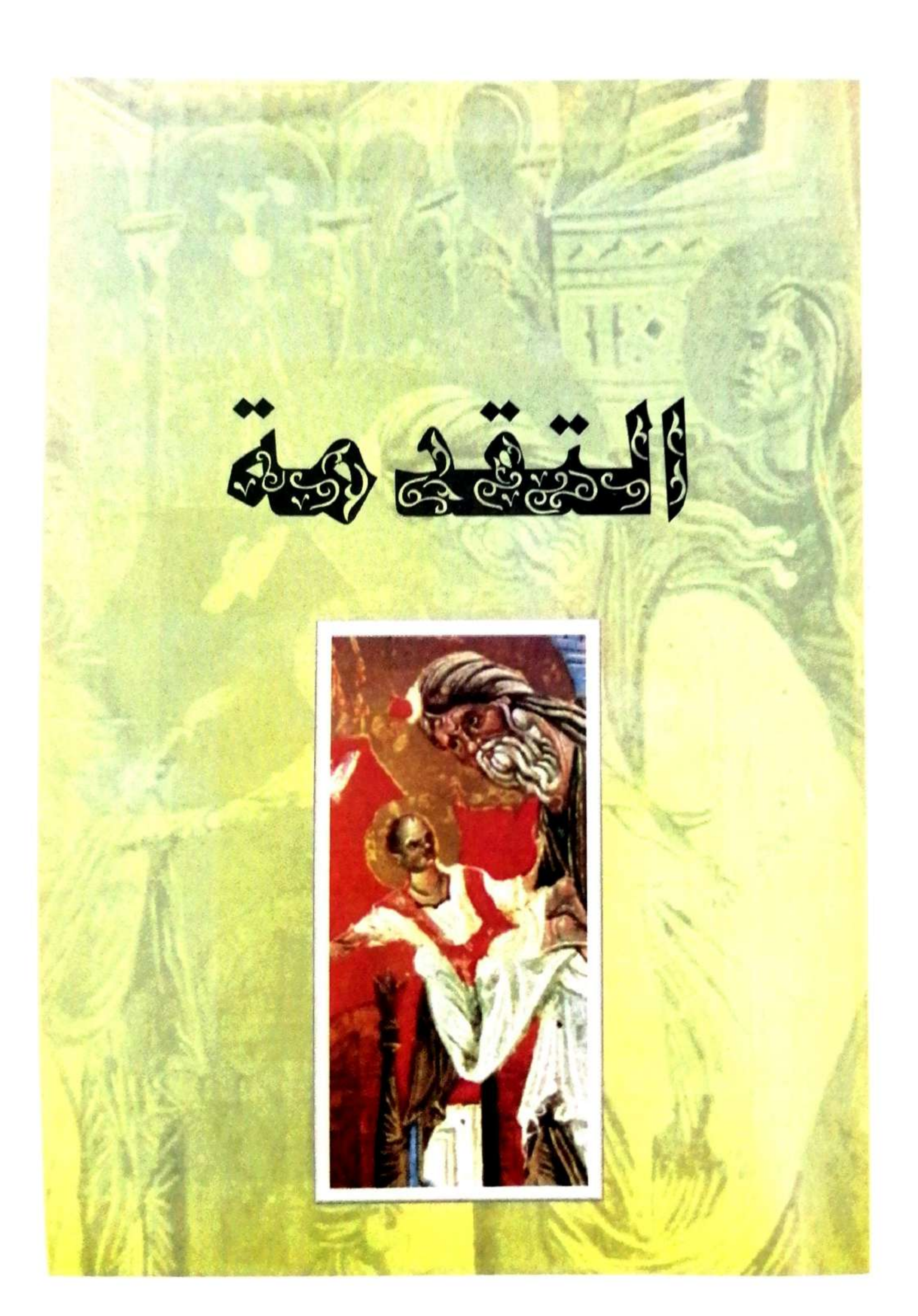


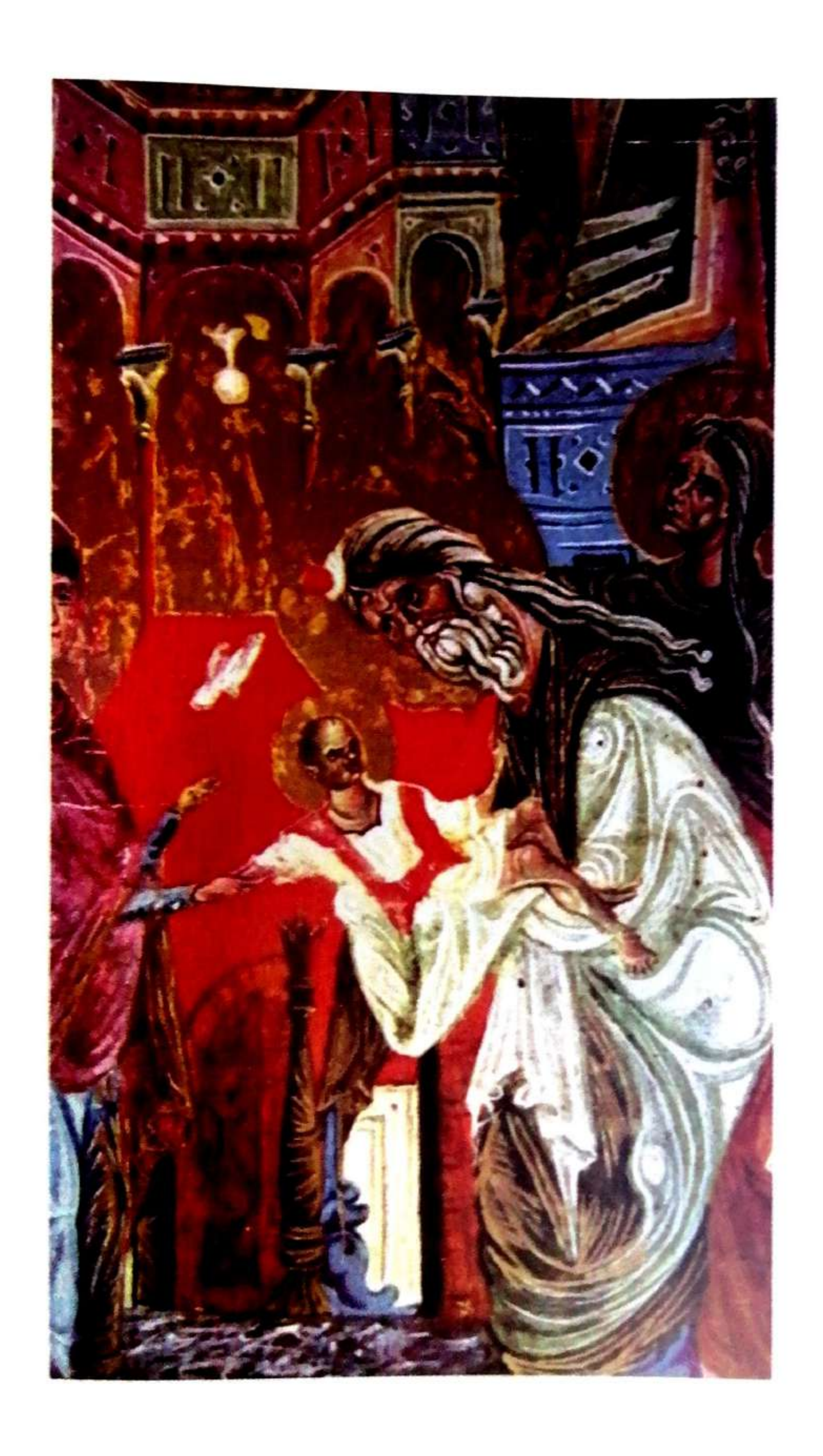

MP
ΘY








التقدمة



الفصل الثالث



الأسماء:

عيد تقدمة ربنا المسيح في الهيكل (وهو الاسم المقبول حالياً). عيد دخول (أو مجيء) ربنا يسوع المسيح إلى الهيكل (وهو الاسم القديم). عيد لقاء المسيح المخلّص بشمعون الشيخ (وهو الاسم البيزنطي القديم). عيد شمعون الشيخ، عيد التطهير، أو عيد التقدمة لتطهير مريم العذراء (وهو اسم من التقليد الغربي). عيد الشموع (التقليد الغربي).

التاريخ:

في ٢ شباط (بحسب طقوس أكثرية الكنائس). في الأحد الثاني بعد الميلاد (عند كنيسة المشرق). في ١٤ شباط (عند الكنيسة الأرمنية).

المصادر:

تك ١٤: ١٧-٢٠ / خر ١٣: ٣-١٥ / لاويين ١٢: ١-٨ / عدد ١٨: ١٥-١٦ / أش ٦: ١-١٣ / ٤٢: ٦-٧ / ملاخي ٣: ١-٤ / مز ٣٨: ١٠ / لو ٢: ٢٢-٣٨ / ١: ٦٧-٧٩ / عبر ١: ٢٤-٢٨.

١- أصل عيد التقدمة

١) يذكر لوقا في إنجيله حدثَين مهمين: طقس تطهير الأم بعد ٤٠ يوماً من الولادة بحسب الشريعة مع تقدمة الحمامتين (لاو ١٢: ٢-٨). طقس تقدمة الابن البكر لله تعالى بعد ٣٠ يوماً بيد الأب، وذلك استذكاراً للخلاص من العبودية عندما ضرب ملاك الموت كل بكر في أرض مصر قديماً (خر ١٣: ١٢-١٥ / عد ١٨: ١٥-١٦).

٢) يرجع أصل هذا العيد إلى أورشليم، ومنها انتشر إلى روما والقسطنطينية. تخبرنا إيجيرية الراهبة الإفرنجية في كتاب رحلاتها في فلسطين سنة ٣٨١-٣٨٤، بإقامة الاحتفالات بهذا العيد في مدينة أورشليم ٤٠ يوماً بعد الميلاد = الدنح، المصادف ١٤ شباط، وكيف كانت جموع المؤمنين كلها تشترك في المسيرة، باحتفال مهيب يشبه الاحتفال بيوم القيامة المجيدة، وكأنه "عيد الأعياد".

بحسب الجدول الأرمني كانت القراءات المقدمة لهذا اليوم: مز ٩٨ / غل ٣: ٢٤-٢٩ / مز ٩٦ / لو ٢: ٢٢-٤٠، وكلها تشدد على فكرة: "ظهور الرب". في الجدول الجيورجي حفظت القراءات من بين القرن الخامس حتى الثامن، ومن كل الوثائق الأورشليمية تتبين أهمية هذا العيد كمراجعة التدبير الخلاصي كله مع الصليب في مركز الاحتفال.

٣) لقد حفظت لنا خطبتان عن "لقاء ربنا..." لهيسيخيوس الأورشليمي (قبل سنة ٤٣١). كان قد ألقاها يوم ١٤ كانون الثاني. وكذلك خطبة لامفيلوقيوس القبدوقي (نحو ٣٤٠/٣٧٤ في أيقونيوم/ + بعد ٣٩٤) عن "لقاء ربنا"، التي ألقاها في ٢ شباط (قارن المخطوطة السريانية المحفوظة في المكتبة الفاتيكانية مرقمة ٣٦٨ من القرن الثامن)، وكذلك الخطب ليعقوب السروجي (٤٥٢/٥١٩ في بطنان /+ ٥٢١)، ولساويريوس الأنطاكي التي ألقاها سنة ٥١٣ تحت عنوان "لذكرى أم الله القديسة".

٤) فيما بعد انتشر هذا العيد المحلي الخاص بكنيسة أورشليم في سائر أرجاء مملكة الروم، وقُبل ضمن طقوس الكنائس أخرى، وعلى الأخص خلال القرن السادس إبان حكم الإمبراطور يوسطينيانوس (٥٢٧-٥٦٥) الذي غيّر تاريخه، وبعد قبول عيد الميلاد، عيّنه في ٢ شباط، وكان ذلك في سنة ٥٤٣. رغم ذلك بقيت الكنيسة الأرمنية محتفظة بالتاريخ القديم للعيد أي ١٤ شباط، إلى أيامنا هذه. ويحكى إنّ الإمبراطور البيزنطي موريسيوس كان يشترك بنفسه، حافي القدمين، في المسيرة الجماهيرية والاحتفالات التي كانت تقام في القسطنطينية سنة ٦٠٢. ولكن هذا العيد لم يُقبل ضمن الأعياد قبل القرن التاسع. وفي القسطنطينية صُرف النظر عن المسيرة مع الشموع وأهملت المسيرة وتركت فيما بعد.

٥) أما في روما فقد تم قبول العيد من المشرق، نحو نهاية القرن الخامس، وذلك عوضاً عن عيد وثني خاص بشهر شباط. ثم جاء البابا سركيس الأول (٦٨٧-٧٠١) السرياني

الأصل، لينظم هذا العيد ويعيّن له الاحتفال مرة أخرى بمسيرة وتطواف مع حمل الشموع، وهنا أصبح العيد أكثر من أي شيء عيداً مريمياً.

"**إننا نحمل الشموع تعبيراً عن طهارة مريم العذراء، لما لطهارتها ونقائها تأثير بالغ على نفوسنا كلنا، وكأننا بحمل الشموع المتقدة نريد أن نقول لمريم: "أيتها العذراء والأم القديسة، الممتلئة نعمة، أنت المباركة بين النساء، المحبول بها بلا دنس، البتول النقية التي ليست بحاجة إلى تطهير، لأنك طاهرة كلياً ومنيرة كلياً**" (الأسطورة الذهبية سنة ١٢٦٠).

ولكن في القرن السابع كانت الشموع ترمز إلى المسيح المخلّص الذي هو نور للأمم كلها، بعد عيد الظهور للرعاة والظهور للمجوس. وفيما بعد، اتخذت بركة الشموع وتوزيعها على المؤمنين أهمية كبرى في الحياة المسيحية، وكذلك كانت المسيرة لجموع المؤمنين وهم يحملون صورة الطفل يسوع إلى الكنيسة.

٦) في كنيسة المشرق، بحسب قول كيوركيس الأربيلي المنحول، لم يُعيّن عيد خاص للبشارة والختانة والدخول، لأنه لم يرد ذكرها في إنجيلي مرقس ويوحنا. أما الكلدان الذين كانوا يتبعون عادة الكنائس الأخرى، فقد رجعوا إلى تقليدهم القديم منذ تجديد طقسهم سنة ١٩٧٠، والآن يُقرأ من إنجيل لوقا ٢: ٢١-٥٢ أثناء القداس في الأحد الثاني بعد عيد الميلاد، كما يرتَّل نشيد خاص عن شمعون الشيخ. لكن أكثر الصلوات الفرضية (قد يرجع تأليفها أو تنقيحها إلى البطريرك يوسف الثاني آل معروف (١٦٦٧/١٦٩٧/١٧١٣)، لا تتكلم إلا عن سر الميلاد المجيد. أما عند السريان، وكما جاء في مخطوطة قديمة، يذكر هذا العيد متعلقاً بذكرى قتل الأطفال.

٢- أفكار وعادات

- الدخول الأول إلى الهيكل هو تعبير عن طاعة ربنا يسوع المسيح، الذي يأتي إلى بيت أبيه ليكمل مشيئته ويقدم نفسه ذبيحة للخلاص. رب الهيكل يدخل بيته ليقدم فيه ذبيحة، ورب الشريعة يحمل نير الشريعة بكل تواضع.

- ظهور الرب لشمعون ولكل الشعوب كنورهم وخلاصهم (أنظر نشيد شمعون)، فيجب على تلاميذ المسيح أن يكونوا مثله نوراً للعالم (متى ٥-٧).

- أهمية الهيكل في حياة ربنا يسوع المسيح بحسب إنجيل لوقا، لأنه في بداية الإنجيل ونهايته يشير إلى "دخول الهيكل". أما شمعون، نبي الهيكل وكاهنه، فيمثل قوة تكريسه كلها. لقد منحت هذه الهبة النبوية والكهنوتية والملكية لموسى، ثم سُلّمت ووصلت الآن إلى شمعون، الممثل الأخير الذي يسلّم الآن هذه القوة للمسيح، رب التكريس. (راجع مار أفرام : "ممرا في ربنا")

- لقاء قلبَين في حب واحد. شمعون يمثل انتظار الشعوب والطفل هو الجواب من قبل الله تعالى. ويحمل شمعون الشيخ بيديه الضعيفتين رجاء العالم، لكن بالحقيقة الطفل هو الذي يحمل الشيخ. وفي الطفل الذي يضمه إلى صدره يجد شمعون الحياة، وفيه ينتصر الشيخ على الموت.

- دور مريم العذراء التي تقدم ابنها لله وللبشر، وما يقصده شمعون في كلامه عن "السيف" إلاّ الحكم على أفكار القلوب. وأما مريم فهي فهمت دور سر شخصية ابنها من خلال اشتراكها في رسالته عندما ضربها "سيف التمييز" و"سيف الحزن"، لكنها ما زالت تثق بالله مهما تكن شدة التجارب.

- "اتركني بسلام..." إنّ القلب الذي يقبل المسيح، يجد سلامه العظيم. وشمعون الشيخ سيذهب بسلام إلى بيت الأموات ليبشر هناك بـ"السلام" أي بمجيء المخلّص الذي يتغلب على الموت.

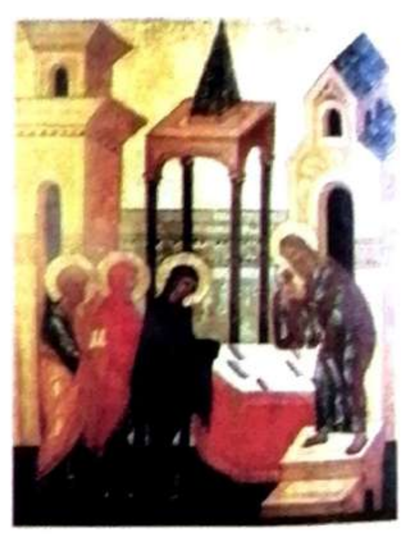
- فيجب على كل مسيحي أن يقبل ربه المسيح وأن يجعله في القلب نوراً ورجاءاً وحياةً وليشرك فيه الآخرين.

صلاة طقسية

أيها الرجاء الذي انتظره الأبرار، واشتهوا أن يروه، وقد دخلت الهيكل قرباناً عن البشر، فرآك شمعون وعرفك وحملك على يديه وباركك. هبنا أن نراك في كل إنسان ونكتشفك في كل حادث. قوِّ ضعفنا وشدد عزيمتنا، حتى نحملك دوماً في قلوبنا. أهّلنا لأن نكون هياكل لسكناك. (الطقس الماروني) **إنّ مريم والدة الإله قد حملت على ساعديها، الراكب على مركبة الشروبيم، والذي تجسّد منها بغير زواج، وسلمتْ معطي الناموس ومتممه إلى يدي الكاهن الشيخ، وهذا لما حمل الحياة، التمس منه العتق من هذه الحياة هاتفاً: الآن أطلقني أيها الرب لكي أبشر آدم، إني قد رأيتُ الإله الأزلي، صائراً بغير استحالة طفلاً مخلّصاً للعالم.** (الطقس البيزنطي)

٣- صورة التقدمة

بحسب ما جاء في إنجيل لوقا، وبحسب فهم هذا العيد من قبل مختلف الكنائس، نستطيع أن نميّز بين المراحل التالية :





١) (١) تطهير مريم العذراء. في الغرب خاصة تعلق الزياح مع "نور" الشموع، بطهارة مريم العذراء، وتوجد صور تقدم فيها مريم، التي تحمل الحمامتين أو بعض النقود لتطهيرها. (٢) تقدمة البكر لله تعالى. في بعض الصور يظهر المذبح في مركز المشهد ويقدم الطفل يسوع فوقه. (٣) دخول (أو مجيء) الرب إلى الهيكل. في بعض الصور تحمل مريم العذراء طفلها لتقدمه. (٤) لقاء المسيح المنتصر بشمعون الشيخ. بعض الصور تركز على شمعون الذي يقبل الطفل بكل حنان ويحمله بحب عميق.

٢) صورة التقدمة وتعبّر هذه الصورة مثل أهم النماذج القديمة عن علاقة الأشخاص بالطفل المبارك: (١) مريم تحمل طفلها (في النموذج القديم، منذ القرن الخامس) والطفل يمد يديه إلى شمعون الشيخ الذي يتقدم مع منديل على يديه لاستقبال الطفل. (٢) مريم وشمعون يحملان معاً الطفل ليقدمانه سوية فوق المذبح (منذ القرن التاسع). شمعون كأنه الكاهن، يحمل الطفل ليقدمه لله تعالى. وهو النموذج المقبول في الشرق منذ القرن الحادي عشر.

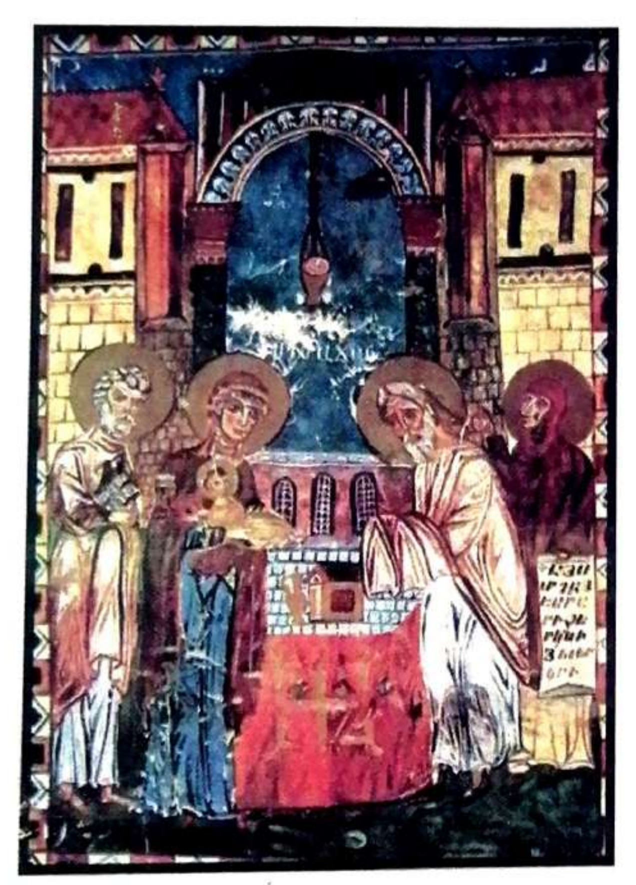
في الصورة المأخوذة من المخطوطة الفاتيكانية السريانية (مرقمة ٥٥٩ لسنة ١٢٢٠)، نرى ٤ أشخاص أمام بناية الهيكل، شمعون وحنة من الجهة اليمنى ومن الجهة اليسرى مريم ويوسف. في الوسط فوق المذبح مع الكتاب المقدس، يقدم ربنا يسوع المسيح قرباناً لله تعالى، بيد شمعون الشيخ، الذي يلتقي به أخيراً بعد انتظاره الطويل، وباشتياق وحنان ينظر إلى الطفل المخلّص الذي يحمله على ذراعيه، ويسجد له قائلاً: "أطلق الآن عبدك بسلام، فقد رأت عيناي الخلاص... ونور الأمم". فصورة "دخول المسيح إلى الهيكل" تعبّر في مركزها عن لقاء شمعون الشيخ بالمخلّص المنتظر. ومريم مقابله، تسمع كلام شمعون عن الطفل وتتأمل فيه، ويدها اليسرى تعبّر عن الحزن بقول الشيخ لها: "سينفذ سيف في قلبك...". ويُسرع مار يوسف ليكمل ما فرضته الشريعة بتقديم الحمامتين لله تعالى. وتقابله امرأة هي حنة النبية التي تشترك مع شمعون بالكلام وبيدها ملف مفتوح وفي بعض الصور تظهر الكتابة: "إنّ يسوع المسيح هو رب السموات والأرض".





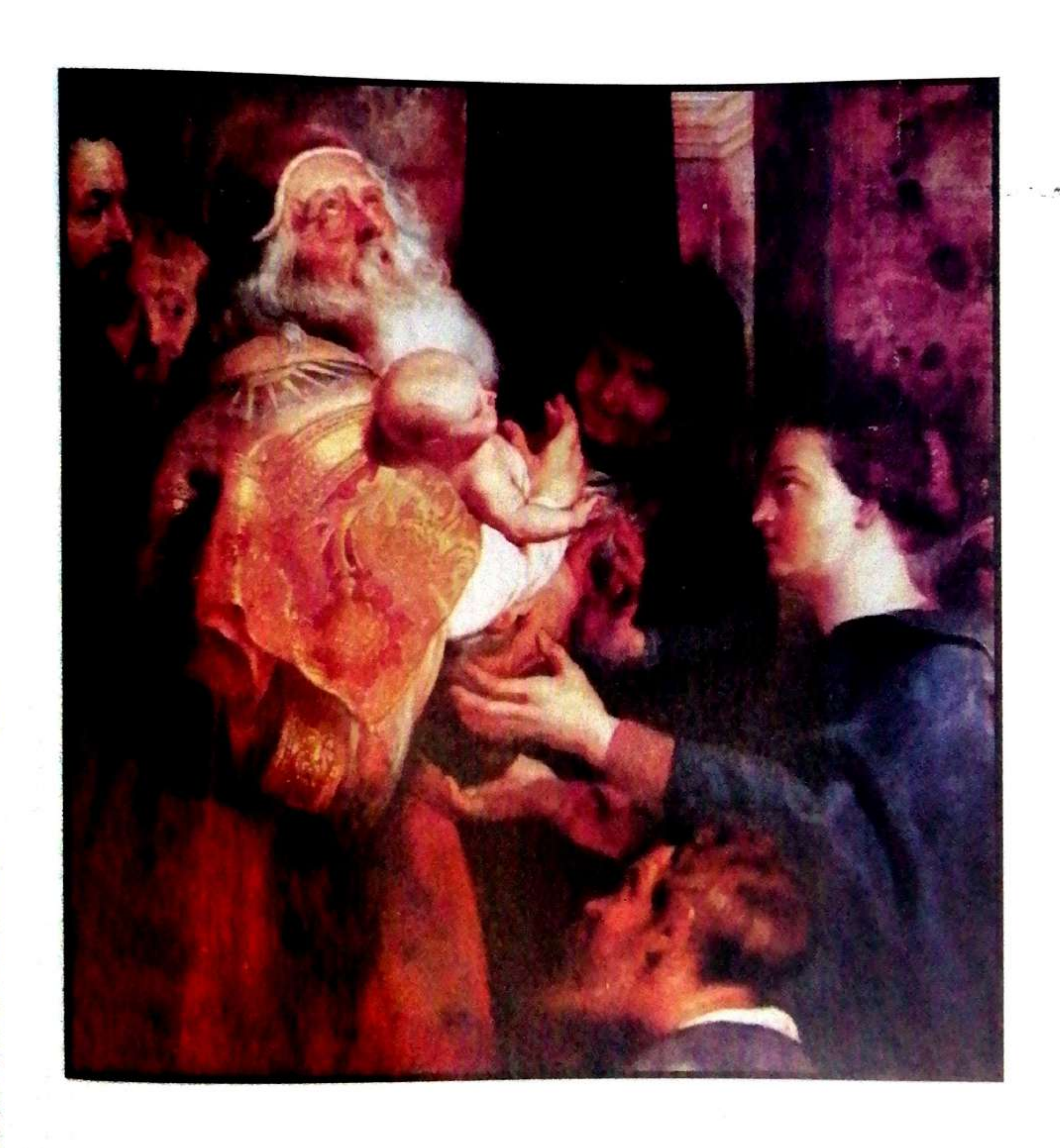


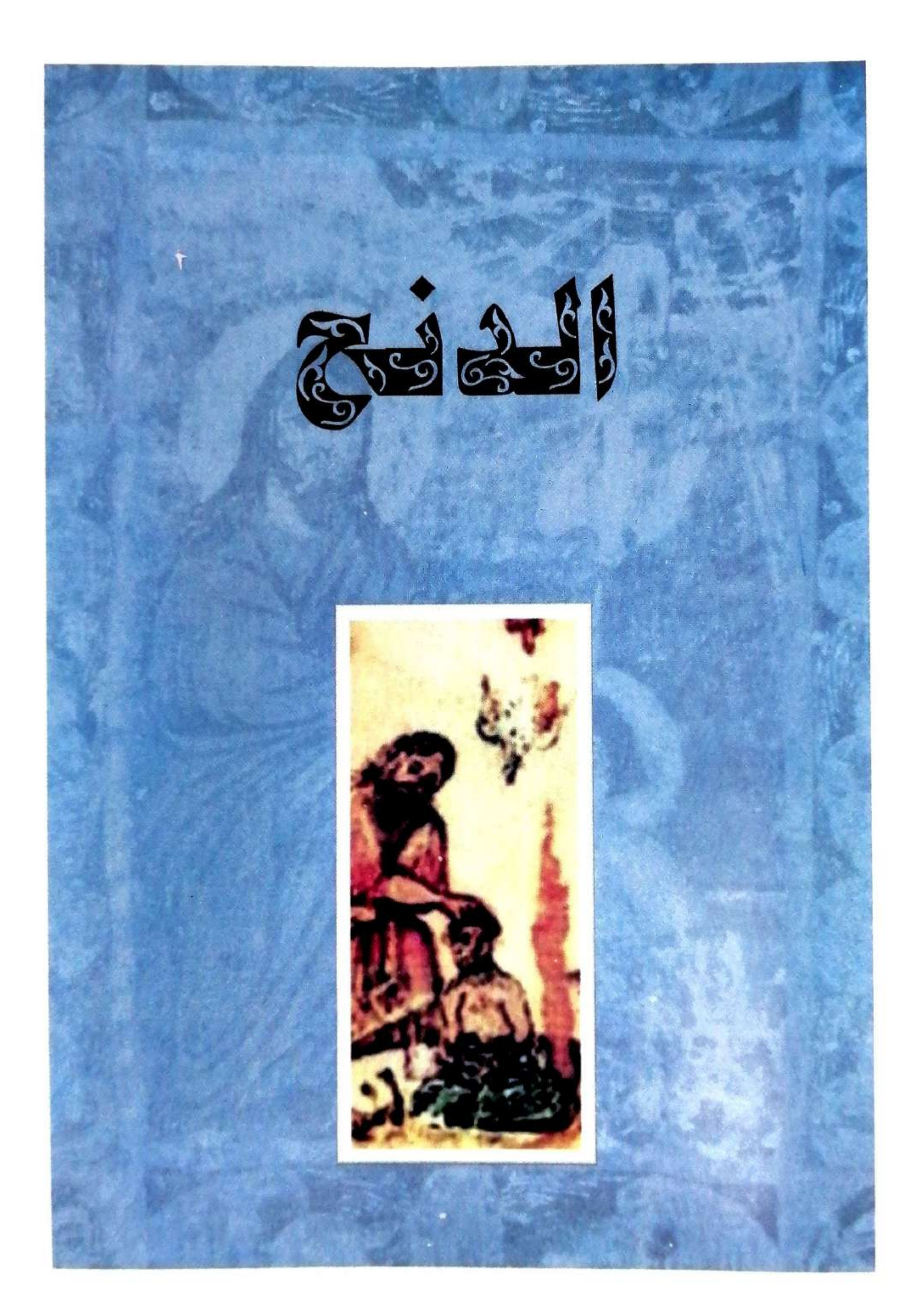







ΠΑΝΤΗ




الدنح



الفصل الرابع



الدنح

الأسماء:

عيد الظهور الإلهي. عيد ظهور ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح المقدس.

عيد الغطاس. عيد عماد ربنا يسوع المسيح في نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان.

عيد (تكريس) المياه. عيد التنوير. عيد الملوك الثلاثة (بحسب التقليد الغربي).

التاريخ:

في ٦ كانون الثاني

المصادر:

تك ١: ١-١٣ / خر ١٤: ٢١-٣١ / يشوع ٣: ١١-١٧، أش ١: ١٦-٢٠ / ١١: ١-٥ / ٤٠: ٥ / ٤٢: ١-٧ / ٦٠: ١-٦، مز ٢: ٧ / ٢٩ / ٧٢ / ٧٤: ١٣، متى ٣: ١-١٧ / مر ١: ١-١٣ / لو ٣: ٢١-٢٢، يو ١: ١٩-٣٤ / ٢-٣، ٢ طم ١: ١٠ / طط ٢: ١١-١٤ / ٣: ٤-٧ / روم ٦: ١-١١ / أف ٣: ٢-٦ / رؤيا ٧: ١٤.

١- أصل عيد الدنح (الظهور)

يظهر من كتاب لأقليمس الإسكندري نحو سنة ٢٠٢ أن المسيحيين في الإسكندرية كانوا يعيدون عيد الظهور الإلهي من خلال الميلاد والعماد، في يوم ٦ كانون الثاني. ومن المحتمل أن هذا التاريخ كان معروفاً منذ بداية القرن الثاني في مصر وفي أفسس. لأن جماعة المسيحيين "المدافعين عن تاريخ الفصح في ١٤ نيسان" كانوا يستعملون تقويماً شمسياً خاصاً يحدد تاريخ الفصح (القمري) في ٦ كانون الثاني (الشمسي). فمن ثم العلاقة بين

العيدين، واعتبر يوم ٦ كانون الثاني كبداية السنة الجديدة، وأخذت الكنيسة في طقوسها تقرأ القراءات الإنجيلية من بداية إنجيل مرقس الذي هو شفيع المدينة.

حُفظت لنا (مجموعة) أناشيد سريانية منسوبة إلى مار أفرام، يقدم فيها عيد الدنح كأنه عيد خاص للعماد. ولو أن مار أفرام نفسه لم يذكر حفلة العماد في أناشيده عن الميلاد (في يوم ٦ كانون الثاني).

ومار يوحنا الذهبي الفم يذكر في خطبته عن الدنح نحو سنة ٣٨٦ تبريك المياه في أنطاكيا. ومنذ القرن الرابع جرى احتفال تبريك مياه نهر الأردن في يوم ٦ كانون الثاني. وقد حفظت رتبة تبريك المياه في أكثرية الكنائس الشرقية، ما عدا كنيسة المشرق. وخاصة بعدما قُبل في المشرق عيد الميلاد الغربي (٢٥ كانون الأول)، أصبح عيد الدنح (الظهور) عيداً للعماد، عماد ربنا يسوع المسيح. وعماد المؤمنين على السواء.

أما الكنيسة الأرمنية التي لم تقبل عيد الميلاد بحسب التقويم الغربي، فانها تذكر في يوم ٦ كانون الثاني، عيد ميلاد المسيح والسجود من قبل المجوس، وعماد الرب.

وفي روما قبلت الكنيسة عيد الدنح في نهاية القرن الرابع وتذكر فيه ظهور الرب للأمم، والسجود من قبل ممثليها الملوك الثلاثة.

٢- بعض الافكار

– معنى مفهوم "الظهور" (الدنح) لا يظهر إلا من علاقته بالتدبير الخلاصي، كما قدمه نرساي، معلم مدرسة نصيبين (٥٠٧)، في ميامره حيث يفسر كيف ظهر الله تعالى قديماً في العهد القديم، ثم في الجديد بشخص يسوع الناصري، بحياته وموته، وكيف ظهر سر الثالوث الأقدس من جوهر هذا الإنسان، عندما كان يقف في مياه نهر الأردن، أو لما كان يستريح في جوف الأرض في حديقة القيامة. (قارن بداية الرسالة إلى العبرانيين وإنجيل يوحنا).

وفي بداية رسالته يظهر المسيح بأنه هو المبشر الحقيقي الجوهري "كلمة الله المتجسد". إنه النبي الجديد الذي مسحه الله الآب بامتلاء روحه، انه الابن الحبيب.

– "عيد التنوير" كان اسم خاص لعيد الدنح، لأن المسيح هو نور العالم، وكان المعمدون يدعون بـ"أبناء النور". والجدير بالذكر بأن الإنجيل القديم المستعمل في الكنائس الشرقية

(إلى القرن الخامس) المسمى باسم يوناني "الدياطسرون" (الإنجيل المختلط الذي وضعه ططيانوس نحو سنة ١٧٥)، وفي هذا الإنجيل يورد ذكرى النور العظيم (أو النار)، الذي أشرق على مياه نهر الأردن، وقت عماد ربنا يسوع المسيح.

– معنى الماء الذي يشربه الإنسان والنبات لأنه قوة للحياة، أو الماء الذي يغسل الوجود من وجه الأرض لأنه أيضاً قوة للهلاك. نقطة الماء الضعيفة الجميلة، وقوة البحار أو الماء المجتمعة في سد... فيرمز الماء إلى بدء الولادة الجديدة ومنح الحياة الحقيقية، كما يرمز أيضاً إلى التطهير والتنقية من الشر والخطيئة العتيقة... قارن في الكتاب المقدس الروح القدس الذي يرفرف على المياه، وقصة الطوفان، وعبور البحر، وشفاء نعمان في نهر الأردن، وإنجيل يوحنا ٤/٧: ٣٧-٣٩ / ٩: ٧ / ١٩: ٣٤...إلخ. وخلال وعد العماد يقول المؤمن إنه يرفض الشر ويكفر به، وإنه يؤمن بالمسيح ويلتزم ويقتدي به.

– خلال عيد الدنح جرى قديماً تبريك المياه – مياه النهر أو العين القريبة من الكنيسة – عند غطس صليب خشبي في المياه، بحسب خر ١٥: ١٥.

حالياً يتم تبريك الماء خلال ليلة العيد (أو في بداية القداس) احتفالياً، ذلك لأن ربنا يسوع المسيح قد قدّس كل المياه بنزوله في نهر الأردن، وطهّر الكون وحضّر الخليقة الجديدة "من خلال الماء والروح القدس" لأنه آدم الثاني، الذي يحمل خطايا آدم الأول (الإنسان) ويغسله ويجدده في مياه الغفران. وخاصة بعدما أصبح الدنح عيداً للعماد كان تبريك الماء شيئاً ضرورياً.

– في بعض المناطق يأخذ المؤمنون قليلاً من الماء المقدس من الكنيسة إلى بيوتهم، أو يزور الكاهن البيوت ويرش البيوت والحقول بالماء المقدس.

– في ليلة الدنح، بحسب قصة لبنانية، يمر المسيح ويزور البيوت والحقول ليبارك عليها بكلمة "دائم" ولهذا السبب ترى الناس، خلال هذه الليلة، يعملون أعمال صالحة، ويصلون ويركعون حتى منتصف الليل.

– بحسب التقليد (كنيسة المشرق) تنسب إلى البطريرك يوحنا الأول (أبو السدرات السرياني (٦٤٨)؟)، صلاة تبريك الماء في ليلة عيد الدنح. وقد ألّف ماروثا مطرفوليط

تكريت (٦٢٨-٦٤٩) موعظة لتبريك الماء، وصلاة لتبريك الماء مستعملة عند كنيسة أنطاكيا للسريان والكنيسة البيزنطية:

"عظيم أنت يا رب وأعمالك عجيبة جداً... أنت الذي بسط السماء كالخيمة، وجعل الأرض على الماء أنت الذي حبس البحر كالرمل، وجعل الهواء للاستنشاق...أنت الذي قدس نهر الأردن، وجلب من السماء روحه القدوس باعتماده، سحق رأس التنين الغائص في المياه. فانت إذاً أيها الرب المحب للبشر بارك هذا الماء بحلول روحك القدوس..."

صلاة طقسية

اليوم ظهر نور الآب في مياه الأردن، فأخذ السماوات والأرض العجب، عندما صب يوحنا الماء عليه.

اليوم جاء صوت الآب يقول، هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، ورفرف الروح القدس فوق رأس الابن.

ان الأردن هاب حضورك بالجسد فتراجع خوفاً، ويوحنا ارتد مرتجفاً عند الخدمة النبوية، وصفوف الملائكة دهشت لما شاهدتك ممتداً، بالجسد في الأنهار (المياه)، وجميع الذين في الظلام استناروا، مسبحين إياك يا من ظهر وأنار البرايا كلها. (الطقس البيزنطي)

لما حنيت هامك للسابق (يوحنا)، سحقت رؤوس التنانين، واذ انتصبت في النهر, أنرت الخلائق كلها. يا إلهاً من إله ونوراً من نور، أشرق بنورك على الجالسين في الظلمة، وفرح قلوبنا بظهورك. يا يسوع نور العالم الذي أظهرت لنا، الآب والروح مشهداً لك من السماء، طهّرنا بحلولك القدوس، وأنرنا بمعرفتك الحقيقية. (الطقس الماروني)

الميلاد في المذود والميلاد في المياه

في العيد الأول قبلت الخليقة الخالق من بطن البتول، في عيد اليوم تقبل العريس العروس من بطن العماد. في العيد الأول ظهر من الحشى وفي الثاني يظهر من العماد.

في الولادة الأولى ولدته البتول، واليوم ولده العماد. اليوم قبلته بطن المياه بدلاً من بطن الآم.

بدلاً من ذراعي العذراء تقبله أمواج الأردن. بدلاً من الركبتين اليوم تحمله سيول النهر.

بدلاً من القمط تلفه المبللة، الطفل الذي سكن ضمن الحشى ليقدس المولودين الجدد.

اليوم يفتح العماد ليقدس كل المولودين منه.

بدلاً من المغارة حيث ولد، اليوم يقبله الأردن رباً قادراً.

بدلاً من المذود الذي قبله طفلاً، تقبله الأردن بالغاً فاهماً.

هناك حرس يوسف على طفولته، هنا يحترمه يوحنا بن زكريا.

هناك مجد الملائكة ولادته، هنا يصرخ الآب من السماء هو ابني الحبيب.

في العيد الأول ولد المسيح من البطن بحسب الطبيعة،

في العيد اليوم أتى ليولد من البطن بحسب النعمة.

تغيرات عجيبة تظهر لنا في دنح مخلّصاً، اليوم في الأردن يظهر لنا ابن الله الوحيد.

اليوم أتى القديس ليقدس لنا المياه للغفران،

اليوم يأتي ليحضر بطن الولادة الثانية للخليقة كلها.

إن عيد الميلاد مجيد وهو في مقدمة أعياد الكنيسة، وعيد الدنح عجيب عظيم وهو عيد عماد مخلّصنا. حيث ظهر المخفي وأصبح معروفاً غير المدرك، ظهر ضوء الجوهر الإلهي وأشرقت شمس العدل. وصعدت من نهر الأردن ونشرت أشعتها، إلى كل الجهات،

نوّر العالم، وسطوع نوره بدد الظلام من العالم، والخليقة كلها فرحت بظهور النور المقدس

(ممرا سرياني – القرن الخامس)

٣ـ صورة عيد الدنح

١) الصورة القديمة

منذ القرن الثاني حفظت لنا صور ورسومات جدارية تعبّر عن العماد، أو بواسطة رموز (السمك، صياد السمك، المرساة، الأنهار الأربعة...)، أو بمشاهد من العهد القديم (فلك نوح، الحوادث من سفر الخروج، قصة يونان...)، أو بأمثلة من العهد الجديد (الراعي الصالح، شفاء المقعد، السامرية، شفاء الأعمى، سفينة الرسل وسير المسيح على مياه البحر، غسل الأرجل...)، وتظهر مثل هذه الرسومات المشابهة في الغرب (داميس روما...) وفي الشرق (في بيت الصلاة الواقع على نهر الفرات في قرية دورا أوروبوس...).

من هذه الفترة القديمة حُفظت لنا في الغرب، صور عن العماد، تعبّر عن ثقة المؤمنين بالخلاص الذي قبلوه من مياه العماد. وعادة نرى فيها يوحنا المعمدان بشكل خطيب فيلسوف، مرتدياً رداء المعلم وحاملاً ملف الحكمة والمعرفة الحقيقية. وواضعاً يده على رأس المعمد الذي عادةً يصوره لنا بهيئة صبي عريان (في المياه)، فينحني المعمدان، وهو يتقدم نحو المعمد، رافعاً رجله الأولى لتستند قدمه على حجرة بجانب النهر لتمكنه من القيام بالعماد. هل تُذكِّرنا هذه الحجرة بالمنطقة التاريخية على شواطئ نهر الأردن (قارن يو ١: ٢٨)؟ أتشير إلى تلك الحجرة التي عليها صعد إيليا إلى السماء (قارن ٢مل ٢ وتفسير أوريجانوس ٢٥٤)؟

وغالباً ما تظهر في صورة العماد حمامة نازلة من السماء على رأس يسوع في خط مستقيم مع يد المعمدان رمزاً وتعبيراً عن حضور قوة الروح القدس في حركة التكريس. في القرن الخامس والسادس أُضيف عناصر أخرى إلى الصورة البسيطة الأولى. نذكر منها الملائكة وهم يحملون ثياب المسيح أو كأنهم يقدمون له الثياب السماوية الجديدة، أو يحضرون لخدمة الاستقبال بحركة طقسية لقبول المعمدين الصاعدين من بركة العماد. ثم الشمس والقمر في ركني السماء كتعبير عن عظمة المسيح رب الأكوان. وكذلك يد الله الآب التي تظهر من وسط السماء في أعلى الصورة (ويمثله شخص صغير في صورة من القرن الحادي عشر والثاني عشر). ثم تلاميذ المعمدان بحسب إنجيل يوحنا ١.






وفي المياه التي تغطي جسد المسيح حتى منتصفه. نرى أيضاً تعبيراً رمزياً على هيئة شخص أسطوري يمثّل البحر أو روح (إله) النهر. ونلاحظ هذا الشخص الأسطوري متعجباً ومندهشاً من الحادث العظيم الذي يتم في مياهه المقدمة للتقديس. وفيما بعد تطورت هذه الصورة الأسطورية لتعبّر عن خطر المياه وتنانين البحر، وفي ضوء نصوص المزامير (٧٧: ١١٤/١٧ :٣-٥)، يصور لنا المتمثل بذلك الشخص الأسطوري هارباً من المسيح. "أبصرتك المياه يا الله، أبصرتك المياه ففزعت... ما لك أيها البحر، تهرب؟ وأنت أيها الأردن ترجع إلى الوراء؟" ثم يقارن نزول المسيح في مياه الأردن بنزوله إلى الجحيم حيث تغلب على الشياطين (قارن روم ٦).

وعلى أساس هذه الفكرة، يُقدَّم المسيح في النهر وهو يطأ ويسحق بقدميه الارواح النجسة الشريرة (مز ٧٤: ١٣). ولكن منذ القرن التاسع والقرن العاشر، يظهر لنا ربنا يسوع المسيح في الماء وهو يبارك النهر المتمثل بشخص أسطوري، الذي يسجد للمسيح خاشعاً. وفي نفس الفترة تصوَّر أحياناً بعض الأسماك، وهي ترافق النهر، ومن المحتمل أن هذه الأسماك ترمز إلى المعمّدين الجدد.

ولقد كان ربنا يسوع المسيح يبارك المياه، ليمنح ويهب لها القوة في تحقيق الغفران للذنوب والخطايا، والولادة للحياة الإلهية.







٢) الصورة الغربية

ونحو القرن الرابع تغيّر طقس العماد في الغرب. فبدلاً من تغطيس المعمد في الماء، يسكب قليل من الماء على رأس المعمد بدون غمسه فيه. والحركة القديمة "وضع اليد على رأس المعمد"، حركة البركة التقديسية، فقدت أهميتها، عندما يصب الماء فوق رأس المعمد بنوع من الصدفة... وهذا التغيير الطقسي أثّر على تشكيل صورة عماد المسيح (خاصة منذ سنة ١٣٣٠ صورة منحوتة لأندريا بيزانوا). وفي ذلك الوقت أيضاً يشدد أكثر فأكثر على حضور الثالوث الأقدس في صورة العماد الغربية.





٣) الصورة الشرقية

في القديم، لم يظهر أو يشاهد أي اختلاف بين الصورة الشرقية لعماد ربنا يسوع المسيح وعنها في الغرب. ففي بيت العماد في مدينة رافينا (شمالي إيطاليا) الذي أقيم بناؤه على شكل مثمن، يظهر في قبة البناء التي تعلو بركة المياه، مشهد رائع جداً، نرى فيه الرسل الإثني عشر ذاهبين في مسيرة سماوية، نحو الكرسي الإلهي، وهم يحملون أكاليل استشهادهم وانتصارهم (قارن متى ٢٨: ١٩). وفي مركز دائرة الرسل نرى أقدم تشكيل من الفسيفساء يعبّر عن عماد ربنا المسيح، ونرى في وسط الصورة ، تحت رمز الحمامة، صورة ربنا

يسوع المسيح، شاباً وسيماً، واقفاً في النهر، تحيطه المياه حتى منتصف جسمه، كتعبير عن الولادة الجديدة للملكوت، وفي الماء يجلس شيخ هرم يمثل روح نهر الأردن.

هنا في هذه الصورة عُرض سر العماد بكل عمقه اللاهوتي وليس تقديم عن الثالوث الأقدس فقط. فانفتاح السماء فوق جرن العماد يكشف لنا عن رؤيا سماوية يمكننا أن نراها رؤية حقيقية بفضل سر العماد الذي يمنحنا الحياة الجديدة التي لن تفسد، ويدخلنا إلى عالم لا يقدر عليه الموت أو الشر. إن العماد يمكّننا من رؤية ونيل الخلاص الأبدي من الآن.

لقد وقف ربنا المسيح الجميل في وسط المياه حتى كتفيه كما في القبر، الابن الحبيب في المياه ليقدسها ويملأوها من روحه... والمعمدان يخاف من أن يلمس رأسه الإلهي... الملائكة يحضرون ليمسحوا جسمه الطهور، وليخدموه، ويخضعوا له ساجدين...

ثم يأتي القرن العاشر لتضاف عناصر أخرى للصورة القديمة، كما يظهر مثلاً في فسيفساء الكنيسة الكبيرة لدير القديس لوقا (في اليونان)، وبحسب كرازة يوحنا المعمدان تظهر الفأس إلى جنب الشجرة.

وكل هذه الصور تشدد أكثر على ظهور جوهر المسيح الإلهي المتعلق بالثالوث الأقدس.

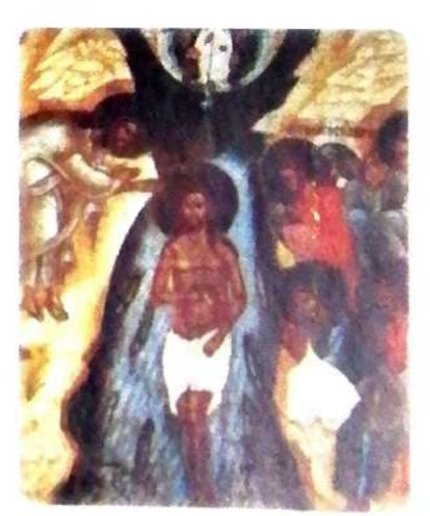
وهكذا نرى في خط أفقي في وسط الصورة: يد الله الآب التي تشير إلى الابن من السماء المنشقة، ثم الروح القدس الذي يرفرف كالحمامة فوق رأس المسيح، والابن تلفه الأمواج كالأقماط، واقفاً بين يوحنا المعمدان والملائكة الذين يخدمونه باندهاش واحترام، ومن المسيح نفسه، كما من الحمامة، ينبعث وينطلق نور قوي عميق يضيء وجه المياه فتتلألأ (قارن التقليد الشرقي الذي يعود إلى يوسطينوس (١٦٥) وططيانوس (١٧٥).

وفي بعض الصور اليونانية من القرن ١٠-١٣، نرى صليباً مرفوعاً في الماء على قاعدة عمودية، كناية عن الصليب الحقيقي القائم في نهر الأردن خلال تلك الفترة من الزمن، ويتعلق ذلك أيضاً بطقس غطس الصليب في الماء المقدس (ليلة) عيد الدنح بحسب طقوس الكنائس الشرقية.

وفيما بعد كثر عدد الأشخاص في المياه وفي ما حولها، ثم أضيفت مشاهد أخرى تتعلق بصورة العماد ذاتها، وكلها تعبّر عن تسلسل الاحداث والأخبار الإنجيلية (كرازة يوحنا المعمدان، مجيء ربنا يسوع المسيح إليه، عماد التلاميذ، الخ).

أما الصورة المأخوذة من المخطوطة الفاتيكانية السريانية مرقمة ٥٥٩ (لسنة ١٢٢٠)، فترجع إلى صورة تعتبر من أجمل الصور المأخوذة من التقليد السرياني القديم. في هذه الصورة نرى يوحنا المعمدان يتقدم من الجهة اليمنى (بحسب طريقة الكتابة السريانية من اليمين إلى اليسار كما ذكرنا سابقاً)، والسماء الواسعة في الأعلى، على شكل قطعة دائرية بثلاث طبقات من اللون الأزرق الذي يزداد غماقةً كلما اقتربنا نحو المركز، وتمثل اليد الكبيرة (صوت) الآب الذي يأتي من السماء المفتوحة، مشيرة إلى ابنه الحبيب (في الصورة القديمة تمثل اليد الكبيرة السماوية، الله الآب). والروح القدس نازلاً من السماء على شكل حمامة، ليشهد بأنه الابن المسيح وليمسحه بالقوة النبوية. في بعض الأحيان تنبعث في الصورة أشعة نازلة من الأعلى على الحمامة، ومنها على رأس ربنا يسوع المسيح. في الأسفل، (الطبقة الأرضية من الصورة) يجري نهر الأردن من أعلى يمين الصورة إلى وسطها وكأنه يشكل كهفاً يحتوي جسد المسيح. ونجد على ضفتي النهر شريطاً من الأعشاب الخضراء مع ورود حمراء، وفي ماء النهر نرى عدداً من الأسماك والحنكليس والسرطان... التي قد تمثل ارواح النهر (اشتراك الطبيعة كلها في التجديد...)، أو الشياطين والموت.

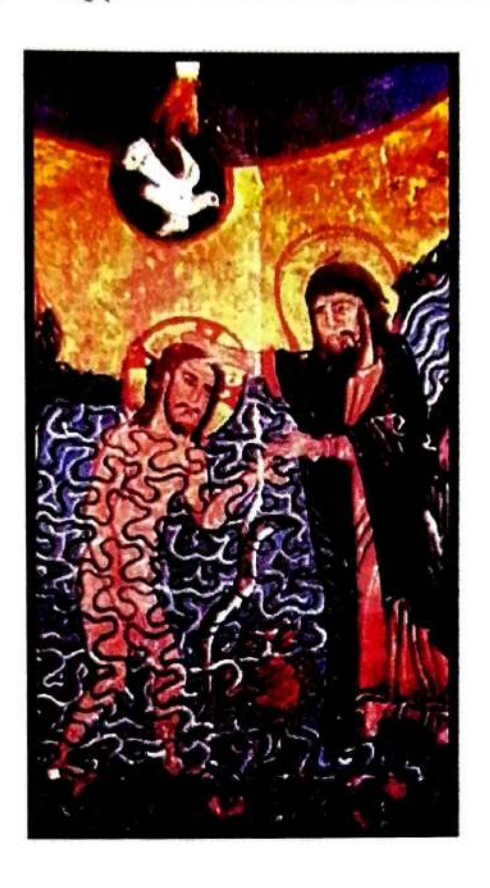
من اليمين نرى منطقة جبلية صحراوية، مع الشجرة والفأس على ساقها، بحسب كرازة يوحنا عن الديان الآتي قريباً، ويوحنا المعمدان يقترب منه ويضع يده على رأس المسيح، سمة للتقديس الكهنوتي والنبوي والملكي (بحسب مار أفرام). إنّ يوحنا، الشاهد العظيم (أنظر يو ١) بلحيته الطويلة وبملابس الواعظ الخطيب (بالدينونة)، ويشهد بيده اليسرى أن: "هذا هو حمل الله... الذي عليه نزل الروح القدس".



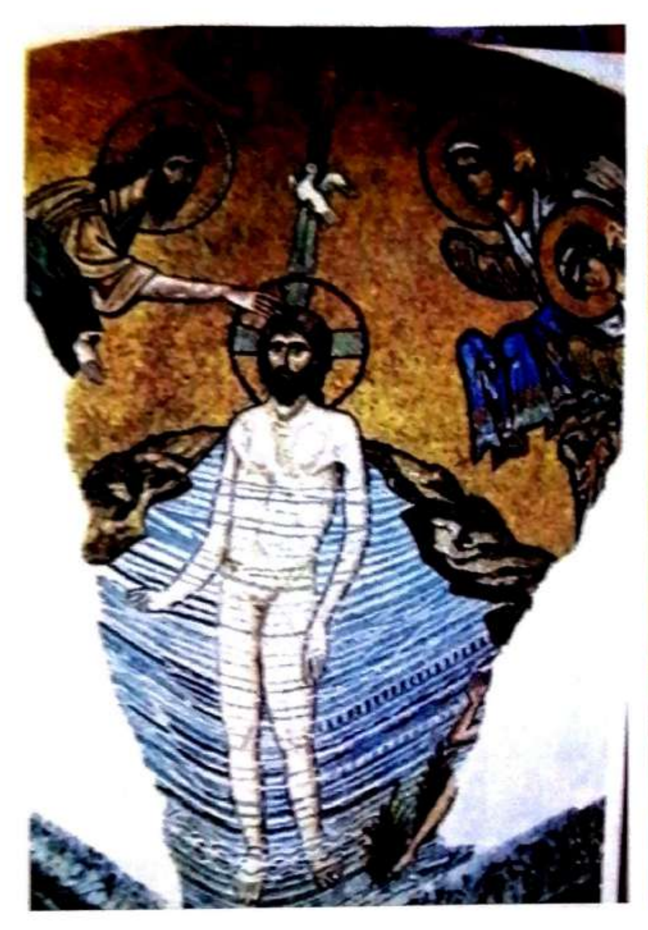






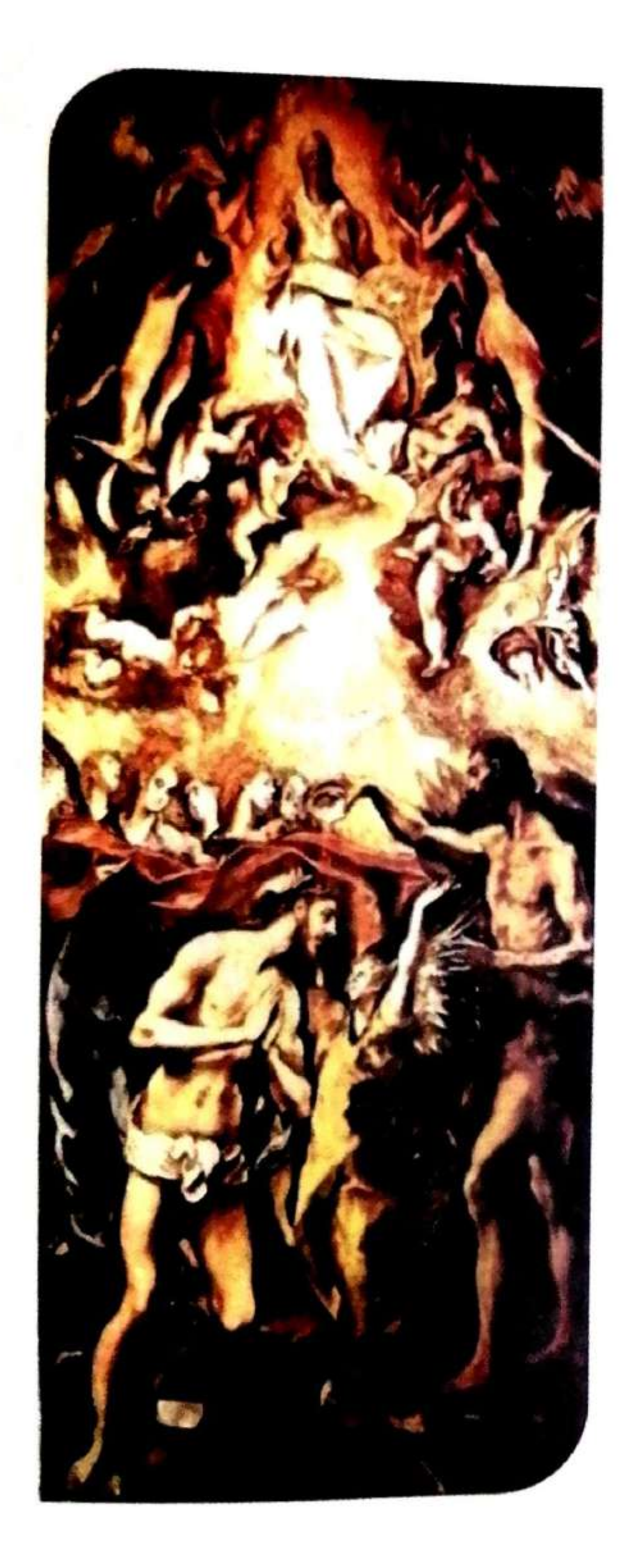














صوم الباعوثا

منذ القديم كانت كنيسة المشرق تهتم كثيراً بالصوم وبحفظ الصيام، وخاصة تحت تأثير ونفوذ الحركة الرهبنية العظيمة، حيث كَثُرَت وتعددت الفترات الخاصة بالصوم، ويمكننا أن نذكر منها – ما عدا أيام الأربعاء والجمعة – "الصوم الكبير" (الخمسيني مع أيام السبت والآحاد)، "صوم الرسل" (من يوم الإثنين بعد العنصرة إلى عيد الرسل الذي هو بداية فترة الصيف)، "صوم انتقال مريم العذراء" (تحضيراً لعيد الانتقال)، "صوم إيليا" أو "صوم الصليب" (من بداية فترة إيليا إلى الجمعة السابعة من هذه الفترة)، "صوم الميلاد" أو "صوم البشارة" (من بداية فترة البشارة إلى عيد الميلاد).

وإضافة إلى الفترات السابقة كانت كنيسة المشرق تحفظ فترات قصيرة مكرسة للصوم والطلبات منذ الأيام القديمة، يرجع أصلها إلى حادث مفجع أو إلى كارثة طبيعية عظيمة... حينما قام المؤمنون بالصوم والصلاة لينجوا منها، وتدعى هذه الأيام باسم سرياني "الباعوثا" (الطلبة، الدعاء)، ونذكر في هذا المجال:

- "باعوثة مار زيعا" من الإثنين الذي يلي الأحد الثاني بعد عيد الميلاد لمدة ثلاثة أيام، وكان مار زيعا أو زيا، ناسكاً فلسطينياً عاش ٤٠ سنة في المناطق الشمالية.
- "باعوثة العذارى" (البتولات) التي تقع في الإثنين الأول الذي يلي عيد الدنح لمدة ثلاثة أيام، والتي ترجع إلى القرن السابع إلى عهد الجاثليق حنانيشوع الأول الأعرج (٦٨٥-٧٠٠) عندما خلّص الرب بعض البتولات من السيف...
- "باعوثة نينوى" التي تصادف الإثنين الثالث السابق للصوم الكبير وتدوم أيضاً ثلاثة أيام، ويرجع أصلها – بحسب كتاب المجدل والحوذرا – إلى عهد الجاثليق حزقيال (٥٧٠-٥٨١) عندما حلَّ على البلد "الطاعون المسمى الشرعوط وعلامته كانت أن يظهر في كف الإنسان ثلاثة نقاط سوداء وفي حال ما يبصرها يموت حتى خلت مدن كثيرة وقرى كثيرة من الناس. فاتفق أسقف نينوى على عمل الباعوث... ليصوموا ويصلوا ثلاثة أيام أولها يوم الإثنين الذي قبل الصوم الكبير بعشرين يوم ويطلبون من الله أن يرحمهم ويقبل سؤالهم (باعوثة) مثلما قبل من أهل نينوى ويرفع الموت عن خلقه وأن يكون صيام هذه الأيام الثلاثة مؤبداً طول الزمان"... وفعلاً حتى في أيامنا هذه ما زال المؤمنون يحفظون هذا الصوم وتزدحم الكنائس أشد الأزدحام في هذا اليوم.

وهنا ترتيب الصلوات والطلبات الخاصة الرائعة التي تقام من الصباح إلى منتصف النهار:

(١) الجلسة الأولى (موثوا):

(أ) قسم من المزامير (هولالا ١-١٣) مع قلثا.

(ب) عونيثا (أبيات من الشعر الكنسي...).

(ت) قسم القراءات هفاكثا (جواب)، قراءة (ميمر)، مدراشا (نشيد) - قراءة، مدراشا.

(ث) الطلبات مع الركوع.

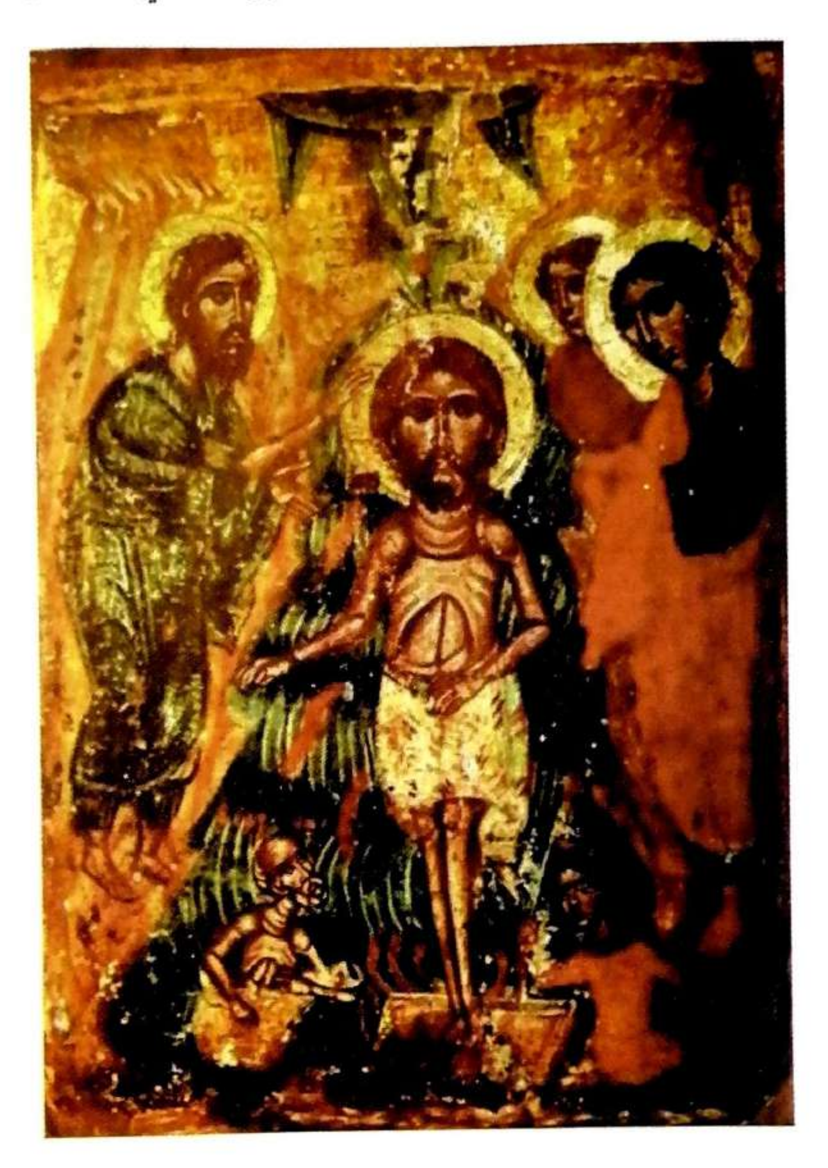
(٢) المسيرة من " قدس الأقداس " إلى " البيم " مع عونيثا (٢).

(٣) الجلسة الثانية: على نفس الترتيب.

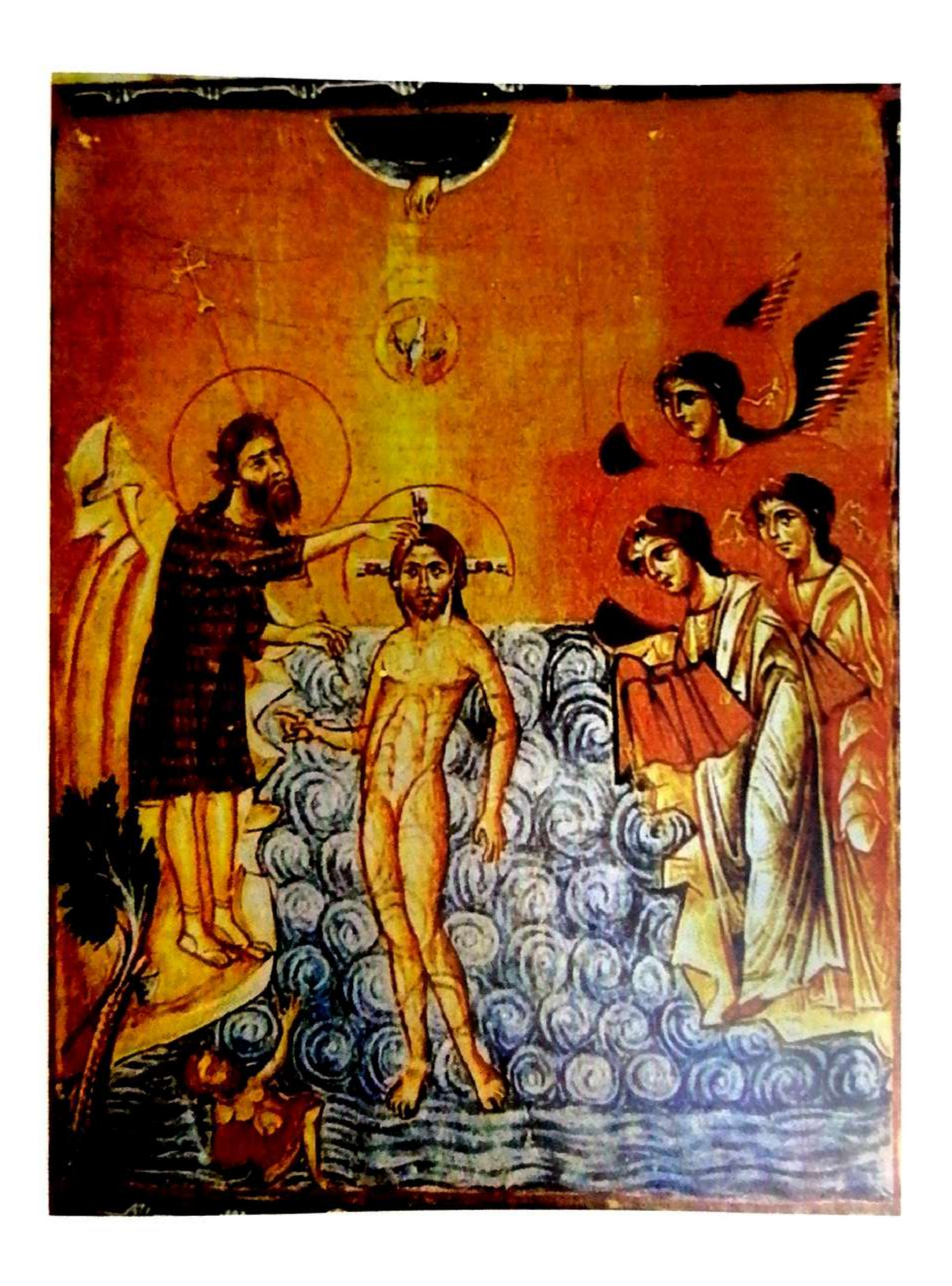
(٤) القداس الإلهي.

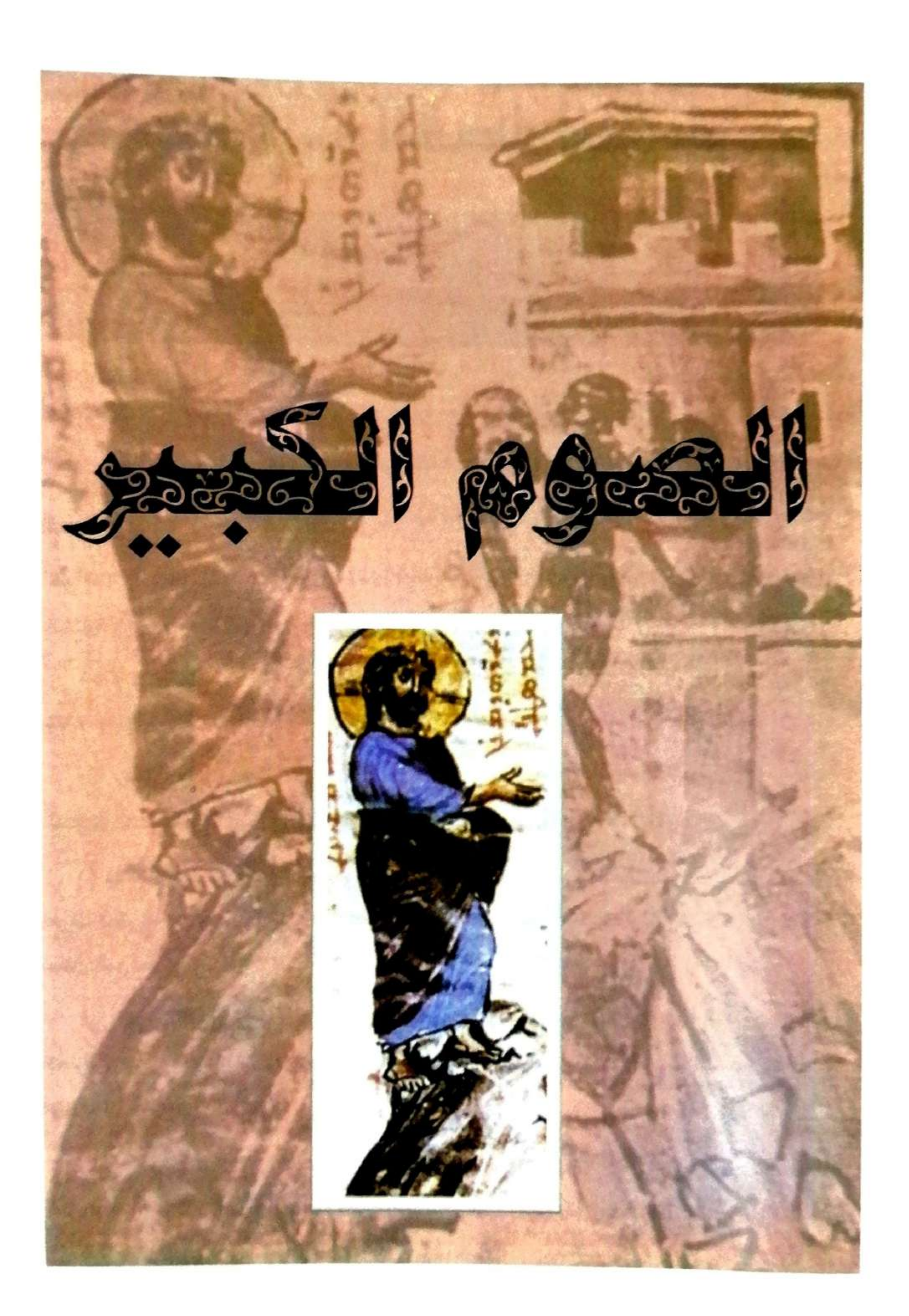
أكثرية القراءات (الميامر): تتبع الوزن الأفرامي (٧+٧: ١٤) وتتكلم عن التوبة وبصورة خاصة (يوم الثلاثاء) عن توبة أهل نينوى في زمان النبي يونان، وفي الجلسة الأولى ليوم الأربعاء تُقرأ ميامر على الوزن النرساوي (١٢+١٢: ٢٤). ويصلي الشعب قائلاً : " يارب ترحم علينا، يارب إقبل باعوثتنا... زد الأمن في البلاد رب الكل والسلام في كل الأقطار مؤمن الكل، أبطل الحروب والقتال على الأرض فتسكن هادئة يا حنّان، بارك البيعة المقدسة بنعمتك المشتراة بدمك الحي سيد الكل، ونجّنا وأحفظنا بصليبك من نقمات العدو وأرحمنا...".

"ثم يصنع الشعب الحلوى ويلهون السويق ويبيتونه من مساء الأربعاء إلى صباح الخميس "تذراً للخضر" ويقولون أنه مار إلياس أو مار جرجس أو مار بهنام، ويزعمون أنه يأتي ليلاً وأنه شيخ عتيق الأيام ذو لحية طويلة بيضاء يمتطي جواداً وفي يده عصا وأنه مغرم بالزينة ولذلك يضعون له جانب الحلوى مشطاً ومرآة ومكحلة ولجواده باقة بقدونس. وعند الصباح يتهادون الحلوى ويتجمع المتسولون عند الأبواب ليقرعونها سحراً طالبين منها حصتهم. وما يعمله السريان والكلدان للخضر يعمله الأرمن لمار سركيس. ولعلهم خصّوا مار إليا ومار سركيس بهذا الصوم لأنه كان يعرف سابقاً بصوم إيليا وصوم مار سركيس (ارتشافور: يشير الصوم)" (المشرق ٩(١٩٠٦) ص ١٧٧).








الصوم الكبير

الفصل الخامس / ١

الصوم الكبير

الأسماء:

الصوم الكبير الأربعيني. الصوم الخمسيني (الاسم المستعمل عند كنيسة المشرق)

المصادر:

خر ٢٤: ١٨ / ٣٤: ٢٨ / عدد ١٤: ٣٣-٣٤ / تث ٩: ٩ و ١٨ / ١٠: ١٠ / ٨: ٣ / ١ملوك ١٩: ٨ / ٥: ١٣ و ١٦ / يونان ٣: ٤-٥ / أش ٥٨: ١-٩ / يوئيل ٢: ١٢-١٩ / مز ٥١ / ١٩، متى ٤: ١-١١ / مر ١: ١٢-١٣ / لو ٤: ١-١٣، متى ٦: ١٦-٢١ / ١٦: ٢٣ / ٢٦: ٣٦-٤٦ / ٢ قور ٦: ١-١٠.

الصوم الكبير الأربعيني (الخمسيني عند كنيسة المشرق)

١) **مدة الصوم الكبير**. إن الصوم الكبير في ترتيبه الحالي هو نتيجة تطور تاريخي معقّد لا نعرف حتى الآن كل عناصر هذا التطور بصورة واضحة وأكيدة، ولكن بإمكاننا أن نذكر بعض المراحل:

– في القرن الثاني ورد ذكر صوم تحضيري لعيد القيامة السنوي، وقد كان صوماً لا تتجاوز مدته يوماً واحداً أو يومين أو ثلاثة. وفي القرن الثالث امتد هذا الصوم ليصبح ستة أيام في بعض الكنائس.

– هنا ينبغي لنا التمييز بين هذا الصوم القصير التحضيري لعيد القيامة، وبين الصوم الأربعيني الذي قام به المؤمنون في بعض المناطق، كما فعلوا في مصر ذكراً لصوم ربنا

يسوع المسيح الأربعيني، بحسب إنجيل مرقس، حيث كانت بداية هذا الصوم في اليوم الأول بعد الدنح نفسه، المصادف ٧ كانون الثاني، ثم طال لمدة ٤٠ يوماً، وفي اليوم الأخير منح العماد للموعوظين.

- لكن في القرنين الرابع والخامس أصبح عيد القيامة نفسه عيداً لمنح العماد للموعوظين (قارن روم ٦)، فلهذا السبب ارتبط الصوم الأربعيني بتلك الحفلة، كفترة خاصة يتم خلالها إعداد الموعوظين وتحضيرهم لقبول سر العماد. وكان يتوجب عليهم الحضور يومياً، لتعلم تفسير قانون الإيمان والصلاة الربية ومعنى الأسرار اللاهوتي.

- ومنذ ذلك الوقت قُبل الصوم الأربعيني في الكنائس حُسبت أيامه وفُهم ترتيبه بطرق مختلفة عديدة. وعلى سبيل المثال يمكننا أن نذكر البعض منها بحسب مدة الصوم الكبير:

٣ **أسابيع:** بدون وجوب الصوم في أيام السبت والآحاد: في روما خلال القرن الرابع.

٥ **أسابيع:** بدون وجوب الصوم في أيام السبت والآحاد: بحسب الترتيب الغربي (حالياً). ويبدأ الصوم يوم الأربعاء قبل الأحد الأول منه، وتشمل فترة الصوم على أسبوع الآلام.

٥ **أسابيع:** بحسب ترتيب الكنيسة الأرمنية سابقاً. ويبدأ الصوم يوم الثلاثاء قبل الأحد الأول.

٦ **أسابيع:** بدون الآحاد: بحسب ترتيب كنيسة أنطاكيا للسريان. ويبدأ الصوم يوم الإثنين قبل الأحد الأول وينتهي في يوم الجمعة من الأسبوع السادس قبل سبت لعازر (بدون أسبوع الآلام).

٧ **أسابيع:** بحسب ترتيب كنيسة المشرق حالياً. ويبدأ الصوم يوم الإثنين بعد الأحد الأول وينتهي يوم الخميس في أسبوع الآلام.

٨ **أسابيع:** بحسب ترتيب كنيسة أورشليم في القرن السادس.

٢) **ترتيب الصوم الكبير في الكنيسة البيزنطية.** خلال هذه الفترة تهتم الكنيسة البيزنطية بصحة الإيمان القويم، وبتوبة الإنسان إلى الله تعالى. بينما كنيسة أنطاكيا للسريان تفهم الصوم كفترة للشفاء والغفران: إن الله تعالى يشفي الإنسان الذي يحفظ وصاياه. وقد أضيفت فترة تحضيرية للصوم في الكنيسة البيزنطية:

الأحد الأول: أحد زكى (الاشتياق): لو ١٩: ١-١٠

الأحد الثاني: أحد الفريسي والعشار (التواضع): لو ١٨: ١٠-١٤

الأحد الثالث: أحد الابن الشاطر (الرجوع إلى الله): لو ١٥: ١١-٣٢

الأحد الرابع: أحد الانقطاع عن اللحم (الدينونة الأخيرة): متى ٢٥: ٣١-٤٦

الأحد الخامس: أحد الانقطاع عن الجبن (الغفران): متى ٦: ١٤-٢١

أما روحانية الصوم في الكنيسة البيزنطية فتظهر من القراءات الكتابية:

الأحد الأول: عيد انتصار الإيمـــان الأرثوذكسي (٨٤٣) مع مســـيرة الأيقونات (عبر ١١: ٢٤ / يو ١: ٤٣).

الأحـــد الثاني: تذكار غريغوريوس بلاماس وانتصـــار إيمانه (١٣٥٩) (عبر ١: ١٠ / مر ٢: ١-١٢).

الأحد الثالث: مع رتبة السجود للصليب الحي الكريم (عبر ٤: ١٤ / مر ٨: ٣٤-١٩).

الأحد الرابع: تذكار يوحنا السلّمي (راهب سينائي ومؤلف كتاب "السلّم"، القرن ١٤) (عبر ٦: ١٣-٢٠ / مر ٩: ١٧-٢١).

الأحد الخامس: تذكار مريم المصرية (القرن الرابع وهي عاشت في توبة شديدة) (عبر ٩: ١١-١٤ / مر ١٠: ٣٢-٤٥).

يوم الجمعة لنهاية الصوم الأربعيني أف ٢: ٤-١٠ / متى ٤: ١-١١.

سبت لعازر (انتصار ربنا يسوع المسيح على الموت: يو ١١).

٣) الصوم في كنيسة أنطاكيا للسريان

يوم الإثنين (لبداية الصوم) مع رتبة المسحة بالزيت (**متى ٦: ١٧ / لو ٧: ٣٦-٥٠**).

الأحد الأول: عرس قانا (يو ٢: ١-١١ / **متى ٤: ١-١١ / لو ٤: ١-١٣**).

الأحد الثاني: الأبرص (مر ١: ٣٢-٤٥ / **متى ٧: ٢٨- ٨ : ٤ / لو ١٧: ١١-١٩**).

الأحـــد الثـــالث: المُقعـــد (مر ٢: ١-٢١ / متى ٩: ٢-١٣ / مر ٤: ٣٥- ٥ : ٢٠).

يوم الأربعاء لمنتصف الصوم مع رتبة السجود للصليب (لو ١٠: ٢٥-٣٧).

الأحد الرابع: شفاء خادم قائد المئة (أو بنت الكنعانية) (متى ٨: ٥-١٣، متى ١٥: ٢١-٣١).

الأحد الخامس: إحياء ابن أرملة نائين (أو السامري) أو "أحد العجائب" (لو ٧: ١١-١٧ / ٨: ٢٢-٥٦).

الأحد السادس: الأعمى (أو التدهين في بيت عنيا) (متى ٩: ٢٧-٣٥ / مر ٨: ١٣-٢٦ / ١٠: ٤٦-٥٢ / يو ٩).

يوم "جمعة الأربعين" لنهاية الصوم. ثم سبت لعازر.

٤) **كنيسة المشرق** تهتم هي أيضاً بالقراءات المتسلسلة (سفر التكوين وسفر يشوع، رسالة مار بولس إلى أهل روما وإنجيل متى، ثم يوحنا في الجزء الثاني من الصوم).

أخيراً ينبغي علينا التمييز بين ثلاثة أنواع من الأيام خلال الصوم المبارك: (١) أيام الآحاد التي فيها يقام القداس الكامل. (٢) الأيام الأخرى بدون قداس مع منح التناول وذلك بحسب طريقتين، أولهما في الأيام العادية البسيطة: ترتل بعد نهاية صلاة الرمش، ترتيلة (عونيثا) البيم مع توزيع التناول. والثانية للأيام الخاصة (د- رازا) من الأسبوع الأول والرابع والسابع: ترتل بعد مجموعة من القراءات، ترتيلة الأسرار وتتبعها (بدون الصلاة الإفخارستية التكريسية) رتبة "التناول" المعروفة من القداس مع ترتيلة البيم خلال توزيع التناول، وتسمى هذه الرتبة أحياناً "رتبة رسم الكأس".

٥) **أهمية القراءات وروحانية الصوم الكبير.** لقد كان الصوم قديماً فترة خاصة لتحضير الموعوظين المسجّلين لقبول العماد في ليلة القيامة، وذلك بواسطة مجموعة مختارة من القراءات والتفاسير. بعدئذٍ أصبح الصوم فترة لممارسة التوبة من قبل الخاطئين التائبين الذين قدموا أنفسهم لطلب الغفران، وانتظروا قبول الحل، بصورة رسمية في نهاية الصوم (جمعة الأربعين أو خميس الفصح) من يد الأسقف. وكان الصوم أيضاً فترة للنضال الروحي من قبل

المؤمنين، الذين حاولوا الاشتراك الحقيقي في أسرار حياة ربهم وآلامه وقيامته، وقاموا مثله في النضال ضد الشر والظلام، ليخرجوا من العبودية ويجدوا الحياة الحقيقية (راجع كتابنا "الصوم الكبير"، بغداد ٢٠٠٣).

- من خلال القراءات يدعو طقس الكنيسة اللاتينية إلى التأمل بمراحل التدبير الخلاصي الذي تحقق من جديد في سر العماد:

الأحد الأول: سفر التكوين ٢-٣ (٩: ٨-١٥) ومتى ٤: ١-١١ (التجارب).

الأحد الثاني: سفر التكوين ١٢ (٢٢) ومتى ١٧: ١-٩ (التجلي).

الأحد الثالث: سفر الخروج ١٧: ٣-٧ (مز ٩٤) ويو ٤ (السامرية).

الأحد الرابع: ١ صم ١٦ ويو ٩ (الأعمى).

الأحد الخامس: حزقيال ٢٧: ١٢-١٤ ويو ١١ (أو ١٢) (لعازر).

الكنيسة الأرمنية في أورشليم، القرن الخامس، كانت تستعمل قراءات متسلسلة وهي:
(١) سفر الخروج ويوئيل (يوم الأربعاء)، (٢) سفر التثنية وأيوب وأشعيا (يوم الجمعة)، (٣) سفر الملوك وارميا (الأسبوع الثاني).

أما القراءات الخاصة للموعوظين التي قد فسرها قورلس الأورشليمي (٣٨٦) هي : أش ١: ١٦-٢٠ / حز ١٨: ٢٠-٢٣ / روم ٦: ٣-١٤ / **كول ٢: ٨-٣ : ٤ / عبر ١١: ١-٣١** / أش ٤٥: ١٦-٢٦ / **أف ٣: ١٤- ٤: ١٣ / أرميا ٣٩: ١٩-٤٤ / أيوب ٣٨: ٢-٤٠: ٥** / إكور ٨: ٥-٩ : ٢٣ / **عبر ١: ١-٢ : ١** / أش ٧: ١٠-٨ : ١٠ / **أش ٥٣: ١-٥٤ : ٥** / اكور ١٥: ١-٢٨- / **دانيال ٧: ٢-٢٧** / ١ كور ١٢: ١-٧ / **اكور ١٢: ٨-٢٧** / حز ٣٧: ١--١٤ / **١ طم ٣: ١٤-١٦.**

- في الطقس اللاتيني يستعمل الرماد، لأنه يرمز إلى ضعف الإنسان **(تك ١٨: ٢٧)، أو** الاستعداد للتوبة **(تك ٣: ٦)، كما ورد في العبارة المشهورة: "إن الإنسان مأخوذ من التراب**

وإلى التراب يعود" (تك ٣: ١٩). يدعو الصوم الأربعيني إلى الاهتداء، وعلى مثال موسى وإيليا ويسوع، يطلب الجهد والتقشف من أجل التغلب على التجارب، والتحرر من العناصر الشريرة الموجودة في أعماق الإنسان. في طريق التواضع والثقة يمكنه التخلص من الخوف والجشع والكبرياء. على مثال يسوع يحارب المؤمن الشرف الباطل والكلام الكاذب والتصورات الخيالية، ليقترب من الله رب الرحمة، ويهتم بالقريب المحتاج، مادياً وروحياً، لكي يتجنب توبيخ يوحنا الذهبي الفم القائل: "أنتم تقدمون الأكل الوافر لكلابكم، لكن تنسون وتتركون يسوع جوعاناً عند بابكم".

صلاة طقسية لمار أفرام النصيبيني، كما تقال في طقس الكنيسة البيزنطية:

يا سيدي وربي وحياتي لا تتركني للكسل والكلام الباطل.

حررني من الرغبة في التسلط واحفظني من الكذب وفقدان الشجاعة.

لكن بنعمتك امنح لي، أنا خادمك، الصبر والمحبة.

نعم يا ربي وإلهي، إفتح عينيّ لأعترف بخطاياي

وجنبني الحكم على إخوتي. أنت المبارك إلى الأبد. آمين.

يا إلهي، طهّرني، أنا الخاطئ، لا تصرف وجهك عن عبدك لأني في ضيق.

استجب لي سريعاً. أصغ إليّ وخلّصني.

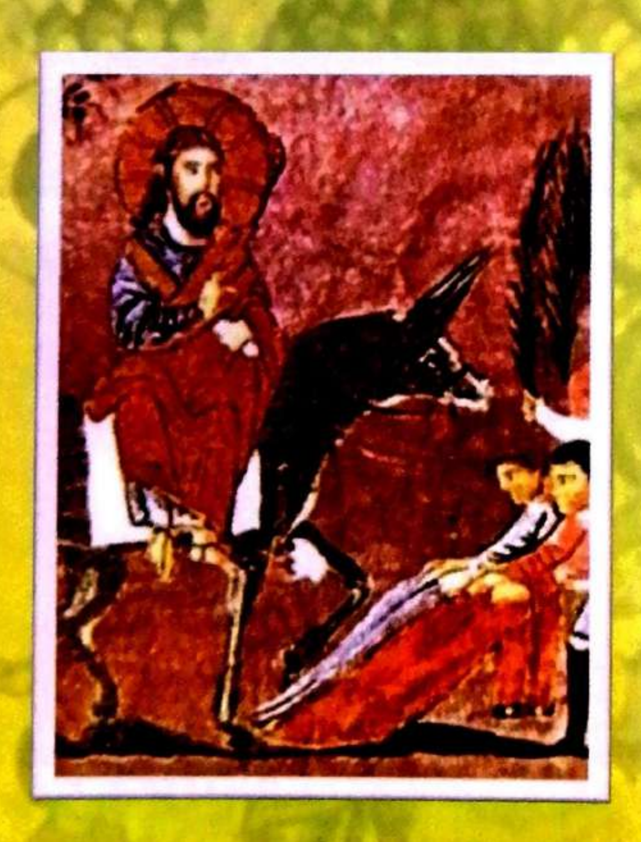
إني بائس ووجع.

فليعضدني خلاصك يا إلهي.

مبارك الذي في صراعه علمنا الانتصار على الشرير بالنضال.




الشعانين







الفصل الخامس / ٢

السعانين

الأسماء:

* عيد الشعانين (هتاف تسبيحي، أنظر مز ١١٨: ٢٥ "خلّصنا"). * عيد دخول ربنا يسوع المسيح إلى أورشليم يوم أحد الشعانين. * أحد أسبوع الفطير العظيم (ويظهر هذا الاسم في جدول القراءات السريانية من القرن السادس). * أحد السعف (سعف النخل)، أو أحد الأغصان أو أحد النخل أو أحد الزيتون. * أحد "المبارك" (مبارك الآتي باسم الرب)، وهو اسم مستعمل عند الروم والأرمن قديمًا. * أحد لعازر (أنظر يو ١١: ١٢/٤٥ : ١-١٠ و١٧-١٩). * أحد الغفران (بسبب رتبة الغفران التي جرت في نهاية الصوم الكبير). * أحد السعانين والآلام (بحسب الطقس اللاتيني). * أحد الزهور، أو فصح الزهور (بسبب حمل أزهار الربيع في طواف السعانين). * فصح الطالبين (بسبب تحضير الموعوظين لقبول سرّ العماد في ليلة القيامة).

المصادر:

تك ٤٩: ١٠ و٢٢-٢٦ / زك ٨: ٤-٥ / ٩: ٩-١٠ و١٥ / صفنيا ٣: ٣: ١٤-٢٠، مز ٢٤: ٧-١٠ / ١١٨: ٢٥-٢٧ / متى ٢٠: ٢٩-٢١ / مر ١١: ١-٢٠ / لو ١٩: ٢٩-٢٠ / يو ١١-١٢، روم ١١: ١٣-٢٤ / إنجيل نيقوديموس المنحول ١: ٣.



١ـ أصل أحد السعانين

من الممكن أن يكون "عيد السعانين" قد شكّل في مصر (خلال القرنين ٢ إلى ٣) عيدًا لنهاية الصوم الأربعيني يتعلق بعيد عماد ربنا يسوع المسيح، دون علاقة مباشرة بأسبوع الآلام. هذا وإبان العقدين الأخيرين من القرن الرابع (سنة ٣٨٣) حضرت الراهبة الإفرنجية إيجيرية إلى الديار المقدسة، وبعد أن شهدت طقس أورشليم، سجلت لنا في كتاباتها أقدم وصف عن مسيرة السعانين. وقد حُفظ لنا أيضًا جدول انتظمت فيه قراءات طقس أورشليم من القرن الرابع إلى الخامس (مخطوطة أورشليم مرقمة ١٢١). ومن هاتين الوثيقتين وغيرها يظهر لنا بأن "أحد السعانين" كان متعلقًا بأسبوع الآلام ومتصلاً به كمقدمة أو كمدخل له.

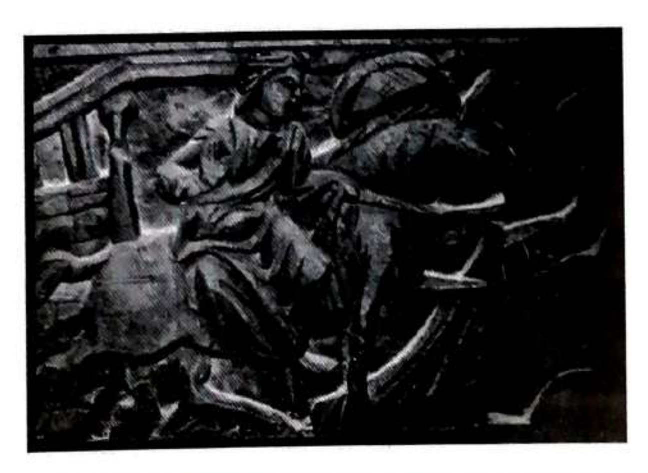
وبعد ذلك الوقت انتشر طقس أورشليم انتشارًا سريعًا، فقَبلته جميع الكنائس الشرقية وأصبح أحد السعانين لها عيدًا عظيمًا يُحتفل به بكل زهو وبشْر لاستقبال الملك الممسوح المنتصر الذي يدخل مدينته (الكنيسة) لينشر فيها السلام. هذا ويقال (في كتاب المجدل) إن عيد السعانين كان قد قُبل في مدينة الرها أثناء تولي الأسقف بطرس كرسي الأسقفية (٤٩٨)، أو قبل ذلك على يد الأسقف قورا الذي سبقه.

لقد وُضعت خُطب كثيرة عن هذا العيد لبروقلوس بطريرك القسطنطينية (٤٣٤-٤٤٦)، وأخرى تحت اسم مار أفرام وكذلك لنرساي (٥٠٧) وليعقوب السروجي (٥٢١)، وقد جاء ذكر الأغصان وتوزيع الزيتون في كتاب المدائح لساويريوس الأنطاكي (٥١٢-٥١٨). وتحفظ كنيسة المشرق ليوحنا هذا بقراءة من إنجيل متى الطويلة المذكورة في طقس أورشليم من القرن الرابع.

وهنا نَص الراهبة إيجيرية في وصفها لرتبة السعانين كما عاينتها بنفسها خلال زيارتها لبيت المقدس: **"ويرقى كل الشعب إلى جبل الزيتون إلى "مغارة التعليم" في كنيسة "ايلايونة"... ويتقدّم بالتسابيح إلى المكان الذي صعد فيه الرّب إلى السماء... فتُتلى التسابيح الموافقة لذلك اليوم مع الصلوات والفصول المناسبة، حتى إذا صارت الساعة الحادية عشرة (تعني الخامسة مساءً)، يُقرأ إنجيل السعانين حيث يذكر أن الصبيان أتوا لملاقاة الرب، حاملين الأغصان وسعف النخل وصارخين: "مبارك الآتي باسم الرب". ويقوم الأسقف من ساعته وينزل من أعلى الجبل، والشعب يتقدّمه وهم يتغنّون بالآية السابق ذكرها. وترى هناك عددًا لا يحصى من الصبيان، حتى الذين لا يمكنهم المشي لحداثة سنهم، فيحملهم أهلهم على أكتافهم، وكلهم يمسكون في أيديهم الأفنان**

والسعف، فيقودون الأسقف بالرونق والعزّ، كما قاد المسيح بني الشعب القديم. والأسقف، على شبه المسيح، يركب أتانًا، وكذلك أعيان البلد من رجال ونساء ينزلون الجبل راكبين. أما الشعب فينزل ماشيًا بهدوء ولا يتمّ الطواف حتى يخيّم الليل فيدخل الأسقف والشعب قبة القيامة (التي تشعّ بالأنوار) وهناك تُتلى صلاة المساء، وبعدها يدخل القوم كنيسة الصليب، ثم يطلق سبيلهم". (ترجمة الأب شيخو اليسوعي في مجلة "المشرق" ٨ (١٩٠٥) ص٣٤٠.

في القسطنطينية تركت مسيرة السعانين منذ القرن العاشر، لكن في الغرب انتشرت هذه العادة عن طريق اسبانيا منذ القرن السابع. في طقس روما نفسها لم تقبل المسيرة ضمن طقس الكنيسة، قبل القرن الحادي عشر، لأن الكنيسة كانت في ذلك الوقت تحتفظ بتقليد قديم خاص، يختلف عن تقليد أورشليم، ويركّز على آلام ربنا يسوع المسيح، من خلال قراءة إنجيل الآلام الطويل. وتجديد طقس الكنيسة اللاتينية الأخير يجمع بين التقليدين (سنة ١٩٥٥/١٩٦٥) (تقليد أورشليم: المسيرة مع الأغصان وتقليد روما: بداية أسبوع الآلام)، كما يظهر من اسم العيد الطقسي: "أحد السعانين عن آلام الرب".







٢- بعض الأفكار

- تقديم فكرة "الدخول": دخول النبي المنتظر لتطهير الهيكل (قارن طرد الباعة)، دخول ابن داود ليملك على مدينته (من فوق الصليب)، دخول أمير السلام المتواضع راكبًا الحمار، ليحرّر البسطاء من سيطرة أهل الهيكل، دخول الملك المنتصر الذي قد انتصر على الموت (قارن إحياء لعازر في إنجيل يوحنا)، دخول الحمل الذي يحمل الخطايا ويخلّص المدينة بدمه، دخول العريس السماوي للحكم الأخير (رؤيا ٧: ٩-١٧)، دخول ربّنا يسوع المسيح إلى قلوبنا في الوقت الحاضر... وكيف نستقبله نحن؟

- "الثياب": لقد كان عرض الثياب على الأرض تعبيرًا عن الاحترام عند استقبال الملك المنتصر... هل تكون ثياب حياتنا مستحقة لقبول ملكنا؟...

- "الأغصان" للاستقبال بالفرح وقد رمز النخل إلى الانتصار (قارن صورة الشهداء القديمة)، ورمز الزيتون إلى المسحة الملكية وإلى السلام (أنظر تك ٨: ١١).

- "على الحمار" (بحسب نبوءة زكريا) "ووسط الأطفال والبسطاء"، وذلك في مدينة أورشليم التي رفضت السلام وقتلت الأنبياء.

صلاة طقسية

أيها المسيح الإله الجالس على عرش السماء، والراكب عفوًا على الأرض. لقد قبلت تسبيح الملائكة ونشيد الفتيان الهاتفين إليك، مبارك أنت الآتي لتنعش آدم.

هبنا اللهم أن نخرج إلى لقائك في مجيئك الثاني، كما خرجوا إلى لقائك في مجيئك الأول

حاملين رايات الظفر وأكاليل المجد، كما حملوا سعف النخل وأغصان الزيتون هاتفين

هوشعنا... لندخل معك إلى أورشليم العليا ونحن نهتف،

البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة لإلهنا إلى الأبد.



سعانين الأطفال

حينما يصيح الأطفال "هوشعنا" يصرخ العلماء أصلبه

الأطفال يستقبلون المسيح بالزيتون، هؤلاء بحمل السيوف

الأطفال يقطعون الأغصان، هم يحضرون خشبة الصليب

الأطفال يفرشون ثيابهم أمام المسيح، العلماء يقسمون ثيابه

الأطفال يُصعدون المسيح على الحمار، الشيوخ يعلقونه على الصليب

الأطفال يسجدون على رجلي المسيح، هؤلاء يسمرونهما بالمسامير

الأطفال يقدمون التسبيح، هم يأتون بالخل

الأطفال يلوّحون بالأغصان، هم يضربونه بالرمح

الأطفال يمدحون للمسيح على الحمار

هؤلاء يسلّمون الراكب المتواضع للموت. (ابيفانيوس القبرصي – ٤٠٣)

إن عيد السعانين هو عيد التسابيح، العلماء الفاهمون رفضوها، والأطفال غير المدركين للكلام، ملأوا الجو بالتسابيح. خرجوا لاستقبال المسيح هاتفين. مبارك الآتي باسم الرب هوشعنا في الأعالي وكيف دخل ربنا أورشليم ؟ ليس في عربة النار، وليس على حصان المعركة القوي السريع الجالس على الكروبيم، دخل المدينة يركب الحمار، ليكمل النبوءة وليعلّم التواضع انه أمير السلام. مبارك الآتي باسم الرب، الذي يأتي إليها ليحكم العالم كله مبارك الآتي باسم الرب، الذي يأتي إلى الصليب والموت. مبارك الآتي باسم الرب، ليقبل الشتائم والسخرية والتفال. مبارك الآتي باسم الرب، ليفتدي آدم من عبادة الأصنام. مبارك الآتي باسم الرب، ليفتح الفردوس المغلق بسبب آدم الخاطئ. مبارك

الآتي باسم الرب، ليفتح الجنة بدمه المراق لشفاء جروحنا. مبارك الآتي باسم الرب، ليبشر ببشارة الخلاص للأمم كلها.(يوحنا الأنطاكي – نحو ٥٠٠)

بسعف النخل نعلن بأنه منتصر على الموت، وبأغصان الزيتون نتضرع إلى الرحيم الطيب المتواضع.(منسوب إلى أثناسيوس الإسكندري – ٣٧٣)



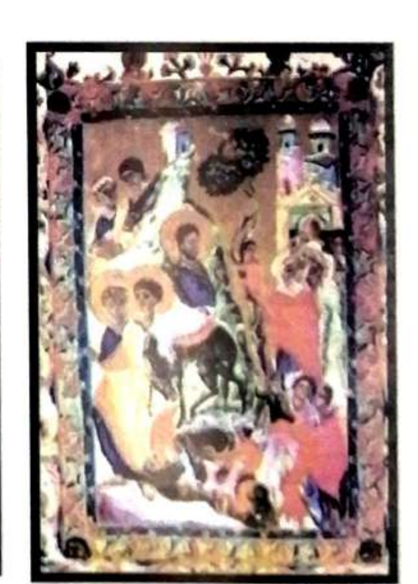


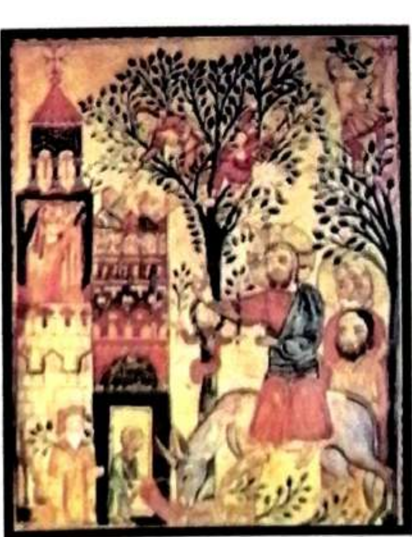
٣ـ صورة عيد السعانين

(١) تطور الصورة

إن أقدم تعبير عن السعانين يرجع إلى القرن الرابع. وحُفظت لنا مجموعة من الصور النحتية مصنوعة في روما، التي تشكل دخول ربنا يسوع المسيح إلى أورشليم، على مثال "دخول الملك المنتصر" وأجمل نحت من هذا النوع تم تحقيقه على تابوت مرمري ليوليوس باسوس سنة ٣٥٩، حيث تأخذ صورة الدخول مكانًا مركزيًا، مع صورة تمجيد المسيح الجالس على عرش السلطة. وهذه الصور تقدم ربنا يسوع الذي يركب الحمار، ومعه شخصين أو ثلاثة.

من القرن الخامس – السادس وصل إلينا مثل هذا النحت من القسطنطينية، ونحت على الخشب من مصر. وهنا نرى دخول ربنا المسيح إلى أورشليم، مرتبطًا بدخوله إلى أورشليم السماوية عند الصعود، ويجلس ربّنا المسيح على حمار كبير يتحرك بقوة، وأمامه ثلاثة أشخاص: ولد يفرش ثيابه، ورجل يلوّح بغصن ويحمل بيده اليسرى كتابًا مقدسًا، وامرأة ترقص من الفرح، وهي تمثل المدينة المقدسة بحسب نبوءة أشعيا ٦٢: ١١ وزكريا ٩:٩.







في القرن السادس يظهر النموذج المقبول الذي يحتوي كل العناصر المستعملة في المستقبل، وحفظت هذه الصورة في مخطوطة إرجوانية جميلة، كتبت في أورشليم (؟) وتحت نفوذ الصور الكبيرة على جدران الكنائس هناك، وهي محفوظة حاليًا في كاتدرائية روسّنو (إيطاليا). (أنظر التفسير تحت رقم (٢)).

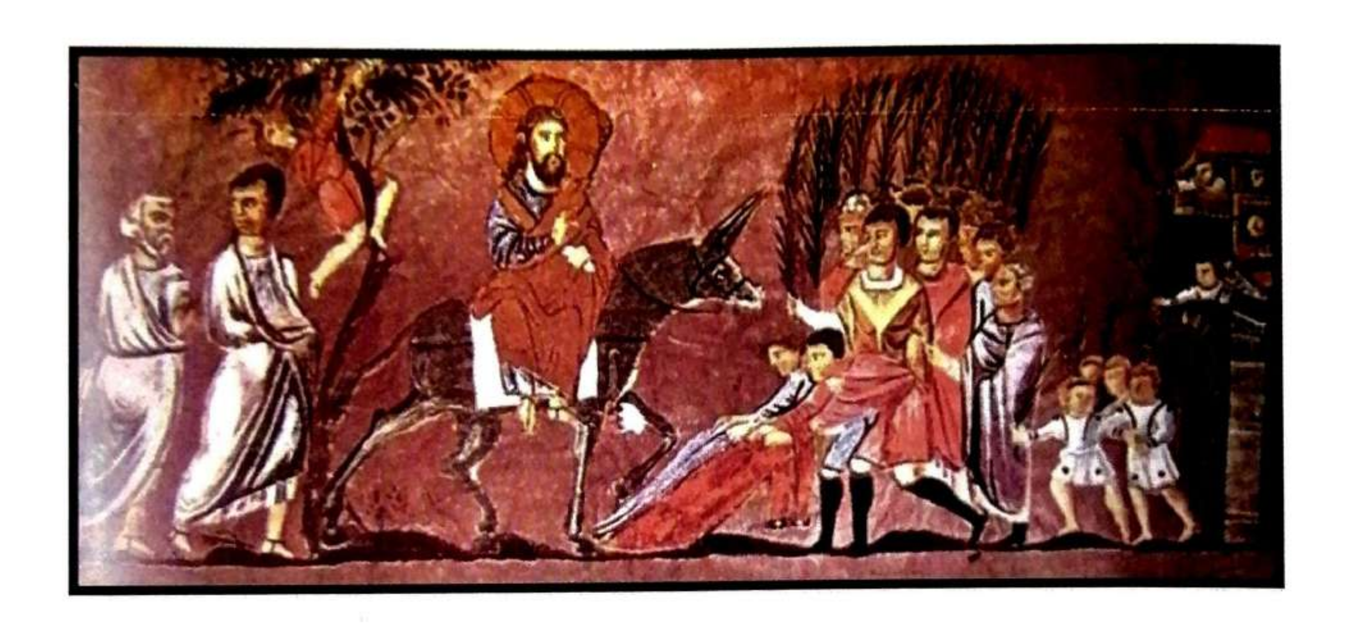
لقد كانت صورة الدخول صورة مفضّلة في كنيسة المشرق ؛ وفي المخطوطات من القرن الثالث عشر تبرز صورة الدخول بألوانها ووضع التلاميذ والأطفال حول المسيح، عند نزوله من جبل الزيتون، من اليمين إلى اليسار.

عادة يركب المسيح على الحمار جالسًا كجلوس الملك على عرشه ورجلاه متدليتان من نفس الجهة بينما في أكثرية الصور الغربية يجلس المسيح جلسة الفارس على حصانه، وفي أكثرية الصور الشرقية يحني الحمار رأسه نحو الأرض، وتظهر فيها أعداد كبيرة من الأطفال على الأشجار وحول المسيح لاستقباله، وأعداد من سكان المدينة الذين يخرجون من بيوتهم، وبينهم راهب وامرأة تحمل طفلها على ذراعيها...

أخيرًا منذ القرن السادس عشر ظهرت من جديد صورة الدخول في المخطوطات الآثورية والكلدانية، لكن بطريقة مبسطة جدًا، حيث لا يرى إلا ربنا يسوع المسيح الجالس على الحمار بين شجرتين أو مع بعض الأطفال.

(٢) تفسير الرسم بحسب مخطوطة يونانية من القرن السادس ومحفوظة في كاتدرائية روسّنو (إيطاليا). ونرى في هذا الرسم حركة من اليسار إلى اليمين تتضمن ثلاثة عناصر وهي: المسيح والأطفال والتلاميذ، وحركة من اليمين إلى اليسار تتضمن أيضًا ثلاث مجموعات وهي: المؤمنون والأطفال وأهل المدينة.

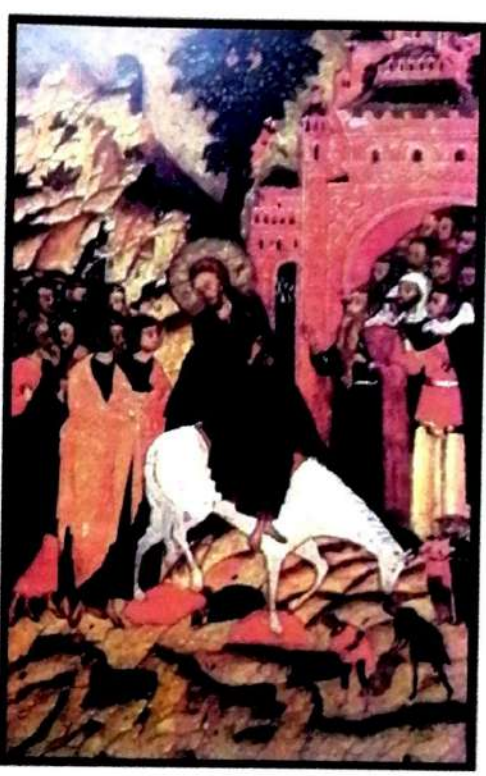
وفعلاً، بحسب إنجيل يوحنا (١٢: ٨) نستطيع أن نميّز بين مسيرتين وهما مسيرة التلاميذ، النازلين إلى المدينة مع الذين يتبعون المسيح، والمسيرة الثانية، مسيرة سكان المدينة الذين يخرجون منها لاستقبال المسيح.

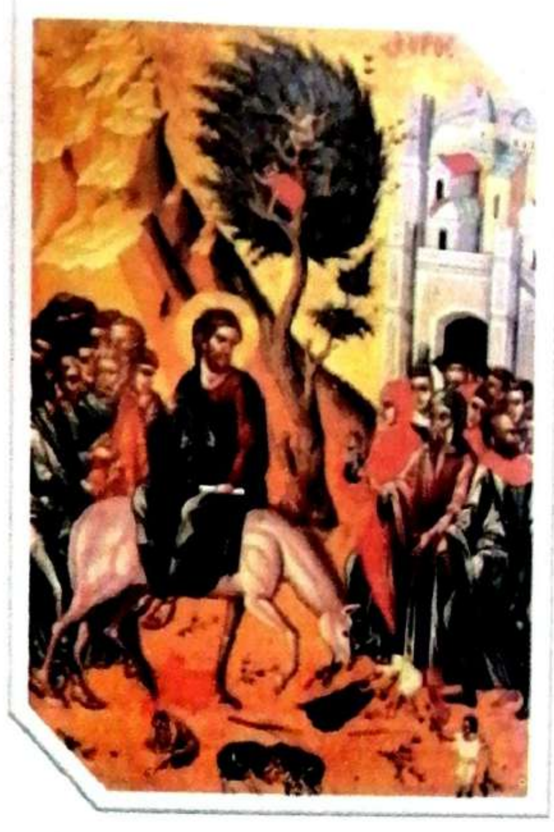


في مركز الصورة نرى ربنا المسيح يركب حمارًا، ويجلس عليه جلوس الملك على عرشه، ويبارك وبيده ملف يرمز إلى السلطة. ويستقبله المؤمنون مرتبين في ترتيب المسيرة، وقسم منهم يحمل أغصان النخل والقسم الآخر ينشدون ويمدحون "السعانين"، استقبالاً للمسيح "الآتي باسم الرب"، ويفرشون الطريق أمامه بثيابهم، تعبيرًا عن شرفه الملكي. أما الركوب على الحمار فيعبّر عن تواضع الملك الذي هو ملك السلام (أنظر زكريا ٩: ٩-١٠) عندما يأتي ليطهّر المدينة المقدسة من الشرّ والخطايا.

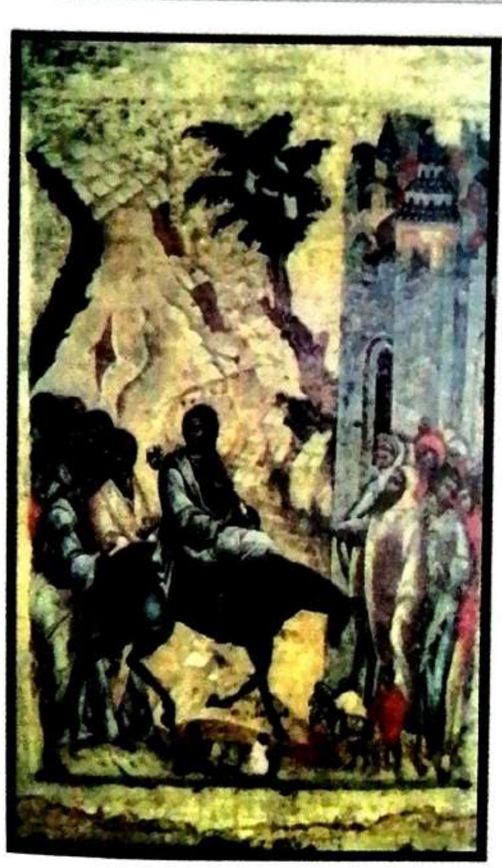
حول هذا المركز، من الجهتين، تشكل مجموعة الأطفال الإطار الأول: نرى البعض وراء المسيح بين أوراق شجرة الزيتون، ونرى البعض الآخر وراء مسيرة المؤمنين، ويدعو بعضهم بعضًا للاشتراك في فرح الاستقبال.

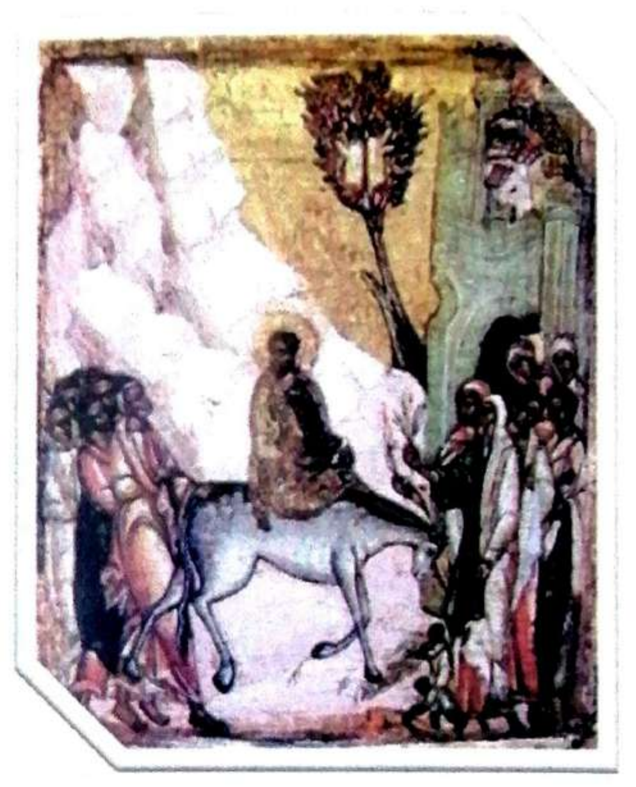
والإطار الثاني يشكله التلاميذ من جهة، والمدينة من الجهة الأخرى والتلاميذ النازلين من الجبل يشجعون بعضهم بعضًا ليتبعوا ربّهم المسيح في طريقه الأخير، ومن الجهة اليمنى المدينة التي فتحت أبوابها ومن كل أطرافها تستقبل اليوم ملكها المسيح.

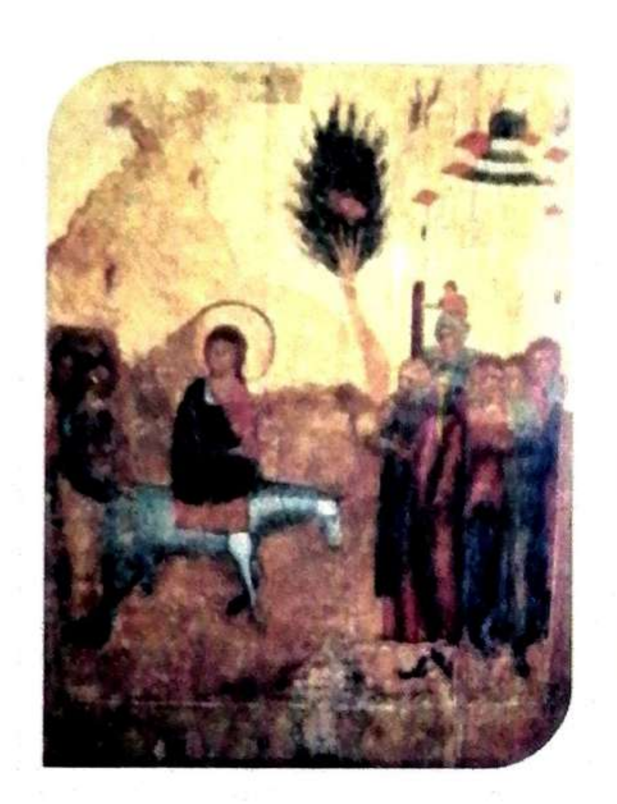

















فصح الآلام





الفصل السادس

فصح الآلام

أيام من الأسبوع العظيم

الأسماء:

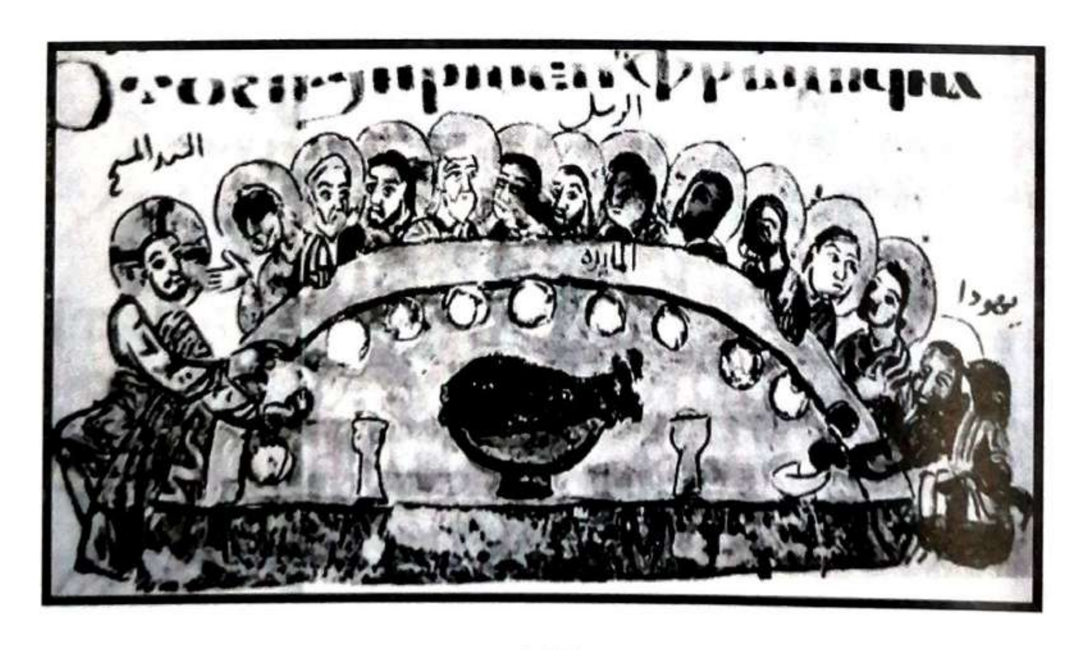
* "الأسبوع المقدس" أو "أسبوع الأسابيع". * "أسبوع الآلام".

* "الأسبوع الفصحي"، أو "أسبوع الفطير العظيم".

التقسيم:

أ- تطور الأسبوع العظيم ب- يوم الإثنين من الأسبوع العظيم

ت- يوم خميس الفصح ث- يوم جمعة الآلام. ج- يوم سبت النور



- أ - تطوّر الأسبوع العظيم

إن هذا الأسبوع هو أسبوع من نوع خاص، يحتوي على أحد القيامة، وهو اليوم الثامن منه، الذي يمثّل قمة الأسبوع، كما يحتوي أيضًا على أحد السعانين، الذي يمثّل مقدمته، فيُحتفل خلال هذا الأسبوع بسرّ الخلاص كله: الآلام والقيامة، بدون أن يفصل بينهما.

أما مراحل تطور الأسبوع العظيم فهي كما يلي: (راجع الجزء الأول)

(١) من القرن الأول إلى الثالث، لم يعرف المسيحيون إلا السهرة الفصحية الوحيدة المعروفة بـــ"ليلة القيامة"، ذكرًا لعبور المسيح من ظلمة الموت إلى مجد القيامة، وكانوا يتهيئون لها بصوم قصير (يوم السبت والجمعة...).

(٢) ومن القرن الثالث إلى الرابع نظمت الأيام المقدسة الثلاثة: يوم الجمعة ذكرًا للصلب ويوم السبت للدفن والأحد للقيامة، فشكلت هذه الأيام الثلاثة عيدًا واحدًا، هو "عيد الخلاص".

(٣) وفي القرن الرابع أضيف سر العماد إلى طقس ليلة القيامة، تعبيرًا عن عبور المؤمن مع ربّه، من الظلام إلى النور.

(٤) وخلال القرن الرابع والخامس عُيّن أحد السعانين، مع المسيرة الشعبية، بحسب تقليد كنيسة أورشليم. ومنذ ذلك الوقت، ظهرت قراءات خاصة لكل يوم من أيام الأسبوع "الأسبوع العظيم". ونذكر منها:

يوم الإثنين: متى ٢٠: ١٧-٢٨ (إعلان الآلام).

يوم الثلاثاء: متى ٢٤-٢٥ (تعليم المسيح عن أواخر الأزمنة، الذي قدمه لتلاميذه في "مغارة التعليم على جبل الزيتون").

يوم الأربعاء: متى ٢٦: ٣-١٦ (قرار اليهود بقتل المسيح).

يوم الخميس: **متى ٢٦: ١٧-٣٠ (في قداس "العشاء السرّي")، ومر ١٤: ١-٢٦ (في القداس الثاني)، وللسهرة الليلية نظمت قراءات خاصة مقسمة إلى ٥ أو ٧ مراحل.**

يوم الجمعة: **إنجيل الآلام المقسم إلى ثماني مراحل.**

يوم السبت: متى ٢٧: ٦٢-٦٦ (إنجيل الدفن)، وفي السهرة تُقرأ من العهد القديم ١٢ أو ١٥ قطعة.

ثم أضيفت رُتب خاصة إلى الطقس نذكر منها: رتبة "الوصول إلى الميناء" ليوم الإثنين، رتبة "غسل الأرجل" و"تقديس الادهان" في يوم الخميس، رتبة "مصالحة التائبين" في يوم الخميس أو السبت، رتبة "السجود للصليب" و"رتبة الدفن" في يوم الجمعة، رتبة "غسل المذبح" في يوم السبت.

فلكي تساعدنا الكنيسة على الاقتداء بالمسيح واتباع خطاه من خلال أسرار حياته الأخيرة، تقدم لنا بعض الأمثلة نذكر منها:

مَثَل يوسف الصديق الذي باعه إخوته حسدًا لكنه بقي عفيفًا وأمينًا لله الذي رفعه وخلّصه (يوم الإثنين)، ومثل العذارى، كذلك مثل الوزنات، كدعوة موجهة إلينا لنكون مستعدين لمجيء المسيح (يوم الثلاثاء). ثم توبة مريم المجدلية التي دهنت المسيح بالطيب كثير غالي الثمن، مقارنة مع خيانة يهوذا الإسخريوطي الذي باع معلمه (يوم الأربعاء). أما كنيسة المشرق، فما زالت مستمرة بالقراءات المتسلسلة، وفي بعض المخطوطات القديمة يظهر الترتيب التالي:

يوم الإثنين	يوم الثلاثاء	يوم الأربعاء
تك ٣٧: ١-٢٢	تك ٣٧: ٢٣-٣٥	تك ٣٩: ٧-٤٠: ٢٣
يشوع ٢٢: ٢-٢٩	يشوع ٢٢: ٣٠-٢٣	يشوع ٢٣: ١-١٣
عبر : ١-٢، ١٨	عبر ٤: ١٤ -٦: ٨	عبر ٩: ١١-٢٨
روم ١٥: ١٤-٢٣	١ قور ١: ١-٤ : ٥	١ قور ٤: ٦-٦ : ٢٠
يو ١١: ٤٧-١٢	يو ١١: ٤٣	يو ١٢: ١-١٧
	متى ٣٤: ٢-١٤	يو ١٥: ١-١٩

– ب – يوم الإثنين في الأسبوع العظيم ورتبة " الوصول إلى الميناء"

– في بعض الصلوات ليوم الإثنين تُقام ذكرى العذارى العشر (متى ٢٥: ١-١٣)، ويرجع الاحتفاء بهذه الذكرى إلى طقس كنيسة أورشليم، حيث كان المؤمنون يجتمعون في مغارة التعليم على جبل الزيتون (كنيسة ايلايونة)، للتأمل في تعاليم المسيح الأخيرة.

– في الكنيسة البيزنطية حُفظت هذه الذكرى من خلال صلاة تتكرر كل يوم، من الإثنين إلى الأربعاء، وتسمى باسم "صلاة الختن"، أي صلاة العريس الذي يأتي في ساعة متأخرة من الليل ليأخذ الساهرين المستعدين معه إلى العرس. "هوذا العريس يأتي في منتصف الليل، فطوبى للعبد الذي يجده ساهرًا، أما الذي يجده غافلاً، فإنه غير مستحق. فاحذري يا نفسي أن تستغرقي في النوم، لئلا تسلمي إلى الموت، فيغلق عليك باب الملكوت".

– في صلاة كنيسة المشرق ليوم الإثنين (صلاة الليل) يحفظ تفسير مَثَل العذارى، ونحو منتصف الليل تجري مسيرة من حديقة الكنيسة إلى باب هيكلها، ومن ثم إلى قدس الأقداس.

فهل كانت هذه المسيرة تتعلق بسرّ العماد، أو بتحضير بيت العماد؟ فأحيانًا كان بيت العماد يسمى باسم "غرفة العرس"، وتتم مسيرة إلى بيت العماد الخلاصي في كل يوم من هذه الأيام المقدسة، بعد صلاة الصباح.

– في الكنيسة الأرمنية تسمى هذه المسيرة بـ"مسيرة فتح الباب"، وهي تُقام يوم أحد السعانين بعد صلاة المساء، وكأنها تكمله لمسيرة السعانين نفسها، ويطلق على هذه المسيرة اسم "فتح الباب". كمعنى جديد آخر، يتعلق بأواخر الأزمنة تشبيهًا بمسيرة القديسين في يوم الدينونة، عند دعوتهم لدخول الملكوت السماوي، في حين يفتح لهم الباب ليدخلوا، لأنهم مخلّصون بدم المسيح الكريم الثمين، الذي سفك من أجلهم.

– كنيسة أنطاكيا للسريان تحتفل في هذا اليوم برتبة خاصة تعرف برتبة "الوصول إلى الميناء"، وهو الاسم القديم لها، أو رتبة "النهيرة"، وهو الاسم الذي كان يشير إلى حمل الشموع والمشاعل في المسيرة. وبحسب المخطوطات من القرن ٩-١٠ تبدأ على هذا الشكل رتبة

"النهيرة" بعد القسم الثاني من صلاة الليل، وكان قد رتّبها ميخائيـل الكبيـر الأول بطريـرك السريان (١١٢٦/ ١١٦٦ /+١١٩٩) في كتابه الطقسي. لكن حاليًا تُقام هذه الرتبة يـوم أحـد السعانين مساءً.

لماذا تُسمى هذه الرتبة باسم "الوصول إلى الميناء"؟

لقد كانت كلمة "الميناء" في عبارات مختلفة من كتابات الآباء، رمزًا وإشارة إلى ربنا يسوع المسيح، أو إلى أمه مريم العذراء القديسة، أو إلى الأسرار المقدسة، أو الذخائر المباركة، تعبيرًا عن ذلك "الملجأ" الروحي، والملاذ الأخيرة للمؤمن المُتعب، الذي تتقاذفه لُجج بحر الحياة المتلاحم، ليسـترشد بها ويسـتدلّ إليها، كمنارات تضيء دربه، للوصول إلى "ميناء السلام" حيث الرجاء الصالح، ووفرة الخيرات الخلاصية، وطمأنينة النفس، والراحة الأمينة والأكيدة.

وفي نصوص رتبة "النهيرة" تشير هذه العبارة أيضًا إلى أسبوع الآلام نفسه (مع عيد القيامة)، لأنه يمثل "الميناء الذي اقتربت إليه السفينة بالصوم"، أي المؤمن الذي بعد تعبه من الصوم الطويل، يجد "مكان الخلاص" والميناء الأمين، وهو آلام ربّه يسوع المسيح، كما يجسمها له الأسبوع العظيم. فلذلك يقارن هذا الأسبوع أيضًا بغرفة العرس – بحسب مَثَل العذارى – التي يدخلها المؤمن المستعد مع كل أبناء الكنيسة القديسين.

أما ترتيب رتبة "النهيرة"، فبعد مجموعة من الصلوات الشعرية عن البخور، مع قراءة إنجيل متى عن العذارى، ثم المسيرة مع حمل المشاعل والشموع، ويرتل مزمور ١١٨ (١٩-٢٠) وتراتيل أخرى، يخرج المؤمنون مع الأسقف من الباب الشمالي، ويمشون حول الكنيسة ثلاث مرات (حاليًا داخل الكنيسة)، ثم يرجعون إلى الباب الرئيسي، وأمام الباب المغلق يصلّون، ويمدحون: "إفتح باب رحمتك... يا رب إرحم... كما كان يندم مار بطرس...".

ثم يطرق الأسقف ثلاث مرات على الباب بالصليب، وحينما يكملون تراتيل التوبة، يفتح الباب، ويدخلون الكنيسة دخولاً احتفاليًا "من باب العرس".

- ت -

يوم خميس الفصح

الأسماء:

* "خميس الأسرار" أو "خميس العهد"، أو "خميس الجسد".

* "خميس الغفران" أو "خميس الغسل"، أو "الخميس الأبيض".

* "الخميس الأخير قبل عيد الفصح" (أوغسطينوس).

المصادر:

تك ٢٢: ١-١٨/ خر ١٢/ عدد ٩: ١٤ / تث ١٦: ١-٨ / إش ٢٥: ٦-٩ / ٦١: ٦ / إرميا ١١: ١٩/١٢: ٦-٧ / حز ٤٥: ١٨-٢٥ / زكريا ١١: ١٠-١٤ / مز ٢٣: ٥/٥٤: ٢٢، متى ٢٦: ١-٣٥ / مر ١٤: ١-٣١ / لو ٢٢: ١-٣٨ / يو ١٣: ١-٣٨ / ٦ / ١٩: ٢٩-٣٦ / أعمال ١: ١٥-١٦ / ١ قور ٥: ٧-٨ / ١٠: ١٥-١٧ / ١١: ٢٣-٣٤.

التقسيم:

١- أصل خميس الفصح وتطور رتبته.

٢- رتبة غسل الأرجل.

٣- صورة العشاء السري.



١- يوم خميس الفصح أصله وتطور رتبته

(١) قبل القرن الرابع طُبّق مفهوم "عيد الفصح" على "عيد القيامة" نفسه، من خلال سهرة القيامة إلى الأحد العظيم. فلم يُذكر أي احتفال ليوم الخميس. وكذلك بعد ما مددت الكنيسة الاحتفال الفصحي (ذكرى موت المسيح وقيامته) على الأيام المقدسة الثلاثة وهي يوم الجمعة والسبت والأحد.

أما يوم الخميس فأعطيت له أهمية باعتباره اليوم الختامي للصوم الكبير، مع رتبة الغفران للتائبين والمصالحة للخاطئين، وفي هذا اليوم نفسه تتم رتبة تقديس الأدهان للعماد تحضيرًا لليلة القيامة.

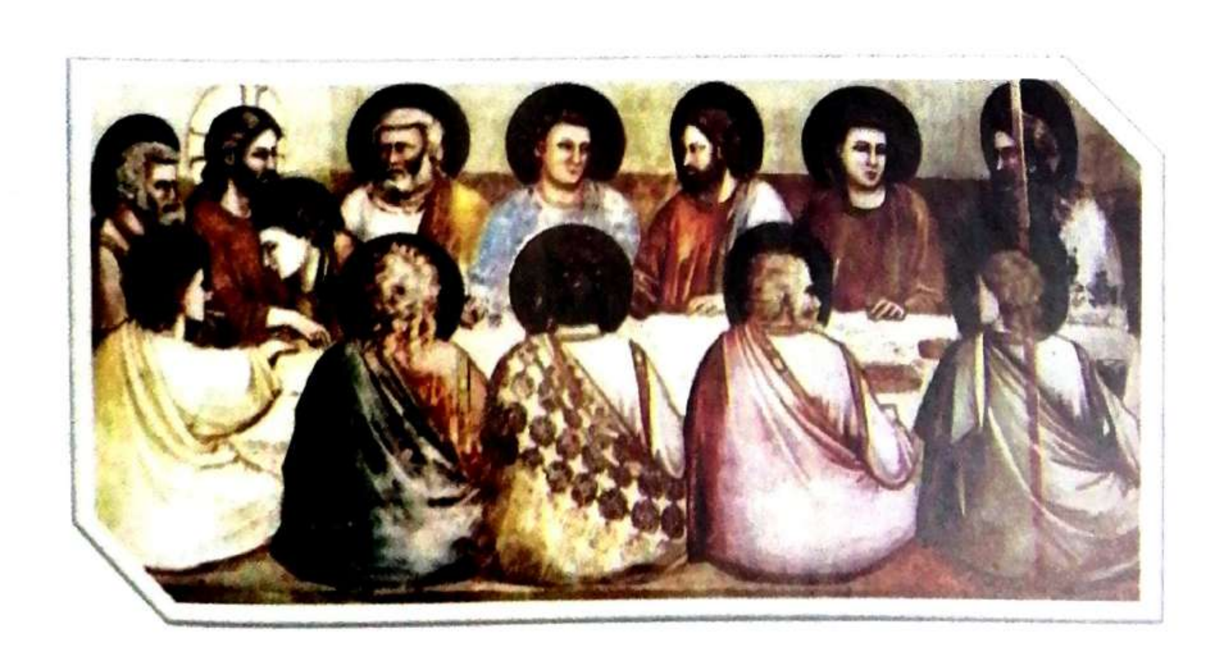
(٢) في نهاية القرن الرابع، تطورت طقوس كنيسة أورشليم، لاهتمامها بالأماكن التاريخية، والأوقات المتسلسلة للحوادث الأخيرة، كما عاشها ربنا يسوع المسيح خلال هذا الأسبوع. فأقيم قداس ذكرًا لذبيحة الحمل الروحي الحقيقي، الذي حل محل الحمل الفصحي القديم (قارن خر ١٢/ يو ١٨: ٢٨ / ١٩ :٣٦). ثم تلا القداس الأول في الكنيسة الكبرى القسطنطينية، وقداس ثانٍ في كنيسة الجلجلة عصرًا، وفي الليل، جرت السهرة في الأماكن التاريخية المتسلسلة، تعبيرًا عن العلاقة بين الذبيحة بالسر والذبيحة بالدم.

(٣) مع مرور الزمن تعلّق يوم الخميس، أكثر فأكثر بالأيام المقدسة الثلاثة (خاصة في الغرب)، وأضيفت إليه، عناصر ورُتب مختلفة بحسب تقاليد الكنائس المحلية، ويمكننا أن نذكر البعض منها:

- **في الصلاة الطقسية عند الشرقيين تُذكر مرارًا خيانة يهوذا الإسخريوطي.**
- **بقي يوم الخميس، اليوم الرسمي لقبول الخاطئين ومصالحة التائبين، الذين كانوا يتوبون إلى الله، خلال الصوم الكبير.**
- **في يوم الخميس تقدس كل الأدهان (رتّبت رتبة التقديس منذ القرن الخامس في أنطاكيا وقُبلت في أورشليم في القرن ٨-٩).**
- **في أكثر الكنائس، قُبلت رتبة غسل الأرجل (يو ١٣)، رتّبت هذه الرتبة تحت تأثير تقليدين عن غسل الأرجل، وهما تقليد شرقي قديم متعلق بسر العماد وتقليد رهباني فلسطيني متعلق بالضيافة وفضيلة التواضع.**

- في الكنائس البيزنطية يُغسل المذبح، وفي كنائس أخرى يفرّغ المذبح من كل زينةٍ بعد قداس المساء.
- منذ القرون الوسطى، أخذت الكنائس الغربية، تهتم كل الاهتمام، بحضور المسيح الحقيقي بسر القربان المقدس. فاعتبرت يوم خميس الفصح، يومًا لتأسيس سر القربان، فيعرض القربان في مكان خاص، حيث يسجد له المؤمنون طول الليل إلى يوم الجمعة.
- في كنيسة المشرق الهندية، يوزع خبز مقدس مرسوم عليه صورة الصليب ويؤكل على الطريقة الموصوفة بسفر الخروج.

> أيها المسيح، خبزنا للحياة، قوّنا وساعدنا لنشترك في جسدك
> بكل اقتناع وإيمان، فانه تحت شكل الخبز هو جسدك
> الذي تعطيه لنا، لكي نصير باشتراكنا في جسدك
> أعضاء في الجسد الواحد، وبذلك نصير حملة المسيح
> ما دام جسده يتسرّب في أعضائنا، ونصير شركاء في طبيعته الإلهية.
> (بحسب قرولس الأورشليمي-٣٨٧)



قام يخدم الرســل	يا قربانًا	عيد الحياة
في وليمة الفصح	أنت ربّ الحياة	فصح النجاة،
قال موسى:	تمّمتَ النبوءات	فصحنا يُذبح:
وإشعيا :	الحمل البار	قدّس المذبح!
يوحنا في الأمواه	كي يجلو الأسرار:	أيها المذبوح،
"هذا حمل الله"	"كبشٌ للفصح!"	أعطيتنا الروح!
شهر الزهر نيسان	شاةٌ للذبح!	
فيه موسى عيّد	أعطاه الأسماء:	
في نيسان	"يرفع الإثما!"	

المكان حيث كسر خبز الحبّ

طوباك أيها المكان الشريف لأن فيك كسر ربنا جسده.

مكان صغير مرآة الدنيا كلها، ومنه امتلأت. موسى أعطي عهدًا وضيعًا في الجبل المجيد،

أما الآن، فعهد عظيم من منزل وضيع، خرج وعمّ الأرض.

فيك تجلت لإبراهيم الرؤيا إذ قدّم عجلاً للملائكة (تك ١٨) وفيك ارتعد السارافيم لأنهم رأوا الابن وقد لفّ على حقويه منديلاً وغسل في مطهره أرجل تلاميذه، أما أدران السارق الذي أسلمه فالفم أعجز، واللسان أعلى من أن يعبرا عنها.

إن ربنا غسل جسد الإخوة، في مطهرة هي رمز للوفاق.

لقد أدخلنا في الماء من جديد لئلا نكون أعضاء منفصلة، بل أعضاء تتوافق فيما بينها ولا تشعر بتنافر مع صديقها.

طوباك أيها المكان الذي ضاهى بضيقه رحابة الدنيا،

لأن الذي حل فيك، ملأ الدنيا وعجزت عن استيعابه. مبارك أيها المسكن لأن فيك اليد المباركة، كسرت الخبز،

والعنقود الذي من مريم، فيك اعتصر داخل كأس الخلاص.

طوباك أيها المكان لأن ما رأيته لم يره إنسان ولم تقع عليه عين،

الرب الذي صار مذبحًا حقًا وصار الكاهن والخبز وكأس الخلاص.

انه يكفي بذاته لكل هذا ولا شيء يكفي ليعوض عنه، هو المذبح والتقدمة، الذبيحة والذابح، الكاهن والمأكل.

طوباك أيها المكان، لأن الوليمة التي أُقيمت فيك لم يقم مثلها

ولا على موائد الملوك ولا في قدس الأقداس لأن خبز التقدمة فيك كسر.

كنيسة المسيح الأولى أنت، وبكر المذابح عليك قد قدّم. طوباك أيها المكان، فيك التقى حمل الفصح بحمل الله الحقّ...

طوباك أيها المكان... فيك أحاط إكليل التلاميذ بالابن...

(مار أفرام : الأناشيد عن الصلب ٣ : ٥-١٣)









تعالوا خذوني...

لبس الكهنوت الحقيقي والحبرية الكاملة. قام في محبته إلى أقصى الحدود وأخذ جسده بيديه. وأصبحت اليمين مذبحًا مقدسًا وراحتيه مائدة الحبّ حمل نفسه، بدون تعب، وأخذ خبزه بدون جوع، ورفع غناه بدون حاجة، وخلط دمه بدون عطش، ومن خبزه ظهر جسده الحي ومن خمره ظهر دمه الكريم.

إني مشتاق كل الاشتياق إلى تناول الفصح معكم تعالوا خذوا عظامي المكسورة ودمي الحار. هوذا الجسد الذي لا يقدر الملائكة أن تراه لشدة مجده، هوذا الخبز خبز اللاهوت الذي أعطيه حبا لبني البشر. هوذا القدوس الذي تقدس السارافيم السماويون بقدوسهم. هوذا الثمر الذي كان آدم يريد أكله ليصبح إلهيًا. تعالوا خذوني بالأسرار منكسرًا من أجلكم، جعلت نفسي طعامًا للعالم وخبزًا طيبًا للجياع، تعالوا يا تلاميذي خذوني...

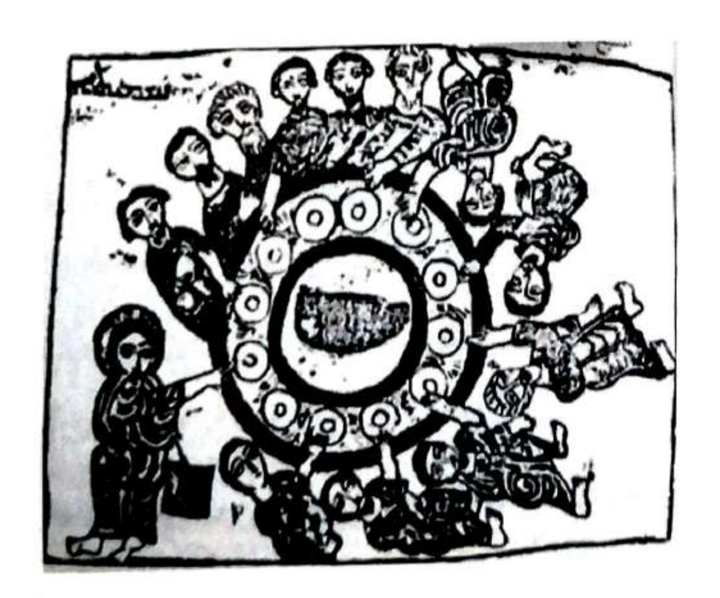
ولا تنسوا هذا المساء الذي ذقتم فيه اللاهوت، ولا تزال من بينكم هذه الذكرى إلى الأبد... سأحييكم عندما تتذكروني مدى الأيام.

(قورلونا: الميمر عن الصلب (العشاء الأخير) نحو سنة ٣٩٥)



تتجمع الحبات المنفردة وتختلط مع بعضها البعض فتصبح خبزًا واحدًا
هكذا يولد جسد المسيح الواحد من التقاء الجروح في المحبة. (أوغسطينوس -٤٣٠)

إن فصحك أيها الرب، يملأنا من الفرح والحزن ما لا يوصف.
فهو رمز لعذابك وخلاصك، وموتك وقيامتك. وهو تحقيق لسر محبتك في الخبز والخمر.
طهّرنا، يا حمل الفصح الحقيقي بدمك، حتى نموت معك عن الشرّ، ونحيا فيك بالبرّ.
أعطنا يا حمل الفصح الذبيح كل



يوم،
على مذابح الكنيسة،
والموزّع كل يوم،
طعامًا لنفوس الجائعين،
أن ننعم بثمرة ذبيحتك،
ونتغذى بجسدك،
لنتذكرك ونشكرك
في كل حين.

٢ـ رتبة غسل الأرجل

(١) علاقة غسل الأرجل بسر العماد



– من الممكن أن غسل الأرجل كان رتبة مقبولة عند جماعة تلاميذ يوحنا الإنجيلي وكأنها رتبة من الرُتب الفصحية التي نُسبت إليها قوة سرّ العماد الخلاصية. لكن لم تُحفظ هذه الرتبة بعد القرن الثاني.

– وفي كتابات آباء الكنيسة الشرقية القديمة (أفراهاط الحكيم نحو ٣٤٥ ومار أفرام +٣٧٣ وقورلونا) حُفظت آثار لاهوتية وأفكار تقارن غسل الأرجل بسر العماد، وتفسر غسل الأرجل كالعبور عبر مياه الموت إلى أرض القيامة.

– وبحسب جدول القراءات باللغة السريانية من القرن السادس (المتحف البريطاني مرقمة ١٤٥٢٨)، تجرى قراءة إنجيل يوحنا ١٣: ٣–١٦ خلال رتبة غسل (المذبح أو الأرجل أو العماد)، مساء سبت النور.

– وفي بعض الكنائس المحلية الغربية، ولمدة محدودة، كان تقليد غسل الأرجل يتم متعلقًا بسر العماد، في مقدمته أو متابعًا له فيما بعد.

(٢) علاقة غسل الأرجل بيوم خميس الفصح

– نقرأ في إنجيل يوحنا ١٣ إن غسل الأرجل يتعلق بالعشاء السري. لم تظهر رتبة غسل الأرجل في طقس كنيسة أورشليم، بحسب الوثائق من القرن الرابع والخامس، ومن الممكن أن

تكون هذه الرتبة قد نظمت خلال القرن السادس، تعبيرًا عن الحادث التاريخي المذكور في يو ١٣، وكذلك تقليدًا للرهبان الذين كانوا يمارسون رتبة غسل الأرجل في ديرهم كفضيلة رهبانية تعبّر عن المحبة الأخوية والضيافة والتواضع وبذل الذات (قارن تك ١٨: ١-٨ / ١ يو ٤: ١١-١٦). في طقس أورشـليم من القرن التاسع، يُقرأ (عبر ١١: ١٩-٢٥) ثم يقرأ الشماس (يو ١٣: ٣-١١) وبعد غسل الأرجل يكمل البطريرك نفسه قراءة الإنجيل (يو ١٣: ١٢-١٧).

- من أورشليم انتقلت هذه الرتبة إلى القسطنطينية حيث ورد ذكر هذه الرتبة في القرن الثامن ثم قُبلت في الكنائس الشرقية الأخرى.

(٣) رتبة غسل الأرجل بحسب طقس كنيسة أنطاكيا للسريان

- في بعض المخطوطات من القرن التاسع - الحادي عشر، حُفظ لنا ترتيب بسيط نذكر منه بعض النقاط :

١- المقدّمة (كاروزوثا الشماس ونشيد "المجد لله...")
٢- مزمور ٥١ (مع صلاة في مقدمته ومقطوعة شعرية بعد كل بيت)
٣- رتبة البخور
٤- القراءات (نذكر منها ١ قور ١٣: ١١-١٤ / يو ١٣: ١-١٥
غسل الأرجل (بعد تبريك الماء، وخلاله ترتل أناشيد خاصة "قولو")

- أُضيفت تراتيل وقراءات عديدة إلى الرتبة القديمة وفي الرتبة المقبولة. حاليًا يتم غسل الأرجل خطوة خطوة، مع شيء من التمثيل البسيط عن كل آية من الإنجيل الذي يقرأه الأسقف نفسه، ويمثله "قام عن العشاء... وأخذ منديلاً وتأزّر به... وصبّ ماء في مطهرة"... وغسل أرجل ثلاثة أشخاص، ثم يقف ويرتل ترتيلاً مناسبًا مكررًا ذلك أربع مرات ثم يبدأ بغسل رجل الأصغر (بحسب العمر والدرجة الكنسية) يليه الأكبر، إلى الأخير الذي يمثل مار بطرس الذي بدوره يقوم بحوار مع الأسقف بحسب الكلمات الإنجيلية.

بعد تكملة غســل الأرجل، تجرى مسيرة داخل الكنيسة وعند الختام يقرأ إنجيل يوحنا (١٠: ١-١٦) عن الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف...

٣- صورة العشاء السرّي

١) تطوّر الصورة



إن صورة العشاء السري يمكنها أن تعبّر عن لحظة تأسيس القربان المقدس، أو عن تعيين الخائن وتعريف من يكون: "هل أنا هو؟"، أو عن تناول التلاميذ.

بعد فترة الرسوم الرمزية القديمة، تظهر في القرن السادس صورة العشاء السري على جدران بعض الكنائس وفي المخطوطات، على الرغم من أن "صورة العشاء الأخير" ليست من الصور التي تنتسب إلى ترتيب الأعياد وليست من الصور التي لها مكانًا خاصًا رسميًا ثابتًا على جدران الكنائس. إن الصورة التي ثبّتت في الجدران: وراء المذبح وبعدئذٍ في مركز الإيقونستس القديم، هي صورة "تناول التلاميذ" المكررة مرتين، لتناول خبز الحياة وخمر الخلاص.

أما عن تطور نموذج "صورة العشاء السري" فيمكننا على وجه العموم أن نميز بين المراحل التالية: بحسب شكل مائدة العشاء، حيث المكان أو الموضع الذي يجلس فيه ربّنا يسوع المسيح والتلاميذ:

(١) المائدة على شكل نصف دائرة، بحسب النموذج القديم الذي يظهر منذ القرن السادس، وحُفظ في المخطوطات اليونانية والسريانية والأرمنية والقبطية من القرن التاسع إلى الثالث عشر، وعلى جدران الكنائس إلى القرن الخامس عشر.

(أ) المسيح يتكئ أو يجلس على اليسار (بحسب نظرة المشاهد) من حلقة التلاميذ حول المائدة ويبارك أو يقدّم الخبز أو الكأس. وعادة يجلس مار بطرس على اليمين مقابل المسيح، أو على جانب المسيح، أو في المكان الثاني بعد يوحنا الحبيب (أنظر لو ٢٢: ٣٢-٣٤). ويظهر يوحنا على جانب المســيح منذ القرن التاسع، وهو يميل برأسه نحو صدر ربنا المســيح (يو١٣: ٢٥). أما يهوذا فنراه يجلس أحياناً تجاه المسيح، على اليمين، مع شيطان على كتفيه (مخطوطة قبطية في مكتبة باريس الوطنية مرقمة ١٣ سنة ١١٨٠)، أو يجلس بين التلاميذ، عادة في المكان السادس أو السابع، ويمدّ يده المدنسة إلى صحن الأكل شرهًا، أو يقرّبها من فمه، أو يقوم، أو يجلس، أمام المائدة، منفصلاً عن الآخرين، يتقرّب من المسيح (يو ١٣: ٢٦)، أو ينحرف عنه (في الصور الغربية).

(ب) يجلس ربّنا يسوع المسيح في مركز الحلقة، في منتصف قمة المائدة وسط التلاميذ. ويظهر هذا الموضع متأخرًا في الشرق، في بعض الكنائس البيزنطية من القرن الثالث عشر والرابع عشر، تحت نفوذ غربي، حيث جُعل المسيح في هذا المكان منذ القرن السابع.

(٢) المائدة على شكل دائرة كاملة، بحسب نموذج لاتيني قديم من القرن السادس – الســابع. (أ) يجلس المسيح في قمة الدائرة في مركز الصورة (نرى ذلك في الصور الغربية، من القرن السابع إلى الثالث عشر). (ب) ويجلس المسيح على اليسار في الأسفل. (نرى ذلك في صورة سريانية من القرن الثاني عشر (المتحف البريطاني مرقمة ٧١٦٩: وتذكّرنا هذه الصورة بمنظر ريفي شرقي يجلس فيه أعضاء العائلة على الأرض حول الطبق المستدير).

(٣) المائدة المستطيلة التي تظهر في الغرب منذ القرن العاشر – الحادي عشر (أولاً في النحت ثم في الرسم). (أ) يجلس ربّنا المسيح على اليسار في الصور الشرقية (مخطوطة أرمنية سنة ١٠٣٨ محفوظة في متيناداران إيرفان مرقمة ٦٢٠١، وفي بعض الكنائس من قبدوقيا (من القرن الثاني عشر ؟)، وفي كنيسة القديس مرقس في البندقية (القرن الثالث

عشر). (ب) يجلس ربّنا المسيح في منتصف المائدة وسط التلاميذ بحسب النموذج الغربي المعروف.

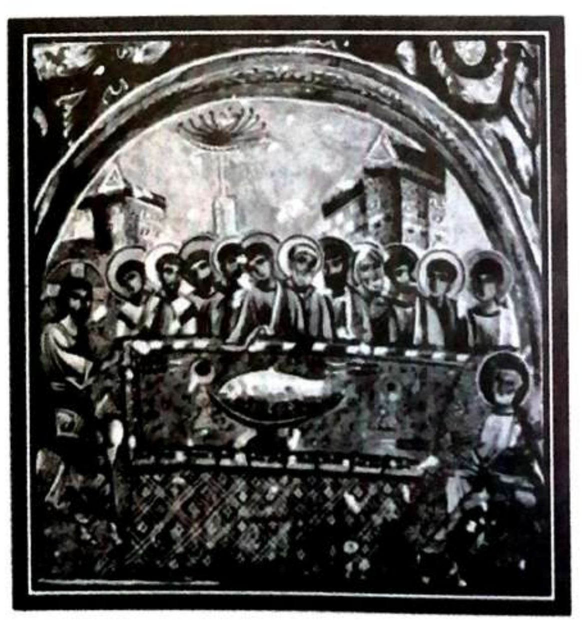
٢) لوحة ليوناردو

لا بد لنا أن نذكر هنا في هذا المجال الرسم الجداري الشهير الذي حققه الفنان الإيطالي المشهور ليوناردو دافينشي سنة ١٤٩٥ إلى ١٤٩٨، في صالة الطعام لدير القديسة مريم أم النِعَم في ميلانو، الذي به استطاع الفنان أن يعبّر ببراعة عن عمق شعور ربّنا يسوع المسيح : في هذه اللحظة الرهيبة. في المركز يجلس المسيح وهو يقدّم نفسه خبزًا من هذه الأرض، مذبوحًا لله تعالى، ومع أنه يعرف ضعف الإنسان، لا يزال يثق بالله، فيسيطر على نفسه، وسط التلاميذ المضطربين الذين يتساءلون "هل أنا هو؟"، ويشيرون إليه وحركة أيديهم تعبّر عن شعورهم ومكنونات قلوبهم. وتراهم في هذه الصورة ينقسمون إلى أربع مجموعات، كل مجموعة تتألف من ثلاثة أشخاص وهم:

يوحنا، يهوذا الإسخريوطي، بطرس / أندراوس، يعقوب الصغير، برطلما

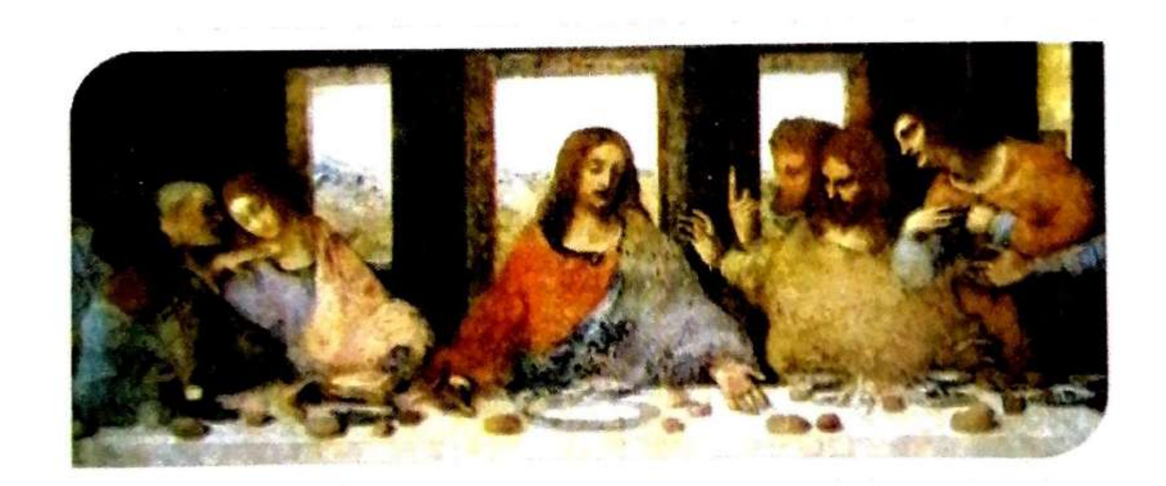
ومن اليمين توما، يعقوب الكبير، فيليبوس / متى، ثداوس، سمعان.

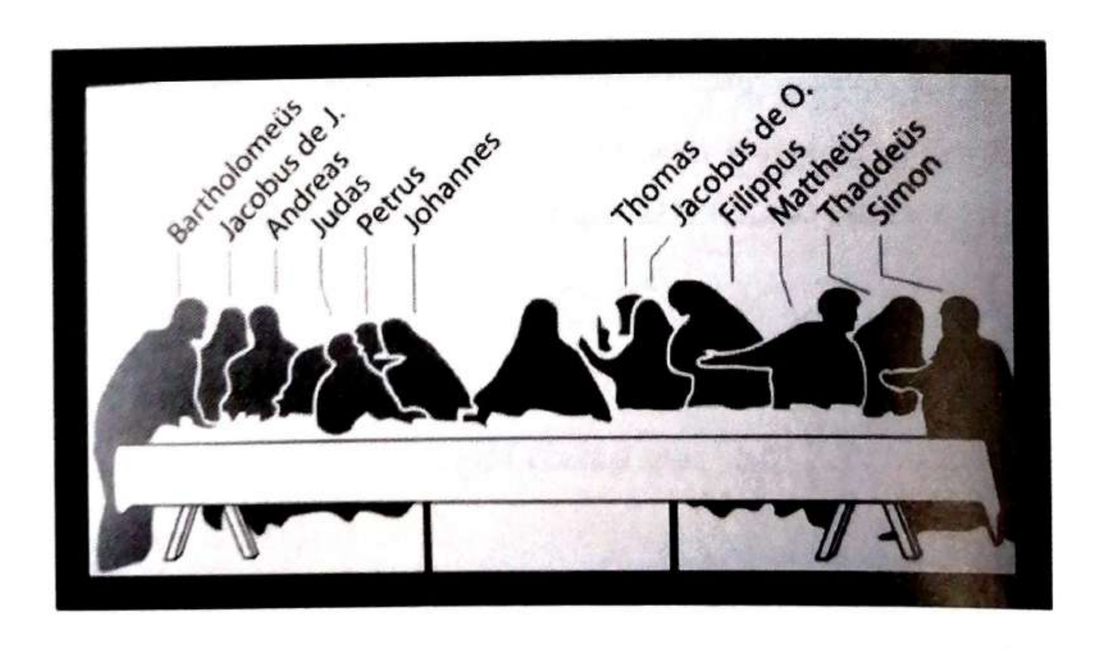
وحركات التلاميذ وكل خطوط الهندسة متجهة نحو المسيح (إلى جبينه).










Bartholomeüs
Jacobus de J.
Andreas
Judas
Petrus
Johannes
Thomas
Jacobus de O.
Filippus
Mattheüs
Thaddeüs
Simon

٣) فسيفسائية رافينا

(٢) **تفسير** فسيفساء في الجدار الجنوبي لكنيسة القديس ابوليناريوس الجديدة في رافينا نحو سنة ٥٢٠. قبل هذا الوقت كان المسيحيون يعبّرون عن سرّ القربان المقدس بواسطة صور رمزية، مثلاً الكرم مع وفرة العنب، طيور تشرب من المياه، الأسماك مع سلة الخبز، الراعي الصالح مع دلو الحليب، والمشاهد من العهد القديم: المنّ من سفر الخروج، والحمل، ثم ذبيحة إسحق، وتقدمة هابيل وملكيصادق، وطعام ضيافة إبراهيم وغيرها، ومن العهد الجديد: تكثير الخبز وخمر عرس قانا، إلخ



أما صورتنا، فتقدّم ربّنا يسوع المسيح مع التلاميذ: متكئين ومستلقين في عُلية مفروشة (كما كانت عادة القدماء – أنظر مر ١٤: ١٥-١٨)، حول مائدة بشكل نصف دائرة، والغطاء ينزل إلى الأرض من جهة المائدة الأمامية. فترتيب اتكاء الأشخاص يتبع ترتيب تشكيل المائدة، وجلوسهم على شكل نصف دائرة يعبّر عن اتحادهم:

إن الأشخاص أنفسهم يشكّلون خبزًا واحدًا خلال العشاء السرّي الذي به ظهرت محبة الله إلى أقصى حد (يو ١٣)، والحلقات المرتبطة بعضها ببعض تمثل وحدة الحبات في السنابل أو العنب في العنقود (يو ١٥).

على المائدة فوق الغطاء تقدم رموز محبة الرب، الذي بذل نفسه من أجلنا، لكن عوضًا عن حمل الفصح القديم، تُقدَّم السمكتان والأرغفة، ذِكرًا لأعجوبة تكثير الخبز والسمك في البرية، وتحضيرًا للقيامة، أنظر (لو ٣٤: ٣٠-٣٥ و٤١-٤٣ / يو ٢١: ٩-١٣ / يو ٦)، لأن "أكل السمك" كان يعتبر أكلاً طاهرًا متعلقًا بمجيء المسيح في يوم القيامة عند الأواخر، وقد جرت هذه الفكرة خاصة في بلاد ما بين النهرين.

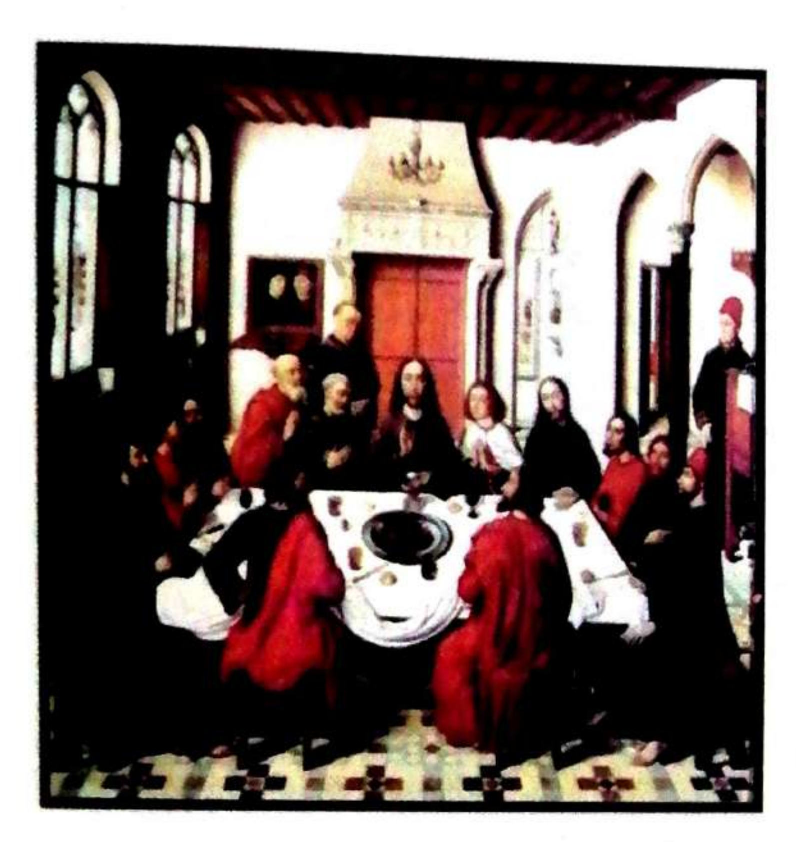
والجدير بالذكر أن أحرف كلمة "سمك" في اليونانية، (أ خ ط و س)، تبدأ كل منها بالحرف الأول من العبارة التي تعني "يسوع المسيح ابن الله المخلّص".

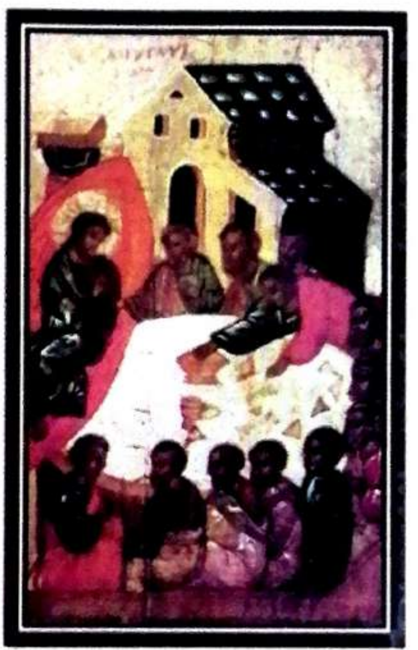
إن ربنا يسوع المسيح هو الكاهن والذبيحة معًا، وأن حبه يصل إلينا بواسطة هذا الطعام الروحي السرّي المعدّ لنا، المقرّب والمقدّم على المائدة المقدسة. وبالحقيقة هو الحمل الفصحي الجديد الذي اعتقنا وحررنا من عبودية الخطيئة على خشبة الصليب. والسمك الذي يأخذ مكان الحمل ويحل محله، هو الأكل الخاص لعيد القيامة وهو القوت الذي يحرر المؤمنين من الشر والفساد والموت.

"السمك من الينبوع، الكبير الطاهر... الذي يقدمه الإيمان للأصدقاء..."
(كتابة ابيرقيوس سنة ٢٠٠ التي تتكلم عن بلاد ما بين النهرين).

أما صورتنا المقدمة هنا الأولى في تسلسل الصور عن الآلام، التي تقدم ربّنا يسوع المسيح ملتحيًا لحية سوداء والحزن باديًا في عينيه والهالة مع الصليب، وهي كذلك الإفتتاحية من صور الآلام الفسيفسائية، في الجدار الجنوبي لكنيسة "سان ابوليناريوس" الجديدة في رافينا (إيطاليا). فالمسيح في صورتنا هو رب الآلام المتقدم للموت، الذي يبارك للمرة الأخيرة وهو متكئ على رأس المائدة من اليمين.

لكن مقابل المسيح، وعلى اليسار، يتكئ شخص قبيح، لا تظهر يده، لأنه أناني وسارق يرفض المحبة، فلا يقدم وجهه للمشاهد. وأربعة من التلاميذ ينظرون إلى ربنا يسوع المسيح بإمعان، وبينهم بطرس ويوحنا ("هل أنا هو الذي سيسلمك؟")، بينما السبعة الآخرون يركزون نظراتهم على يهوذا الإسخريوطي، وكأنهم يوبخونه على خيانته.









– ث –

جمعة الآلام

الأسماء:

"يوم جمعة الآلام"، أو "يوم الجمعة العظيمة المقدسة"، "الجمعة العظيمة"، "الجمعة الحزينة"، أو "الجمعة الصالحة"، "جمعة الصلب"، أو "جمعة السجود".

المصادر:

إش ٥٢-٥٣ / مز ٢٢: ٢و٨/ ٤٦: ٧/٦٩: ٢٢/٧٤: ١٢-١٤/٩٩: ٥و٩/ ١٣٢ :٧ /، متى ٢٦: ٣٦-٢٧ / مر ١٤: ٣٢-١٥ / لو ٢٢: ٣٩-٢٣ / يو ١٨-١٩، ١ قور ١: ١٨ و٢٣/٢: ٢ / ٢ قور ٤: ٥/ و٧-١٥ / فل ٢: ٥-١١، عبر ٤: ١٤-١٦/٥: ٧-٩ .

التقسيم:

١- السهرة الليلية

٢- القراءات الثمانية عن الآلام أو " الساعات الملكية "

٣- المقاطع الشعرية الإثني عشر

٤- رتبة السجود للصليب

٥- رتبة غطس الصليب ورتبة الدفن

٦- صورة الصليب في الغرب والشرق

١- السهرة الليلية

- إن طقس كنيسة أورشليم من القرن الرابع والخامس تشهد له وثائق مختلفة، نذكر منها مخطوطة أرمنية قديمة محفوظة في دير القديس يعقوب في أورشليم مرقمة ١٢١. وهذه المخطوطة تحتوي على جدول القراءات للسهرة الليلية ابتداءً من مساء يوم خميس الفصح إلى صباح يوم جمعة الآلام. وخلال هذه الليلة يذهب المؤمنون من كنيسة إلى كنيسة، سبع مرات

في كل مرة يُقرأ إنجيل معيّن عن آلام ربنا يسوع المسيح، يتعلق بالمكان الذي كانوا يجتمعون فيه. (قارن في هذا المجال عادة المسيحيين في بغداد الذين يطوفون من كنيسة إلى كنيسة ليلة يوم جمعة الآلام).

وفي ما يلي جدول القراءات : بحسب مخطوطة أورشليم المذكورة:

(١) ٥ مرات مجموعة من ثلاثة مزامير، مع صلاة وركوع ثم تليه قراءة من إنجيل يوحنا ١٣: ١٦-١٨، ويتم ذلك في كنيسة ايلايونة في جبل الزيتون.

(٢) إنجيل لوقا ٢٢: ١-٦٥ في كنيسة الصعود المبنية على قمة جبل الزيتون.

(٣) إنجيل مرقس ١٤: ٢٧-٧٢ في "مكان التلاميذ" وهي المغارة في جبل الزيتون حيث كان ربنا يسوع المسيح يعلّم تلاميذه عن الأواخر، وكانت كنيسة ايلايونة قد بنيت عليها.

(٤) إنجيل متى ٣٦: ٣١-٥٦ في مكان "جثسيماني" الذي يقع بين جبل الزيتون والمدينة أورشليم.

(٥) إنجيل متى ٢٦: ٥٧-٧٥ في مكان "قصر قيافا وندامة مار بطرس" الذي يقع شرقي العلية.

(٦) إنجيل يوحنا ١٨: ٢٠-٢٧ في كنيسة الجلجلة التي بُنيت فوق صخرة الصلب على يد قسطنطين الكبير.

(٧) إنجيل يوحنا ١٨: ٢٨-١٩ أيضًا في (أو أمام) كنيسة الجلجلة.

- خلال هذه الليلة كانت الكنيسة البيزنطية تقوم بممارسة طقس "الآلام المقدسة الخلاصية لربنا يسوع المسيح "الذي يحتوي على ١٢ قراءة إنجيلية.

في كنيسة المشرق يقرأ إنجيل الآلام "المختلط" في القسم الثالث من صلاة الليل. لكن القراءات الأورشليمية حُفظت في مخطوطة سريانية (ملكية ؟) لينينغراد مرقمة ٢٣. والمخطوطة السريانية من القرن السادس (المتحف البريطاني مرقمة ١٤٥٢٨) تذكر لصلاة

المساء (خميس الفصح) يو ١٣: ١٤-٣١ / لو ٢٢: ٣٩-٤٤ ولصلاة الليل متى ٢٦: ٣٦-٧٥ / لو ١٨: ٢-١٩.



٢- القراءات الثمانية عن الآلام أو جمعة الآلام بحسب طقس أورشليم القديم

إن طقس أورشليم القديم معروف لدينا من جدول القراءات الذي حُفظ لنا في المخطوطات الأرمنية، وكذلك من وصف له منقول عن الراهبة الإفرنجية إيجيرية التي كانت تزور في المدينة المقدسة سنة ٣٨٣، وقد ورد ذكر القراءات الثمانية عن الآلام أيضًا في خطبة من خطب القديس قورلس الأورشليمي (٣٤٨/ + ٣٨٧)، وهي الخطبة ١٣.

أ- من الصباح إلى الظهر تُقدَّم خشبة الصليب للسجود من قبل المؤمنين.

ب- من الظهر إلى العصر تُقام صلاة أمام كنيسة الجلجلة في مكان الصلب نفسه، وتُقرأ خلالها ٨ نبوءات وما يحققها في العهد الجديد، وتُذكر خطوة خطوة المراحل الثمانية من آلام ربنا يسوع المسيح:

(١) مز ٣٥: ١١/ زك ١١: ١١-١٤ / غل ٦: ١٤-١٨ مع صلاة وركوع

(٢) مز ٣٨: ١٨ / إش ٣: ٩-١٠ / فل ٢: ٥-١١

(٣) مز ٤١: ٦ / إش ٥٠: ٤-٩ / روم ٥: ٦-١١

(٤) مز ٢٢: ١٩/ عاموس ٨: ٩-١٢ / ١ كور ١: ١٨-٣١

(٥) مز ٣١: ٦ / إش ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢ / عبر ٢: ١١-١٨ / متى ٢٧: ١-٥٦

(٦) مز ٦٩: ٢٢ / إش ٦٣: ١-٦ / عبر ٩: ١١-٢٨ / مر ١٥: ١-٤١

(٧) مز ٨٨: ٥ / إرميا ١١: ١٨-٢٠ / عبر ١٠: ١٩-٣١ / لو ٢٢: ٦٦-٢٣: ٤٩

(٨) مز ١٠٢: ٢ / زك ١٤: ٥-١١ / ١ طم ٦: ١٣-١٦ / يو ١٩: ١٦-٣٧

ت- ثم تُتلى صلاة المساء في الكنيسة الكبرى مع القراءات التالية :

إرميا ١١: ١٨-١٢: ٨ / إش ٥٣: ١-١٢ / مز ٢٢: ١٩

(في الطقس من القرن الثامن كانت تجرى هنا رتبة غطس الصليب ورتبة التناول)

ث- وأخيرًا يذهب المؤمنون مع الأسقف إلى قبة القيامة حيث يقرأ إنجيل متى ٢٧: ٥٧-٦١ في مكان القبر المقدس.

- وقد حُفظت هذه القراءات الخاصة لجمعة الآلام بصورة كاملة في طقس كنيسة الأرمن وبصورة جزئية في بعض الطقوس الأخرى وخاصة عند الكنائس البيزنطية في "الساعات الملكية" "للجمعة العظيمة".

٣- المقاطع الشعرية الإثني عشر

منذ القرن السابع ظهر في طقس أورشليم إثنا عشر مقطعًا شعريًا جميعها يتعلق بصلوات الساعات الكبيرة ليوم جمعة الآلام ويمتزج بها، وترجع نفس المقاطع في طقس القسطنطينية (في مخطوطة من القرن الثالث عشر). والتقليد ينسبها إلى قورلس الأورشليمي (+٣٨٧) أو إلى سوفرونيوس الأورشليمي (+٦٣٨). ثم نقلت إلى اللغة السريانية وإلى لغات أخرى، وقبلتها كنيسة السريان في ترتيب خاص، كما يظهر ذلك من الكتاب الطقسي الذي ألّفه ميخائيل الكبير

الأول بطريرك السريان (١١٦٦-١١٩٩). وأثّرت هذه المقاطع الشعرية على كل الطقوس بسبب قيمتها اللاهوتية وجمال أسلوبها الكتابي البديع. فلنذكر البعض منها:

(١) اليوم عُلّق على الخشبة الذي علق الأرض على المياه. إكليل من شوك وضع على هامة ملك الملائكة. والذي وشح السماء بالغيوم ألبس برفيرا كاذبًا، والذي اعتق آدم في الأردن قبل لطمة.

عريس الكنيسة سمّر بالمسامير، وابن العذراء طعن بحربة. نسجد لآلامك أيها المسيح، فأرنا قيامتك المجيدة.

(٣) هكذا يقول الرب لليهود: "يا شعبي ماذا صنعت بك؟ أو بماذا آذيتك؟ إني أنرت عميانك وطهرت برصك وقومت الرجل المضجع على السرير، يا شعبي ماذا فعلت بك وبماذا جزيتني؟ عوضًا عن المن مرارةً وبدلاً من الماء خلاً، بدل أن تحبني سمّرتني على صليب فلا أستطيع بعد الصبر سبيلاً. سأعود للأمم، فهم يمجّدوني مع الآب والروح القدس، وأنا أهب لهم حياة أبدية".

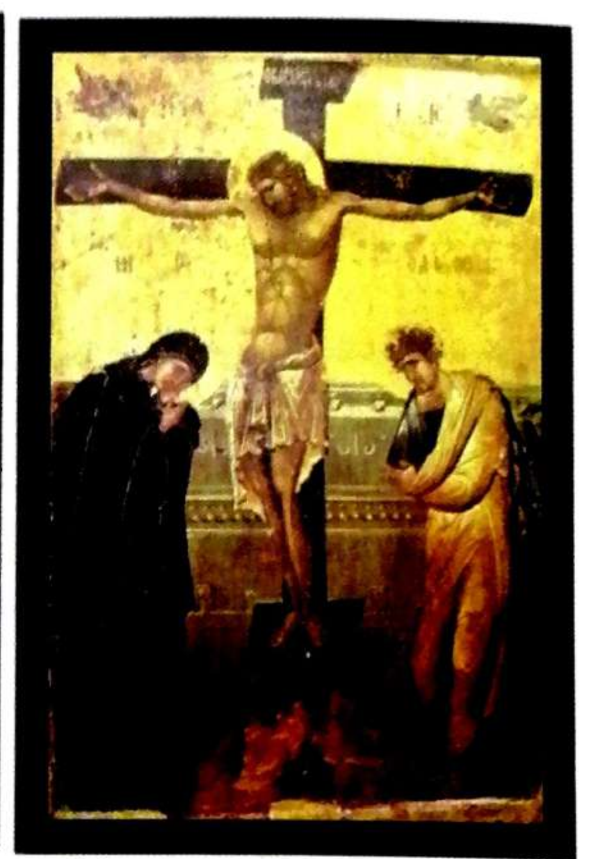
(٤) إن بطرس بعد أن أنكرك ثلاث مرات، فَهَمَ في الحال ما قلته وقدّم لك دموع التوبة...

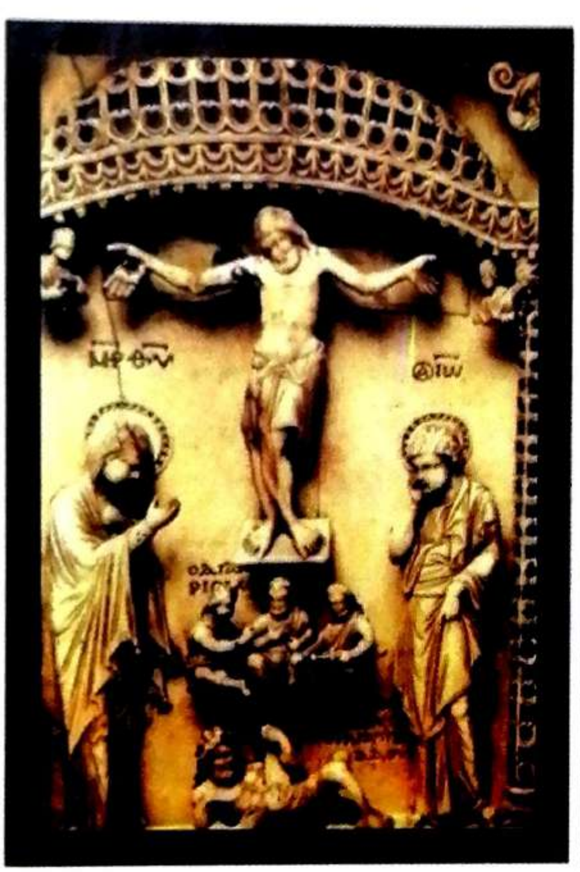
(٥) أيها الرب لما قبض عليك مخالفو الشريعة، قلت لهم بجرأة: "ولئن كنتم ضربتم الراعي وشتتّم الخراف...".

(٦) أيها اليهود والفريسيون، محفل الرسل يقول لكم: "هوذا الهيكل الذي نقضتموه، هوذا الحمل الذي صلبتموه، قد دفعتموه إلى القبر، لكنه قام بسلطانه الخاص...".

(١١) اليوم انشق ستار الهيكل، تبكيتاً لمخالفي الشريعة. والشمس سترت أشعتها لما رأت الرب مصلوبًا...

(١٢) أيها الرب المضروب على الصليب هكذا صرخت:"لأي عمل من أعمالي صلبتموني ؟".





٤ـ السجود للصليب : تطور الرتبة

(١) بعد اكتشاف خشبة الصليب في أورشليم بين سنة ٣٣٥-٣٤٧، أخذ المسيحيون هناك يحترمون هذه الذخيرة العظيمة ويسجدون أمامها ذكرًا لآلام ربهم. وبحسب الطقس من القرن الرابع – الخامس، قُدمت الخشبة للسجود، يوم جمعة الآلام من الصباح إلى الظهر بدون أن تذكر أي قراءة أو ترتيل.

(٢) ولكن بعد فتح أورشليم سنة ٦١٤ على يد الفرس، لا نجد ذكرًا لرتبة السجود للصليب في الكتب الطقسية هناك. وكذلك في طقس القسطنطينية، لم تظهر هذه الرتبة يوم جمعة الآلام، بل عُيّنت رتبة السجود للصليب في الأحد الثالث من الصوم الكبير. (تذكارًا لانتصار الإمبراطور الرومي هرقل على الفرس ولنقل خشبة الصليب إلى القسطنطينية؟) بالنسبة إلى كنيسة المشرق

يسعنا أن نذكر بأن جدول القراءات الكامل حُفظ لنا في مخطوطة من القرن السادس (المتحف البريطاني مرقمة ١٤٥٢٨) لكن لم تذكر رتبة السجود في الكتاب الطقسي المنسوب إلى كيوركيس الأربيلي. أما في كنيسة روما فقد قبلت رتبة السجود للصليب نحو ٧٥٠، ومن الممكن
أن يكون أحد البابوات من أصل شرقي قد أدخلها إلى طقس روما.

بحسب طقس أورشليم من القرن الرابع إلى سنة ٦١٤	بحسب طقس أورشليم منذ القرن السابع	بحسب طقس القسطنطينية منذ القرن العاشر تقريبًا
(١) من الصباح إلى الظهر السجود لخشبة الصليب (٢) من الظهر إلى العصر أما الجلجلة تجري رتبة في ثماني مراحل من القراءات ذكرًا للآلام (٣) بعد صلاة المساء تقدم بعض القراءات في الكنيسة الكبرى (٤) ختامًا قراءة إنجيل الدفن في قبة القيامة	لم تذكر رتبة السجود للصليب بعد صلاة الصباح تقام صلاة خاصة لذكرى حمل الصليب (مز ٩٤: ٢١ / لو ٢٣: ٢٦..) من الظهر إلى العصر أما الجلجلة تقوم صلاة الساعات في ٨ مراحل من القراءات وتتخللها المقاطع الشعرية الـ ١٢ صلاة المساء مع مجموعة من القراءات الجديدة عن الدفن - رتبة غطس الصليب - تناول الشعب	لم تذكر رتبة السجود للصليب (قارن الأحد الثالث من الصوم) من الصباح إلى العصر تذكر آلام ربنا المسيح في ٤ مراحل من القراءات. -وهي رتبة الساعات الملكية- تتخللها المقاطع الشعرية الإثني عشر. - تبريك الفطير. صلاة المساء مع القراءات الخاصة عن الدفن - رتبة الدفن الاحتفالي مع السجود أمام القبر حيث وضعت صورة المدفون وكتاب الإنجيل. - توزيع الفطير

٣) أما كنيسة السريان فقد حفظت الرتبة القديمة خلال صلاة الساعات يوم جمعة الآلام. وهنا نقدم فكرة بسيطة عن هذه الرتبة الجميلة المثيرة للعواطف والمشاعر الدينية:

– بعد صلاة الساعة الثالثة (أو الساعة السادسة) تبدأ دورة في داخل الكنيسة، فيسير الشمامسة والكهنة ثم الأسقف، وهو يحمل على كتفيه صليبًا كبيرًا، ويسير متجهًا إلى ما يمثل الجلجلة (وهي مكان مرتفع أمام الباب الملكي في وسط الكنيسة) حيث يرفع الصليب بين شمعتين – تمثل أحدهما وهي الشمعة البيضاء لص اليمين والشمعة الأخرى السوداء لص اليسار والتي تتكسر بعد قراءة الإنجيل – وخلال الدورة ترتل تراتيل الحزن منها "نواح مريم" القائل "عندما كان يحمل الصليب... قالت مريم أين يا ابني أين يا حبيبي أين يوصلونك؟...".

– ثم تكمل الصلوات والقراءات الخاصة للساعة السادسة (يعني الظهر) والتاسعة (يعني الساعة الثالثة بعد الظهر).

– وبعد الصلاة التاسعة تبدأ رتبة السجود للصليب المقدس. ينزل جسد المسيح من الصليب على المذبح، ويغطى بمنديل أسود، وتتم التراتيل والصلوات: "أيها المسيح الذي بموتك وهبت الحياة لموتنا، أقم أمواتنا وارحمنا". وتمدح مجموعة من المدائح الشعرية عن الآلام، مع مزمور ٥١ ومزمور ٢٢ ثم نشيد مريم والتطوبيات، ثم رتبة البخور. وصلاة مار أفرام عن مريم التي تمثل الكنيسة ترى آلام ربها من جديد، وتعيش شدتها من كل قلبها وبعد ذلك تقرأ مجموعة من القراءات (زك ١٢: ٩-١٣ : ١ / أعمال ٢٦: ٨-٢٣ / غل ٢: ١٧-٣ : ٧ / يو ١٩: ٢٥-٣٠ (٣٧)).

مع موعظة جمعة الآلام ومناحات مريم قامت مريم بنت داود... ثم يرفع المنديل عن الصليب ويقدم ثلاث مرات للسجود له من قبل المؤمنين، أمام نصب الجلجلة ومن ثم يبخر أمام الصليب حينما يقال: "فلنسجد للصليب الذي به خلاصنا ومع لص اليمين نهتف: أذكرنا في مجيئك".





٥- رتبة غطس الصليب ورتبة الدفن

(١) في طقس أورشليم المتطور منذ القرن السابع أو الثامن، تظهر لأول مرة رتبة غطس الصليب. ثم في نهاية طقس الساعات ليوم جمعة الآلام يغطّس الصليب ويحمل، ثم يوضع الصليب – الخشبة المقدسة – في مكان خاص (وراء المذبح) عادة عند أكثرية الكنائس الشرقية (الأرمنية والبيزنطية...) وقد أصبحت هذه الرتبة مسيرة الدفن الاحتفالية التي تمثل دفن المسيح.

(٢) أما في المسيرة البيزنطية فتحمل "يافطة" وهي قطعة من قماش ثمين طرزت عليها صورة جسد المسيح الرب عند الدفن (المسماة بالإسم اليوناني ايفيطافيون) وحينما تُنقل من المذبح إلى مكان القبر المقدس يحمل المؤمنون الشموع ويقدمون الورود. ثم توضع قطعة القماش هذه في نعش القبر المقدس ويأتي الشعب ليسجد أمامه وتتلى الصلوات: "أيها اللابس النور كالثوب، لما أنزلك يوسف مع نيقوديموس عن الخشبة وشاهدك ميتًا عريانًا غير مدفون، طفق يبكي راثيًا لك بنحيب وقائلاً: "ويحي يا يسوع الجزيل الحلاوة الذي لما شاهدته الشمس على الصليب معلقًا التحفت بالظلام، والأرض تزلزلت جزعًا، وحجاب الهيكل انشق متمزقًا...".

"ها اني أراك الآن محتملاً لأجلي الموت طوعًا، فكيف اجنزك يا إلهي؟ أم كيف أضعك في الأكفان؟ بأية يدين ألامس جسدك الطاهر، أم أية مراثٍ أنشد لتجنيزك، يا رؤوف؟ فأعظّم آلامك وأسبّح دفنك وقيامتك...".

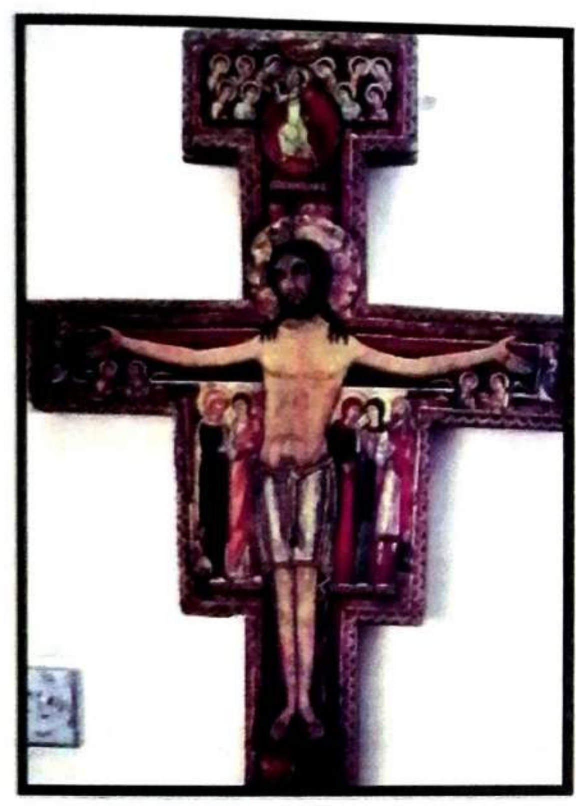
(٣) في طقس السريان تُجرى رتبة دفن الصليب بعد الموعظة، وقد يلفّ أحد الكهنة الصليب بالبخور والقطن داخل المنديل ووضعه في النعش. ثم يحمله الشمامسة ويسير وراءه الأسقف والمؤمنون، ويرتلون تراتيل الدفن، ثم وسط الكنيسة يقوم حسى الدفن مع قراءة (تك ٣٧ : ٢٩-٣٥)، ويبخر الأسقف أمام القبر ويرفع الصليب من النعش ويضعه في القبر ويغطيه بالحجر ويختمه بالشمع ثلاث مرات.

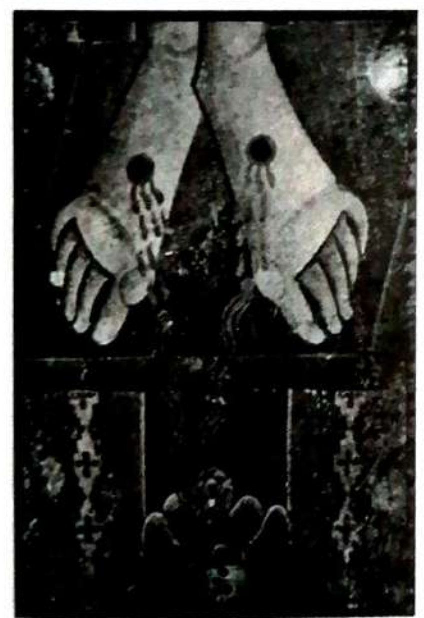
"آه يا مريم قد صار صبرك سورًا حصينا – بجاه آلامه يا حنونة ارحمينا...

بالصلاة عرق ابنك دمًا وبه نقينا – على الجلجلة صلب وبصلبه قد حيينا...

شق الهيكل عند موته شقًا متينا – ترى من كان يصدّق ان الإله يصير دفينا...".







صلوات قديمة

إرتعدوا أمام الـذي ترتعـد لـه الـسماء والأرض
معلّق ذاك الذي علّق الأرض
وموثق ذاك الذي أوثق السماء
وذاك الذي مد العالم
ممدد على الصليب.
(ميليتوس السردي – القرن الثاني)

"أيها المسيح، إن الخليقة بأسرها
لما شاهدتك مصلوبًا، ارتجفت
فأسس الأرض تزعزعت خوفًا من عزتك
والكواكب استترت وحجاب الهيكل تمزق،
الجبال اهتزت والصخور تشققت،
واللص المؤمن هتف لك معنا،
يا مخلّص أذكرني في ملكوتك
أيها المسيح المعطي الحياة
لقد صُلِبت لأجلي لتُنبع لي الغفران
وطُعن جنبك بحربة لتفيض لي ينابيع الحياة
وسُمِّرْتَ بالمسامير حتى اتحقق بعمق آلامك
علو عزتك فاهتف لك: المجد لآلامك وصليبك".
(الطقس البيزنطي)

لا يزال العالم ان يبغضه فينا كما انه هو يتحمل الإهانة فينا ولأجلنا.
(بولينوس من نولا – ٤٣٢)

صليب الخلاص

يسوع معلق على الصليب، انه لنا عيد. أجل، أنا تواق إلى القول : إن الصليب عيد واحتفال روحي محض. لقد كان الصليب شارة الرذل، أما الآن فهو عنوان الشرف، وما كان رمز العبودية، أصبح رمز الخلاص، الصليب هو لنا ينبوع يفيض بالنِعم : فهو يرشدنا في الضلال وينيرنا في الظلمات ويقرّبنا من الله.

لقد لاشى العداوة وأخمد الحرب وصالح مع الله من كانوا قد انفصلوا عنه، فضمهم إلى عائلته، وأمّن لنا السلام الذي أتانا به. فهو كنز جميع الخيرات. (يوحنا الذهبي الفم -٤٠٧)

طوباك أيتها الجلجلة، فإن السماء حسدتك على صغرك، لأن مصالحتنا مع الله لم تتم في أعلى السماء... بل في ذراعك تعافينا من ديوننا. من عليك دخل اللص الفردوس جهــرًا... فالذي قُتل عليك هو خلاصنا. (مار أفرام : الأناشيد عن الصلب ٨: ٥)

صليب السلام

إن موت الرب هو فداؤنا وهو هدم السور الفاصل بين الله وبيننا، وهو دعوة الشعوب إلى الخلاص. وكيف يمكن الرب أن يدعونا إن لم يمت على الصليب؟ فعلى الصليب وحده يموت الإنسان، ويداه ممدودتان مفتوحتان، ولذلك كان من اللائق أن يموت الرب هذا النوع من الموت، حتى يفتح لنا ذراعيه ليجذب كل الشعوب، ووحدهم كلهم فيه (يو ١٢: ٣٢).
(أثناسيوس الإسكندري -٣٧٣)

هذه الشجرة التي ترتفع حتى السماء تصعد من الأرض. نبتة خالدة تنتصب ما بين السماء والأرض، عماد الكون الوطيد رباط كل شيء ركن المسكونة تشابك كوني مختصر التنوع البشري، تثبته مسامير الروح غير المنظورة، لئلا يترجرج في تصويبه نحو الإلهي...

(هيبوليطس كاهن كنيسة روما -٢٣٦)

٦- صورة الصلب في الغرب وفي الشرق

صورة الصلب في الغرب

(١) **صورة "الصلب التاريخي الحقيقي"** قبل القرن السادس لا نجد أي صورة عن الصلب إلا ما ندر، لأن ذكرى الصلب كانت ما تزال في ذلك الوقت صورة غير لائقة في ذهن الكثيرين كعقاب شديد للمجرمين وعلامة العار لهم (قارن الرسم السخري على جدار البيت الروماني لسنة ٢٤٠)، لذلك لم يُحفظ لنا شيء جدير بالاهتمام إلا نحت مصنوع في مدينة روما. (أ) نحت على خشبة باب كنيسة القديسة سابينة، يرجع عهده إلى سنة ٤٣٨، ويقدم صورة الصلب خارج أسوار أورشليم أو أمام بيوت المدينة، ولم يظهر الصليب نفسه إلا قليلاً، وربنا المسيح المصلوب يقف على الأرض، ولا يلبس إلا حزامًا أو نطاقًا، ورأسه الكبير وبلحية كثة وعينين مفتوحتين، واقفًا بين اللصين الصغيرين، ويديه بحركة المصلّي. (ب) نحت آخر على عاج صندوق مصنوع سنة ٤٢٥، ومحفوظ في المتحف البريطاني حاليًا، وفيه نرى ربنا المسيح بدون لحية، ويقف على دعامة وجسمه يتبع الصليب، وتحت الصليب يقف يوحنا مع مريم العذراء من الجهة اليمنى، ومن اليسرى، من جهة القلب الطبيعية، يضرب الجندي صدر المسيح، فهكذا تعبّر هذه الصور القديمة عن حقيقة الصلب التاريخي.











(٢) صورة لاهوتية تعبّر عن الصلب كأنه الانتصار على الموت

في ايرلندا، القرن الثامن إلى العاشر، صُنعت صلبان مزينة ومزخرفة، تُقدم ربنا المسيح بثوب طويل وعيناه مفتوحتان، حينما يُضرب بالرمح من جهة القلب الطبيعية. في مملكة الإفرنج يظهر نموذج لاهوتي للصلب يمكننا أن نسميه "الانتصار على الموت"، لأن في نفس الصورة الواحدة يعبّر عن الصلب وعن القيامة في آن واحد. ففي الصورة تظهر شخوص عديدة: في السماء تبيّن يد الله الآب الكبيرة التي تقدم إكليلاً، بين رمزي الشمس والقمر في الركنين، وملاكين أو أربعة، يمدّون أيديهم استقبالاً لروح المسيح.

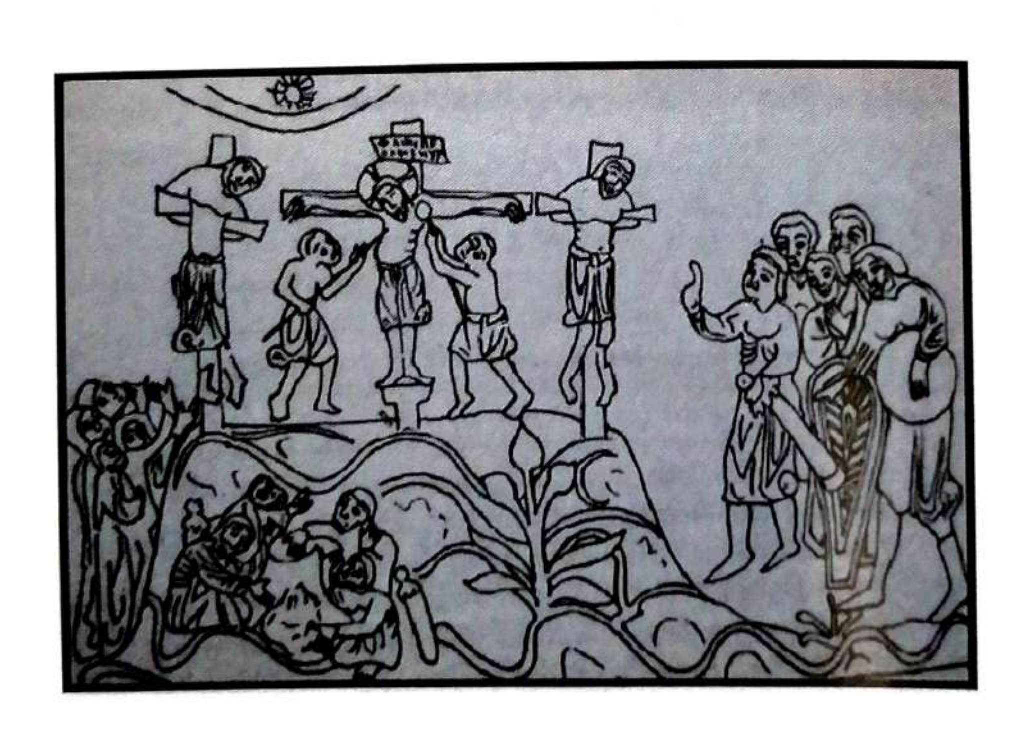
أحيانًا يُرسم هنا فوق الصليب مشهد الصعود مع رموز الإنجيليين الأربعة، وربّنا المسيح يلبس عادة مئزرًا بدل الثوب الطويل، ويقف على مقعد صغير للرجلين، ويحني رأسه إلى اليمين وعيناه مغمضتان. يضربه صاحب الرمح من جهة وصاحب الاسفنجة من الجهة الأخرى (لونجينوس واسطيفانوس). عادة تُرى مريم العذراء من جهة، ومن الجهة المقابلة يوحنا الإنجيلي. تحت الصليب أيضًا تظهر امرأتان، إحداهما تمثل الشعب القديم وهي ترفض الدم الخلاصي وتهرب من عند الصليب، أما الثانية فهي تمثل الكنيسة، فتمدّ كأسًا لتجمع به دم المسيح المراق من قلبه المطعون. وأحيانًا يظهر معهما ملاكان يحملانهما إلى الصليب. وعند قدم الصليب تلتفّ الحية أو يجلس شخص رمزي اسطوري يمثل الأرض أو البحار. أخيراً يشاهد في أسفل الصورة عدد من القبور المفتوحة، والأموات يخرجون منها – في مقدمتهم آدم وحواء – وأيديهم مرتفعة نحو الصليب. في بعض الصور الأخرى، يظهر مشهد مجيء النساء المريمات إلى قبر المسيح في أحد القيامة، وأمام بناء القبر المدور يجلس الملاك المبشر بالقيامة.



(٣) صورة المصلوب المحب للبشر

في بداية القرون الوسطى حُفظت في أوربا صلبان كبيرة من الخشب، ومن صورة المسيح المصلوب على هذه الصلبان يظهر بوضوح جليّ للعيان السلام الداخلي للمسيح المصلوب على هذه الصلبان وحبه اللامتناهي لبني البشر. وفي القرن الحادي عشر، قُدم جسد المسيح المعلّق على الصليب منحنيًا بتوتر شديد على هيئة قوس مشدود، وذلك تعبيرًا عن شدة الآلام ورونتها (قارن الصورة الشرقية). ومنذ القرن الثاني عشر تأخذ المسامير الثلاثة بالظهور في الصور أكثر فأكثر، حيث اكتُفيَ بمسمار واحد فقط لتسمّر به الرجلان كليهما معًا على خشبة الصليب (بينما في الشرق كانت تظهر في أسفل الصليب خشبة صغيرة توضع عليها الرجلان وتسمّران عليها بمسمارين). وفي ذلك الوقت أيضًا، كان الصليب يُقدَّم بطريقة مبسطة: الصليب لوحده أو مع صورة لشخص واحد، وقد كانت عادة لمريم المجدلية وهي تبكي تحت الصليب وتقبّل الخشبة بخشوع وحزن عميقين.

لقد أثّرت كثيرًا على تشكيل هذه الصور العواطف الجياشة بالإيمان العميق وكذلك المشاعر الدينية الصالحة التي كانت تختلج بها صدور المؤمنين. كما أثّرت في تركيبها أيضًا رؤى أهل التصوف وكتابات المتعبدين.





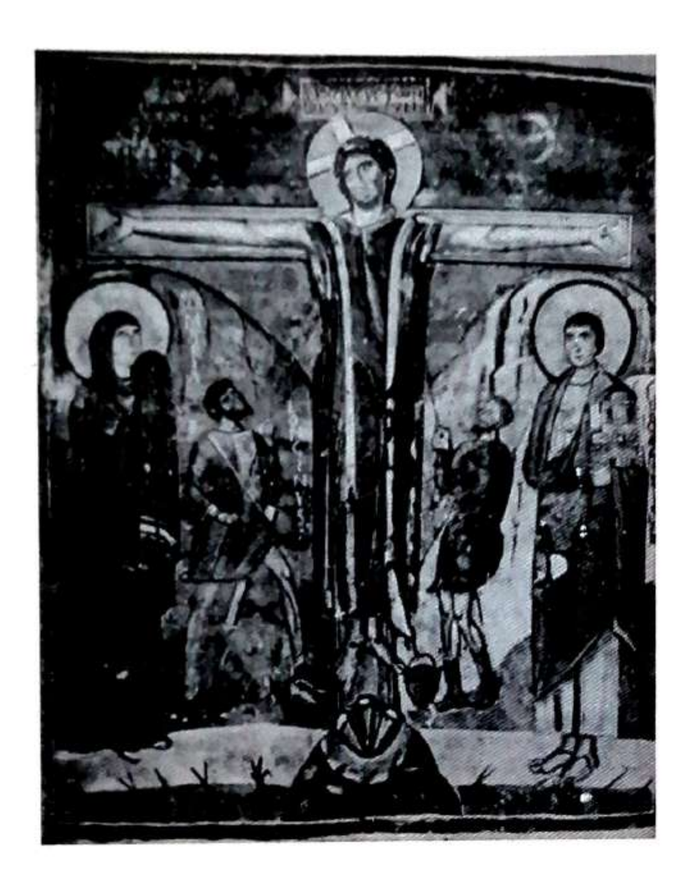
(٤) صورة المصلوب رجل الآلام

إن صورة المسيح المصلوب إبان القرون الوسطى كانت تلك الصورة التي تعبر عن قساوة الصلب وشدة الآلام. ففي هذا الوقت أخذ الشعب المؤمن يهتم كل الاهتمام بآلام ربنا يسوع المسيح، وخلال هذه الفترة من الزمن أيضًا ظهرت عبادة درب الصليب ومسرحيات الآلام ومسيرة التائبين التي تحمل الصليب، وكان كل ذلك للاقتداء بآلام المسيح وأوجاعه. وفي هذه الفترة كذلك (من القرن الثالث عشر إلى السادس عشر تقريبًا) أخذ الفنانون يرسمون المسيح في صورهم كالمصلوب الذي مات ؛ المسيح المتألم الموجوع، وعلى رأسه ظُفر إكليل الشوك، بجسمه المضروب والمجروح، وبقلبه وجنبه المطعونين بالحربة... (قارن الصور من أوربا الشمالية، وخاصة تلك الصورة التي بريشة الفنان الألماني كرونوالد: ١٥١٥-١٥٢٠) هنا في هذه الصور نرى كثرة عدد الأشخاص حول الصليب الغالي، وكلهم يعبّرون عن حزنهم وألمهم.

(٥) صورة المصلوب الجميل

منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر وحتى القرن التاسع عشر، كانت الرسوم والصور للمسيح المصلوب تقدم لنا المسيح بمفرده وفي أغلب الأحيان، معلقًا على الصليب لوحده وسط منظر ليلي حالك السواد... وكان الفنانون يحاولون في صورهم تلك، التعبير عن جمال جسد السيد المسيح إلى أقصى الحدود، لأنهم ربما فهموا بهذه الطريقة أو أرادوا بها التعبير عن غلبة المســيح وانتصاره على الموت، حيث يرمز نور الجمال الجسدي الذي كان ينبعث من جسد المصلوب القوي الجبار إلى بداية القيامة...





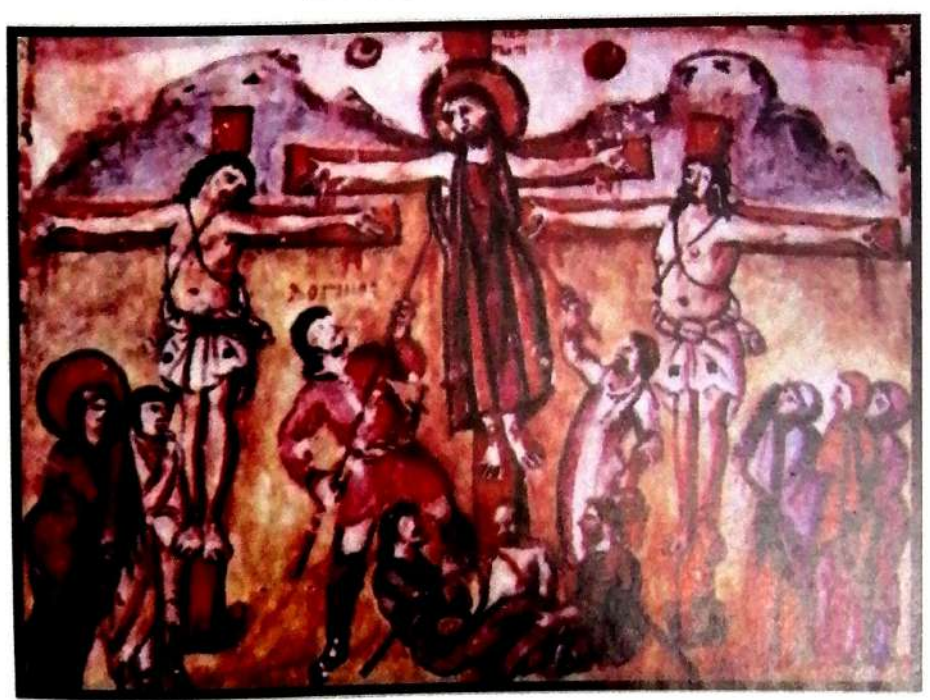
وقد كانوا يقدمون المسيح المصلوب بطريقتين: الأولى وكأن الرب يسوع قد مات على الصليب وأحنى رأسه إلى صدره... والثانية وكأنه ما زال حيًا وهو يصرخ مستغيثًا مرفوع الرأس نحو السماء... (بحسب مزمور ٢٢). قارن في هذا الخصوص صور الفنانين ميخائيل أنجلو نحو نهاية حياته سنة ١٥٤٠، والغريكو (اللوحة سنة ١٥٩٠)، وروبنس (اللوحة سنة ١٦١٠)، وفيلاسكيز (اللوحة ١٦٣٢). أما في قرون الانحطاط الفني (١٧-٢٠) فيُقدَّم الصلب كما ورد في الصور السابقة، لكن بدون أية قوة فنية أو فكرية. (قارن مدرسة بويرون الألمانية في القرن التاسع عشر).

صورة المسيح المصلوب في الشرق

(١) إن الصورة التي نقدمها للمسيح المصلوب هنا يعود تشكيلها إلى نموذج قديم (رسم جداري فلسطيني في كنيسة القيامة؟) يمكننا أن نسميه: النموذج الإنجيلي التاريخي، وهو النموذج الذي نجد آثاره محفوظة في صورة للصلب مرسومة في مخطوطة ربولا (سنة ٥٨٦).

ففي هذه الصورة نشاهد صليب ربنا يسوع المسيح ينتصب قائمًا بين جبلين تعلوهما الشمس والقمر ويتوسط بين صليبي اللصين اللذين صلبا معه، واللص الذي على اليمين ينظر إلى المسيح. ونرى كذلك المسيح الرب المخلّص مسمّراً على الصليب بأربعة مسامير، مسمارين ليديه ومسمارين لرجليه، مرتدياً ثوبًا أرجوانيا طويلاً، وهو ينظر إلى اليمين. وحول الصليب نرى الجلادين مجتمعين : يضربه ن اليمين أحد الجنود بالرمح، ومن اليسار يقف جلاد آخر الذي يحمل سطلاً بيده وهو يرفع قضيبًا (أو قصبة) في نهايته اسفنجة مبللة بالخل الممزوج بالمرارة (أنظر مز ٦٩: ٢٢). وأمام قائمة الصليب نرى ثلاثة أشخاص آخرين يلعبون مقترعين بأصابعهم للحصول على ثياب المسيح، وعلى بعد قليل من الصليب، نحو اليمين، نرى يوحنا ومريم العذراء واقفين ينظران إلى المسيح المصلوب، وإلى اليسار من الصليب تقف ثلاث نساء هن المريمات (أنظر يو ١٩: ٢٣-٣٤).

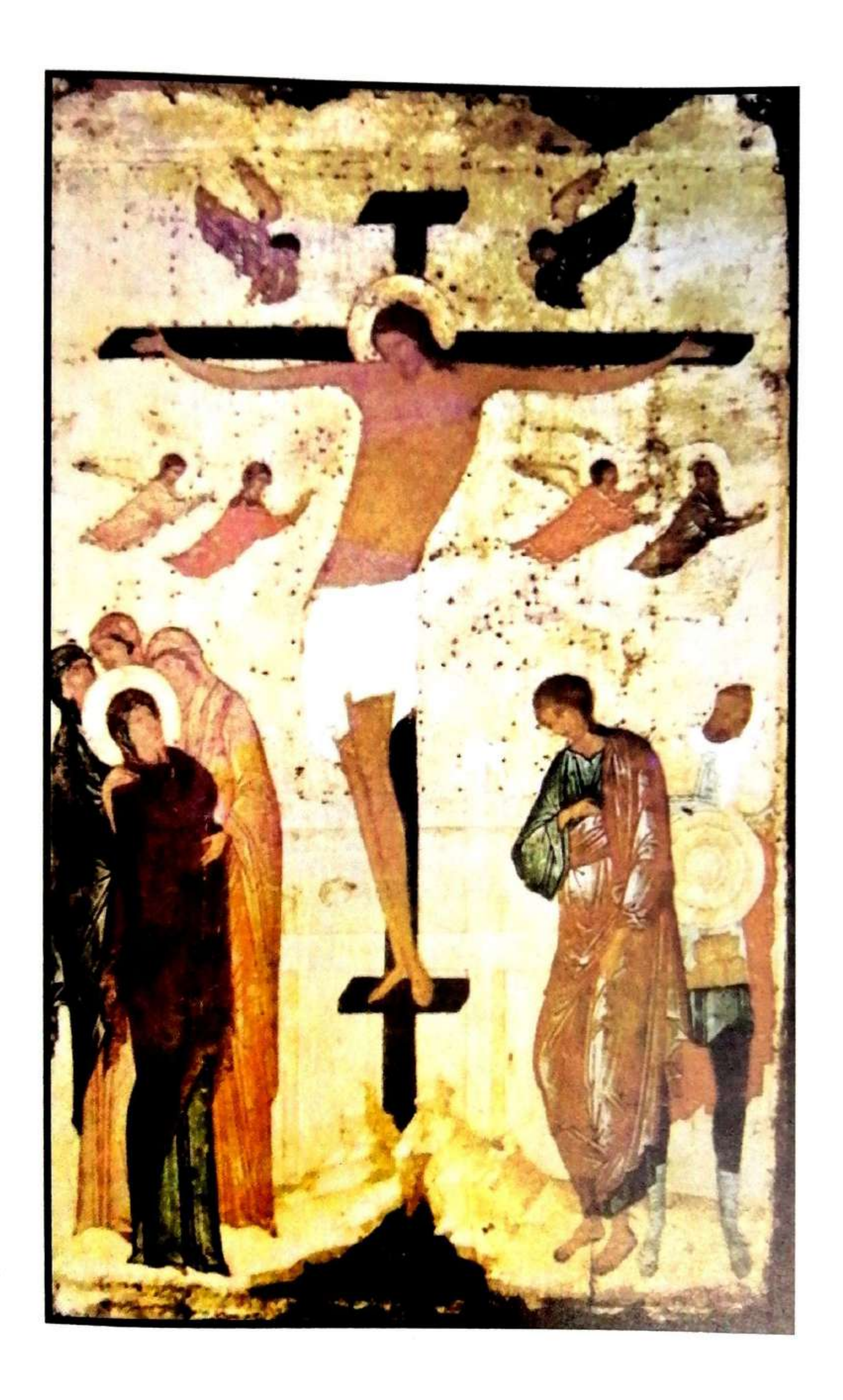




فهذه الصور تعبّر سوية تعبيرًا دقيقًا عن ناسوت المسيح وموته إنسانًا (حسب طعنة الرمح في جنبه)، وعن لاهوت المسيح الذي لا يموت (بحسب عينَي المسيح المفتوحتين). أما الثياب الأرجوانية الطويلة، وظهور الشمس والقمر فوق الصليب، فأنها ترمز إلى مكانة ربنا يسوع المسيح الرفيعة وإلى شرفه الملكي السامي، وكذلك تقول الكتابة بالسريانية التي نقرأها على اللوحة. ولأغراض وأسباب لاهوتية، أضيفت فيما بعد إلى هذا النموذج القديم عناصر جديدة أخرى، نذكر منها: تدفق الدم والماء من جنب المسيح (علاقة سر القربان بالصليب) ومع "الكنيسة" التي تجمع هذا الدم الزكي في الكأس وتقبله لديها كنزًا وكفارة ومغفرة للخطايا. ثم قائد المائة (الشاهد العظيم على لاهوت المسيح حسب إنجيل مرقس). وأيضًا جمجمة آدم تحت قاعدة الصليب (مقارنة لآدم الأول أبي البشر بآدم الثاني ابن البشر حسبما ذكره الآباء، أنظر روم ٥: ١٣-٢١). ثم الملائكة في السماء فوق ذراعي الصليب (وهم في الأصل الملائكة الذين يمثلون حراس الأبواب السماوية) يلقون السلام على المسيح المنتصر ملك المجد، بعد أن أكمل نضاله وأتم رسالته وأنجز وعد الخلاص، ويسجدون له خاشعين هاتفين: "ارفعوا رؤوسكم". (مز ٢٤: ٧-١٠).

ثم دخلت على النموذج المذكور أيضًا عناصر أخرى غيرت فيه على أساس النصوص الإنجيلية، (مثل: حدوث الصلب خارج أسوار المدينة، ورسم عيني المسيح وهما مغمضتان، ويسوع يلبس المئزر، وظهور الموت باديًا على جسد المسيح المتألم...)، كما اختفت وتركت بعض العناصر السابقة (مثل: اللصين، وكذلك علاقة صورة الصلب بصورة القيامة...).

وهنا لا بد أن نذكر بأن صورة الصلب وإن كانت قريبة من النصوص الإنجيلية فأنها في الوقت ذاته صورة لاهوتية أيضًا، لأنها تقصد التعبير عن مجد المسيح المصلوب والرب المخلّص الذي يرتدي ويلبس ثياب الملك الطويلة والبهية.



(٢) إلى جانب النموذج الذي ذكرناه سابقًا، يظهر نموذج آخر لصورة الصلب وهو: النموذج اللاهوتي الرمزي، الذي يتعلق بإنجيل يوحنا (١٩: ٢٦-٢٧). ففي هذا النموذج لا يظهر عادة غير ثلاثة (وفي بعض الأحيان خمسة) أشخاص وهم: ربنا يسوع المسيح على الصليب مع أمه مريم العذراء من جهة وتلميذه الحبيب يوحنا من الجهة الأخرى. وفي بعض الصور يشاهد جنديان أو ملاكان. حفظ هذا النموذج في أيقونة يرجع عهدها إلى القرن الثامن في دير القديسة كاثرينة (في جبل سيناء)، في هذا النموذج يشاهد المسيح المصلوب وقد مات على الصليب وعيناه مغلقتان ومن صدره يخرج الدم والماء. بين مريم أم الأحزان ويوحنا الشاهد. ونجد النموذج ذاته في كنيسة مريم القديمة في روما، وكذلك في دير القديس لوقا في اليونان، وغيرهما.

(٣) أما بعد القرن الرابع عشر فقد كَثُرَ عدد الأشخاص المشاهدين في الصور بحسب النموذج الأول التاريخي، بينما بقي النموذج الثاني الرمزي يشدد ويركز بصورة أكبر على جوهر الصلب: المسيح المصلوب في منتصف الصورة بين مريم العذراء وصديقاتها من النسوة الأخريات من جهة اليمين، مع يوحنا الحبيب وقائد المائة من جهة اليسار. (قارن أيقونة روسية للفنان ديونيسيوس، مدرسة موسكو القرن ١٤).

(٤) فصورتنا هنا جاءت نتيجة تطور طويل يجمع بين تقاليد مختلفة لنماذج متعددة ومتباينة، فهي تقدم صلب ربنا يسوع المسيح خارج أسوار مدينة أورشليم (قارن مر ١٢: ٨/ عبر ١٣: ١١-١٢)، وعلى جبل الجلجلة (أو الجمجمة) حسب اعتقاد قديم عن جمجمة آدم التي يقال بأنها دفنت هناك "ليعمّد من جديد بدم المسيح".

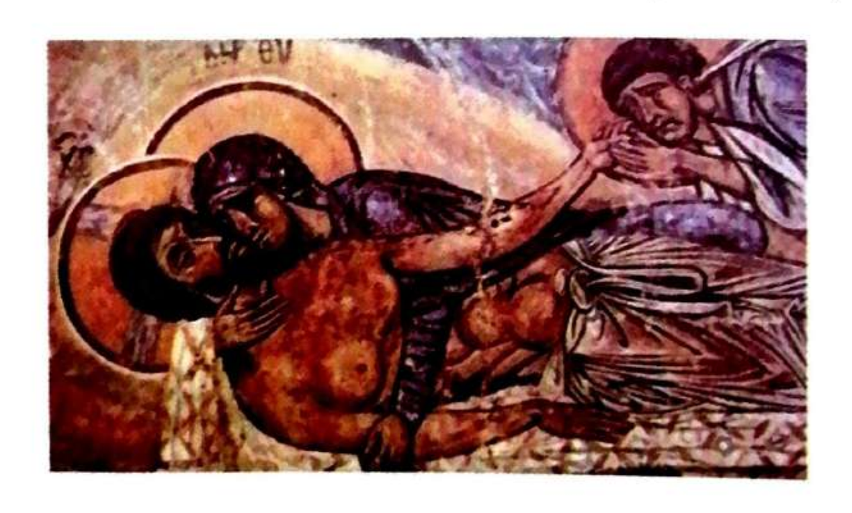
فالدم الزكي المراق من جراح ربنا يسوع المسيح الذي يسيل منحدرًا ونازلاً من قدميه المقدستين، ينسكب على جمجمة آدم في قاعدة الصليب ليغسله ويطهره من أدران الخطيئة، ولكي يخلّصه ويُنجيه من ظلام الموت إلى نور الحياة الأبدية. فمن حيث شفي آدم بخشبة الصليب، كذلك تطهر آدم القديم الذي سقط تحت خشبة الخطيئة.

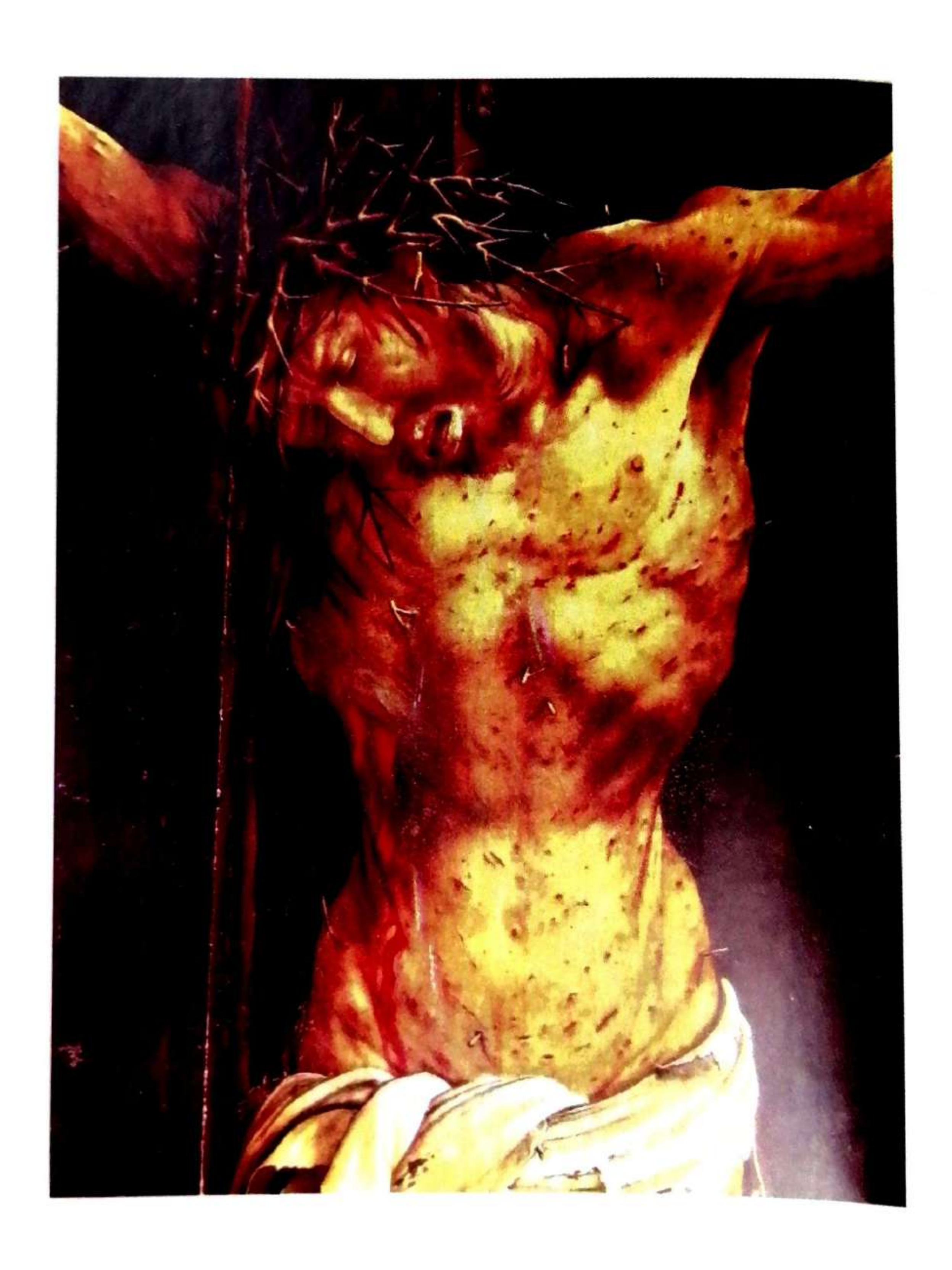
وكما جاء في الأناجيل: "وكان ظلام على جميع الأرض". فلون السماء في صورتنا يعبّر عن ذلك. أما عن الشمس والقمر فهما يرمزان إلى أهمية المصلوب : "ملك الأكوان الذي لملكه لن يكون انقضاء".

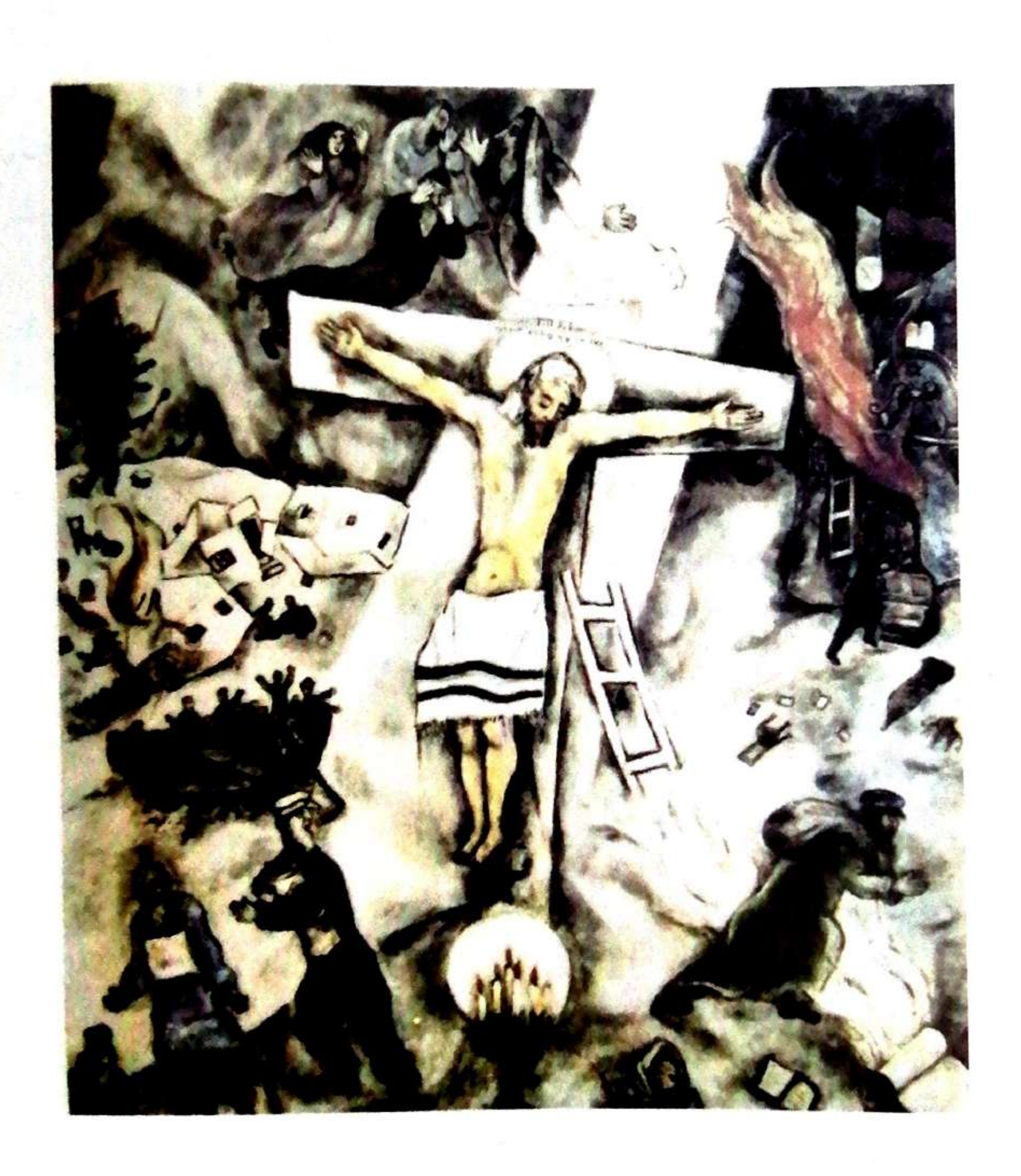
- وهاك، في صورتنا، ربنا يسوع المسيح وقد مات على الصليب، ورأسه الأقدس قد انحنى ومال إلى يمين صدره ؛ عيناه الحلوتان مغمضتان بكل رقة وحنان، ومن رونة الآلام قد انثنى جسمه المسمّر على الصليب وانحنى كالقوس المشدود ؛ ومن قلبه المطعون يسيل الدم والماء دفقًا وفيض نعمة، تحقيقًا لوعد الخلاص والفداء. وفي الصورة الأصلية، كانت ترسم أيضًا صورة لملكة صغيرة ترمز إلى الكنيسة وهي تجمع الدم الثمين في كأسها وتقبله لديها كنز فداء للخاطئين، وذخيرة ومغفرة لخطاياهم... بينما يشاهد من الجهة اليسرى من الصورة رسم لامرأة، تمثّل الشعب القديم، وهي ترفض الصليب وتهرب بعيدًا عنه، فتخسر بذلك إكليل ظفرها ونيل الخلاص... (ظهر هذا التقليد في الغرب منذ القرن التاسع).

- ومن حول الصليب نرى الجلادين الذين احتقروا المسيح ؛ وبعيدًا عنه وتحت أسوار المدينة، نشاهد الأشخاص الذين أحبوه... وعلى جانبي الصليب يقف جلادان، يرفع أحدهما رمحه ليطعن به قلب المسيح، أما الثاني فيأخذ عصاه التي نهايتها اسفنجة مبللة بالخل ويرفعها إلى فم يسوع...

- وكشهود عيان على الصلب، نرى النسوة القديسات تتقدّمهنّ مريم العذراء، أم المسيح، وقد رفعت يدها إلى خدّها، معبّرة بذلك عن حزنها الشديد وأساها العميق على موت إبنها الحبيب وولدها الوحيد... وكذلك من الجهة الأخرى، يقف يوحنا الإنجيلي، التلميذ الذي أحبّه يسوع، حاملاً كتاب إنجيله تأكيدًا على صحة شهادته.. ومن خلفه يظهر قائد المائة مع ترسه الدائري كقرص الشمس، (بدون رمحه)، وهو يرفع يده إلى الأعلى بحركة الشهادة التي شهد بها عن المسيح والتي تشكل قمة إنجيل مرقس: "ولما رآه قد لفظ الروح هكذا، قال: كان هذا الرجل ابن الله حقًا !..." (مر ١٥ : ٣٩).









- ج -

سبت النور

الأسماء:

يوم السبت العظيم المقدس، أو سبت النور، أو سبت الفصح، سبت البشارة (التقليد السرياني)، سبت الصمت، سبت انحدار المسيح إلى الجحيم.

المصادر:

تك ٨: ١-١٢، حز ٣٧: ١٢ / إش ٢٦: ١٩ / يونان / هوشع ٦: ٢/١٣: ١٢-١٥، مز ٣٠: ٤٠/٤: ٣/١٠٧: ١٤-١٦، ٤: ٩/١٥: ٩-١٠/٢٣: ١٢-١٣/٢٩. ١٠-١٣، متى ٢٧: ٥٢-٥٤/ يو ١١، روم ٦: ١-١١ / ١ كور ١٥: ٢٦ و٥٤-٥٥ / أف ٤: ٨-٩، عبر ٢: ١٤-١٦/١٣: ٢٠، ١ بطر ٣ : ١٨-٢٢ / ٤: ٦، رؤيا ١: ١٨-١٩

المصادر غير القانونية:

إنجيل بطرس المنحول ٩: ٣٤-١٣ (القرن الثاني)

رسالة الرسل ٩: ٢٠-١٢ مع قانون الإيمان الرسولي (نحو سنة ١٦٠)

إنجيل نيقوديموس المنحول ١: ١٣ / ٢: ١-١١ (رتب في القرن الخامس وضعت فيه عناصر قديمة)

أعمال بيلاطس ١٣: ١-٣ (حُفظت ضمن إنجيل نيقوديموس وترجع إلى القرن الثاني)

إنجيل برطلما المنحول (كتاب القيامة) (يذكره هيرونيمس نحو سنة ٣٩٠)

صعود أشعيا ١١: ١٩-٢١ (القرن الثاني)

أناشيد سليمان ١٧ / ٢٢ / ٢٩ / ٤٢ (القرن الثاني)

التقسيم:

١- سبت النور بحسب الطقوس
   - (١) بحسب طقس كنيسة أنطاكيا للسريان
   - (٢) بحسب طقس كنيسة المشرق

٢- صورة انحدار المسيح إلى الجحيم

ا- سبت النور حسب الطقس

لقد أورد القديس أوغسطينوس (٣٩١/٣٥٤ في هيبو شمال أفريقيا /+٤٣٠) في كتاباته ذكر الصوم الخاص، الذي حفظ مدة ٤٠ ساعة، لراحة ربنا المسيح، وتحضيرًا لعيد القيامة، ما زال المؤمن يتأمل خلاله بآلام ربه المسيح وشدة موته وراحة دفنه، وأمام صورة نزول ربه إلى الجحيم، يتذكر المؤمن انتصار الرب على القبر والموت، بالمصالحة العظيمة التي حققها بين السماء والأرض.

(١) سبت النور في كنيسة أنطاكيا للسريان

عند السريان استعمل اسم قديم لهذا السبت المقدس هو اسم "سبت البشارة"، الذي يشير إلى بشارة المسيح نفسه للأموات الراقدين بعد نزوله إلى الجحيم الذي كان يعتبر بيت الأموات، يبشرهم هناك بانتصاره على الموت.

- صلاة المساء تحتوي على ٧ قراءات تك ٣٧: ٢٩-٣٥ (يوسف الصديق في السجن)

أرميا ٣٨: ٣-٦ (أرميا في البئر)

دانيال ٦: ١٦-٢٣ (دانيال في بئر الأسود)

أشعيا ٥٣: ٧-١١ (القبر بين اللصوص)

أعمال ١٣: ٢٦-٣٩ (مدفون تحت حكم بيلاطس)

روم ٥: ١-١١ (موت المسيح حقق مصالحتنا)

متى ٢٧: ٥٧-٦١

- السوتارا وصلاة الليل في ثلاثة أقسام، ثم صلاة الصباح مع القراءات التالية (مز ٨٨ : ٧ حسب طقس أورشــليم يونان ١: ١٢-٢ : ١/ صفنيا ٣: ٨-١٣/١ بطر ٣: ١٧-٢٢ / متى ٢٧: ٦٢-٦٦

- صلاة الساعة الثالثة والسادسة مع قراءات متعلقة بتعليم المسيح عن القيامة

– ثم يقدم القداس على مذبح جانبي (الذي كان يقام قديمًا بعد صلاة المساء والعماد) مع ٩ قراءات.

– بعد (أو قبل) صلاة الساعة التاسعة (حاليًا الثالثة) تتم رتبة المصالحة (قبول التائبين): متى ١٨: ١٨–٣٥ وهنا ينشد نشيد (مدراش) مار أفرام عن نهاية الصوم (الأربعيني أو الفصحي؟).

(٢) سبت النور في كنيسة المشرق

إن إسم هذا السبت في طقس كنيسة المشرق هو "السبت العظيم الكبير".

– صلاة الليل (بعد جمعة الآلام) وتحتوي على الأقسام التالية:

القسم الأول الذي تُتلى فيه مقاطع شعرية (عونياثا) تتهم الشعب القديم بالجريمة

القسم الثاني الذي يُذكر فيه مثل الكرامين القتلة ومثل المدعوين إلى الوليمة

القسم الثالث الذي يعبّر عن قوة الصليب المنتصر وأسرار الآلام الخلاصية.

– صلاة الصباح (ليوم السبت): هنا تُرتَّل ترتيلة عن نهاية الصوم (الأربعيني؟)

وقديمًا قرأ خلالها من إنجيل متى ٢٧ : ٦٢–٦٦ (كما في طقس أورشليم).

– نحو الظهر يتم غسل المذبح، بحسب التقليد القديم الذي يرجع إلى القرن العاشر، أما الأربيلي المنحول فلم يذكر ذلك (في مدينة روما ما تزال مثل هذه الرتبة محفوظة ولكن تطهير المذبح في كنيسة مار بطرس يتم يوم خميس الفصح بعد القداس).

ما هو معنى "غسل المذبح" في كنيسة المشرق في يوم سبت النور؟

من الجائز أن يكون غسل لبوس المذبح وأغطيته متعلقًا بالأكفان التي بقيت في القبر بحسب إنجيل يوحنا ؛ وقد حُفظت في هذه الرتبة آثار من الطقوس الدفنية القديمة (قارن عادة كسر إناء من الماء ليغسل القبر)، ولعل المذبح، الذي يمثل القبر المقدس كان في حاجة إلى نوع من تقديس جديد، بعد أن مر فيه سر الموت، ليغتسل ويتطهر من شروره، تحضيرًا لسر القيامة التي ستتحقق منه، وفي بعض المخطوطات يضاف إلى الرتبة تبريك ماء الورد، المنسوب إلى يوانيس الجاثليق (؟)، ويذكر فيه طيب المريمات لتضميخ جسد المسيح (قارن

رتبة الدفن البيزنطية). في جدول القراءات من القرن السادس (م ب مرقمة ١٤٥٢٨) تظهر القراءات التالية مز ٥١: ٢ / عبر ١٠: ١٩-٣٩ / يو ١٣: ٣-١٦ لرتبة الغسل مساء يوم السبت. فهل يشير هذا الغسل إلى غسل المذبح؟ أو هل يشير إلى غسل المعمودية؟ ثم لماذا لم تستعمل كلمة "العماد" المقبولة؟ لكن هذه القراءات تتكلم بصورة خاصة عن التوبة فمن الممكن أن أثرًا من طقس الغفران ومن المصالحة للتائبين قد بقي محفوظًا هنا. فهل كان غسل الأرجل في ذلك الوقت متعلقًا برتبة المصالحة مساء سبت النور؟

- بعد صلاة المساء الاحتفالية مع القراءات (تك ٢٢ ويونان ٢) كانت تتم سابقًا رتبة العماد ورتبة المصالحة (الغفران) ثم تقديم وامامة القداس (١ كور ١٥ ومتى ٢٨).





لما نزلت إلى الموت أيها الحياة الخالدة، أمتّ الجحيم بسنى لاهوتك
ولما أقمت الأموات من تحت الثرى، صرخت جميع قوات السماويين:
أيها المسيح إلهنا معطي الحياة، المجد لك. إن السيف الناري لن يحرس من بعد باب عدن
لأن عود الصليب قد أطفأ نار السيف المانع، فكسرتَ شوكة الموت وأبدتَ غلبة الجحيم
ووقفت يا مخلّصي، هاتفًا بالذين فيها، "أدخل من جديد إلى الفردوس".
يتكلم ربنا المسيح: "ما نُبذتُ وإن ظهرتُ منبوذًا، ما هلكت وإن حكموا عليّ
رأتني الهوّة فانتصرت عليها. تركني الموت أذهب وكثيرون معي.
كنتُ له مرًا وخلاً، هبطتُ معه إلى الهوة. إلى أقصى أعماقها.
فحجب الموت وجهه وقدميه. وما أمكنه النظر إلى وجهي.

عقدتُ، في الجحيم، بين الموتى، اجتماع الأجيال.

كلّمتهم بشفاه الحياة. وكلمتي لم تكن باطلة. هرع إلي من كانوا في الموت.

صرخوا وقالوا تحنن علينا، يا ابن الله، وعاملنا بعين نعمتك.

حررنا من أغلال الظلمة. افتح لنا الباب لنخرج إليك.

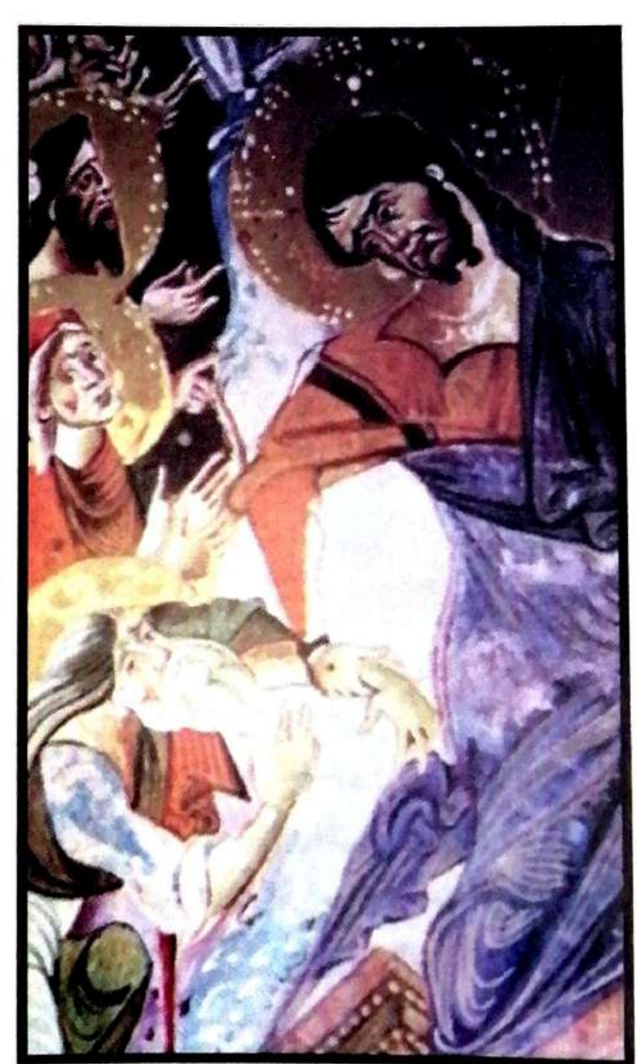
رأينا ان الموت الذي قبض علينا،

لم يقوَ على الدنو منك. فلنخلص معك، نحن أيضًا يا مخلّصنا.

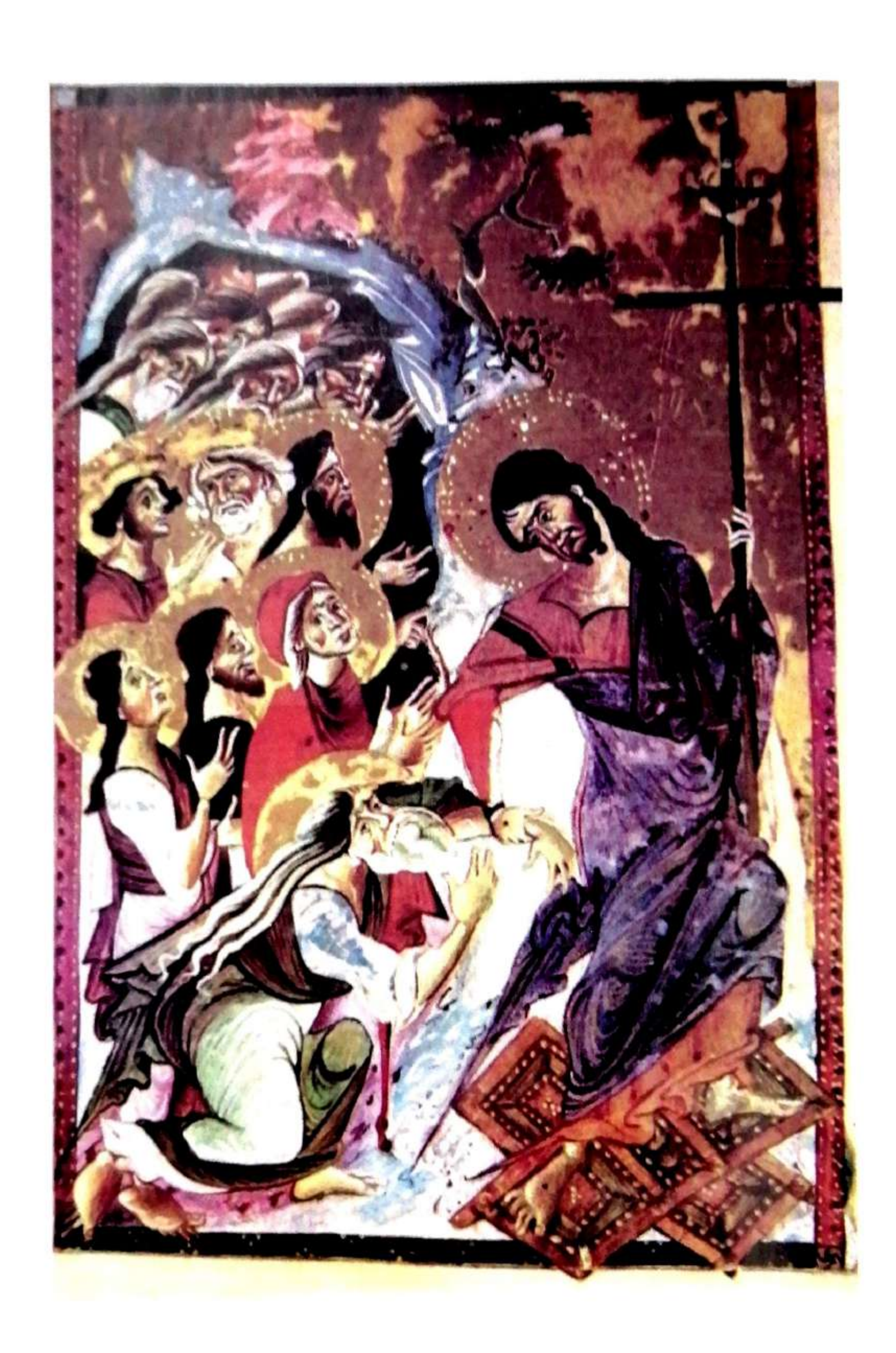
أما أنا فسمعت أصواتهم، ووضعتُ في قلبي إيمانهم ورسمتُ اسمي على جباههم.

فصاروا خاصتي وأبنائي الأحرار هللويا. (نشيد سليمان ٤٢).









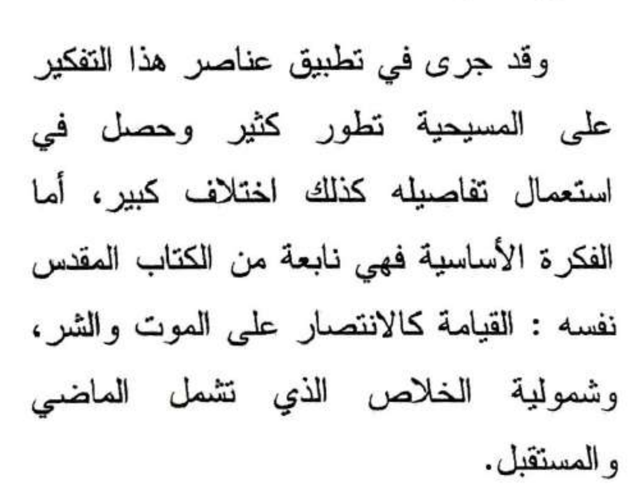
٢- صورة نزول ربنا يسوع المسيح إلى بيت الأموات (الجحيم)

كان يعتقد قديمًا، حسب العقلية السائدة آنئذٍ، بأن الكون كان ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

السماء حيث الله والسماويون - ثم تحتها القبة الفلكية وقرص الأرض - وأخيرًا باطن الأرض وفي جوفها مغارة كبيرة حيث تسكن وتستقر أرواح الموتى الراقدين.

وقد كانت كذلك للقدماء أفكار خيالية عن نزول عنصر سماوي إلى الأرض ومن ثم إلى بيت الأموات حيث يحرر نفسه من أغلال الموت ويعود إلى السماء منتصرًا. والمسيحية استعملت أيضًا بعضًا من هذه الأفكار والأساطير، عندما حاولت التعبير عن سر الخلاص، ومن خلال كل هذا، ما كانت الكنيسة لتقصد بأن القيامة كانت في الحقيقة نزولاً واقعيًا إلى مكان ما تحت الأرض، بل كان المقصود هو تفسير معنى القيامة الروحي وحسب تلك الذهنية الفكرية القديمة.





وقد جرى في تطبيق عناصر هذا التفكير على المسيحية تطور كثير وحصل في استعمال تفاصيله كذلك اختلاف كبير، أما الفكرة الأساسية فهي نابعة من الكتاب المقدس نفسه : القيامة كالانتصار على الموت والشر، وشمولية الخلاص الذي تشمل الماضي والمستقبل.

يمكننا أن نذكر ونقارن في هذا المجال مز ٣٠ : ٤/١٠٧ : ١٤-١٦ / حز ٣٧ : ١٢ / متى ٢٧ : ٥١-٥٢ /١ بطر ٣ : ١٩ في القرن الثاني ورد ذكر هذه الأسطورة عند يوسطينوس النبلوسي الذي أصبح معلمًا في روما واستشهد فيها نحو سنة ١٦٥، وكذلك لدى ايريناوس الآسيوي الذي صار أسقفًا في ليون (فرنسا) واستشهد نحو سنة ٢٠٢ ؛ وفي كتابات أخرى مثل رسالة الرسل والراعي هرماس وأناشيد سليمان (باللغة السريانية) ...إلخ وتبرز هذه الأفكار في مؤلفات مار أفرام (+٣٧٣)، وخاصة في أناشيد نصيبين ٣٤-٣٨ حيث يشخّص الموت، وكأنه يتكلم عن كل ما حدث في بيت الأموات (الجحيم) منذ نزول المسيح فيه.





ويذكر ذلك أيضًا قورلس الأورشليمي (+٣٨٧) في خطبته ٤: ١٤، يعبّر عنه سينيزيوس القيريني (٤٠٠) في أناشيده. ثم جمعت كل تلك العناصر في الكتابات المنحولة: رؤيا برطلما (كتاب القيامة) وإنجيل نيقوديموس (نزول المسيح إلى الجحيم).

وبصورة عامة نستطيع أن نقول إن هذه المؤلفات جميعها تحاول تفسير معنى القيامة بواسطة عناصر خيالية أسطورية تحتوي عادة على ذكرى :

(١) نزول الحي إلى بيت الأموات، عندما يموت المسيح على الصليب (قارن الصور عن المسيح النازل مع الصليب بيده)

(٢) صرخة أو كرازة المسيح بإنجيل القيامة في بيت الأموات (قارن الملف الذي يحمله بيده)

(٣) انتصار المسيح على الموت (الشيطان) وكسر قيوده وتحطيم أبواب حصنه (المسيح يسحق بقدمه شخص الموت).

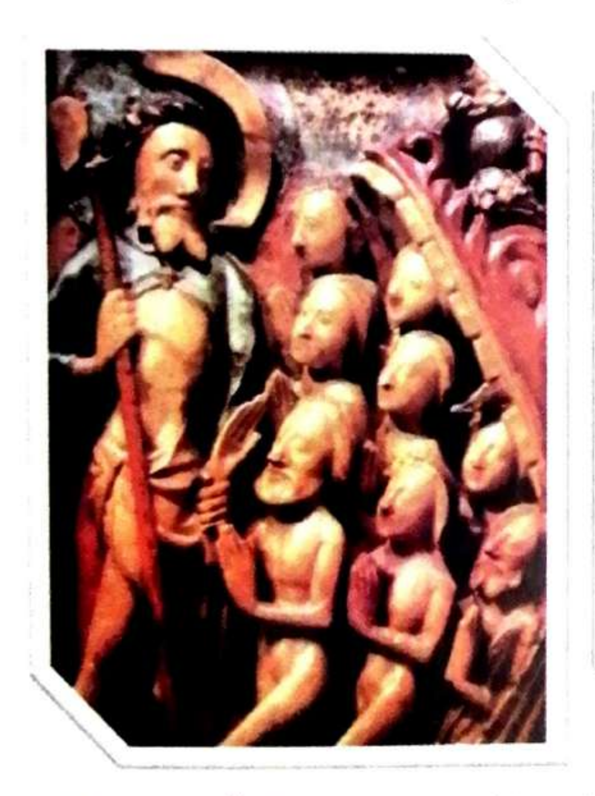
(٤) إخراج الأسرى من بيت الأموات إلى عالم الحياة الأبدية (المسيح الصاعد).

بالنسبة إلى التعبير التشكيلي عن نزول المسيح إلى الجحيم يمكننا أن نذكر النماذج المهمة من مراحل تطوره:

١- إن أقدم نموذج لهذا التعبير يتعلق بتقليد من فلسطين ومن بلاد ما بين النهرين، يظهر في بعض الأعمال الفنية الصغيرة وهي نقوش مطعمة بميناء سوداء، يرجع عهدها إلى ما يقرب من نهاية القرن السابع إلى العاشر. ونرى فيها ربنا يسوع المسيح يمشي سريعًا – والهواء يداعب رداءه – نازلاً من اليسار إلى اليمين ويميل قليلاً إلى شخص صغير في الركن الأسفل

ويأخذ بيده اليمنى ليرفعه وينتزعه من القبر، والشخص الذي كان راكعًا في القبر هو آدم، وعلى جانبه تقوم حواء ويداها مرفوعتان إلى المسيح. ويمسك المسيح بيده اليسرى ملفًا يعبّر عن قوة كرازته وحول رأسه الهالة مع رسم الصليب بدون أن تظهر حوله دائرة المجد. يشاهد المسيح الرب وهو يدوس بقدميه شخصًا صغيرًا يمد يده إلى رجل آدم ليحفظه عنده في الجحيم وهو شخص للموت. في الركن الأيسر وفوق ظهر المسيح نرى (صدر) شخصين يخرجان من القبر، وهما الملكان داود وسليمان. أما أبواب الجحيم فلا تقدم في مكان ثابت من الصورة فقد تظهر في الركن الأيمن الأعلى أو على جانبي المسيح أو تحت رجليه عوضًا عن شخص





الموت. ومنذ القرن التاسع تظهر في هذا النموذج كتابة العنوان "القيامة"، لأن في هذه الفترة قُبلت في الكنيسة البيزنطية صورة النزول إلى الجحيم بين الصور الرسمية التي تعبّر عن سر القيامة المجيدة.

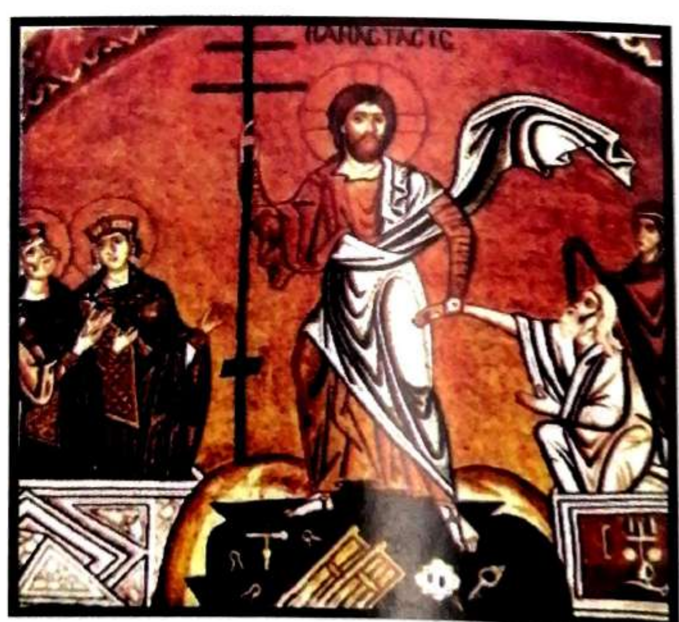
٢- لقد ظهر في بداية <u>القرن الثامن</u> نموذج آخر في <u>الغرب</u> محفوظ في رسوم على جدران بعض الكنائس القديمة في روما منها كنيسة مار بطرس القديمة، هناك رُسم ربنا يسوع المسيح وآدم والموت، بنفس الطريقة كما في النموذج الأول، سوى ان المسيح يمشي وينزل من اليمين إلى اليسار ويحيط به قرص المجد بشكل بيضوي، ومنذ القرن التاسع نرى في الصورة المسيح

وهو يمسك بيده اليسرى الصليب عوضًا عن الملف، وعادة لا تظهر في هذا النموذج صـــورة الملكين وأحيانًا لا نرى حواء وأبواب الجحيم، بينما يضاف إلى النموذج بعـــض الملائكـــة أو أشخاص يمثلون الأموات الذين يقومون من القبور.

ويتكرر هذا النموذج، كما يظهر في بعض المخطوطات، وخصوصاً في عمل جميل مـــن الفسيفساء من القرن الحادي عشر في كنيسة الانتقال في مدينة دافني قرب أثينا (اليونان) وهو عمل غني في تعبيره عن الشعور العميق لنزول المسيح إلى الجحيم الذي يستشف من نظـــرة المسيح إلى آدم وحيث تقدم الأشخاص جميعًا على ارتفاع واحد متساوٍ والمسيح يمشي ســـاحقًا الموت وهو نازل من اليمين إلى اليسار، حاملاً صليبًا كبيرًا دون أن تحيط به الدائرة الكونية.

٣- نحو سنة ١٠٠٠ شُكِّلَ في القسطنطينية نموذج آخر يظهر في بعض الرسوم على جدران الكنائس القديمة في قبدوقيا، حيث يمشي المسيح إلى اليمين، وتحيط به الدائرة الكونيـــة التـــي تظهر على شكل قرص بيضوي وينحني نحو آدم ويأخذه بيده ويحمل الصليب المنتصر بيـــده اليسرى ويسحق الجحيم المقيّد بالسلاسل.

في هذا النموذج يظهر أحيانًا ملاكان وراء المسيح وبعض الأشخاص الذين قـــاموا مـــن القبور، ويوحنا المعمدان وهو يقوم أمام الملاكين إشارة إلى المسيح حسب إنجيل نيقوديموس.





إن هذا النموذج هو تكملة النموذج الأول الفلسطيني القديم مع ربنا يسوع المسيح في منتصف الصورة.

٤- في القرن الحادي عشر جرى ترتيب هذا النموذج وتشكيله بطريقة جديدة بغية التأكيد والتركيز على القيامة أكثر من نزول المسيح إلى الجحيم. فهنا يُقدَّم ربنا يسوع المسيح صاعدًا إلى الأعلى وخارجًا من بيت الأموات وبيده (اليسرى) يحمل الصليب المنتصر وبيده الأخرى يمسك يد آدم (لينتزعه) من القبر في أثره، وينظر المسيح إلى الوراء أو إلى المشاهد، وتحت رجليه يسحق شخص الجحيم أو أبوابه، لكن عادة لا تظهر دائرة المجد الكوني حول المسيح.

وفي فسيفساء من دير القديس لوقا (اليونان سنة ١٠١١) نرى صورة أخرى من هذا النوع: المسيح يمشي من اليمين إلى اليسار وهو يصعد من ظلام كهف الموت، بين قبر آدم وحواء وبين قبر الملكين سليمان وداود، ويحمل بيده صليبًا كبيرًا لأنه بقوة صليبه حقق الانتصار على الموت.

وفي أكثرية الصور من هذا النموذج يمشي المسيح من اليسار إلى اليمين، ويحمل الصليب بيده اليسرى ويصعد بين جبلين حيث نرى الملكين ويوحنا المعمدان يمينًا وعلى اليسار آدم وحواء وهابيل.

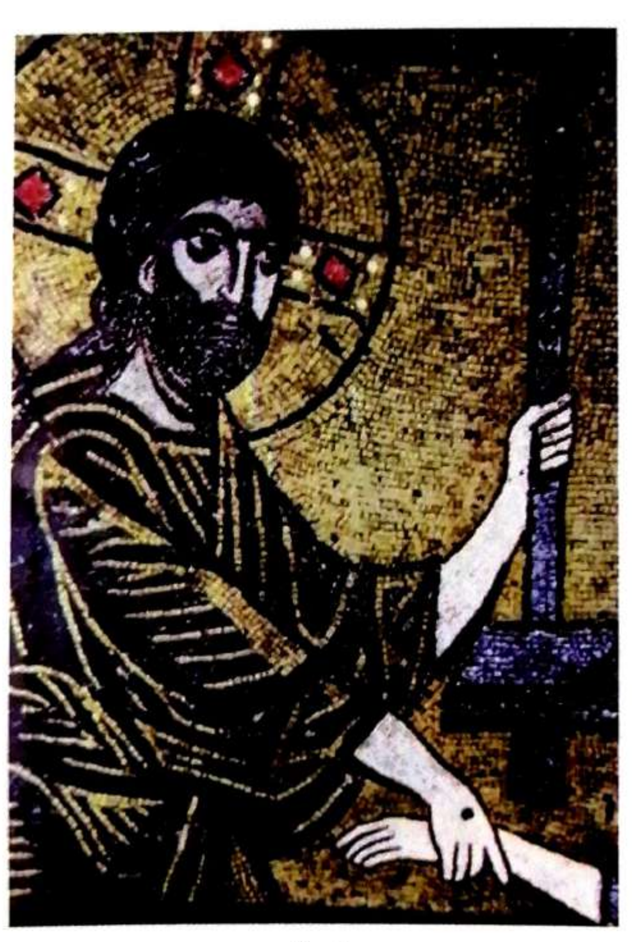
لكن عدد هؤلاء الأشخاص يأخذون بالازدياد أكثر فأكثر، حيث أصبح هذا النموذج هو الرسمي المقبول من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر والذي استعمل في روسيا (رسم جداري في كنيسة الحكمة في كياف القرن ١١) وفي أورشليم (كنيسة القبر المقدس)، ومن قبدوقيا إلى إيطاليا (فسيفساء في كاتيدرائية طورسيلو وفي كنيسة القديس مرقس في البندقية القرن ١٣).

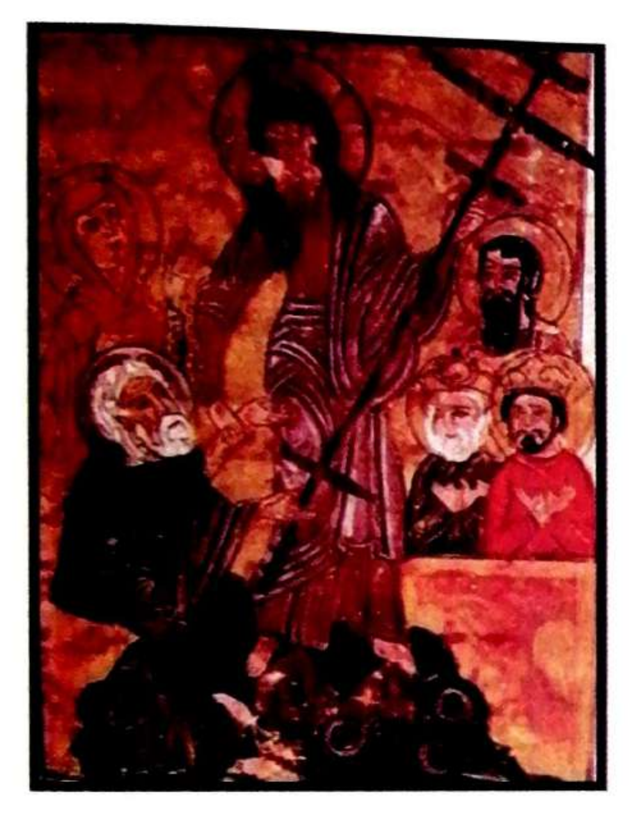
٥- في بعض المخطوطات تعود لنفس الفترة يظهر نموذج غير مستعمل إلا قليلاً، يقدم المسيح قائمًا دون حركة ومتوجهًا نحو المشاهد من مركز الصورة، وتحيط به دائرة المجد وفي يديه المنفتحتين تظهر آثار الجروح، ومن الطرفين يسجد له مجموعة من الصدّيقين: الأموات في أسفل الصورة والملائكة في الأعلى. (أنظر أيضًا مخطوطة سريانية محفوظة في مديات في مطرانية السريان الأرثوذكس والتي كُتبت سنة ١٢٢٦ في صلاح)، وتعبّر هذه الصورة على "السجود الطقسي" أمام الملك المنتصر على الموت المنسحق تحت رجليه.

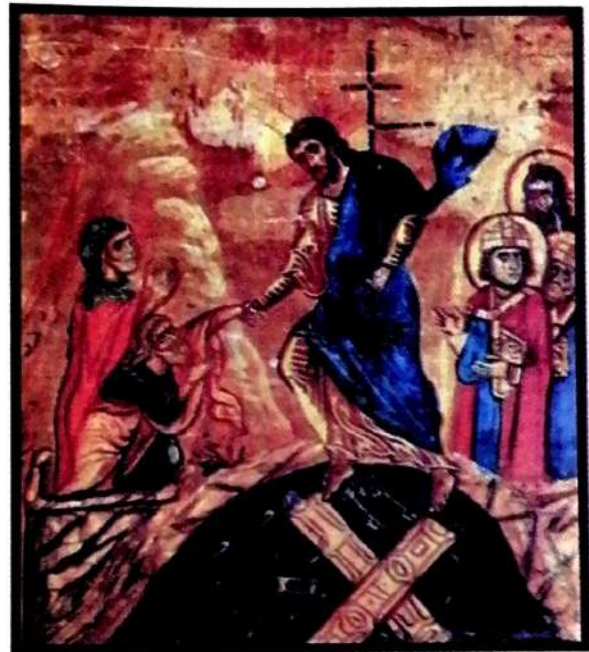
٦- وفي نفس الوقت أيضًا حفظ وتطور النموذج الفلسطيني القديم الذي يعبّر عن "نزول المسيح" الذي يحمل الصليب، وهو يميل كثيرًا إلى الأمام لينتزع آدم والصدّيقين من الهوة ويطير طرف رداءه إلى الأعلى ؛ أحيانًا نشاهد الملائكة ويحمل أحدهم الصليب ؛ وفي القرن الثالث عشر إلى الرابع عشر يكثر عدد الأشخاص وتزداد المشاهد الثانوية في الجحيم.

٧- في بعض الكنائس في القسطنطينية من القرن الرابع عشر يظهر نموذج يُقدَّم فيه ربنا يسوع المسيح ماشيًا وصاعدًا بين مجموعتين من الصدّيقين وبيده اليمنى يمسك يد آدم وبيده اليسرى ينزع حواء من قبرها، وهنا وصل الفن البيزنطي إلى قمة جمالية في غاية الروعة وأعمق في التعبير عن العالم الروحي في تركيب متوازن عظيم.

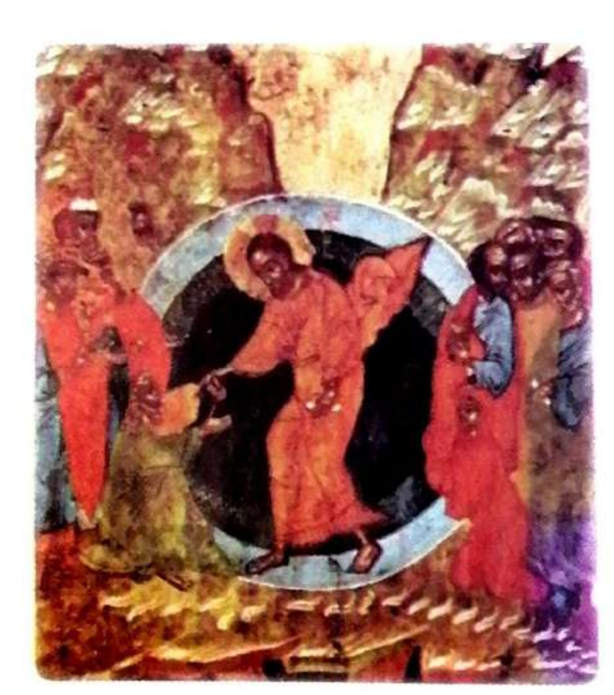
٨- فيما بعد دخلت عناصر غريبة في "صورة النزول" لا تتفق مع مفهوم سر القيامة في لاهوت كنائس المشرق (منها تقديم المسيح الذي يخرج جسدياً من القبر المفتوح...).







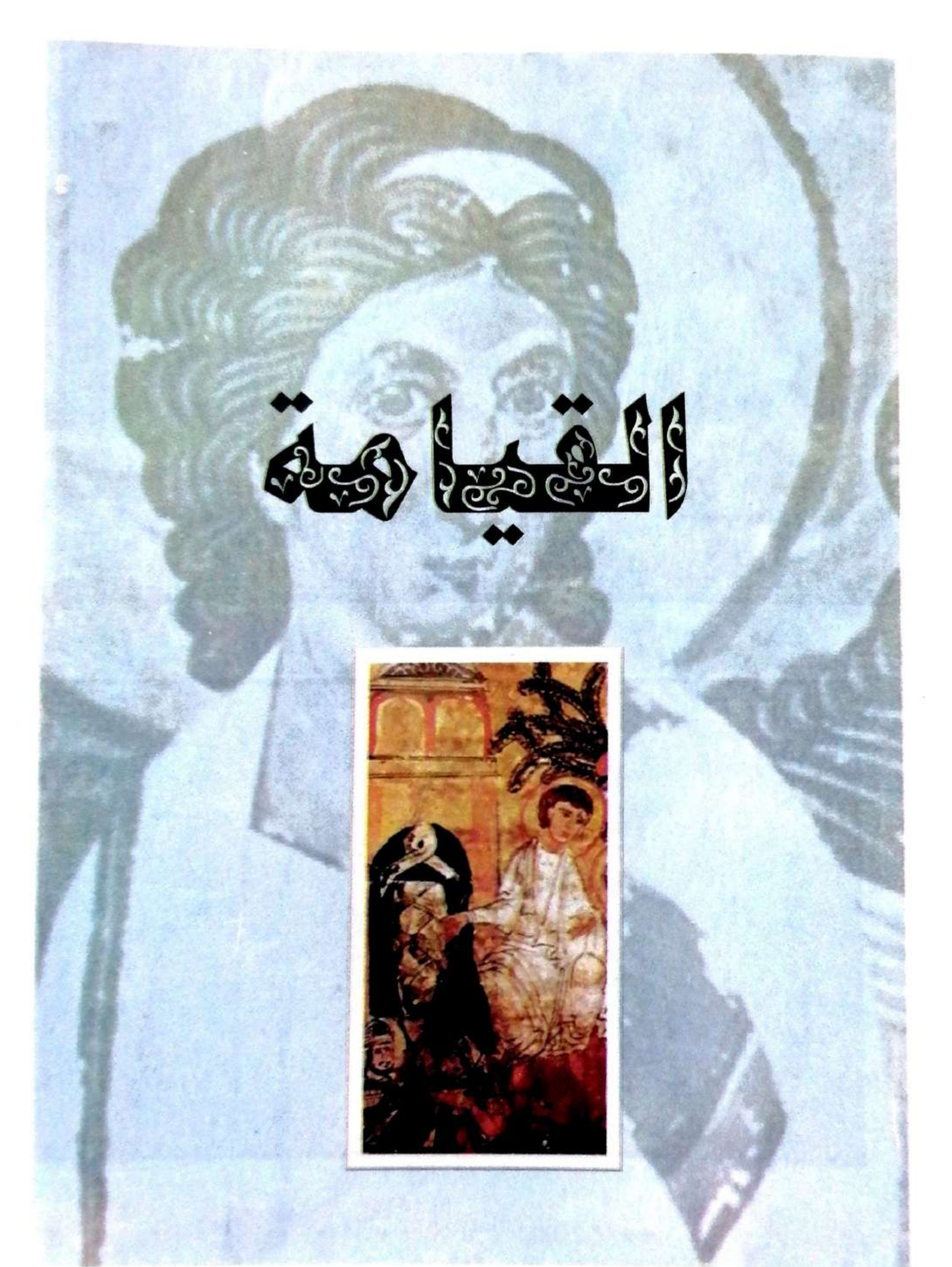

CIC







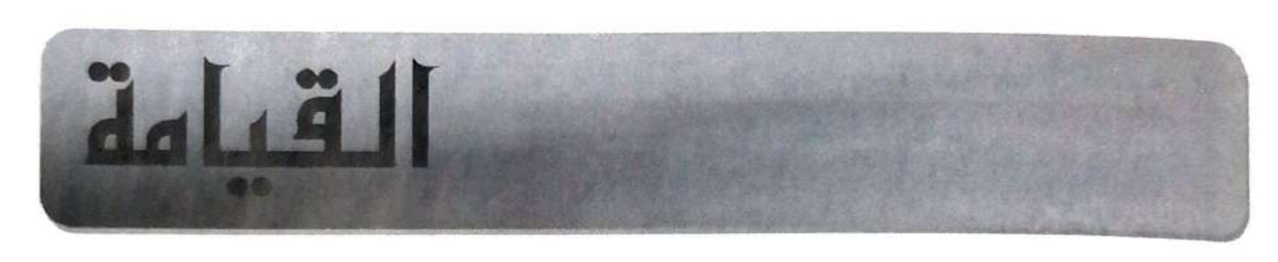




القيامة



الفصل السابع



الأسماء:

في العهد القديم

"عيد الفصح" (في الاســتعمال الطقسي تشير كلمة "الفصح" إلى تذكار "العبور" بحسب خر ١٢: ١–٣٠ / لاويين ٢٣: ٥–٨ / عدد ٢٨: ١٦–٢٥ / تث ١٦: ١–٨)

"عيد الفطير" (خر ١٢: ٨ و١٥ و٣٩/٢٣ :١٥/٣٤: ١٨ / تث ١٦: ٣–٨ / قارن ١ قور ٥: ٧–٨).

في المسيحية

"أحد الفصح العظيم المقدس"، أو "أحد القيامة"

"العيد الكبير العظيم"، "عيد البيض" (تقليد شعبي)

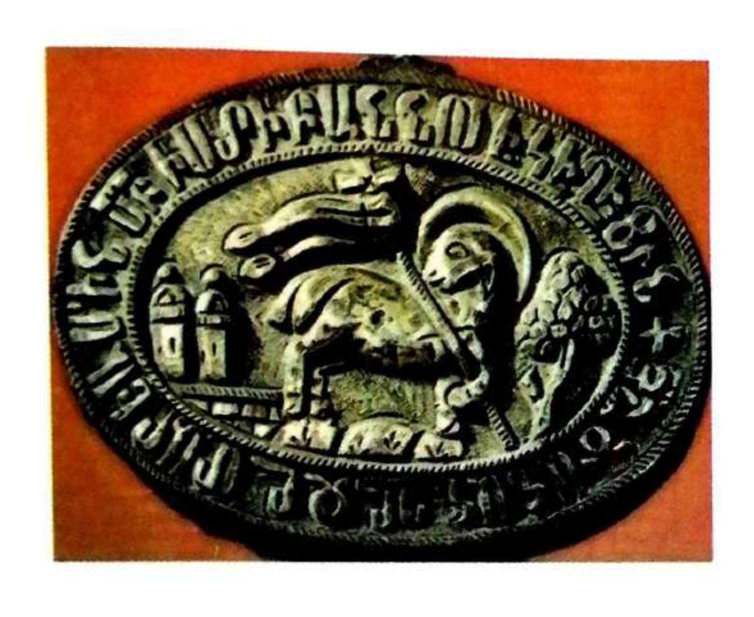
"فصح القيامة"، "الفصح المقدس"، "الأعياد الفصحية" أو "عيد الفصح". "عيد الأعياد"، "يوم الرب العظيم".

التاريخ:

متعلق بالعيد القديم المصادف ٤/١٤ (في بعض الكنائس من آسيا الصغرى قديمًا). في الأحد المتابع للاحتفال بالفصح القديم (في كنيسة أنطاكيا قديمًا). ثلاثة أيام بعد ٣/٢٥ (في بعض الكنائس القديمة). الأحد بعد البدر الذي يتبع ٣/٢١ (في روما والإسكندرية منذ القديم وهو التاريخ المقبول في مجمع نيقية سنة ٣٢٥).

المصادر: خر ١٢-١٦ / مز ١١٨: ١٧ / متى ٢٨ / مر ١٦ / لو ٢٤ / يو ٢٠ / أعمال ١: ٢١-٢٢/٢: ٢٤-٢٨ / ١ قور ١٥ / كول ٣.

التقسيم:



١- أصل أحد القيامة

٢- ليلة القيامة بحسب طقس أورشليم

٣- تطور سهرة القيامة

٤- رتبة النور في أورشليم

٥- مسيرة "سلام القيامة"

٦- صورة القيامة

١- أصل أحد القيامة

- لقد استعملت في اللغة اليونانية كلمة "الفصح" بالنسبة إلى "عيد القيامة"، لأن "عيد الفصح" كان عيدًا معروفًا منذ العهد القديم، تذكر فيه حوادث سفر الخروج ١٢ (مع أكل حمل الفصح) وكان يصادف هذا العيد يوم ١٤ نيسان من كل سنة.

لكن بحسب التقليد الإنجيلي (يوحنا ١٤ نيسان والآخرين ١٥ نيسان تمّ موت المسيح خلال أيام عيد الفصح القديم، فتعلقت آلام المسيح وموته بعيد الفصح القديم، وذلك نقلاً عن تفسير رمزي يقول إن المسيح هو حمل الفصح الجديد الذي بدمه حقق خلاصًا يفوق ويكمل معنى العيد القديم بصورة مطلقة. فلذلك أخذ المسيحيون يستعملون كلمة "الفصح" بالنسبة إلى موت المسيح وقيامته المجيدة. "قد ذبح فصحنا المسيح، فلنعيّد إذن ليس بالخمير العتيق بل بفطير الحق" (١ قور٥: ٧).

بعض الآباء اليونانيين فهموا كلمة "الفصح" وكأنها تعبير عن آلام المسيح، فيحتفل بعيد الفصح خلال سهرة السبت الليلية، ذكرًا لآلام المسيح المرّة وموته الخلاصي، لأن ليلة الفصح هي الليلة التي ذبح فيها الحمل الجديد الحقيقي... فيُعدّ لهذا العيد بصوم خاص يوم السبت.

لكن بعض الآباء الآخرين فسّروا كلمة "الفصح" بالمعنى العبري وهو "عبور" بحسب سفر الخروج ١٢ (عبور الله تعالى / عبور الشعب القديم عبر البحر، من العبودية إلى الخلاص).

لقد كان المسيحيون يذكرون القيامة كل يوم أحد، لكن عندما أخذوا يحتفلون بعيد القيامة السنوي، طبقوا على احتفالهم كلمة "الفصح" بمعناها "العبور"، فوجدوا فيها تفسيرًا لاهوتيًا لسرّ القيامة نفسها: ليلة عبور المسيح من هذا العالم عبر الموت الشديد إلى عالم المجد عند أبيه وإلى القيامة (راجع لو ٩: ٣١).

ثم تعلقت رتبة العماد بطقس ليلة القيامة، فطبّق نفس الرمز على المؤمن الذي يشترك في ليلة القيامة، كأنها ليلة عبور المؤمنين مع ربّهم المسيح، من ظلام الخطايا إلى نور الحياة الجديدة (قارن مر ١٠: ٣٨ / روم ٦).

- في بعض المناطق (أفسس / آسيا الصغرى) عيّن تاريخ العيد في ١٤ نيسان نفسه، بينما في مناطق أخرى (أورشليم / روما) في يوم الأحد الذي يلي الإنقلاب الربيعي (الأحد بعد البدر الذي يتبع ٢١ / آذار). وتظهر آثار عيد القيامة منذ القرن الثاني ومن الممكن أن البابا سوتير (١٦٧-١٧٦) أدخل العيد إلى روما، ثم قرر البابا فيكتور (١٨٩-٢٠٠) ومن بعده مجمع نيقية (٣٢٥) بأن يحتفل بالعيد في يوم الأحد، لأن الصوم لم يقبل في يوم الأحد، فلهذا السبب يقرر بنهاية الصوم الفصحي ليلة السبت.

واختيار يوم الأحد للعيد السنوي يعبّر أيضًا عن فكرة لاهوتية، تعتبر سرّ القيامة حادثًا يفوق الحوادث الأرضية المتعلقة بتاريخ معين (١٤ نيسان)، والقيامة هي حقيقة مفتوحة للأواخر ومتعلقة بالعالم الجديد.

٢- ليلة القيامة بحسب طقس أورشليم القديم

في طقس أورشليم (القرن الرابع – الخامس) يمكننا التمييز بين العناصر التالية:

(١) تبدأ صلاة المساء برتبة النور، وبحسب الوثائق القديمة كانت هذه الرتبة، مسيرة بسيطة تبدأ من قبة القيامة إلى الكنيسة الكبرى لنقل النور الذي يأخذه الأسقف من القبر المقدس. بعدئذٍ أصبحت هذه الرتبة، احتفال النور الذي يرمز إلى المسيح، النور الحقيقي الذي أشرق على العالم.

وبعد انتظار طويل، ودورات حول القبة أو القبر، والأبواب مغلقة، يظهر النور الفصحي، الذي منه يوقد ويشعل المؤمنون شموعهم... (لم تقبل هذه الرتبة في روما إلا متأخرًا).

(٢) <u>القراءات الإثني عشر</u> من العهد القديم (الخلق – ذبيحة إبراهيم – حمل الفصح – العبور عبر البحر – قيامة الأموات...) وبضوئها فُهم معنى ذبيحة المسيح، الحمل الجديد، وقيامته الخلاصية.

المزامير والأناشيد الكتابية (من الممكن أن تسبق كل قراءة بمزمور) مز ١١٧/٢٤... بعد كل قراءة تتلى صلاة (مع ركعة).

(٣) <u>رتبة العماد</u> التي تجري عادة، خلال القراءات وفي مكان آخر (بيت العماد على جانب قبة القيامة).

(٤) <u>الذبيحة الإلهية</u> مع القراءات من العهد الجديد التي تعلن بالقيامة احتفاليًا.

ويقوم القداس <u>الأول</u>، بعد دخول المعمدين مع الأسقف إلى الكنيسة الكبرى، وهو القداس الاحتفالي لكل الشعب ؛ أخيرًا يقدم قداس <u>ثاني</u> في قبة القيامة فوق القبر المقدس، المكان التاريخي من حيث حدثت القيامة حقًا.

ولكن مع تطوّر الطقوس، نقل القداس الأول إلى مساء يوم السبت، وحتى إلى صباح يوم السبت (عند البيزنطيين والسريان واللاتين سابقًا حينما لم يفهم معنى سهرة القيامة القديمة)، والقداس الثاني نقل إلى صباح يوم الأحد بعد صلاة الصباح. (بالنسبة إلى "القداس الفصحي" أنظر للتفسير في "يوم خميس الفصح").

٣ـ تطور سهرة القيامة

كانت ليلة القيامة "ليلة الليالي"، وسهرتها "أم السهرات"، يجتمع المؤمنون كلهم ساهرين هذه الليلة العظيمة إحياءً لذكرى آلام ربّهم الخلاصية وانتظارًا لعالم القيامة المجيدة، برجاء ثابت ؛ فمن خلال القراءات والتراتيل، يشتركون في عبور ربّهم من ظلمة الموت إلى مجد القيامة.

وتظهر هذه السهرة في كل المراكز المسيحية القديمة (أورشليم – ما بين النهرين – القسطنطينية – روما... إلخ)، لكن رتبة كنيسة أورشليم أثرت على تشكيل الطقوس الفصحية، وتطورها، بصورة خاصة. ويأخذنا العجب هنا من قول كيوركيس الأربيلي المنحول في كتابه "تفسير الطقوس"، إن كنيسة المشرق لم تقبل السهرة خلال هذه الليلة المقدسة، ذلك لأن خلالها كان الملاك (أو الملائكة) يجلس مستريحًا على حجرة القبر، والملاك هو "الساهر" دومًا دون انقطاع (بحسب اسمه في اللغة السريانية) فكيف بالإنسان أن لا يستريح في هذه الليلة؟ وينسب كيوركيس قوله بهذا القرار إلى إيشوعياب الثالث الحدايبي الجاثليق (٦٢٧/ +٦٤٥)، الذي جدد ورتب طقوس كنيسة المشرق على النحو الذي ذكره في كتابه.

أما في جدول القراءات القديم من القرن السادس (م ب ١٤٥٢٨) فقد حُفظت إثنتا عشر قراءة لسهرة القيامة. وتظهر قراءتان منها في صلاة المساء الحالية يوم سبت النور.

فيمكننا القول إن الجاثليق إيشوعياب الثالث الذي جدد رتبة العماد، (والمصالحة...) أدخل رتبة العماد الطويلة، بحسب تجديده، في سهرة القيامة. وكان هذا الإدخال على حساب رتبة القراءات السهرية التي فقدت أهميتها شيئًا فشيئًا. ثم فقدت رتبة العماد بعد ذلك أيضًا معناها عندما قلّ عدد المعمدين الموعوظين، فمن ثم وُجد مثل هذا الفراغ لليلة القيامة... لكن آثار سهرة القراءات والقداس الأول حُفظت في صلاة المساء يوم السبت، بينما حُفظت رتبة النور والقداس الثاني في الاحتفالات الصباحية يوم أحد القيامة.

سهرة ليلة القيامة: القراءات بحسب:

طقس أورشليم (٤-٥) (مخط.أورشليم الأرمنية)	جدول القراءات السريانية (مخط. م ب مرقمة ١٤٥٢٨)	طقس كنيسة المشرق حاليًا (مخطوطة مار أشعيا)
(١) رتبة النور (في قبة القيامة ؟)		صلاة المساء
مز ١١٣		
(٢) رتبة القراءات (الكنيسة الكبرى)		
مز ١١٨: ٢٤		
١) تك ١: ١-٢	١) أمثال ٣٠: ١-١٤ و٣١	
٢) تك ٢٢: ١-١٨	١١) تك ٢٢: ١٩	تك ٢٢: ١-١٩
٣) خر ١٢: ١-٢٤	١٢) خر ١٢: ٥١-١٤	
٤) يون ١: ١-٤	٤) يون ١: ١٧-٤	يون ٢: ١-١٠
٥) حز (١٣ : ١٧) ١٤: ٢٤-١٥	٦) ٢ صم ٢٤	
٦) أش ٦٠: ١-١٣	١٠) أش٥٢: ١-١٠ (٤٠ : ١-٢٢)	
٧) أيوب ٣٨: ١-٣٨ (٣٩ : ٣٥)	٢) أيوب ٢٨: ١-٢٩	
٨) ٢ ملوك ٢: ١-٢٢	٧) ٢ ملوك ٢: ١-١٥ (٤: ٨-٣٧)	
٩) إرميا ٣١: ٣١-٣٤	٨) إرميا ١٦: ١٦	
١٠) ايشوع ١: ١-١٩	٥) ايشوع ٢: ١-٢٤	
١١) حز ٣٧: ١-١٤	٩) حز ٣٧: ١٥-٣٨	
١٢) دانيال ٣: ١-٩٠	٣) دانيال ٣: ٢٣-٣٤	(١ قور ١: ١٨-٢١)
		(متى ٢٧: ٦٢-٦٦)
(٣) القداس الأول (الكنيسة الكبرى)		قداس مساء السبت
١ قور ١٥: ١-١١	١ قور ١٥: ١-٢٦ (أف ١)	١ قور ١٥: ٢٠-٢٨
متى ٢٨: ١-٢١	متى ٢٨: ١-٧	متى ٢٨: ١-٢٠
(٤) القداس الثاني (في قبة القيامة)	صلاة الصباح (أش ٦٠: ١-٧)	قداس الأحد
يو ١٩: ٣٨-٢٠: ١٨		(أش ٦٠: ١-٧)

٤ـ رتبة النور في طقس أورشليم

لقد طوّر طقس أورشليم نفسه من خلال مراحل عديدة وتحت تـأثيرات مختلفـة منهـا: الاهتمام بمكان القبر التاريخي، والإيمان الشعبي بنور القيامة العجيب، وطقس الرهبان من دير مار سابا... بصورة مبسطة، يمكننا التمييز بين المراحل التالية بالنسبة إلى رتبة النور:

- من القرن الرابع إلى الخامس كانت رتبة النور طقسًا بسيطًا تحضيريًا يجري فـي مقدمـة سهرة القراءات، وكان الأسقف يشعل النور ويرتل مزمور ١١٣ في الكنيسة الكبرى.

- ثم وعلى مثال رتبة النور المتعلقة بصلاة المساء، تتمّ رتبة النور أيضًا في قبة القيامة، حيث يأخذ الأسقف النور من القبر المقدس، ويشعل به شموع المؤمنين الذين يذهبون محتفلين إلـى الكنيسة الكبرى. والنور الذي يخرج من القبر يرمز إلى المسيح المنبعث من ظـلام المـوت. فرتبة النور تعبّر عن سر القيامة بطريقة رمزية شعبية منظورة، وأصبحت رتبة مهمة أكثـر فأكثر على حساب سهرة القراءات العظيمة.

- ثم بدأ المؤمنون يعتبرون هذا النور، نورًا عجائبيًا ينزل من السماء بطريقة عجيبـة خـلال صلاة القيامة. لكن هذا النور (أو النار) لا يمكن أن ينزل على قنديل القبر المقـدس ليوقـده، بدون شروط؛ فيجب على الحاضرين أن يكونوا مستحقين، لكي ينزل النور العجيـب. فلهـذا السبب طالت الصلوات وامتدت الطلبات "يا رب ارحم"، وأخذ المنتظرون يتبادلون قبلة السلام، لمنح الغفران المتبادل... وما زالت أبواب القبر مغلقة (أو قبة القيامة)، حتى لحظة نزول النور العجيب. ثم تفتح الأبواب ليدخل الأسقف، ليشعل شمعته من النور الجديد، نور القبر، ويوزّعه على كل الشعب... ويرتل ترتيلة أشعيا ٦٠: ١ "قومي استنيري فإن نورك وافى، ومجد الرب أشرق عليك. ها أنّ... الرب يشرق عليك ويتراءى عليك مجده".

لكن بسبب الانتظار الطويل لمجيء النور، نقلت رتبة النور، أولاً إلى مكان بعد القراءات، ثم إلى صباح الأحد أثناء صلاة الفجر. فأصبحت رتبة طويلة مع مقاطع شعرية عديدة.

- من الممكن أن طقس أورشليم المتطور من القرن الثامن – التاسع أثر على طقس كنيسة المشرق، بعدما نقلت "رتبة النور" من بداية صلاة المساء (السهرة) إلى بداية صلاة الصباح.

٥- مسيرة سلام القيامة في كنيسة المشرق

إن صلاة الفجر وصلاة الصباح المذكورتين في الحوذرا، حاليًا ليستا قديمتين جدًا، حسبما يراه العلماء، ولكن من الجائز أن تكون "مسيرة سلام القيامة"، التي تجري بعد صلاة وقبل القداس، قد احتفظت ببعض العناصر القديمة. فإذا ألقينا نظرة على ترتيب المسيرة، نرى أن قبلة السلام لا تظهر إلا نحو النهاية، ولم يذكر السلام إلا بالطلبات (كاروزوثا) الأخيرة. والأربيلي المنحول، لا يتكلم إلا عن هذا القسم، الذي يتم خارج الكنيسة ويحتوي على قبلة السلام وبعض التراتيل الشعبية (سوغياثا ومداريش)، مع نوع من التمثيل البسيط.

ولو قارنًا ترتيب "مسيرة السلام" بترتيب صلاة الفجر لأحد السعانين وترتيب "مسيرة يوم تذكار الشهداء" نستنتج أن "مسيرة السلام" الطويلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول (حتى الخروج المذكور في الحوذرا)، الذي يحتوي على آثار من رتبة النور القديمة.

القسم الثاني (حتى قبلة السلام)، الذي حفظ آثارًا من صلاة الفجر، كما رتبت في كنيسة المشرق قديمًا.

القسم الثالث والأخير الذي هو الحقيقة احتفال قبلة سلام القيامة.

(١) هل حفظت آثار من رتبة النور الأورشليمي في "مسيرة سلام القيامة"؟

من مقارنة ترتيب "المسيرة" في قسمها الأول، بترتيب رتبة النور التي تمت في أورشليم (خلال القرن الثامن)، وفي أنطاكيا (خلال القرن الحادي عشر؟)، نستنتج ان "النار العجائبية

المقدسة" (أو "النور من القبر") لم تحفظ في المسيرة، وكذلك يمكننا أن نكتشف بعض الآثار من رتبة النور القديمة، وذلك خاصة في المقاطع الكتابية الشعرية (شورايا)، عن نص أشعيا ٦٠: ١، والتي تقدّم – بحسب بعض المخطوطات – "أمام باب المذبح" (أو قنكي). ويـــذكرنا هـــذا النشيد "قومي استنيري..." المرتبط بفتح باب المذبح، بطقس أورشليم، حيث بعد إشعال النـــور الجديد تنفتح أبواب القبر، أو أبواب قبة القيامة، حينما يمدح نشيد أشعيا ٦٠.

والجدير بالذكر ان الكنائس الشرقية القديمة كانت مبنية بحسب نظام خاص، بباب كبير يفصل بين هيكل المؤمنين وبين قدس الأقداس حيث كان يتواجد هناك (في قدس الأقداس)، وتحت منارة كبيرة، المذبح الذي يرمز إلى قبر المسيح المقدس.

وكذلك تذكرنا، برتبة النور الأورشليمي، بعض الملاحظات عن ترتيب "المسيرة"، ولا يمكن أن تُفهم هذه الملاحظات بدون الإشـــارة إلى رتبة النور. وهكذا أيضًا العبارات التاليـــة: "الذهاب إلى المذبح"، "أمام باب المذبح"، "المسيرة بهدوء" (= بصمت) في داخل الكنيسة، وفي نفس الوقت "الخروج منها...".

وحمل القناديل (واحد أو أكثر) التي ورد ذكرها في مخطوطات ماردين (القرن ١٢-١٣) والمسماة مقدشنياثا أو محفشنياثا (قارن القنديل الخاص المذكور في النصوص اليونانية والمسمى مانواليا)، ولا يأتي هذا الاسم في رتبة المسيرة، إلاّ بعد نشيد أشعيا أمام باب المذبح. فهل يمثّل هذا القنديل النور الخاص المأخوذ من القبر (تحت المذبح)؟

رتبة النور في طقس أورشليم	تفسير بعض الملاحظات في "المسيرة"
- الذهاب إلى قبة القيامة **(في بداية السهرة)**	الذهاب إلى المذبح
بأحلى الألبسة...	بأحلى الألبسة...
- الدورات الثلاثة حول القبر المقدس	المسيرة من المذبح
أو حول قبة القيامة	(والتي تدور في هيكل الكنيسة)
أمام الأبواب المغلقة	أمام باب المذبح (الملكي المغلق ؟)
- تقديم البخور وسجود الأسقف...	حمل المبخرة خلال المسيرة والدورة "بصمت"
- إشعال النور من نور القبر	حمل الشموع خلال المسيرة
أو خروج النور من أبواب القبر المنفتحة	(فتح الباب الملكي؟)
مع ترتيل أشعيا ٦٠	ترتيل أشعيا ٦٠ (شورايا)
- المسيرة إلى الكنيسة الكبرى	المسيرة إلى "الخارج"

(٢) رتبة قبلة السلام في كنيسة المشرق

(أ) تتم رتبة قبلة السلام خارج الكنيسة في ساحتها أو في المكان حيث يتبادل السلام عادة. وفي طقس أورشليم وطقس القسطنطينية أيضًا كانت تتم قبلة السلام خارج الكنيسة (الكبرى). هكذا كان يخرج رهبان دير مار سابا بعد صلاة الفجر من ديرهم إلى قبة القيامة حيث يقبّلون القبر المقدس، ثم يقبّلون بعضهم بعضًا. وكذلك في القسطنطينية كانت تتم هذه الرتبة بعد صلاة الفجر، في دار البطريرك وتلقى خطبة عن القيامة من القديس غريغوريوس اللاهوتي (٣٣٠ في قبدوقيا / ٣٦٢ / ٣٧١ في نزيانزي / +٣٩٠) أو من القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٥٠ / ٣٨٦ في أنطاكيا / ٣٩٧ في القسطنطينية / + ٤٠٧).

ثم أصبحت رتبة السلام في كنيسة المشرق حفلة شعبية مع تعبير تمثيلي عن معنى القيامة، باشتراك الشعب وتعبيره عن فرحه بالهتاف... وكانت تقام في المكان المناسب لإظهار الفرح والابتهاج أكثر منه في الهيكل المقدس.

وإجراء الاحتفال خارج الكنيسة يرتبط بفكرة لاهوتية عن السلام الكوني "بين السماء والأرض".

وفي بعض المخطوطات تُذكر الزيارة إلى المقبرة. والخروج من الكنيسة يرمز إلى قيامة الأموات وإلى اشتراك المؤمنين في التحرر من الجحيم (قارن متى ٢٧: ٥٦-٥٧ وصورة النزول إلى الجحيم).

وبعض العلماء يقولون – بحسب الطقس الماروني – إن خروج المؤمنين إلى مكان القبر، حيث دفن الصليب في يوم جمعة الآلام، يتم صباح الأحد (خارج الكنيسة)، لرتبة إخراج الصليب من هذا القبر.

وكيوركيس الأربيلي المنحول يضيف إلى هذا سببًا رمزيًا، حيث يذكر النَص الإنجيلي القائل إن صلب المسيح، ودفنه تم، خارج أسوار مدينة أورشليم.

لكن كنيسة المشرق لم تعرف رتبة الدفن، والصليب كان قد حمل من بداية مسيرة سلام القيامة ولا يرمز إلى القبر المقدس إلا المذبح الرئيسي الكائن في قدس الأقداس.

(ب) ويتم تبادل السلام بعد دعوة الشماس المكررة ثلاث مرات ؛ وخلال تكملة هذه الدعوة (ملفانوثا) الاحتفالية، يردد كل مؤمن لرفيقه كلمة "قيامة الرب" (أو قيامة المسيح) فيجيب الثاني "القيامة والحياة والفرح لك".

لم يذكر الأربيلي المنحول هذه الدعوة لكنه يذكر ترتيل "سلام الآب" (شلاما داوا) الذي يقدمه الأسقف، لأنه كان يتكلم عن القيامة العامة يوم الدينونة بينما الترتيل (سوغيثا) عن مجيء المريمات، يقدمه الأطفال. والحوذرا يذكر هنا الترتيل المشهور الذي يقدم بشكل حوار بين اللص اليميني والملاك حارس باب الفردوس.

(ت) لقد جرت قبلة السلام في الكنيسة القديمة كتعبير عن الحب الأخوي أو عن الغفران المتبادل... وذلك خلال القداس أو طقس الغفران أو في نهاية الطقوس والصلوات... وكنيسة المشرق تتكلم مرارًا عن السلام، بلسان آبائها القدماء والنصوص الطقسية، طالبة هذا السلام (بكلمتين "شينا وشلاما") للقطر العزيز لبلاد ما بين النهرين... لكن "سلام القيامة" هو سلام من نوع خاص، كما يظهر ذلك من نَص كاروزوثا المسيرة. لم يقصد هذا السلام بالدرجة الأولى عدم العداوة ووقف الحروب، بل كان يقصد شيئًا إيجابيًا أوسع من هذا بكثير:

إن سلام القيامة هو الخلاص نفسه، بكل معنى الكلمة، والذي هو أساس كل سعادة وفرح وابتهاج. انه المصالحة بين الله والبشر (قارن أف ٢: ١٤-١٧)، وقبول الإنسان بالحب الإلهي الوافر، ويقصد هذا السلام أيضًا الانسجام الكوني بين الإنسان وعالمه، وبين سائر أبناء البشر جميعًا... إنه العالم الجديد، حيث يسود السلام الربّاني، الذي لا تقدر يد الإنسان أن تحققه، وهو العهد الجديد الذي ينبع من قيامة المسيح. فإن المسيح هو الذي حققه بانتصاره على قوى الموت والانفصال، بدمه المراق على الصليب...

لذلك يسلم على النساء بكلمة "افرحي" (= السلام عليكن...) وعلى التلاميذ ثلاث مرات (يو ٢٠) "السلام عليكم"، وهي أولى الكلمات التي يصرخ بها "أمير السلام" المنتصر، عند عودته إلى تلاميذه بعد نضال شديد ومعاناة قاسية ليقول لهم: "الخلاص لكم"، "سلامي عليكم".

ويعود ليذكّرنا بنبوءات أشعيا عن رجوع السلام إلى المدينة المقدسة، وعن تجديد العالم، وبوعده خلال العشاء الأخير "سلامي أمنحكم... الفرح الذي لن يستطيع أحد أن ينتزعه منكم...".



في طقس كنيسة أنطاكيا للسريان تجري رتبة "قيامة الصليب" بعد القسم الثاني من صلاة الليل. ثم يرفع الأسقف الختم والحجر عن القبر، ويرفع الصليب من الكفن، ويأتي به إلى المذبح، مع الإعلان الاحتفالي بالقيامة ودورة داخل الكنيسة. أما "رتبة السلام"، فأنها تتم في بداية القداس صباح يوم الأحد. وبعد قسم من القراءات (منها يو ١٣: ٣٤-٣٥ / ١٤: ١٥/٢٧: ١١-١٩/١٦: ١١-١٦ و٢٤) تتم قبلة السلام، ثم التبريك بالصليب على المذبح وعلى الشعب وعلى جهات العالم الأربعة.

وتجري بعد ذلك مسيرة يتقدمها الصليب، ثم يغسل الصليب بماء الورد، وأخيرًا تلقى موعظة القيامة.

في عيد القيامة يلوّن المؤمنون البيض، أو يلعبون لعبة "كسر البيض" (مكاسبة أو مفاقسة) أو يعلّقون بيضة نعام في حنايا الكنائس... وبعادة البيض الفصحي، يتخيّلون قبر المسيح الذي كسر وفتح بقوة القيامة.

صلوات طقسية

هذه هي تلك الليلة، التي خرج فيها الآباء من مصر، وعبَروا جميعًا على اليَبَس، في البحر الأحمر.
هذه هي الليلة، التي بدَّدَ عمودُ النار فيها ظلمات الخطايا. هذه هي الليلة، التي تُحرِّر اليوم المؤمنين بالمسيح، من رذائل هذا العالم، ومن دَيجور الخطايا وتردّ إليهم النعمة، وتعود بهم إلى شركة القديسين.
هذه هي الليلة، التي فيها حطّم المسيح قيود الموت، وانطلق ظافرًا من الأعماق.
هذه هي الليلة، التي كُتب عنها: الليلة كالنهار ضياء: والليلُ في نعيمي منارة.
وإن نزلت إلى القبر، يا من لا يموت، فقد نقضت قدرة الجحيم، وقمت كظافر، أيها المسيح الإله. وللنسوة حاملات الطيب قلتَ: "افرحن"، ولرسلك وهبتَ السلام، يا مانح الواقعين القيام.

الإعلان بالقيامة

من كان نقيًا محبًا لله، فليتمتّع بهذا الموسم البهي. ومن كان عبدًا حكيمًا فليدخل إلى فرح ربّه مسرورًا...ادخلوا كلكم فرح ربّنا... المائدة حافلة فتنعموا كلكم. تمتّعوا كلكم بوليمة الإيمان. لا يشكوَنَّ

أحدٌ فقرًا، فقد ظهر الملكوت المشترك. لا يبكينَّ أحد زلاّته لأن الغفران قد أشرق من القبر. لا يخشى الموتَ أحد لأن موت المخلّص قد حرّرنا... اغتاظت الجحيم لما لَقيَتكَ أسفل (أشعيا). اغتاظت لأنها أُبطلت. اغتاظت إذ قد هُزئ بها. اغتاظت لأنها أُميتت. اغتاظت لأنها أُبيدت. اغتاظت لأنها قُيّدت. تناولت جسدًا فصادفت إلهًا. تناولت أرضًا فلقيَت سماءً. تناولت ما نظرت فسقطَت لما هو فيه غير منظور. أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتكِ يا جحيم؟

قام المسيح وأنتِ صُرعت، قام المسيح والأبالسة سقطت، قام المسيح والملائكة جذلت. قام المسيح والحياة انتظمت، قام المسيح ولم يبقَ في القبر ميت. لأن المسيح بقيامته من بين الأموات، صار باكورة الراقدين. فله المجد والعزّة إلى أبد الآبدين. (خطبة منسوبة إلى القديس يوحنا الذهبي الفم ٤٠٧)

نشيد قديم عن الانحدار إلى الجحيم

قد حُقّقت رموز الفصح في جسد الرّب... إن رمز الفصح هو المسيح هو فصح خلاصنا، هو الحمل الصامت، الحمل المذبوح المأخوذ من القطيع ليقاد إلى الموت فذبح المساء ودفن الليل. هو المصلوب الذي ما سُحق، والمدفون الذي ما فسد، وقام من بين الأموات وأقام الإنسان، من عمق القبر إلى قمة السماوات، صارخًا: "أنا هو الذي قتلتُ الموت". غلبتُ العدو وسحقتُ قوة الجحيم. فتعالوا كلكم الذين سقطتم في الشرّ لتجدوا الغفران لخطاياكم. أنا هو مصالحتكم وأنا فصح الخلاص والحمل المذبوح من أجلكم. أنا هو نوركم وقيامتكم. أنا مخلّصكم وملككم. سأرفعكم إلى أعلى السموات وأريكم الآب الأزلي وأقيمكم بيدي اليمنى.

(ميليطون السردي : القرن الثاني)

في شهر نيسان انحدر ربّنا من العلاء إلى الأرض فاقتبلتْهُ مريم

في شهر نيسان عينه انبعث من بين الأموات وقام، فشاهدته مريم.

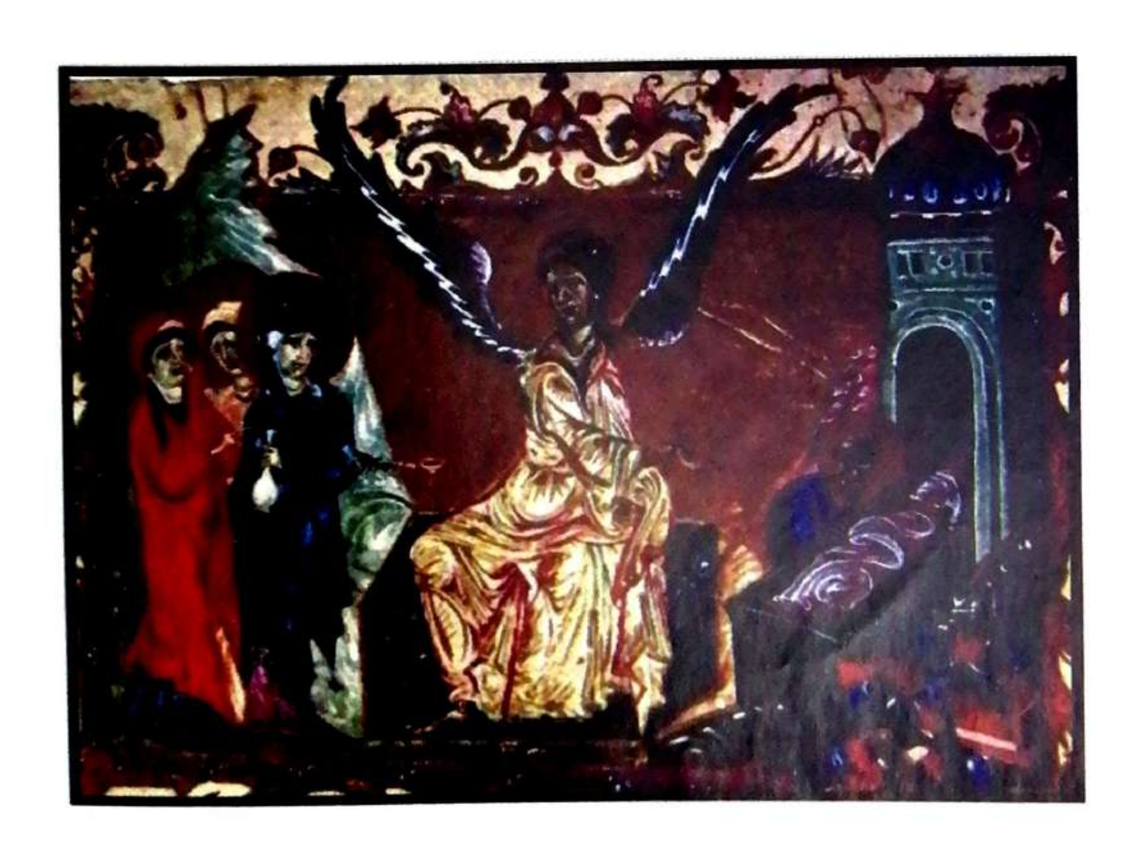
وهي كذلك عاينته أولاً بعد قيامته. إن اسم مريم قد شاهده العلاء والعمق فهنيئًا لك يا نيسان لأنك شاهدت الحبل بربّنا وآلامه وموته ثم قيامته. (منسوب إلى مار أفرام).

٦- صورة القيامة

(١) ان التعبير التشكيلي عن سرّ القيامة ليس شيئًا سهلاً، لأن حادث القيامة يفوق الحوادث التاريخية، ومن ثمّ فهو يفوق الإدراك الإنساني الحسي والمراسي. وبين الصور التي تعبّر عن هذا السر العظيم، يمكننا التمييز بين:

- الصور الرمزية: من القرن الثالث إلى السادس، ومنها رموز مأخوذة من العهد القديم (نوح الذي يخرج من الفلك، يونان الذي يرتاح تحت الشجرة، دانيال بين الأسود، عربة حزقيال الشمسية. حمل الفصح... إلخ) ومن العهد الجديد (الصليب المنتصر، اسم المسيح بالأحرف المتشابكة والمحاط بإكليل مصنوع من ثمار مواسم الفصول الأربعة، حارسَي القبر النائمَين والمستندين إلى ترسيهما عند الصليب مع إكليل الانتصار على قمته... إلخ).

- صورة المسيح الممجد: القائم على صخرة الأنهار الأربعة مع صليب الانتصار... أو الجالس على عرش السلطة في كل مجده بحسب رؤيا حزقيال أو يوحنا...







- صور أسطورية أخرى تقدم المسيح الذي يسحق تحت رجليه التنين أو الحية... أو يضربها بصليبه الطويل، وصور "نزول المسيح إلى الجحيم" أو الصعود منه، وذلك منذ القرن الثامن.

- الصور التي تعبّر عن الحوادث الإنجيلية المتعلقة بالقبر

  - القبر مع الجنديين – تخرج أشعة من القبر... وبابه قد فتح.

  - مجيء المريمات إلى القبر الذي يضم أكفان المسيح، وحيث يجلس الملاك المبشر (أو يجلس على حجرة القبر المنقلب).

  - مجيء بطرس ويوحنا.

(٢) الصور الغربية التي تعبّر عن خروج المسيح المتجسد من القبر، أمام عيون الحراس. وذلك منذ القرون الوسطى، التي تهتم كل الاهتمام بجمال جسد المسيح، وقوته، والنور الذي يظهر منه. أحياناً نراه صاعداً من القبر أو مرفوعًا فوقه. وقد جاء مثل هذا التعبير في مخطوطة سريانية من دير الزعفران مكتوبة سنة ١٢٥٠.

(٣) من القرن الخامس والسادس حُفظت بعض الصور الشرقية التي يعود تشكيلها إلى نموذج أصيل من كنيسة القيامة في أورشليم، وشكلت هذه الصورة الأصلية تحت نفوذ إنجيل متى، ومن الممكن أن هذه الصورة كانت تحتوي على العناصر المفقودة التالية:

– تقديم بناء القبر، بحسب هندسة البناء القسطنطيني التاريخي في أورشليم، بشكل دائرة تمثل قبة القيامة، أو البناء الصغير فوق القبر. والباب المفتوح يذكّر أيضًا بباب القبر (وأحيانًا يظهر منه المذبح). على جانب القبر يجلس الحراس نائمين على تروسهم، أو منقلبين بتأثير شعاع النور القوي المنبعث من القبر (قارن مخطوطة ربولا سنة ٥٨٦). ومكان هذا المشهد هو حديقة مزدهرة بأشجار وورود متنوعة.

– الملاك المبشر بالقيامة يرفع يده إلى النساء، أو إلى القبر، ويجلس الملاك على طرف القبر الفارغ أو على حجرة أمامه (أحيانًا تظهر هنا كتابة كلمة "المكان" أو "الحجرة"). لكن الصورة المقبولة فيما بعد تقدم القبر مع الأكفان بحسب إنجيل يوحنا ٢٠ : ٧.

– مجيء النساء المريمات (عادة اثنتين أو ثلاث)، ونراهن يحملن قارورة طيب صغيرة.

– ظهور المسيح للمريمين ويقول لهما "افرحا، قد قمت من القبر..." عندما يتقدم إليهما من اليمين، وبيده ملف السلطة. والمجدلية تركع ساجدة لتقبل قدميه، أما مريم العذراء فتنظر إلى ابنها الحي. (قارن أيقونة من القرن السابع محفوظة في دير جبل سيناء). ذلك بحسب تفسير إنجيل متى في تقليد سرياني ويوناني قديم، من القرن الثاني يظهر عند مار أفرام (+٣٧٣) في تفسيره للدياطسرون، وعند القديس يوحنا الذهبي الفم في الخطبة عن إنجيل متى (سنة ٣٩٠ في انطاكيا)، وعند ساويروس الأنطاكي في خطبته المرقمة ٧٧ (سنة ٥١٥) وغيرهم، كما في بعض الصلوات الطقسية التي تقول مثلاً "أنتِ الوحيدة بين النساء التي رأت المسيح، عندما كان يخرج من القبر في أبهى جماله، أنتِ الوحيدة المقدسة التي قبلت سلامه...".

(٤) أما الصورة التي تظهر في مخطوطة أرمنية (محفوظة في مكتبة إيريفان مرقمة ٦٢٠١ والمكتوبة سنة ١٠٣٨ قرب بحيرة فان)، فهي بسيطة وقريبة من النصوص الإنجيلية، وهي تجمع بين الحوادث المتسلسلة لأحد القيامة.

– مجيء النسوة المريمات، حاملات قارورة الطيب بأيديهن، فجر يوم الأحد، ليضمخنَ جثمان ربنا يسوع المسيح ويتملكهن الخوف، حين وجدن القبر فارغًا يقف فيه ملاكان بثياب براقة (لو ٢٤: ١-٦).

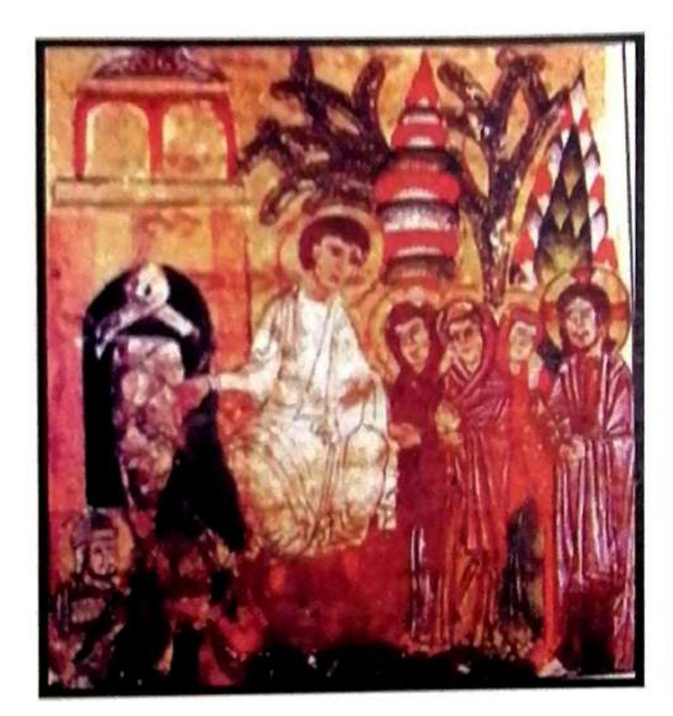


- جلس الملاكان حيث كان جثمان ربنا يسوع المسيح، أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين (يو ٢٠: ١٢). وهما يبشران بالقيامة: "لماذا تبحثون عن الحي بين الأموات؟ انه ليس ههنا، بل قام" (لو ٢٤: ٥). "وها هوذا يتقدمكم إلى الجليل فترونه هناك" (متى ٢٨: ٧).

- والنساء يخبرن التلاميذ، وبطرس مع يوحنا يسرعان إلى القبر، ويوحنا يسبق بطرس، وفي القبر يجدان الأكفان ملفوفة بطريقة خاصة، تدعو إلى الإيمان بالقيامة. (أنظر يو ٢٠: ٢-١٠ / لو ٢٤: ١٢ / ١ قور ١٥: ٥)، ثم ظهور ربنا يسوع المسيح للنساء في الطريق (متى ٢٨: ٩-١٠). - في الرسم يُقدّم المسيح بحجم أكبر من حجم الآخرين لأنه حي بملء الحياة (أف ١ و٢)، وكذلك يده التي تبارك بسلام القيامة العظيم (يو ٢٠: ٢٠-٢٢ و٢٦)، هي أكبر من الأيدي الأخرى. لقد تغلب على الشيطان وعلى الموت، وصالح الله تعالى والبشر (أف ٢: ١٤-١٧). - إن الموتى الحقيقيين هم الذين يرفضون الإيمان بالمسيح الحي، وتعبيرًا عن هذا نرى الحرّاس الذين ما زالوا راقدين في الموت ولا يرون نور القيامة، يختفون تحت تروسهم من قوة نور الحياة، وهم تحت سيطرة القبر خارجًا عن ميدان الحياة الجديدة (أنظر متى ٢٧: ٢-٦٦ / ٢٨ :٤). ومن الممكن أن تعبّر هذ الصورة أيضًا عن قراءة بحسب إنجيل مختلط (دياطسرون).



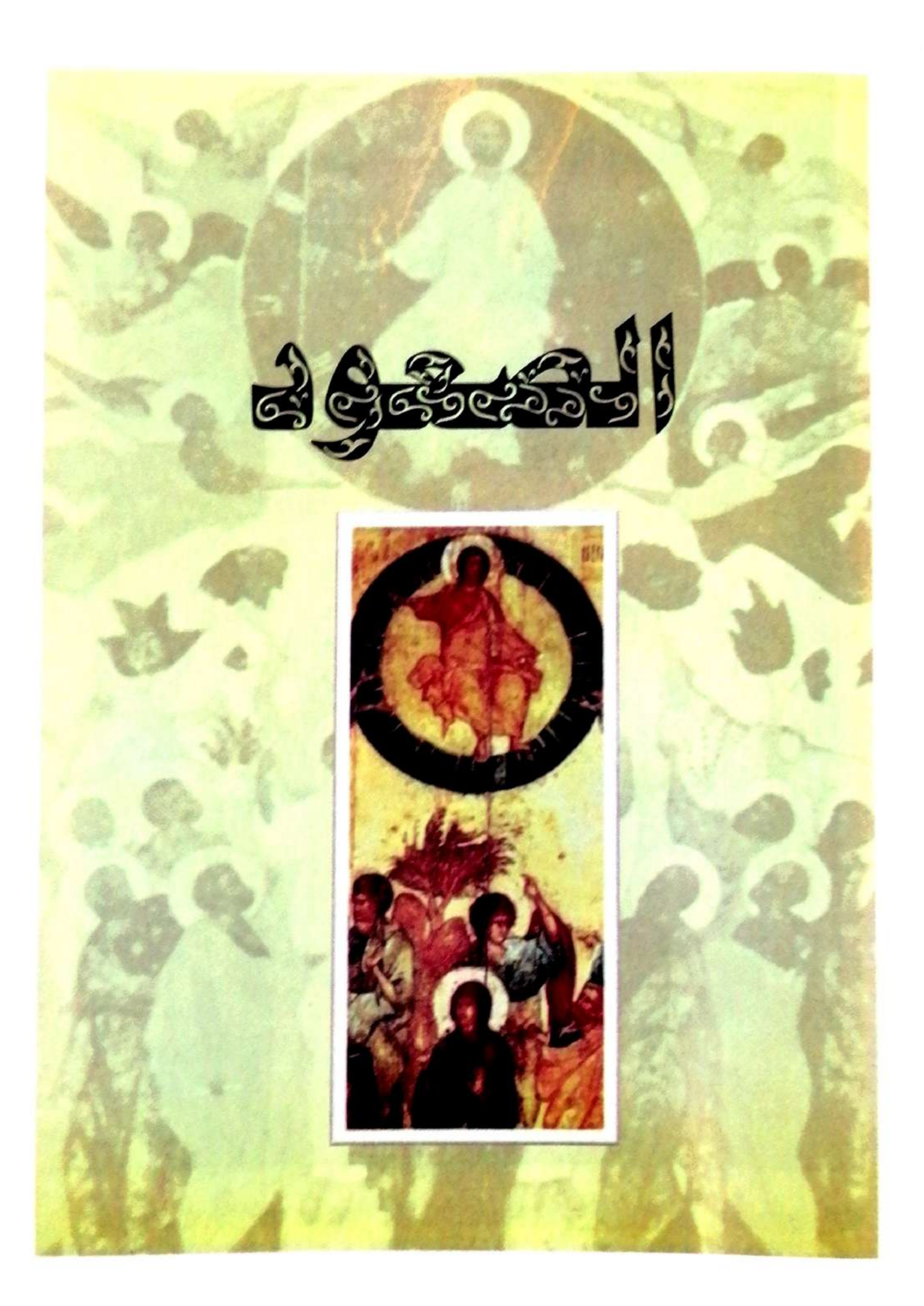











الصعود



الفصل الثامن

الصعود

الأسماء:

"عيد صعود ربنا يسوع المسيح إلى السماء يوم الأربعين بعد القيامة". "خميس الصعود"، أو "عيد الرش" (تقليد كلداني شعبي).

التاريخ: ٤٠ يومًا بعد عيد القيامة.

المصادر:

خر ١٩-٢٠/ تث ٥-٦ / ٢ صم ٦: ١-٢٣ / ٢ ملوك ٢: ١-١٥ / مز ٢٤: ٣ و ٧-١٠/٤٧: ٦/٦٨: ٢ و ٥ و١٦-١٩ و٣٣-٣٤/ ١١٠ / إش ٢: ٢-٣ / ١٠: ٢٣-٢٦ / حز ١: ١-٢٨ / زكريا ١٤: ١-٤ و٨-١١، لو ٢٤: ٣٦-٥٣ / مر ١٦: ١٩-٢٠ / يو ١٤-١٧/٢٠: ١٧ / أعمال ١: ١-١٢ / كول ٣: ١-٢ / فل ٣: ٢٠/ ٧ أف ٢: ٥-٦ /٤: ٧-١٢ / عبر ١٠: ١٢-١٣ و١٩-٢١ / ١٢: ٢٤ /١٣ :٢١ / ١ بطر ٣: ٢٢ / رؤيا ٤: ١-١١ / إنجيل نيقوديموس المنحول ١: ١٤ (القرن الخامس لكن يحفظ عناصر ترجع إلى القرن الثاني) / رؤيا بطرس المنحول ١٧ (مكتوبة بين سنة ١٢٥-١٥٠) / صعود إشعيا ١٠: ٢٣-٢٦ (القرن الثاني).

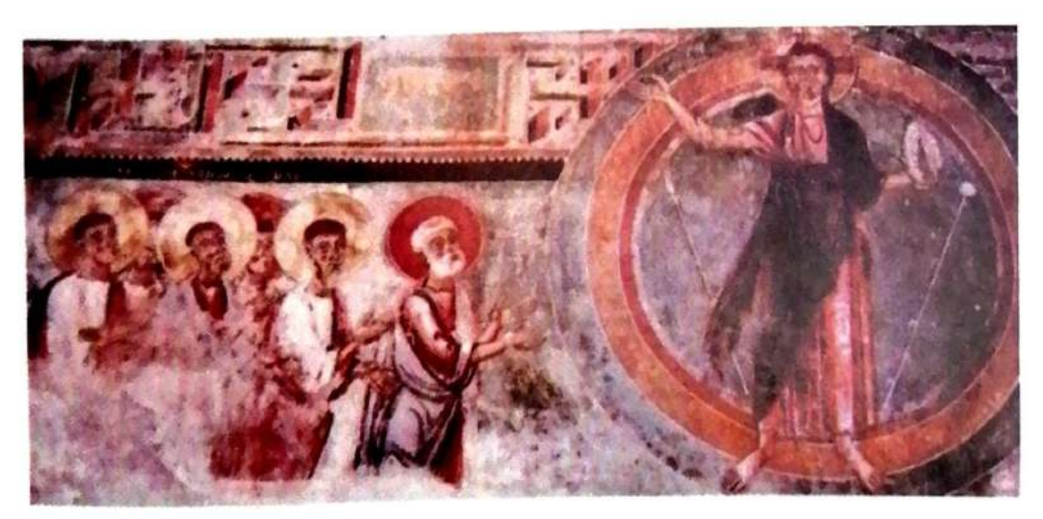
١- أصل عيد الصعود

- قبل القرن الخامس لم يذكر عيد الصعود إلا ما ندر ولكنه كان قد ورد على لسان أوسابيوس أسقف قيصرية فلسطين (٢٦٣ / ٣١٣ /+ ٣٤٠) الملقب بـــ"أبي التاريخ الكنسي"، وذلك في اليوم الخمسيني. وكذلك تذكره الراهبة إيجيرية التي كانت في أورشليم نحو سنة ٣٨٣. وفي تقليد سرياني قديم أيضًا عُرف الصعود ولكن ضمن احتفال يوم الخمسين.

أما القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٥٠ /٣٨٦ في أنطاكيا / ٣٩٨ في القسطنطينية / +٤٠٧) في المشرق، والقديس أوغسطينوس (٣٥٤/٣٩١ في هيبو – أفريقيا الشمالية / + ٤٣٠) في المغرب، فقد عرفا عيد الصعود وذكراه في اليوم الأربعيني. فيرجع إذًا أصل هذا العيد إلى نهاية القرن الرابع، ومن الممكن أنه كان يعود إلى طقس كنيسة أورشليم، التي أخذت بتقسيم العيد الخمسيني الكبير بسبب اهتمامها بمراحل التدبير الخلاصية، والاحتفالات المتسلسلة في الأماكن التاريخية. والجدير بالذكر أنه لم يرد ذكر اليوم الأربعيني للصعود في العهد الجديد إلا عند لوقا "مؤرخ تدبير الخلاص" في إنجيله وكذلك في أعمال الرسل.

ومع مرور الزمن وخاصة في الغرب خسر الصعود معنى العيد الأصلي الذي كان احتفالاً بتمجيد ربنا المسيح، وارتفاعه ربًا إلى الملكوت، ملكًا على السموات والأرض، وشيئًا فشيئًا أصبح الصعود عيدًا نوعًا ما منفصلاً عن العيد الخمسيني، ذكرًا لنهاية حضور المسيح الجسدي التاريخي على الأرض، ولظهوره الأخير قبل صعوده فوق السحاب إلى السماء. وفي القرون الوسطى كان الصعود عيدًا للوداع الحزين. وفي بعض الكنائس كان يمثل هذا الحزن رفع تمثال المسيح، أو إطفاء الشمعة الفصحية.

– يمكننا أن نذكر هنا بأن الأسبوع الأول بعد عيد القيامة كان أسبوعًا من نوع خاص وكان يسمى بأسماء مختلفة، كأسبوع الأسابيع (في كنيسة المشرق نحو القرن السادس عشر)، أو أسبوع الراحة (في جدول القراءات السريانية من القرن السادس) أو الأسبوع الأبيض (وترجع هذه التسمية إلى الرداء الأبيض الذي كان يرتديه المعمَّدون) أو أسبوع التجديدات، وتقع في هذا الأسبوع أيضًا جمعة المعترفين القديسين (عند كنيسة المشرق ذكرًا لاستشهاد الجاثليق مار شمعون برصباعي ورفاقه سنة ٣٤٠).



٢ـ بعض الأفكار

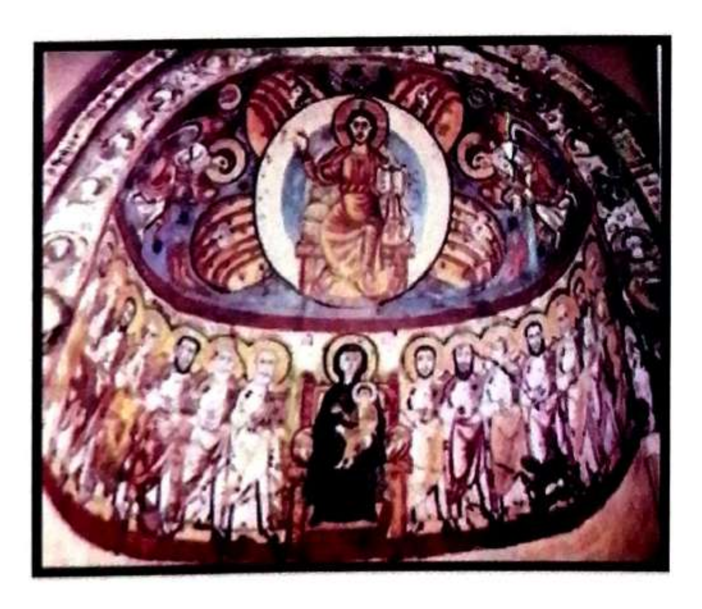
– تفسير مفهوم "السماء"، "الصعود إلى السماء"، "ما لكم قائمين تنظرون إلى السماء"؟.... عرض القدماء نظرية تكوين الكون وترتيبه في ثلاث طبقات: هي القرص الأرضي الذي تعلوه القبة السماوية وباطن الأرض وما تحتها الذي كان يعرف بالجحيم... والسماء هو "مكان" معين فوق الجلد الفلكي حيث "يسكن" الله تعالى والسماويون. أما العلم الحديث فلم يقبل هذه النظرية، فكيف نفهم السماء؟

إن السماء لها معاني مختلفة، وهنا لا نستعمل هذه الكلمة كأنها مفهوم علمي ولكن كمفهوم ديني، روحي ورمزي، يعبّر عن "الإيمان" بطريقة خاصة، وفي "لغة الإيمان" يشار إلى السماء كصفة من صفات الحياة الأبدية في حضور الله تعالى... قارن العبارة التالية "والذي نزل إلى عمق الجحيم، صعد منه إلى قمة السموات".

فلا تعني عبارة "السماء" مكانًا أو"سفرة من مكان إلى مكان آخر"، بل تعني "التدبير الخلاصي" وقوة انتصار المسيح، ومجد القيامة الذي يهيمن على كل الأمكنة والأزمنة. كما وتعبّر هذه العبارة عن "حالة" المسيح الممجد وحالتنا المستقبلية.

– كيف تفسَّر عبارة: "ليأتي ملكوتك" بضوء العبارة التالية "لتنـــزل السماء على الأرض"؟

– المهم أن يفهم سر الصعود، كمرحلة من عيد الخمسين الكبير، وأن يرتبط بعلاقة جوهرية بعيد القيامة (تكملة لتمجيد المسيح) وبعيد العنصرة (كأساس وشرط لحلول الروح القدس وتأسيس الكنيسة).



قد رفعنا معه

اليوم حُققت المصالحة بين الله وبين والبشر. اليوم مُنح لنا سلام عجيب غير مؤمّل،

بواسطة المسيح الذي قدّم ذاته إلى الآب، باكورة جنسنا البشري الخاطئ.

ونالت التقدمة حُظوة فـــي عينـــي الآب، نظرًا لنقاوتها وسموّ مقدمتها،

فقبلها وأقامها إلى جانبه، قائلاً له: "إجلس عن يميني...".

فهو الذي نزل إلى أعماق الأرض، قد صعد الآن إلى أعلى السموات،

ومعه رُفعت إليها طبيعتنا السفلى، اليوم تجلس الطبيعة البشرية في البهاء

على العرش الملكي لامعة بالمجد الأبدي والجمال الذي لا يفسد...

قوموا واحضروا لرجوع الرب العظيم وعيون قلوبكم متوجهة إليه،

ليجدكم مستعدين وليأخذكم معه على السحابة إلى بيت الآب الأبدي.

(منسوب إلى يوحنا ذهبي الفم).

كان جبل الزيتون المكان للموعد معه، ومن هناك فتح طريق العلى للصعود.
يوم الصعود بارك الإثني عشر وفيهم كل تلميذ،
بيديه الطاهرتين المرفوعتين.
أخذته عربة نورانية غير ملموسة،
ركبها الملك عوضًا عن مركبة الأحصنة الفاخرة.
انشق الهواء بين التلاميذ وبين الشمس، عند صعوده المنظور إلى من أرسله.
الملائكة في الطقوس صاحت "قدوس".
استقبالاً للملك الصاعد إلى القصر غير المدوس.
نزل ملاكان ليُفهما الإثني عشر بكلام يشجع قلوبهم المضطربة:
نبشّركم بالبشرى من عند يسوع الذي صعد، هكذا في الأخير عند نهاية العالم سيرجع.
قد دخل رئيس الكهنة قدس الأقداس المسكن العظيم،
ليكهن فيه لأجل الجنس البشري المسكين.
رجع الملك إلى قصر ملكوته باللباس الذي منا أُخِذ،
وسحق أعداءه موطئًا تحت رجليه. صورة الجوهر وهيكل الكلمة دون انفصال،
الجالس على العرش تخدمه الخليقة كلها.

(ترجام منسوب إلى عبديشوع الصوباوي -١٣١٨)

٣- صورة عيد الصعود

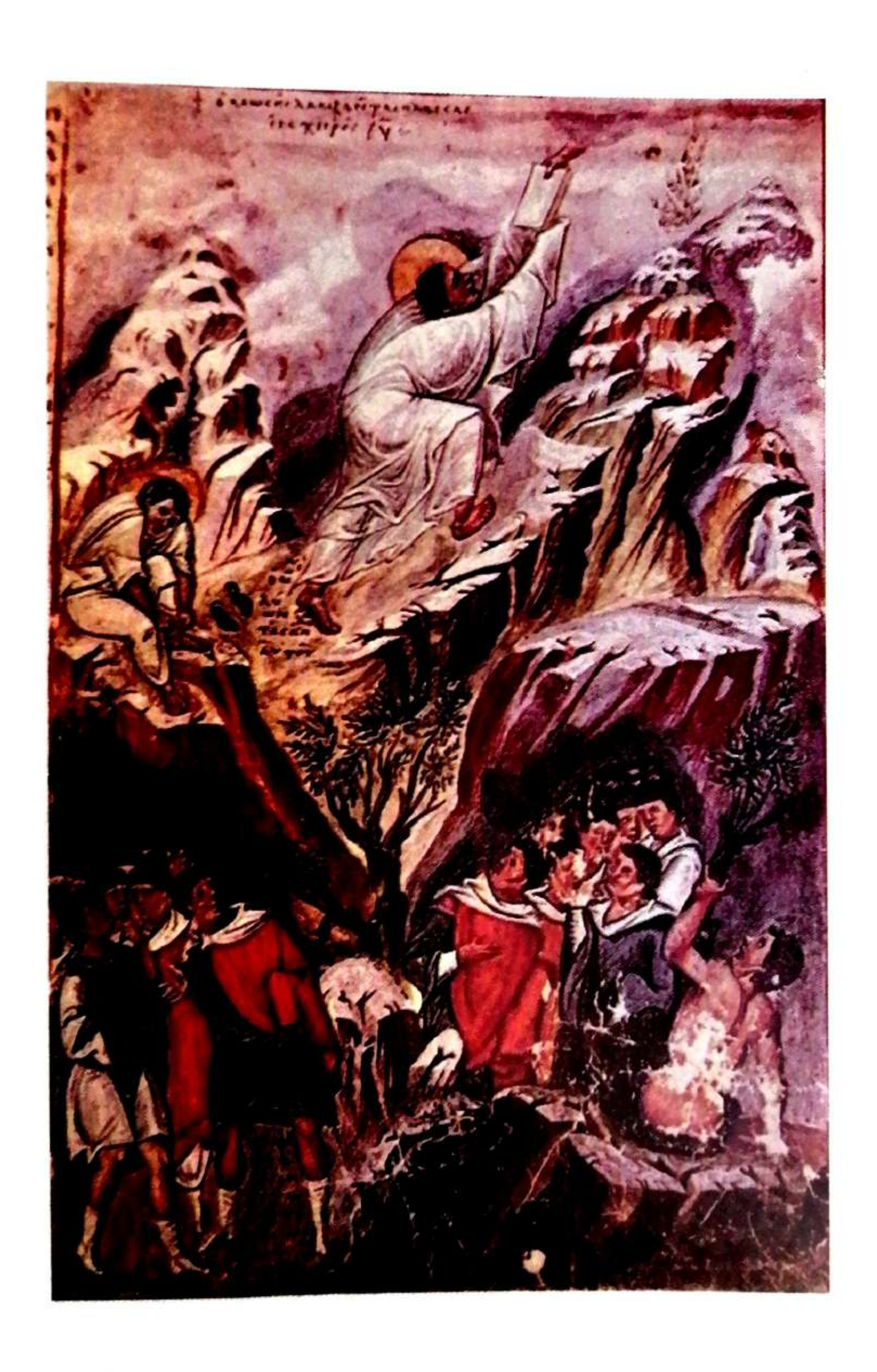
(١) إن صورة **الصعود الغربية** القديمة، كانت تقدم المسيح صاعدًا على جبلٍ عالٍ، وماشيًا بخطوة كبيرة نحو القمة، وأحيانًا حاملاً عود الصليب على كتفه وماسكًا بيده الأخرى الملف (السفر)، ومن السماء تظهر يد الآب، التي تسحب المسيح من يده إلى السماء استقبالاً له.

كما تذكّرنا قراءات عيد الصعود بالحوادث المذكورة في العهد القديم، عند منح الوصايا العشر على جبل سيناء، وهكذا تذكّرنا صورة الصعود هذه بصورة أخرى أقدم منها، والتي تقدّم موسى وهو يصعد جبل سيناء، في نفس الحركة مثل المسيح، في صورة الصعود، ونحو القمة، يمد موسى يديه لقبول الوصايا.

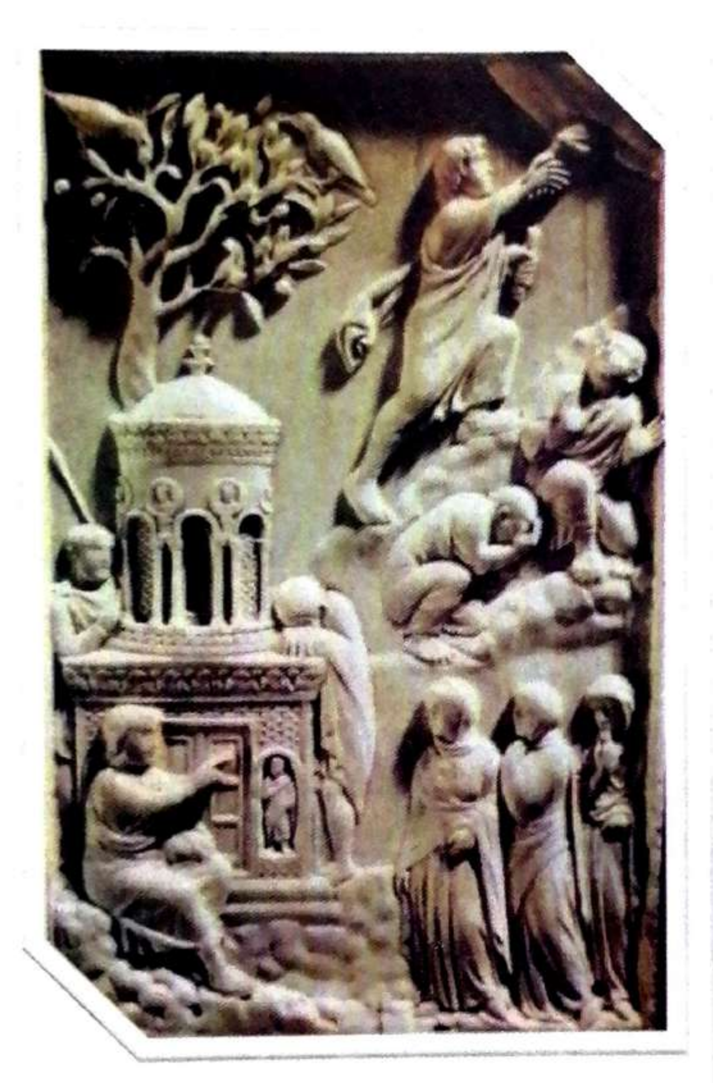
وهذا النموذج يساعدنا لفهم "الملف" الذي رأيناه بيد المسيح لأنه هو رب الوصايا، والذي له كل سلطان ليترك لنا الوصايا الجديدة، الوصايا التي فيها روح الله تعالى، التي تقصد خير الإنسان. (قارن متى ٢٨: ١٨ / يو ١: ١٧/ ١٥: ٢٦-١٦).

في أسفل صورة الصعود القديمة نرى التلاميذ الثلاثة نائمين، أو الرسل الإثني عشر مع مريم وملاكين (أعمال ١). منذ القرن العاشر استُعملت في الغرب صورة تحاول التعبير عن "واقعية" سر الصعود، فتقدم المسيح صاعدًا وطائرًا بقوته الذاتية إلى السماء ومحلقًا في الهواء حيث يختفي ما بين السحاب، فوق رؤوس الرسل الحزانى. ثم تقدَّم يديه مرتفعتين نحو السماء...







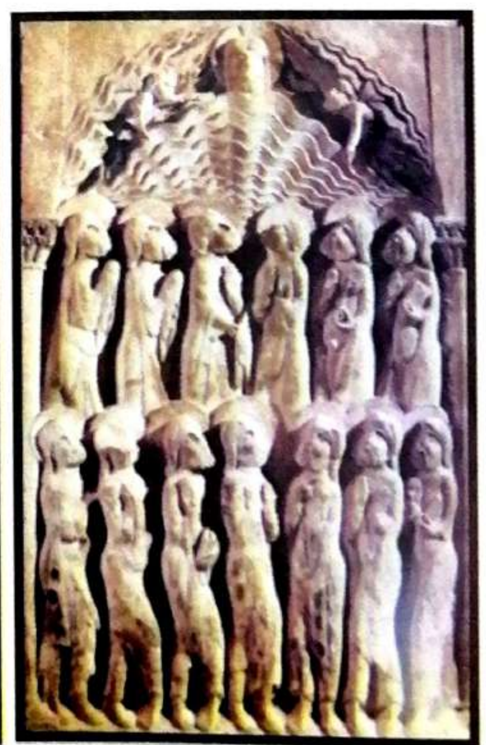


(٢) أما صورة **الصعود الشرقية** فتظهر في القرن السادس، ومن الممكن أن تشكيلها يرجع إلى صورة قديمة وهي صورة المسيح الممجد السلطان، الجالس على العرش الملكي في المجد، بين الأحياء الأربعة ؛ ويسجد له الملائكة والقديسون. وكانت هذه الصورة معروفة ومقبولة في الغرب والشرق (فلسطين، مصر، بلاد ما بين النهرين، القسطنطينية...).





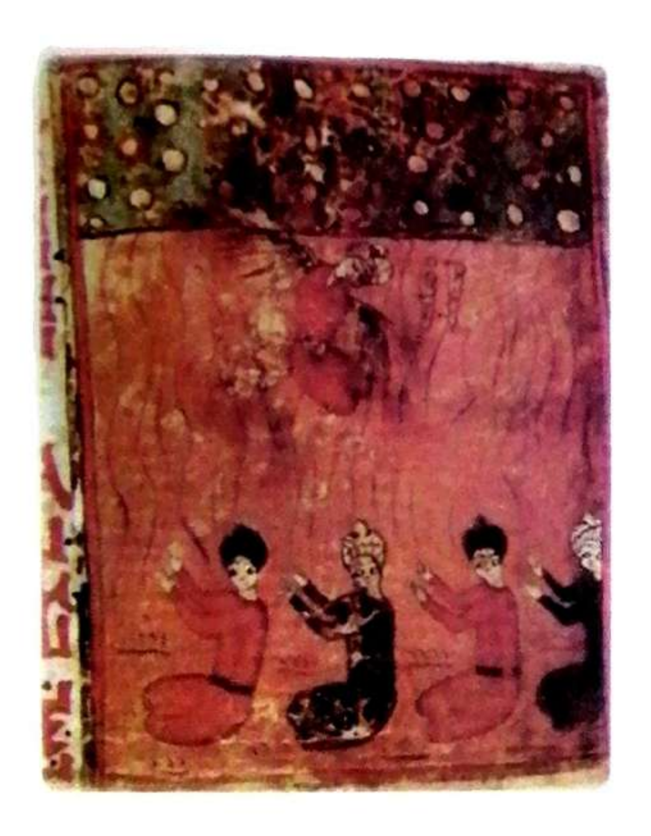
وعلى سبيل المثال نذكر صورة بديعة حُفظت لنا في مخطوطة ربولا السريانية، وتنقسم هذه الصورة إلى قسمين أو مشهدين ؛ مشهد سماوي ومشهد أرضي. وفي مركز المشهد السماوي يقوم ربنا يسوع المسيح في قرص بيضوي، وبيده الملف (السفر) المفتوح المنشور، وهو يركب مركبة حسب رؤيا حزقيال ١: ٤-٢٨، وتظهر أجنحة المركبة النارية، والعيون المنتشرة عليها مع رموز الأحياء الأربعة، ويد الله الآب مانحة المجد. كما يظهر ملاكان يحملان قرص المسيح الكوني، بينما يقدم له ملاكان آخران إكليل الانتصار.







في القسم الثاني، على الأرض تقف مريم العذراء المصلية بين مجموعتين من الرسل – وتحتوي كل مجموعة على ٦ منهم – مع الرسولين بطرس وبولس في مقدمتهم. فترمز هذه الصورة الجميلة إلى الكنيسة الحية، التي لها الأمل المؤكد بأن الانتصار الأخير سيكون لها على أساس إيمانها بالرب الممجد.





(٣) **تطور الصورة الشرقية**، تظهر صورة الصعود – وكذلك صورة العنصرة – عدة مرات في قبة من قباب الكنائس الكبيرة مع "القسم السماوي" في مركز القبة والرسل حوله في الدائرة الكبيرة التي تحدد القبة (كنيسة الحكمة المقدسة في تسالونيكا، سنة ٨٨٥ / كنيسة مريم العذراء في تسالونيكا القرن الحادي عشر / كنيسة القديس مرقس في البندقية القرن الثاني عشر...).

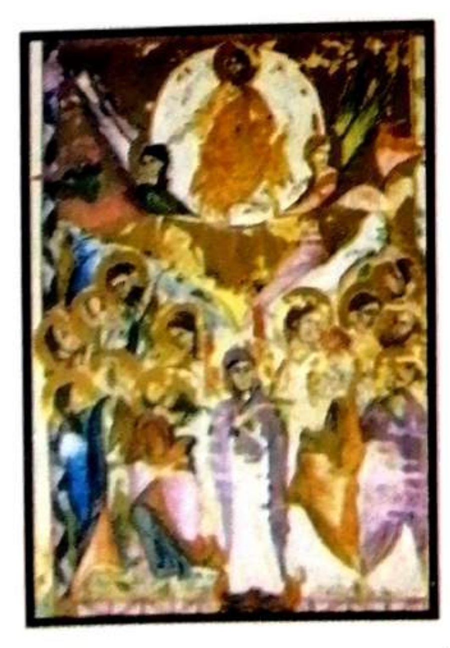
لقد حُفظ لنا نموذج شرقي آخر لم تظهر فيه مريم العذراء ؛ والتعبير الفني المستعمل في مثل هذه الصور، يذكرنا بالفن الإسلامي في ذلك الوقت. قارن في هذا المجال صورة الصعود في مخطوطة بحيرية (قبطية) محفوظة في المكتبة الوطنية باريس مرقمة ١٣ ص ٢١٨، مكتوبة سنة ١١٨٠ بيد ميخائيل الدامياتي، وكذلك في مخطوطة آثورية محفوظة في المتحف البريطاني ريج مرقمة ٧١٧٤ ص١٤٨، وهي مكتوبة في الموصل سنة ١٤٩٩ من أجل كنيسة مار يعقوب في تل أسقف.

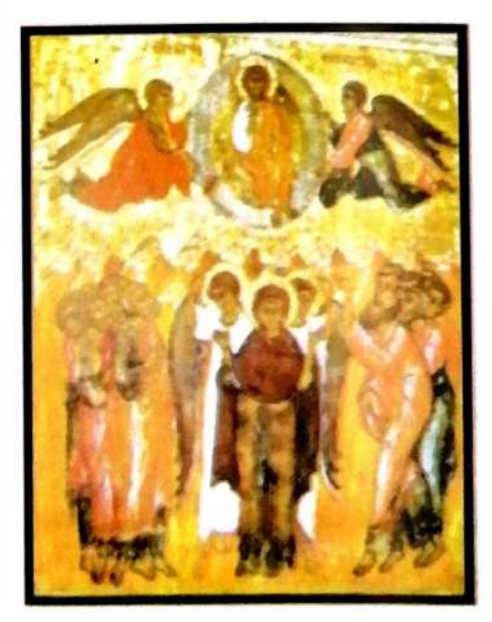




وفي الصورة القبطية، نرى الرسل مرتّبين في منحدر الجبل وهم يركعون حتى تلامس رؤوسهم الأرض، وأمامهم يجلس المسيح مرتفعًا عن الأرض على شيء شبيه بالقوس يحيطه لهب نار عوضًا عن هالة المجد.

أخيرًا نذكر صورة مرتّبة جميلة تظهر في مخطوطة آثورية محفوظة في مطرانية الكلدان في الموصل والتي كُتبت في ألقوش سنة ١٧٢٣، ونرى فيها الرسل دون مريم العذراء، في خط مستقيم واحد ومن فوقهم المسيح الذي يقوم في قرص يحمله ٦ ملائكة.





(٤) **أما الصورة المقبولة** في الفن الشرقي الكنسي – في خط القناني القصديرية الفلسطينية، ومخطوطة ربولا...تظهر في بعض الأيقونات القديمة المحفوظة في دير القديسة كاثرينة على جبل سيناء، وهي من القرنين السابع والثامن. أحياناً تقدم مريم العذراء جانبيًا، ويديها مرتفعتين إلى السماء، وفي أيقونة أخرى تقدم مريم وسط نار العليقة الملتهبة، شبيهة بتلك التي كانت تحمل حضور الله تعالى دون أن تحرقها نار لاهوته (رمزًا إلى بتوليتها).



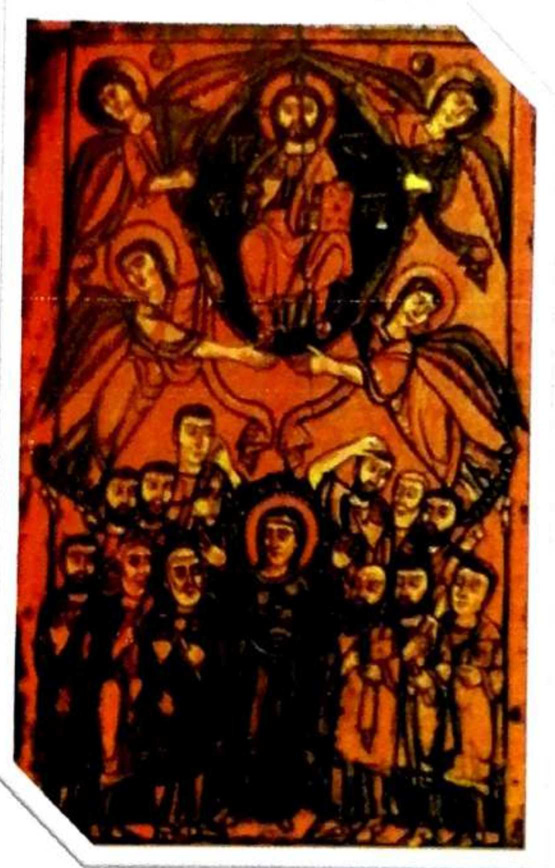
وعلى سبيل المثال نقدم هنا صورة ترجع إلى مخطوطة سريانية من القرن ١٣ (المخطوطة السريانية المحفوظة في المتحف البريطاني مرقمة ٧١٧٠)، وهي تعبّر عن النموذج المقبول في الشرق. في هذا الرسم أيضًا ينبغي لنا التمييز بين منطقتين أو قسمين، وهما السماء والأرض. (قارن صورة التجلي). في السماء يظهر ربنا يسوع المسيح في كل مجده وسلطانه حيث يجلس في دائرة المجد الكوني، المؤلفة من ألوان زرقاء، كالحاكم الديان الذي يأتي في الآخرة، وملف السلطة، أو كتاب المعرفة، في يده اليسرى ويده اليمنى مرفوعة بحركة البركة لتدين الأحياء والأموات، والملائكة الأربعة الذين يحملون دائرة المجد، هم ملائكة الانتصار، الذين بحسب العادة القديمة، يرفعون صورة الملك المنتصر على نوع من

ترس. في بعض الصور القبطية القديمة من القرن السادس، (أنظر مخطوطة ربولا، سنة ٥٨٦) تظهر حول المسيح، عوضًا عن الملائكة، رموز الأحياء الأربعة، وهم الملاك والأسد، والثور، والنسر. أحيانًا متعلقة بالعربة النورانية (أنظر حزقيال ١ ورؤيا يوحنا ٤: ٦-٩)، وبالشمس والقمر. ويعبّر هذا المشهد المهيب عن تمجيد المسيح الرب العظيم. فالصورة بحد ذاتها تعبّر معًا عن صعود المسيح وعن رجوعه الأخير. (قارن أشعيا ٢٥: ٩ وهو النَص الذي نجده مكتوبًا على صفحة السفر (الملف) الذي يمسكه المسيح بيده).

بين المنطقتين السماء والأرض، تظهر شجرتان، وتشيران إلى جبل الزيتون، الذي كان المكان التاريخي للصعود (أنظر أعمال ١ :١٢ وإنجيل نيقوديموس المنحول ١٩). وفي صورتنا تلامس قمة الشجرتين، أجنحة الملائكة. ومن الممكن أن هاتين الشجرتين تشيران أيضًا إلى حضور المسيح الرب الممجد في كنيسته حاليًا، لأن شكلهما الذي يشبه شكل اللهيب يذكّر الناظر إليهما بلهيب العليقة المشتعلة (خروج ٣)، التي عبّرت عن حضور الله تعالى في تاريخ الشعب القديم (قارن متى ٢٨: ١٨-٢٠).

وفي بعض الأحيان يظهر ملاكان ينزلان إلى الأرض (بحسب أعمال الرسل ١: ١٠-١١)، وفي وسط خطّ التلاميذ تقف مريم العذراء (قارن أعمال ١: ١٤) ويداها في حركة الصلاة مرفوعتان نحو السماء. وهي هنا تمثل الكنيسة التي تصلي من أجل رجوع ربها. والتي ما يزال المسيح حاضرًا فيها. ونجد عدد التلاميذ أحد عشر تلميذًا، لأن الصعود حدث بعد انتحار يهوذا الاسخريوطي وقبل اختيار متيا بديلاً له، وعيون التلاميذ شاخصة نحو السماء، أو إلى مريم العذراء، والبعض منهم يفكر بشيء من الشك والريبة (أنظر مر ١٦: ١٤ / متى ٢٨: ١٧). وعادة يقف إلى جانبي مريم العذراء كل من الرسولين بطرس وبولس (أو يوحنا كما في صورتنا). ويعبّر هذا المشهد عن الكنيسة التي تؤمن بحضور الرب الممجد وتنتظر مجيئه الثاني لتكملة السلام الكوني.

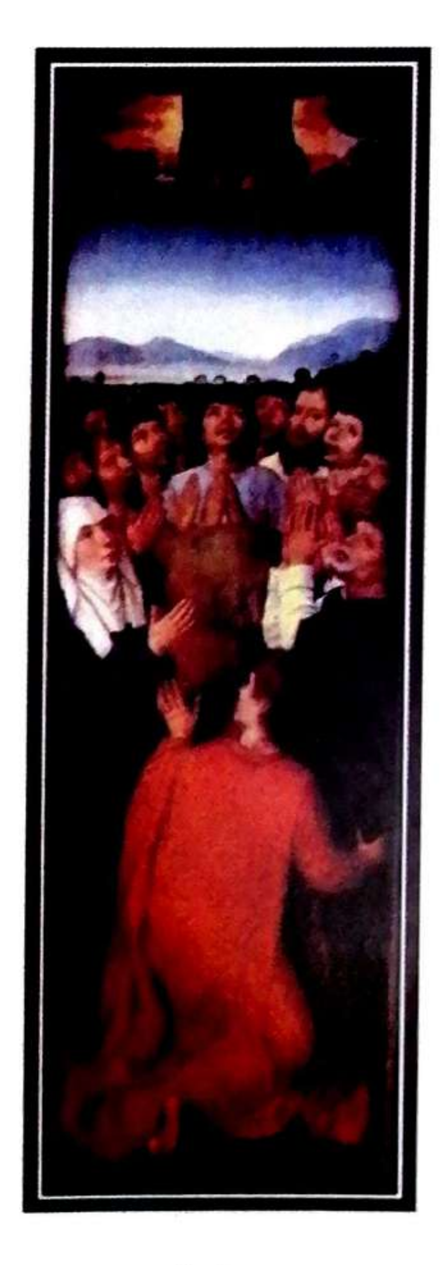


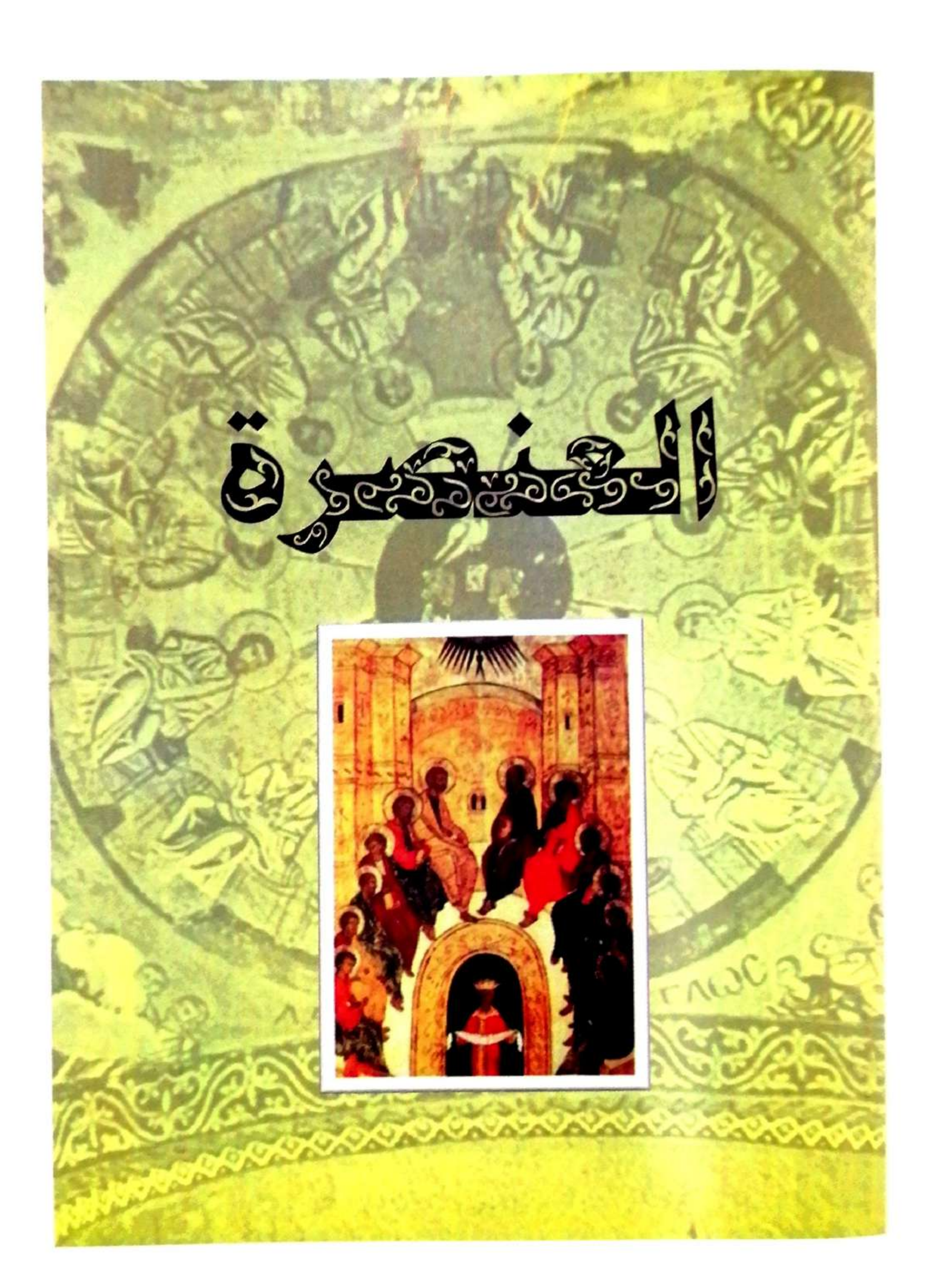











العنصرة



الفصل التاسع

العنصرة

الأسماء:

"العنصرة" تعود إلى كلمة آرامية "عصرتا – الختام" (بحسب الأب لويس شيخو) أو إلى لفظة عبرانية "عشرتا – الاجتماع" أو إلى لفظة أخرى عصرت – العيد.

١) في العهد القديم: "عيد الحصاد" (خر ٢٣: ١٦)، "عيد البواكير" (لاويين ٢٣: ١٧)، "عيد أبكار حصاد الحنطة" (خر ٣٤: ٢٢)، "عيد الحزمة الأولى" (لاويين ٢٣: ١٠)، "عيد الأسابيع (السبعة)" (تث ١٦: ٩-١٢ / عدد ٢٨: ٢٦-٣٠)، "عيد الخمسين" ٥٠ رقم يرمز إلى الغفران (لاويين ٢٥: ١٠ / تك ٦: ١٥)، ويرمز رقم ٥٠ إلى الكمال والخلود (٧×٧+١=٥٠) (لاويين ٢٣: ١٥-١٦). تذكار نزول الشريعة في جبل سيناء (خر ١٩-٢٠).

٢) في المسيحية: "عيد حلول الروح القدس" على التلاميذ المجتمعين في العلية، أو "عيد الروح القدس"، "عيد الوحدة المسيحية"، أو "عيد الثالوث الأقدس" (بحسب تقليد شرقي)، أو "يوم الرب العظيم" (أثناسيوس الإسكندري)، "أحد الكمال للخمسين" (في جدول القراءات السريانية القديم)، "الأحد الوردي"، أو "العيد الأخضر".

المصادر:

تك ١: ٢ / ٢: ٧ / حكمة ١: ٥٠٧ / ٧: ٢٢-٢٩ / قضاة ١٣: ٢٥ / مز ١٠٤: ٢٩-٣٠ / ١٤٣: ١٠ / عدد ١١: ١٦-١٧ و ٢٤-٢٩ / اصم ١٦: ١٢-١٣ / أرميا ٣١: ٣٣ / حز ٣٦: ٢٦-٢٨ / يوئيل ٣ لو ٢٤: ٤٩ / أعمال ٢: ١-٤١ / ١٩: ١-٧ / ١ يو ٥: ٦-٩ / يو ٣: ٨ و ٣٤ / ٤: ٢٣-٢٤ / ٧: ٣٧-٣٩ / ١٤: ١٥-١٨ و٢٥-٢٧ / ١٥: ٢٦-٢٧ / ١٦: ٧-١٥ / ١٩ : ٣٠ و ٣٤ / ٢٠: ١٩-٢٣ / روم ٨: ١-١٧ و ٢٣-٢٧ / ١ قور ١٢ / ١ يو : ٦-٩.

١- أصل عيد الخمسين ومعناه وتطوره

١) منذ القِدم كان عيد الفصح متعلقاً بعيد الخمسين والذي هو كمال الفترة الفصحية وختامها.

لقد ورد اسم هذا العيد "الخمسين" في العهد القديم (لاويين ٢٣: ١٧ / طوبيا ٢: ١) وعُرف هذا العيد أيضاً تحت اسم "عيد الأسابيع" (خر ٣٤: ٢٢ / تث ١٦: ١٠)، أو تحت اسم "عيد الباكورة" (عدد ٢٨: ٢٦)، أو تحت اسم "عيد الحصاد" (خر ٢٢: ١٦). في المحيط الريفي الزراعي، اعتُبرت هذه الأيام الخمسين بين عيد الفصح وعيد العنصرة، فترة خطيرة جداً، بسبب الظرف الجوي الطبيعي، الذي كان يؤثر على نمو الزرع، من أجل نجاح الحنطة والنباتات الأخرى، بحسب ما أشرقت الشمس أو أمطرت السماء. وفي نهاية هذا الموسم، يأتي المؤمن ليقدم باكورة حصاده شاكراً لله. مع مرور الزمن، وفي محيط الرعاة، أُضيفت إلى العيد، فكرة تذكار كشف الشريعة الموسوية، والوصايا العشر، التي منحها الله تعالى لموسى على جبل سيناء (خر ١٩-٢٠). وقع بعد عيد الفصح بخمسين يوماً (٤٩+ اليوم الثامن الإلهي)، أو سبعة أسابيع (ترمز إلى المدة الكاملة ٧×٧+١ وإلى العالم الجديد)، ولذلك دُعي هذا العيد باسم عيد الخمسين أو باليونانية عيد البندكستي أو بالسريانية فنطقوسطا.

٢) أما الكنيسة القديمة، التي كانت قد أخذت بحفظ "الأسابيع السبعة" بطريقة خاصة منذ القرن الثاني – الثالث، فاحتفلت بسر القيامة بكل عناصرها خلال هذه الفترة الطويلة، فأطالت مدة العيد الكبير مدة خمسين يوماً تعبيراً عن الفرح والراحة والتجديد. ذلك لأن خلال كل هذه الفترة كانت الكنيسة تحتفل بتمجيد ربّها يسوع المسيح من خلال قيامته وجلوسه إلى يمين أبيه. إذ بواسطة أسرار حياته وموته قدم لله الآب باكورة طبيعتنا (ناسوته الذي قبل شدة الآلام). وعوضاً عن الجسد الإنساني ترك لنا روحه القدوس، وهو المبدأ الجديد لحفظ الشريعة الجديدة. ولدت الكنيسة بقوة هذا الروح الذي يحضرها للمجيء الثاني الأخير. فلدى القدماء إذاً كان "عيد الخمسين" يدلّ على هذه الفترة كلها مع اليوم الأخير الختامي لها، وليس إلى اليوم الأخير فحسب. خلال هذه الفترة منعت الكنيسة كل صوم وركوع،

تعبيراً عن إيمانها بقيامة المسيح الرب المجيد (قارن مر ٢: ١٩ / لو ٥: ٣٤-٣٥ / متى ٩: ١٥)، باعتبارها فترة العرس. وكانت تقرأ باستمرار قراءات خاصة من أعمال الرسل وإنجيل يوحنا (بحسب طقس الكنيسة البيزنطية والسريانية والأرمنية)، في حين أنّ كنيسة المشرق تقرأ من تثنية الإشتراع (إشعيا) و١ قور وإنجيل لوقا. وجدير بنا أن نذكر بأن الروح القدس قد وهب التلاميذ في يوم القيامة نفسه بحسب تقليد إنجيل يوحنا، فلم تكن الكنيسة القديمة تهتم بتسلسل الحوادث التاريخية بل كان اهتمامها متعلقاً بحضور الرب الممجد وسط شعبه بواسطة روحه القدوس حيث يستمر عيد القيامة الفريد طوال خمسين يوماً.

٣) نحو نهاية القرن الرابع أخذ المسيحيون يذكرون تواريخ حياة ربنا يسوع المسيح وتواريخ انتشار الكنيسة بحسب أعمال الرسل. وإلى جانب اليوم الخمسيني احتفلوا باليوم الأربعيني، لكن بدون تمييز واضح بما يخص معنى العيدين، كما نراه هكذا عند مار أفرام وإيجيرية وهيسيخيوس، لكن تدريجياً انقسمت الفترة الخمسينية إلى أقسام "تاريخية"، مثل اليوم الأربعيني، ثم اليوم المنتصف (٢٥) وأخيراً الأسبوع الأول بعد عيد القيامة، "أسبوع الأسابيع" أو "الأسبوع الأبيض". لقد ورد ذكر "اليوم الواقع في وسط الخمسينية" عند كل من ساويريوس الأنطاكي (سنة ٥١٨) وفي نشيد سرياني (القرن ٥)، ومنذ القرن الخامس في مدن إيطاليا الشمالية (رافينا، تورينو، بريشيا)، حيث احترم المســيح كالمعلم الروحي والحكمة الإلهية المتجســدة الذي يمنح الماء الحي (لو ٢: ٤١-٥١)، لأنه نور العالم. استعملت خلال هذا العيد قراءات متعلقة بالماء والمطر (بحسب زك ٩-١٤ / حز ٤٧: ١-١١ / يو ٧-٨ / رؤيا ٢٢) حيث يشير إلى الله الذي يفتح ينابيعاً على أورشليم وسط تطواف الأنوار.



٢- أفكار وعادات

١) نتيجة صلب يسوع وقيامته ربّاً، مُنح الروح القدس، هبةً من لدن الآب، لجماعة الكنيسة. إن الروح هو حياة الكنيسة، لأنه يجمعها من أطراف الأرض لتشكّل جسد المسيح الواحد، وفيها تُحفظ كلماته وقوة التكريس على الخبز والخمر. إن روح يسوع المسيح يسكن في القلوب ويهدي المؤمنين نحو النور. إنه روح المحبة الذي يربط بين الإخوة ويدعو الكل إلى الاشتراك في البشرى السارة.

في عيد الحصاد الخمسيني، يقدم المسيح ثمار الخليقة للآب، وبفضل ذبيحته يحرر العبيد من قيود الشر، ليصبحوا أحراره وأبناء الآب، وحاملين الشريعة الجديدة في ضميرهم. لقد أصبح المسيح حاملاً للجسد، ليصبح الإنسان حاملاً للروح. إن الروح هو جمال الحياة وراحة القلب، بفضله سكن الثالوث الأقدس في المؤمن. وبفضل هبوط الروح القدس على القربان تصبح الإفخارستيا عنصرة مستمرة.

٣- رتبة الركوع

- إن هذه الرتبة تتعلق بعيد الخمسين وتعبّر عن نهاية الفترة الخمسينية وعن الرجوع إلى أعمال التوبة. وفي أورشليم، خلال القرن الرابع إلى الخامس، كان المؤمنون يقومون بهذه الرتبة بصلاة بعد الظهر مع مسيرة من جبل الزيتون إلى المدينة، وخلالها كانوا يقفون في ٤

كنائس في طريقهم، وفي كل كنيسة من هذه الكنائس كانوا يصلون ويسمعون قراءة من إنجيل يوحنا ويركعون ثلاث مرات.

- لقد فسّر هذه الرتبة كل من ساويريوس الأنطاكي (٤٦٥ / ٥١٢-٥١٨ / +٥٣٨) ويعقوب الرهاوي (٦٣٣ / ٦٨٤ / +٧٠٨)، وكأنها تتعلق بحلول الروح القدس نفسه، الذي لا يستطيع الإنسان أن يتلقاه ويقبله إلا أن يكون بحركة الصلاة وخلالها وفي وضع السجود. لأن الروح القدس هو الذي يعلم المؤمنين سر الثالوث الأقدس الذي له يليق السجود (أنظر يو ٤: ٢٣-٢٤). وتجري حالياً هذه الرتبة في كنيسة أنطاكيا للسريان يوم أحد الخمسين نفسه صباحاً خلال القداس وبعد الرفعة كرتبة السجود للثالوث الأقدس.

- يقال في "كتاب المجدل" إن كنيسة المشرق أخذت هذه الرتبة عن السريان في زمان إيليا الأول الجاثليق (١٠٢٨-١٠٤٩) كما وتُقام هذه الرتبة أيضاً خلال القداس بعد التناول، لكن الأربيلي المنحول (القرن التاسع – العاشر) قد فسّرها وكأنها رتبة التوبة بعد فترة عيد القيامة.

- أما الكنيسة الأرمنية فهي تمارس هذه الرتبة صباح أحد الخمسين، وتفهمها على أنها رتبة السجود للثالوث الأقدس. وكذلك الكنيسة البيزنطية التي حفظتها خلال صلاة المساء (٤ صلوات طويلة منقسمة إلى ٣ أقسام مع ركوع).

- وهذه هي تفاصيل الرتبة كما تُقام عند كنيسة أنطاكيا للسريان:

بعد صلاة الإفتتاحية يُرتَّل مزمور ٥١ مع أبيات تتكلم عن حلول الروح القدس:

القسم الأول إكراماً لله الآب: صلوات البخور لقبول مواهب الروح القدس

تراتيل عن الروح القدس. القراءة من أعمال الرسل ٢: ١-٩ (٢١) ويو ٤: ٤-١٤

كاروزوثا... "يا إلهي الذي جعلتنا... عابدين لثالوثك المقدس..."

سجود المؤمنين خلال الصلاة ويركع الجميع جاثين على ركبهم:

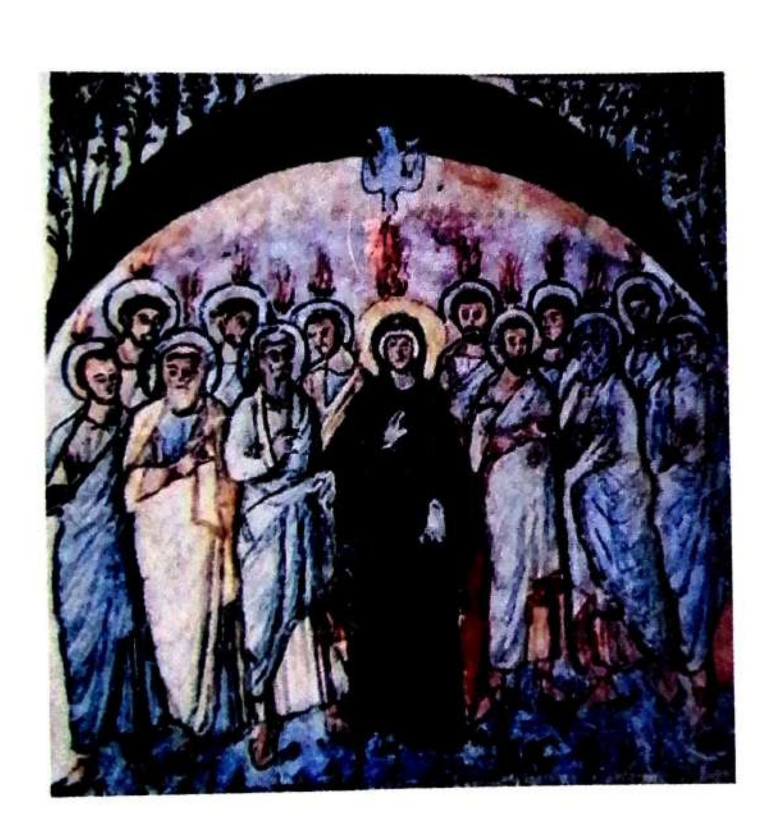
"يا رب إرحمنا في هذا الوقت المقدس، وأقمنا على يمينك في الملكوت".

القسم الثاني إكراماً للابن: (نفس الترتيب)

أعمال ٤: ٣٢-٣٧ / يو ٤: ١٥-٢٠ / كاروزوثا / السجود خلال الصلاة.

القسم الثالث إكراماً للروح القدس: (نفس الترتيب)

أعمال ٢: ١-٢١ / يو ٤: ٣٣-٤٣... ويتبعه ترتيل وثم الصلاة الختامية.



صلوات طقسية

مبارك الذي أرسل روحه إلى الرسل، وملأهم حكمة بنور المعرفة

يا رسل الابن وأصدقاء الوحيد، صلوا من أجل السلام في العالم.

ظهر مجد الروح القدس في العلية، مثل أشعة الشمس البهية

وذهب الرسل إلى العالم مثل المصابيح، ليطردوا الظلام من الأرض. (الطقس الكلداني)

عاصمة الأعياد

في تسلسل المواسم أوصل إلى موسم آخر، وفي تسلسل أعياد الكنيسة أوصل عيد آخر. قبل فترة قصيرة احتفلنا بالآلام وبعيد القيامة. ثم بصعود ربنا يسوع المسيح إلى السماء. واليوم وصلنا إلى امتلاء الخيرات، إلى عاصمة الأعياد وقمتها. قبل أيام قليلة ذكرنا رجوع الرب إلى السماء، وجلوسه على العرش الملكي إلى يمين الآب، واليوم يمنح لنا الرب مجيء الروح القدوس، ويرسل إلينا من العلى كل أنواع من الخيرات. بين كل النعم التي تؤمن خلاصنا هل من واحدة لم يمنحها الروح القدس؟ فهو الذي انقذنا من كل عبودية، ودعانا إلى الحرية، وهدانا إلى التبني، ورفع عنا عبء الخطايا النتن، وكأنه خلقنا خلقة جديدة. ومن الروح القدس تفيض موهبة الوحي ونعم الشفاء، وعنه يصدر كل جمال في الكنيسة. (يوحنا الذهبي الفم).

روح التكلم. ألسنة نارية هبطت على الرسل. إن اللسان يجعل الفم يتكلم. ألسنة الروح القدس الذي بحرارته طرد الصمت الأخرس من الرسل، بألسنة نارية كسر الروح القدس الخوف من التكلم، واستبدل صمت ألسنتهم بالألسنة. (مار أفرام، مد الإيمان ٧٤: ١٨-٢٦).

لما نزل العلي وبلبل الألسنة قسّم الأمم وحين وزّع الألسنة النارية، دعا الجميع إلى الوحدة. إن الألسنة تبلبلت يوما لجسارة بناة البرج وأما الآن فإن الألسنة أنارت الأذهان لمجد معرفة الله. هناك عاقب الله الملحدين لأجل الخطيئة وهنا أنار المسيح بالروح الصيادين. في ذلك الحين صنع بلبلة الأصوات للانتقام والآن جدد اتفاق الأصول لخلاص نفسنا. (الطقس البيزنطي).







٤- صورة عيد العنصرة

من **النماذج القديمة** التي تمثل حلول الروح القدس يمكننا أن نذكر:

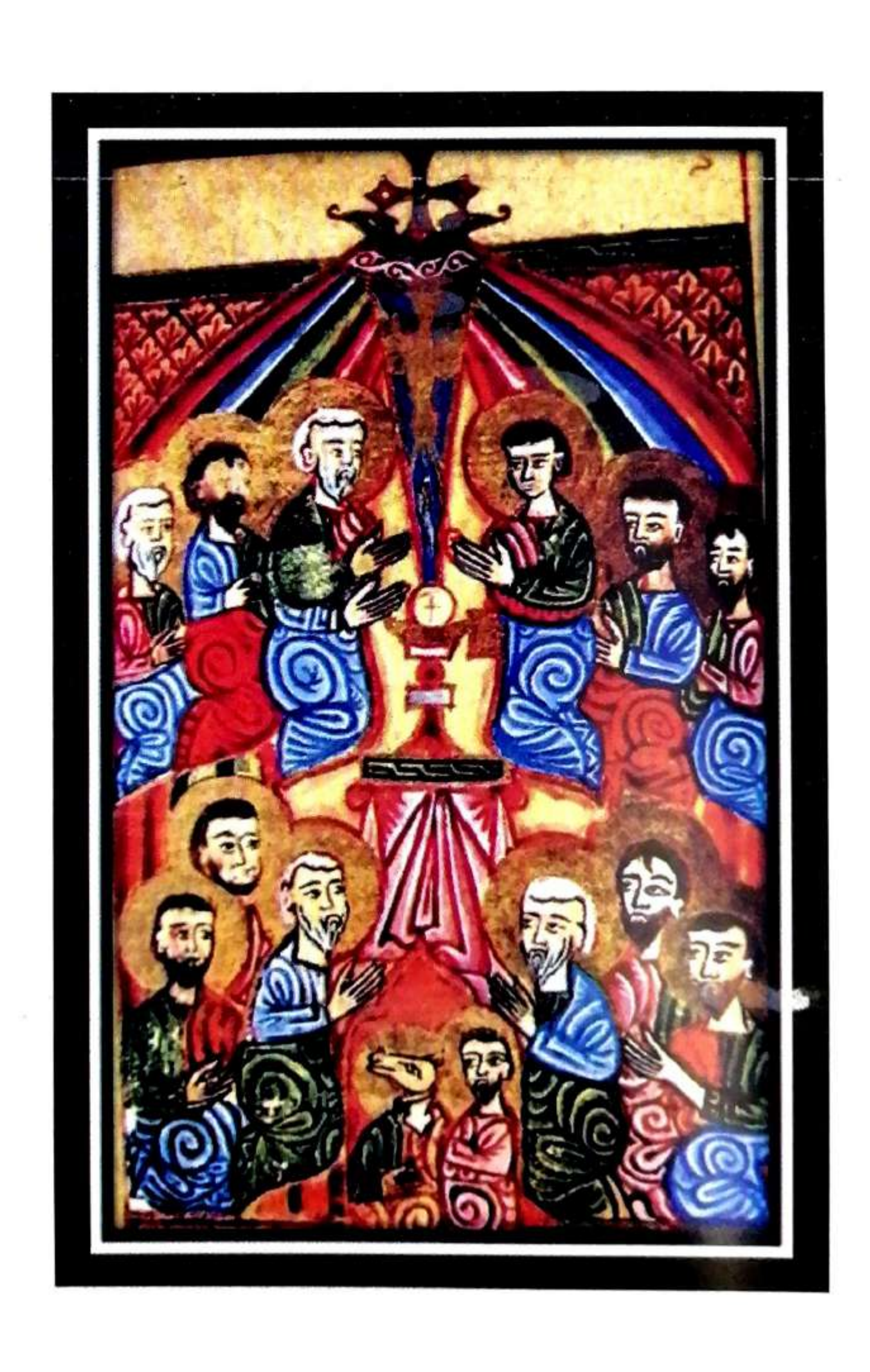
١) النموذج الفلسطيني (؟) الذي شكّل ترتيبه تحت تأثير صورة الصعود المقبولة منذ القرن السادس. في الأسفل تقف مريم العذراء بين الرسل الإثني عشر وفوق رؤوسهم تلتهب ألسنة نارية، وفي مركز السماء تظهر حمامة وأحياناً قرص يحوي صورة المسيح الممجد (أنظر مخطوطة ربولا وبعض القناني الفلسطينية ومخطوطة أرمنية من سنة ١٢٩٤ الخ).

٢) في النموذج الثاني نرى الرسل الإثني عشر في خط مستقيم واحد، قائمين أو جالسين بدون مريم العذراء التي لا تظهر عادة بينهم، ومن المركز السماوي في الصورة (الحمامة أو صدر المسيح) تنبعث خطوط نور قوية على شكل أشعة متجهة نحو رؤوس الرسل. ويظهر هذا النموذج في القرن التاسع في أيقونة محفوظة في دير القديسة كاثرينة في جبل سيناء، وفي مخطوطة قبطية (بحرية)، محفوظة في المعهد الكاثوليكي في باريس، ومكتوبة في القاهرة سنة ١٢٥٠، حيث يشاهد الرسل جالسين، وقد افترشوا الأرض على الطريقة العربية، وتظهر كتابة تقول "عيد العنصرة وحلول الروح القدس على الرسل في العلية". يظهر مثل هذا النموذج أيضاً في بعض المخطوطات الأخرى تعود إلى بلاد ما بين النهرين من القرن الثاني عشر والثالث عشر.





٣) في النموذج الثالث (بعد القرن ١٢) المقبول في القسطنطينية من القرنين التاسع – العاشر نرى الرسل بدون مريم العذراء، وهم يجلسون علي نوع من الكراسي داخل بناء بحسب ترتيب هندسي علي شكل نصف دائرة أو مثلث. في مركز الدائرة يظهر باب غالباً ما يكون مفتوحاً، ويدخل منه شخصان أو مجموعة من البشر والأمم. وفي وقت متأخر (نحو نهاية القرن ١٦) قُبلت في الأيقونات البيزنطية أيضاً مريم العذراء.

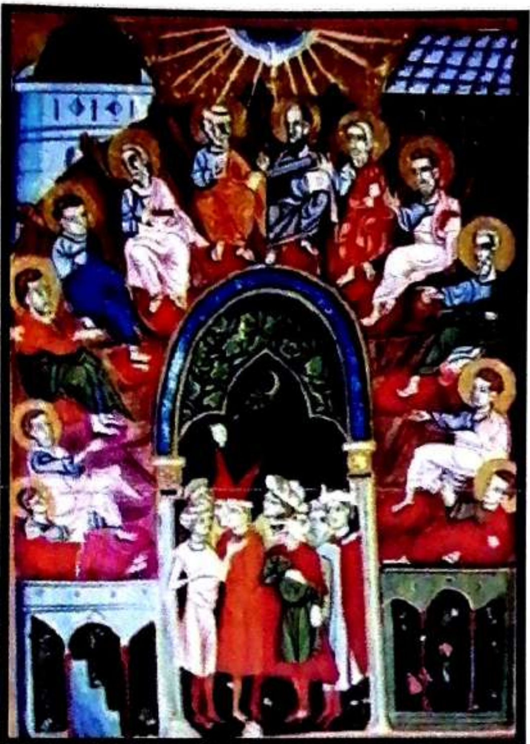


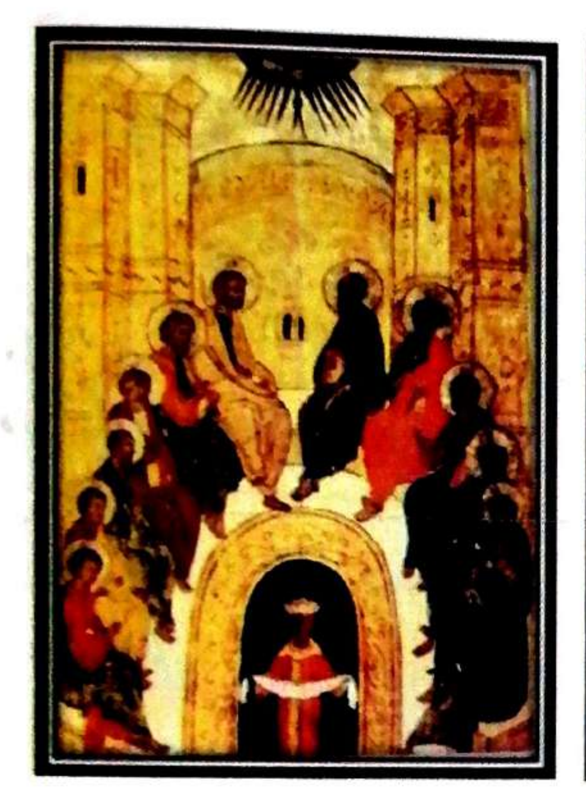


- في الغرب أيضاً يحفظ مثل هذا النموذج، لكن منقسماً إلى قسمين: في العلية نرى الرسل، وفي الأسفل، المدينة حيث يأتي الناس من جهتين أو ثلاث تحت الأروقة. أحياناً يظهر شخصان في الباب أحدهما بشكل إنسان والآخر على شكل حيوان، وكأنهما يرمزان إلى اليهود والوثنيين، لكن كلهم منذ الآن مدعوون إلى بشارة الرسل. في المرحلة الأخيرة من التطور يظهر في هذا الباب المركزي شخص يمثل الكون كله (كوسموس)، ويحمل في المنديل ١٢ ملفاً تشير إلى كرازة الرسل في كل الأرض، ويلبس هذا الشخص لباساً ملكياً مع إكليل. وفي هذا النموذج تنطلق الأشـــعة من قمة الصورة حيث في نصف الدائرة: العرش السماوي الذي فيه كتاب الإنجيل والحمامة. أو بحسب نموذج آخر، تظهر في دائرة زرقاء حيث يقوم العرش الإلهي مع الكتاب (أنظر رؤيا ٥: ١)، كمـــا هو موجود في فســـيفساء كنيســـة مريم الكبرى في رومـــا (سنة ٤٤٠)، مع الصليب، تعبيراً عن حضور الله تعالى الذي يكشف عن ذاته بواسطة بشارة صليب المسيح، والذي سيحكم العالم بحسب نفس البشارة. ومن العرش الإلهي تنزل الحمامة وهي رمز للروح القدس الذي بعد صعود المســيح يكمل رســالته ويدفع الرسل إلى البشارة لدى الأمم. إن عيد يوم الخمسين هو عيد ولادة الكنيسة، بقوة روحه القدوس.

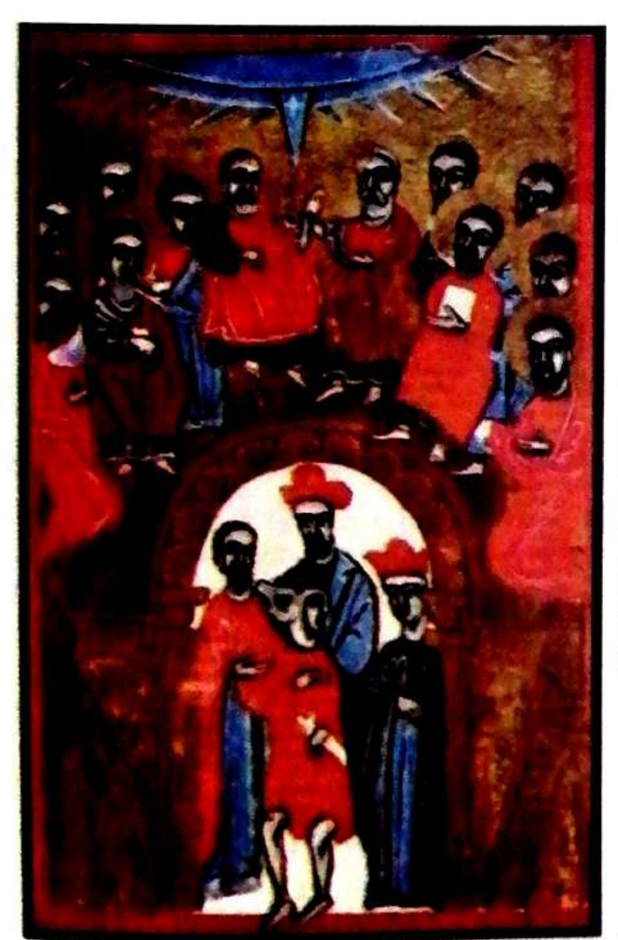
– لكن في أكثرية النماذج الغربية تجلس مريم العذراء في وسط الرسل الذين يصلّون لمجيء الروح القدس، وفي السماء تظهر الحمامة وفوق رؤوسهم ألسنة نارية، وهم في وضعية التعجب. ومنذ القرن الرابع عشر يظهر أحياناً رمز الثالوث الأقدس في قمة السماء ومنه تنبعث الأشعة.

٤) في أيقونة العنصرة التي يعود أصلها إلى مدرسة نوفغورود (نهاية القرن ١٥) يظهر في القمة نصف دائرة ومنها تخرج ١٢ أشعة نارية نحو الرسل. لكن بخلاف العاصفة المذكورة في أعمال الرسل (٢: ١–١٣) تعبّر هذه الأيقونة عن الراحة والهدوء والانسجام. نرى الرسل جالسين في ترتيب البنيان الهندسي كالحكّام في المجلس الأعلى وعلى شكل نصف دائرة بيضوية، وكأنهم في مجمع لرؤساء الكنيسة. إنهم مرتبين بنظام عام رغم الاختلاف بالحركات الشخصية. بفضل الروح القدس يشكلون جماعة إيمانية واحدة. بين الرسولين بطرس وبولس الجالسين في قمة الحلقة، يحفظ مكان فارغ. ومن الجهة اليسرى نلاحظ بطرس ومتى ولوقا، ثم أندراوس وبرطلما وتوما، ومن الجهة اليمنى مار بولس ويوحنا ومرقس، ثم سمعان ويعقوب وفيليبس. فالإنجيليون يحملون الكتاب والآخرون ملف التبشير. وبعضهم يشيرون بأيديهم إلى الباب في وسط الدائرة الذي يرمز إلى العالم. ما زال الأمم في الظلام، لكن بفضل البشارة (١٢ ملفاً في منديل العالم) يفتح لهم باب الخلاص، ومن خلال هذا الملف يكشف لهم سرّ الثالوث الأقدس، المقبول ضمن جماعة الكنيسة الروحية. هنا تفهم كل أمة كلام الرسل بلغتها الخاصة على عكس ما حدث عند بناء برج بابل.



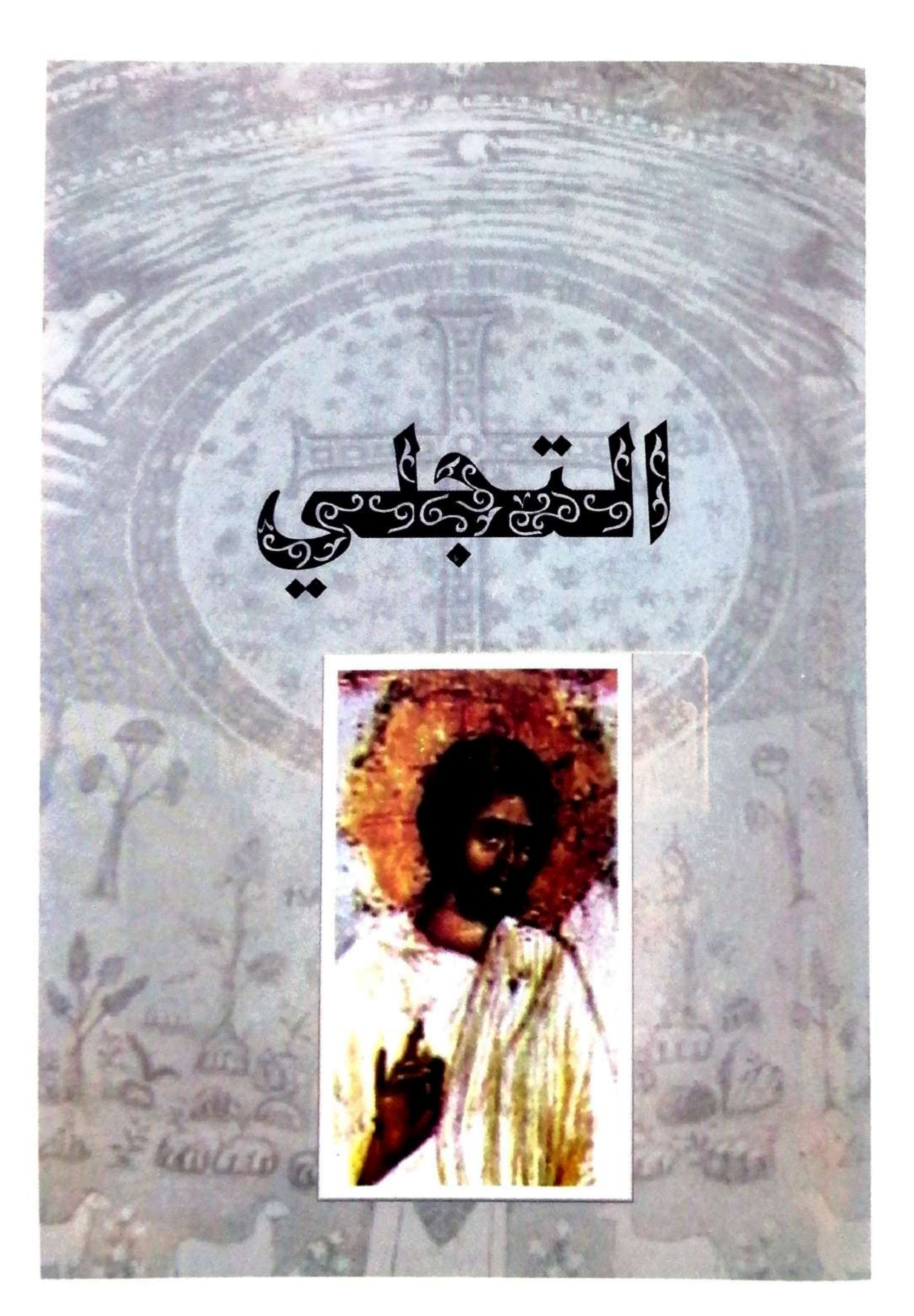











التجلي



الفصل العاشر

التجلي

الأسماء:

في العهد القديم: "عيد المضال" (خر ٢٣: ١٦ / تث ١٦: ١٣-١٥ / زكريا ١٤: ١٦-١٩ / نحميا ٨: ١٣-١٨)، أو "عيد رأس السنة" (لاويين ٢٣: ٢٤ و ٣٣-٤٣).

في المسيحية: "عيد تجلي ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح المقدس" (التقليد البيزنطي)، "عيد إنكشاف ربنا يسوع المسيح" أو "تغيير هيئته" (التقليد الغربي)، "عيد جبل طابور" (التقليد السرياني)، "العيد الوردي" (التقليد الأرمني).

المصادر:

خر ١٩-٢٠ / ٢٤: ١٢-١٨ / املوك ١٩: ٣-١٦ / ٢ملوك ٢: ٩-١٤/ حز ٤٧: ١-١٢ / إش ٦٠: ١٩/ مز ٢٧: ٤-٥ / ٤٧: ١-١٢ / حكمة ٧: ٢٥-٢٦ / متى ١١٧: ٩ / مر ٩: ٢-١٣ / لو ٩: ٢٨-٣٦ / يو ١: ٧/٢/١٤: ٢ و ٣٧-٣٩ / ١٥: ١-١٢ / ٢ قور ٣: ٤-٤: ٦ / فل ٣: ٢٠-٢١ / عبر ١٢: ١٨-٢٩ / ٢ بطر ١: ١٦-١٩ / رؤيا ٢١ - ٢٢.

١- أصل عيد التجلي

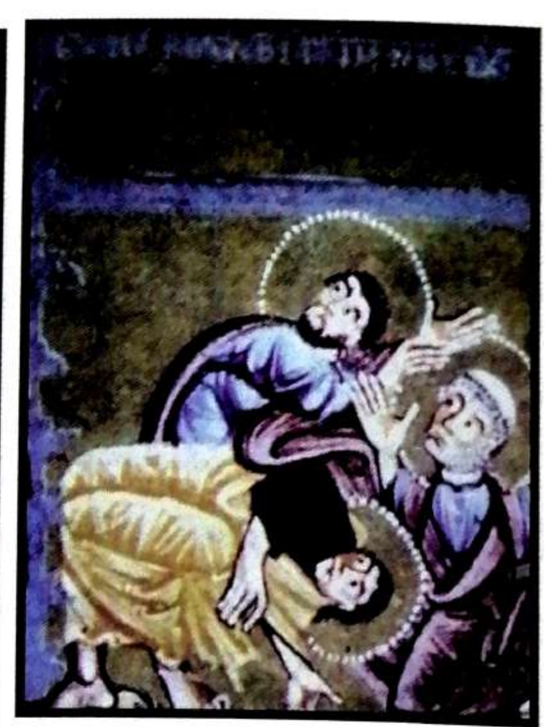
- في إنجيـــل متى (١٧: ١) نقرأ عن التجلي بأنـــه حدث "بعد ٦ أيام ..." و"لا تُعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم أبن الإنسان من الأموات". والتاريخ المقبول لهذا العيد عند أكثرية الكنائس هو اليوم السادس من شهر آب، ويصادف هذا التاريخ ٧ أشهر بعد ظهور الرب الاحتفالي الأول في نهر الأردن، حينما سمع نفس الصوت من السماء.

- يقول بعض العلماء إنّ عيد التجلي لم يسبق القرن الخامس وحتى الثامن، ما عدا احتفال محلي عند تكريس الكنائس على جبل طابور. ولكن يعتقد البعض الآخر إنّ الكنيسة الأرمنية سبقت الكنائس الأخرى وأقامت لسر التجلي عيداً كبيراً، ورد ذكره لأول مرة في قوانين مجمع فاغرشاباد الذي عقده سنة ٤٣٦ القديس إسحق الكبير. لكن لا يظهر ذكر هذا العيد في التقاويم القديمة من القرن الخامس. ومع ذلك يؤكد الأسقف غريغوريوس أرشاروني، (+٦٩٠)، إنّ أصل عيد التجلي يعود إلى القديس غريغوريوس المنوّر، رسول الأرمن (نحو ٣٢٥)، الذي استبدل عيداً وثنياً قديماً بعيد التجلي، والعيد الوثني القديم الذي أبطله كان عيد الزهرة والمسمى بــ"فرتفار" أي "زاه بالورود"، وذكر فيه أيضاً نهاية الطوفان، عندما وصلت سفينة نوح إلى جبال آرارات في أرمينيا. وعلى جبل التجلي ظهر مجد المسيح مثل اللهيب أو كبهاء الورد، وتحتفل "الكنيسة الأرمنية" بهذا العيد احتفالاً بهيجاً وتنظمه في سلسلة أعظم أعيادها السنوية، وتعدّه من جملة الأعياد الخمسة الكبرى المعروفة باسم "داغافار"، وهي الغطاس والفصح والتجلي وانتقال مريم العذراء وعيد الصليب. وتحتفل به الأحد السابع بعد أحد العنصرة.

- في نفس يوم الأحد المصادف ١٤ أسبوعاً بعد عيد الفصح (القيامة)، تحتفل كنيسة المشرق أيضاً بذكر "رأس السنة" القديم "أحد نوسرديل"، وعيد الرشيش هذا كان معروفاً عند أهالي بغداد منذ عهد الخلفاء.

أما تعيين تاريخ عيد التجلي في ٦ آب، فمن الممكن أن تكون كنيسة المشرق قد أخذته من التقليد البيزنطي (في القرن الخامس). والجدير بالذكر أن إسحق الأنطاكي (+٤٦٠) ويعقوب السروجي (+٥٢١) ألّفا ميامر طقسية عن التجلي. - أما في الغرب فلم يرد ذكر عيد التجلي قبل سنة ٨٥٠، وخلال القرنين التاسع والعاشر قبل العيد (٦ آب) في بعض المناطق، إلى أن قام البابا كالكستس الثالث بتعيين عيد التجلي في ٦ آب، وجعله عيداً رسمياً عاماً، في سنة ١٤٥٦، وذلك مع بركة العنب والخمر الجديدة. (في الكنيسة اللاتينية يُقرأ إنجيل التجلي أيضاً في الأحد الثاني من الصوم الكبير، تحضيراً لعيد القيامة).





٢- أفكار وعادات

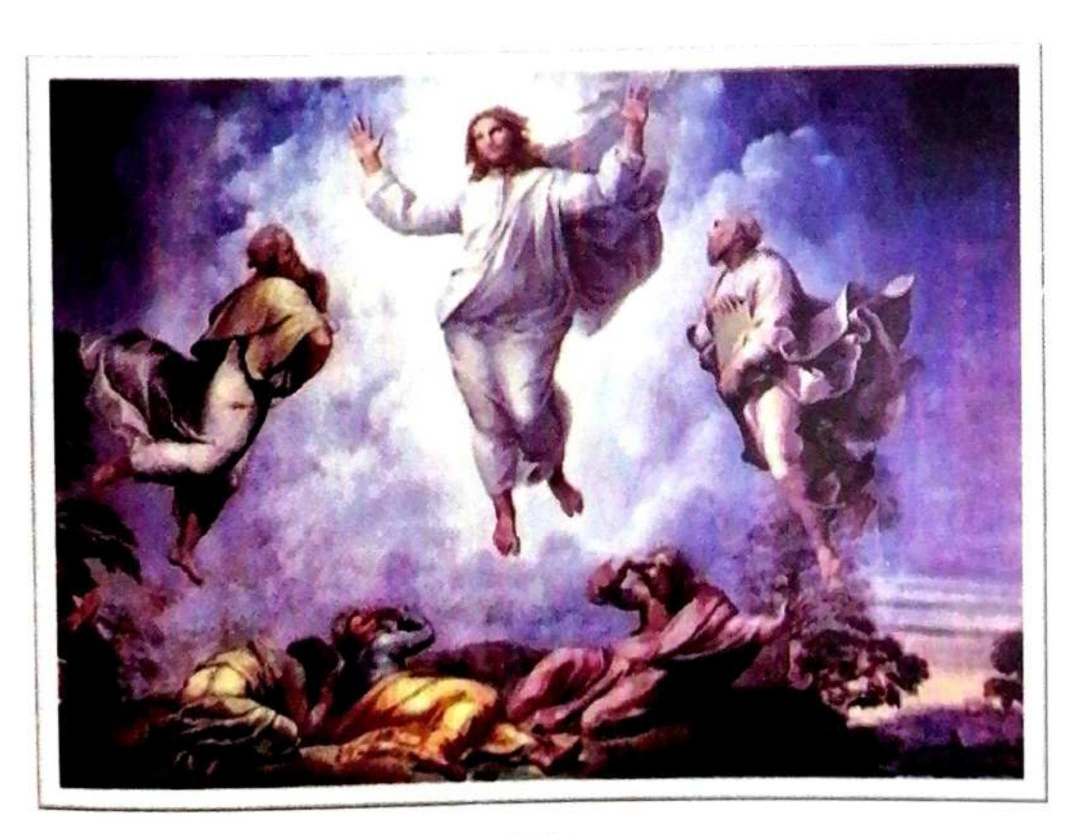
- في بعض الكنائس، في هذا العيد، يطوف المؤمنون في باحة الكنيسة حيث يرشهم الكاهن بماء الورد. فمن المحتمل أن عيد التجلي كان متعلقاً بعيد رأس السنة القديم (٢٤ أسبوع بعد الفصح)، أو بعيد المظالّ اليهودي، قارن كلام مار بطرس "لنصنع هنا ثلاث مظال". وخلال هذا العيد كان الناس يصبون الماء، بحسب قراءة من قراءات العيد (حز ٤٧: ١-١٢)، وكلام ربنا المسيح في يو ٧: ٣٧-٣٩ / متى ٢٨: ١٩ (قارن أيضاً رؤيا ٢١: ٦ / ٢٢: ١-٥).

- في الكنيسة البيزنطية أخذ هذا العيد أهمية كبرى خصوصاً في القرن ١٤، تحت تأثير لاهوت غريغور بالاماس. اعتبرت الكنيسة التجلي كعيد النور الإلهي الذي ظهر على ربنا يسوع المسيح. إن هذا النور هو مجد الله، الموجود في جمال الخليقة. ظهر هذا المجد الإلهي من داخل المسيح بامتلائه. بفضل هذه النعمة مُنحت للإنسان المؤمن الطاقة الروحية ليرى نور المسيح في داخله، كما سيراه بوضوح في نهاية المسيرة.

– إنّ معنى كلمة "التجلي" هو "الظهور – الكشف" أي انكشاف الحقائق الإلهية، فقد كُشف بـه عن شخص المسـيح وجوهره بواسـطة "التغيير العجيـب"، حـسبما تعنيـه تـسمية العيـد باليونانية: "تغيير شكل ربنا المسيح". وقد طبقت الكنيسة البيزنطية سر التجلي على التقدم فـي الحياة الروحية، وعلى تفسير الإنسان روحياً، وذلك بقوة نور المسيح. فقد ظهر هذا النور من جوهر المسيح عند التجلي، من ذاته ومن نفسه، وليس من الخارج، كما ظهر النور على وجه موسى قديماً من نعمة الله تعالى.

– وبحسب الإنجيل، كان التجلي إشارة إلى انتصار المسيح النهائي، ليشجع التلاميـذ لاتبـاع المسيح في طريقه إلى الصليب. فسيرة المسيح لم تُفهم إلا بضوء النبوءات (موسـى وإيليـا)، وفي سر التجلي ظهر مجد القيامة، وجمال الإنسان الجديد، وصورة المستقبل الحقيقي.

– فحالة التلاميذ المضطربين على الأرض، تمثل حالتنا نحن، عندما نرفض النور أو نخـاف من التقرب من المصلوب، ونفضل السير في طريق الظلام على حمل الصليب بكل تواضع... فعيوننا قد اعتادت على ظلام الليل، فكيف نرى نور التجلي؟ وكيف نتغير إلى صورة المـسيح



المجد ونشترك في سر التجلي؟ هل نحمل طاقة التجلي في قلوبنا، فيظهر نوره في حياتنا؟ (٢ قور ٣: ١٨ / ٢ بطر ١: ١٦-١٨). فالتغيير الحقيقي ينبغي أن يتم فينا وليس في المسيح.

صلوات طقسية

أيها المسيح الذي تجليت بمجدك، أمام التلاميذ على قمة الجبل،
وأذقتهم طعم السعادة التي جئت تدعونا إليها. إننا نسألك في هذا العيد،
أن تشرق أنوارك على عقولنا وقلوبنا، فنسير بك ونتأمل جمال حبك.
أهّلنا لأن نتذوق السعادة الحقيقية مثل التلاميذ،
فنهتف معهم انه لحسنٌ يا رب، وحلو أن نبقى معك.
طيبٌ أن نصنع لك خيمة، في ما بيننا. وطيب أن تسكن في الخيمة،
لا بل أن نصبح نحن ملكاً لك، ونعيش فيك وبك. (الطقس الماروني).

لما أردت أن ترسم قيامتك، أيها المسيح، أخذتَ تلاميذك الثلاثة
وصعدت إلى الجبل، وألقى تلاميذك بأنفسهم إلى الأرض.
إذ لم يطيقوا رؤية صورتك غير المنظورة،
أيها الكلمة، وضياء الآب، المجد لك. (الطقس البيزنطي).

إن المجد الذي كان على وجه موسى منح له من الخارج،
أما بهاء المجد الذي ظهر من ربنا يسوع صاحب المجد،
فكان آتياً من داخله من طبيعته الإلهية، وفي التجلي كان يظهر جوهره الشخصي.
أما أنتم فيجب عليكم أن تحطوا دائماً في قلوبكم
جمال هذه الرؤيا... من خلال حفظ الكلمات الإلهية...
تحضيراً للتجلي الكبير الأخير (٢ تس ١: ٧). (يوحنا الدمشقي – نحو ٧٥٠).

عظمة جبل التجلي

على جبل سيناء، منحت رمزاً، على جبل طابور الحقيقة.

هناك العاصفة والظلمات والوصايا، هنا الشمس والسحابة المنيرة والكلمة الأزلية.

هناك هرب إيليا من وجه الملكة، هنا ينظر إيليا إلى الملك الإلهي وجهاً لوجه.

هناك لم يكن بإمكان موسى أن يرى الله تعالى،

هنا ظهر يسوع إلهياً وكشف مجده لتلاميذه الثلاثة.

فاليوم في عيد التجلي يتذلل المسيح للمؤمن، لكي يراه حقاً بنظرة بطرس: "يارب حسنٌ لنا أن نكون هنا في حضورك وفي مجدك". كان الجبل مكاناً للسعادة والفرح العميق، وبحسب قول داود: "الجبل الذي خلقه الله بيده اليمنى ليكشف عليه عن ذاته وليسكن فيه". فمن أجل هذا الجبل تبتهج الجبال وترتفع التلال. لأن في قمة هذا الجبل تلتقي الأرض بالسماء.

اليوم على الجبل تجلت الطبيعة الأرضية، وكشف جمالها الحقيقي الأصلي. هي التي ضلت على الجبال بعبادة الأصنام، تجلت على الجبل ببهاء اللاهوت.

اليوم على الجبل تلبس الإنسانية لباس النور، الإنسانية التي كانت تلبس جلد الماعز.

اليوم ظهرت حالة الحياة المستقبلية، كما ستكون في ملكوت السعادة الحقيقية.

اليوم يجتمع مبشري العهد القديم والجديد حول المبشر.

اليوم رُسم على جبل طابور الصليب المحيي، المصلوب بين اللصين على جبل الجلجلة، ظهر إلهياً بين النبيين موسى وإيليا على جبل طابور.

اليوم أدعو كل الجبال للاشتراك في السجود لله تعالى: يا جبال أرارات وجبال سيناء. يا جبال الشمال وجبال الجنوب، يا جبال لبنان وجبال الغرب. يا جبال الجزائر وكل الجبال الأخرى، ابتهجوا وأفرحوا وامدحوا معاً بصوت واحد، مديحاً للمسيح، واحتفلوا به أجمعين على جبل طابور قائلين:

مبارك أنت يا خالق الكل في المسيح الملك، ابن الله البهي، الممتلئ نوراً. والذي حوّل صورة الخليقة كلها، إلى صورتك وجلاها، وخلقها جديدة عجيبة.

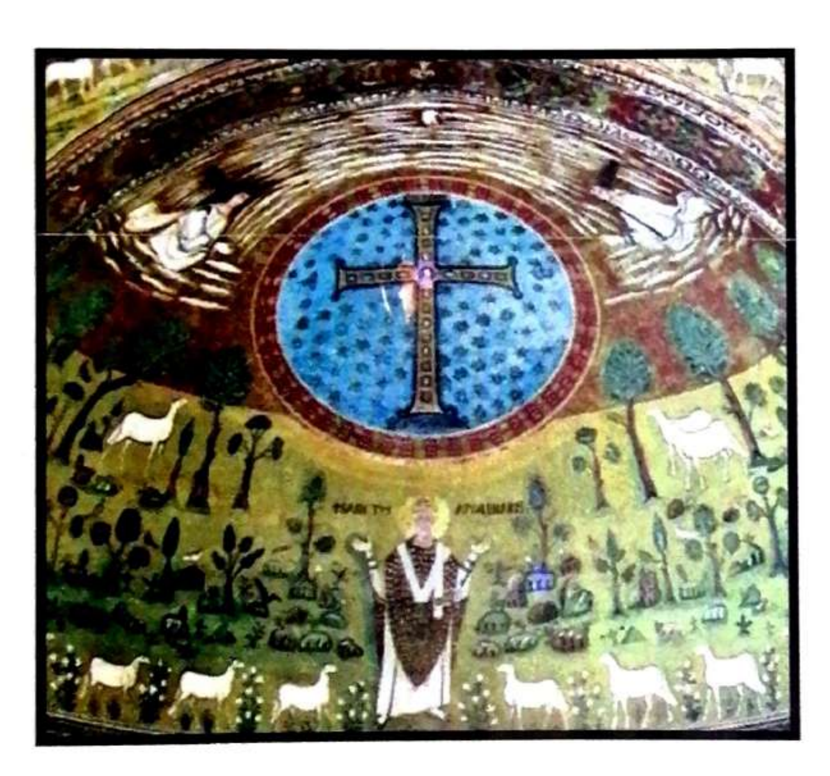
(أنسطاسيوس السينائي (نحو ٧٠٠) الخطبة في عيد التجلي التي ألقاها في دير جبل سيناء).

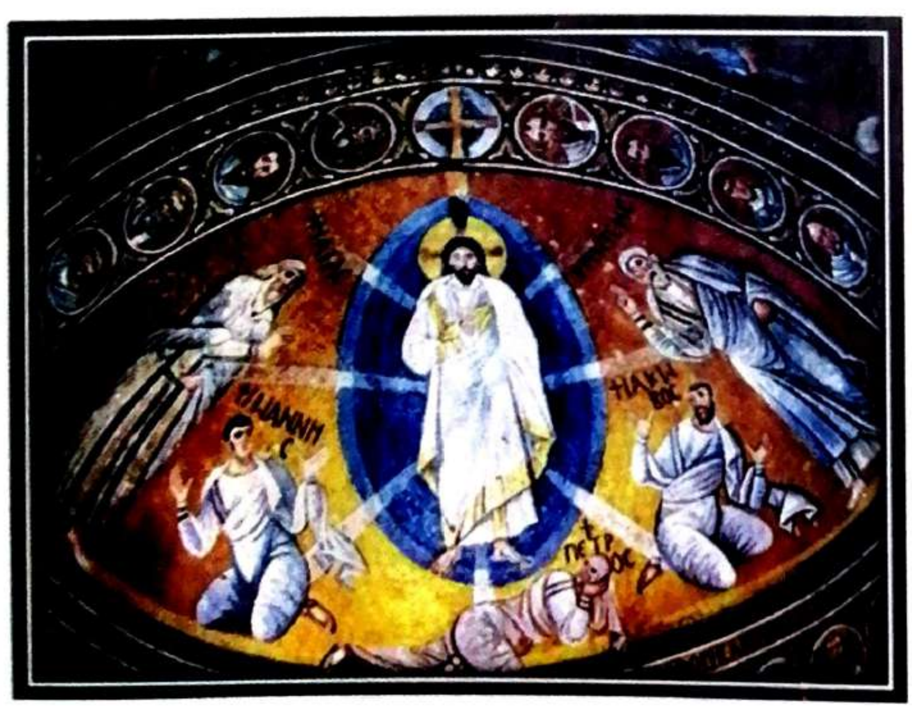
٣ـ صورة عيد التجلي

١) **تطور الصورة.** في صدر كنيسة القديس ابوليناريوس في رافينا (ايطاليا) حُفظت لنا فسيفسائية تعبّر عن التجلي بطريقة رمزية (مصنوعة نحو سنة ٥٤٩). يظهر في السماء كل من موسى وإيليا. وتحت يد الله الآب يظهر الصليب المنتصر الكبير، في وسط دائرة مزينة بنجوم، مع صورة المسيح الصغيرة في مركز الصليب، وحامل الكتابة التالية "خلاص العالم"، وفي الأسفل تظهر ثلاثة خراف تمثل التلاميذ الثلاثة. ومن القرن السادس أيضاً (سنة ٥٦٥) حفظت لنا فسيفسائية أخرى رائعة وعظيمة، في صدر كنيسة دير القديسة كاثرينة على جبل سيناء، وهناك في السماء الذهبي يظهر ربنا يسوع المسيح تحيـط به كرة بيضـوية زرقاء، بدون أثر للجبل، تخرج منه (٨) حُزم من الأشـعة المنورة ويقف المسيح بين الشاهدين من العهد القديم، موسى وإيليا، ومن فوق التلاميذ الثلاثة السـاقطين على الأرض والمبهورين من شـدة الرؤيا، لأن أمام أعينهم ظهر "غير المنظور" وانكشف في تجلي ابنه، بطريقة أكثر وضوحاً مما ظهر قديما لموسى في العليقة، أو عند قبول الشريعة.

– استمر نموذج الصورة على نفس النمط، كما يتبين من أمثلة عديدة. نشير هنا إلى الفسيفسائية المشهورة لصورة التجلي في كنيسة دافني (القرن الحادي عشر)، وكنيسة الرسل في تسالونيكا (سنة ١٣١٥)، والرسوم الجدارية في كنائس مقدونيا (يوغسـلافية)، وقبدوقية من القرن الثاني عشر رسم جداري في صدر "كنيسة كارانليك" (الكنيسة المعتمة). راجع أيضاً أيقونة روسيا من مدرسة نوفغورود (القرن ١٥) حيث يشاهد المسيح القائم في وسط دائرة المجد وبين موسى وإيليا، مع التلاميذ في الأسفل منقلبين.

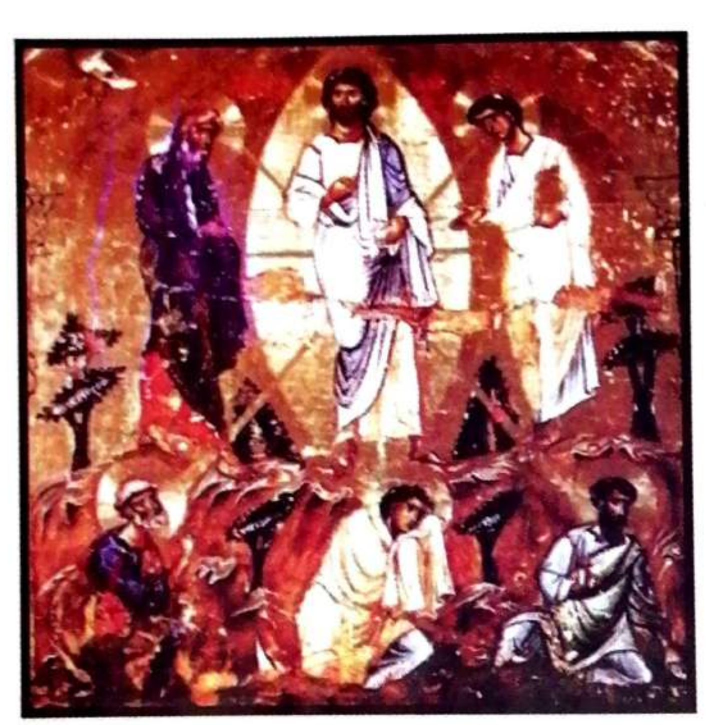
- وفيما بعد، أصبحت صورة التجلي معقدة أكثر فأكثر، فدائرة المجد تظهر على شكل نجمة كبيرة، والمنظر قد ترك أثراً كبيراً على موقف التلاميذ لشدة دهشتهم وخوفهم. وتظهر الجبال عالية جداً كما تضاف إلى الصورة مشاهد أخرى صغيرة تعبّر عن القصة الإنجيلية: صعود الجبل والنزول منه، عندما كان يتكلم ربنا يسوع المسيح مع التلاميذ.







- ثم أثّر اللاهوت عن النور الإلهي على تشكيل صورة التجلي بطريقة خاصة، كما يظهر ذلك في مخطوطة يونانية محفوظة في مكتبة باريس الوطنية مرقمة ١٢٤٢ (سنة ١٣٤٧-١٣٥٤) وغيرها. ومن الأيقونات العديدة عن التجلي لا بد أن نذكر في هذا المجال أيضاً أيقونة روسية من القرن الخامس عشر بيد ثيوفان اليوناني.





- في الغرب بقيت نفس الصورة مستعملة حتى وقت النهضة. ثم جاء فرا أنجليكو (١٤٣٦-١٤٤٥) الدومنيكي ليقدم المسيح في صورة التجلي، ويداه مفتوحتان بشكل صليب، وتبعه جيوطو، ومن بعده رافائيل في لوحة رائعة للتجلي حققها في نهاية حياته (+١٥٢٠)، وهي محفوظة الآن في المتحف الفاتيكاني إذ يُقدَّم فيها ربنا يسوع المسيح طائراً ومحلقاً في السماء، ويداه مفتوحتان، وهو ينظر إلى العلى، والنور ينبعث منه، وكل الأشخاص في حركة، كما نلاحظه أيضاً بالمشهد المتعلق بالتجلي إلى أسفل الصورة وهو شفاء الولد الممسوس من الشيطان (قارن مر ٩: ١٣).

٢) **تفسير أيقونة ثيوفان اليوناني** (بداية القرن ١٥).

في هذه الصورة، أكثر من الأخرى، تظهر الحركة الحيوية والروحانية النورانية الخاصة لكل الرسـومات من يد ثيوفان. هكذا ربنا المسـيح القائم على الجبل في الوسـط، يتقدم وينحني نحـو المشاهد، ومن جمال وجهه يتكلم ويوجّه ويدعو إلى المشاركة في مجد سر التجلي. يظهر ربنا ظاهراً في مجده الإلهي الذي يتلألأ خارجاً من باطنه، ويفصح عن كل هذا المجد المتجلي، الهالة التي تكلل وتحيط رأسه، مع إشارة الصليب المنتصر، وألوان ثيابه البيضاء الناصعة كالثلج،

واللامعة المشرقة كالبرق والشمس، وسط الدائرة الكونية حوله، التي تحدد مجده في مكان أو موضع معين، والتي تتألف من أربعة فوارق متباينة من اللون الأزرق، إشارة إلى ولايته الكونية. ثم تظهر فوق الدائرة نجمة ساطعة تعبّر عن مجد التجلي الخاص. ويخرج النور القوي من النقاط الستة، والأشعة الثلاثة المتوجهة إلى الأسفل على رؤوس التلاميذ، وملف السلطة يمسكه بيده اليسرى، في حين أن يده اليمنى تحكم وتبارك.

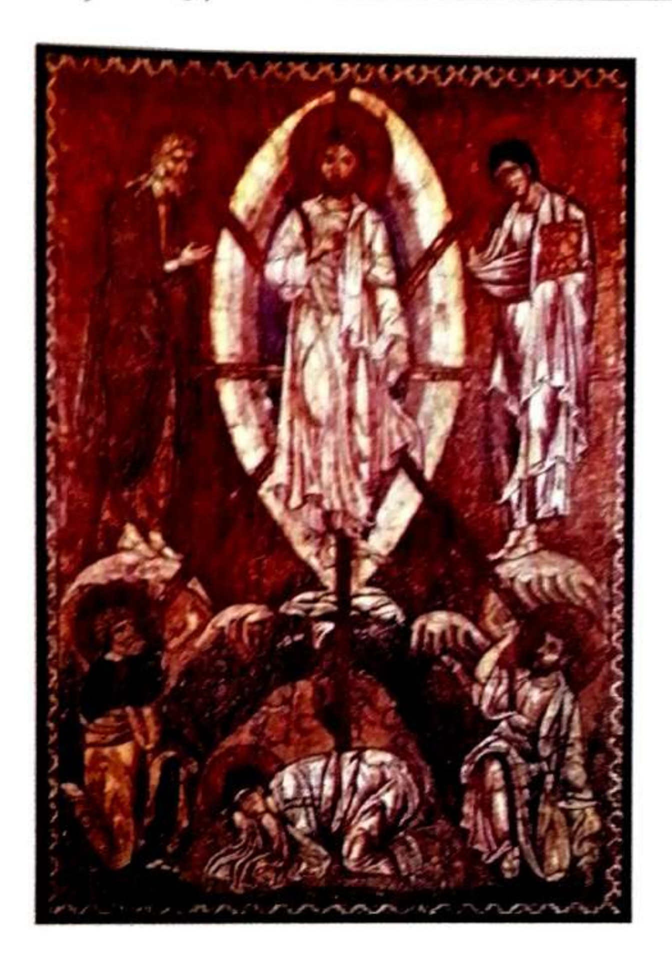
في الطبقة العليا السماوية، نرى موسى ممسكاً بكتاب الشريعة، وكأنه يقدمه للمسيح، وإيليا، الشيخ الذي لم يذق الموت، يخاطب المسيح عن موضوع العبور الفصحي. وكأنهما، موسى وإيليا يكملون ضمن دائرة المجد باحترامهما للرب. وهما أيضاً الشاهدان الأخيران عند الدينونة (موسى وإيليا أو بطرس وبولس أنظر رؤيا ١١: ٤ / زك ٤: ٣ و ١٤). وفي صورة صغيرة يأتي ملاك بكل واحد من النبيين. وأيضاً في وسط الأيقونة رُسم مشهدان صغيران نرى فيهما يسوع مع التلاميذ عند صعود الجبل ونزوله.

من الممكن أن المنظر الطبيعي، مع الصخور والأشجار يرمز إلى تجديد الكون كله واشتراكه في سر التجلي. وعندما يظهر هنا جوهر ربنا يسوع المسيح، يفصح عن مستقبل الإنسان والبشرية جمعاء، وعن تجديد الإنسـان بحسـب الصورة الأصلية كما تظهر هنا على الجبل (قارن تك ٣: ٧). لقد رأى كل من موسى وإيليا مجد الله "في العهد القديم، أما الآن فيراه المؤمن" في الكنيسة وجهاً لوجه (أنظر ٢ قور ٣: ٧-١٨ / أف ٥: ٨-١٤ / فل ٣: ٢١).

في الطبقة السفلى الأرضية، في ظلّ "جبل طابور" (بحسب تقليد يعود تاريخه إلى القـــرن السادس)، نرى التلاميذ الثلاثة منقلبين بحركة شديدة، كأنهم مضروبين وغير فاهمين ما يحدث فوق على الجبل، مع أنهم يشهدون به. في اليسار يشهد بطرس الصخرة بالمسيح ويكلمه قائلاً: "حسنٌ أن نكون ها هنا..."، وفي الوسط يتأمل يوحنا وهو منقلب على الأرض، مفكراً في سر التجلي، وعلى اليمين يعقوب وهو مندهش ومضطرب وقد تملكه الخوف من بهاء الرؤيا، يرفع يده أمام وجهه ليحجب عينيه عن النور الساطع المنبعث من المسيح المتجلي.



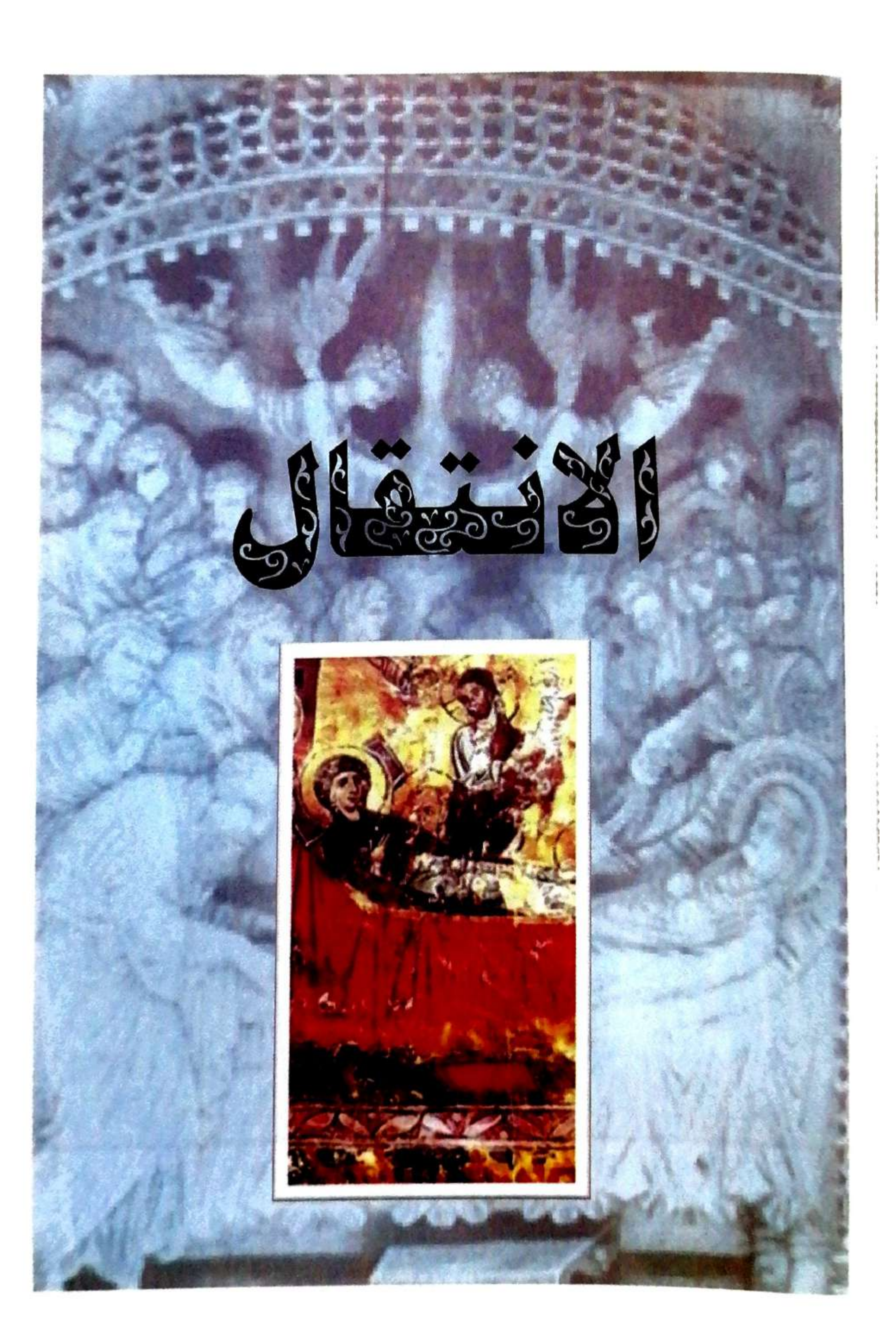











الانتقال



الفصل الحادي عشر



الأسماء:

"عيد انتقال سيدتنا مريم العذراء إلى السماء بالنفس والجسد". "رقاد فائقة القداسة سيدتنا المجيدة والدة الإله الدائمة البتولية مريم" (التقليد البيزنطي). "شونايا (إبعاد، ترك، انطلاق، عبور، موت) أم الله مريم" (التقليد السرياني). "صعود مريم العذراء". "وقبولها في السماء، يوم ولادتها للحياة الأبدية" (التقليد الغربي). "عيد السيدة"، "عيد (بركة) الكروم". "عيد ظهور النور" (بحسب تقليد أرمني للقديس غريغوريوس المنور).

التاريخ:

١٥ آب (أو في يوم متعلق بهذا التاريخ: ١٦ أو ٣٠ آب / ١٣ أو ٢٣ ايلول). في كانون الثاني (١٦ أو ١٨ أو ٢١...) في مصر وبعض المناطق في گاليا قديماً.

المصادر:

ايشوع ٤: ٤-١٠ / ٢صم ٦: ١٢-١٩ / ١ملوك ٨ استير ٥: ١-٣ / بن سـيراخ ٢٤: ٧ / ١٩ مز ٤٥: ١٠-١٦ / ١٣٢: ٨ / نشيد ٣: ٦ / ٢: ٢: ١٠ / ٤: ٨ / ٧: ٦ / لو ٢: ٣٩-٥٦ / ١٠: ٣٨-٤٢ / ١١: ٢٧-٣٦ / رؤيا ١١: ١٩ / ١٢: ١-٦ و ١٠.

١- أصل عيد انتقال مريم العذراء

١ - العيد في الشرق

إن أقدم الأعياد المريمية، هو عيد تكريم مريم العذراء "والدة الله" ومنذ القرن الرابع ارتبط هذا العيد بتذكار "راحة مريم" (بحسب قراءة مز ١٣٢: ٨) المصادف ١٥ (أو ١٣) آب، والذي جرى احتفاله في قرية صغيرة تقع بين أورشليم وبيت لحم، حيث يقال أن مريم استراحت فيها قبل أن تضع وليدها، أو عندما هربت به إلى مصر. ولكن بعد أن تم اكتشاف قبر مريم في أورشليم (قبل سنة ٤٣١)، ارتبط هذا العيد بالكنيسة التي بُنيت فوق هذا القبر، وهي "كنيسة قبر مريم العذراء" في وادي جتسيماني، فارتبطت فكرة "راحة مريم" بفكرة "انتقال مريم". وفي القرن السادس أصدر الإمبراطور موريطيوس (٥٨٢-٦٢٠) أمراً بقبول العيد في المشرق البيزنطي. بعدئذٍ أُضيفت إليه فكرة "وفاة مريم"، فكرّس الإمبراطور أندرونيقوس الثاني (١٢٨٢-١٣٢٨) شهر آب كله لهذا العيد.

إن أكثرية الكنائس تحتفل بهذا العيد في الخامس عشر من شهر آب (ما عدا كنيسة الأقباط: في ٩ آب). ومن قول كيوركيس الأربيلي المنحول (القرن التاسع – العاشر)، يظهر بأن كنيسة المشرق عيّدت عيداً واحداً كبيراً لمريم العذراء يصادف يوم الجمعة بعد ميلاد الرب المجيد. لكن بحسب التقاليد والقصص الشعبية عن الانتقال، قُبلت في المحيط السرياني، ثلاثة أعياد مريمية، وذلك منذ القرن الخامس – السادس (بحسب عمر المخطوطات التي تحفظ هذا الخبر) وترتبط بثلاث مراحل من الحياة الفلاحية، وهذه الأعياد هي:

١) العيد الأول (المتعلق بعيد الميلاد؟) يقع في (٢٣) ٢٦ أو ٢٧ كانون الأول أو في ٦ أو ٧ كانون الثاني، (حالياً عند السريان ١٥ كانون الثاني): مريم "شفيعة الزرع" (التوصية).

٢) العيد الثاني (المتعلق بالقيامة؟) يقع ١٥ أيار: مريم "حافظة السنابل" (الزرع).

٣) العيد الثالث (انتقال العذراء) يقع (١٣) ١٥ آب: مريم "سيدة الكروم والثمار والحصاد".

وعند الكنيسة الأرمنية، التي تحتفل بعيد الانتقال في الأحد الأقرب من ١٥ آب، ما تزال

رتبة بركة العنب تجري حتى الآن، وهي تقام بعد القداس الكبير، تُتلى فيها هذه الـصلاة: "بارك اللهم بواكير العنب هذه، بشفاعة أم الله، التي من أحشائها صدر المسيح ثمرة الحياة والخلود".





٢ - عيد انتقال مريم العذراء في الغرب

في القرن السابع قام البابا سركيس (السرياني الأصل) (٦٨٧-٧١٠) في روما بتخصيص مسيرة احتفالية بمناسبة عيد الانتقال. ومن خلال المسيرة حُملت أيقونة المسيح إلى حيث حُفظت أيقونة مريم العذراء، تعبيراً عن مجيء المسيح إلى أمه ليأخذها معه في المجد، ومن مكان هذا اللقاء استُكملت المسيرة إلى كنيسة مريم العذراء الكبرى، حيث وُضعت الأيقونتان على المذبح، الأولى بجانب الثانية ليتم تكريمهما معاً من قبل المؤمنين. ولقد كان لهذا الاحتفال أثر كبير على تشكيل صورة مشهورة للانتقال وهي فسيفساء من القرن الثاني عشر في كنيسة



مريم العذراء عبر نهر تيبر في روما، وتظهر فيها مريم العذراء وهي تجلس إلى جانب ابنها المسيح، على عرش المجد الواحد، بثياب ملكية والتاج على رأسها، والمسيح يحتضنها ويلف ذراعه حول كتفيها (نشيد الأناشيد ٣: ٦ / ٨: ٣).

وبعد القرن الثامن انتشر العيد من روما وعمّ في الغرب كله، إذ يهتم التقليد الغربي بالانتقال (الصعود الجسدي) أكثر مما يهتم بالوفاة والدفن.

٣ – قصة الانتقال

لا نجد شيئاً عن هذا السر في الأناجيل أو الرسائل، غير انه سُجّلت لنا تقاليد قديمة وقصص وروايات شعبية عن انتقال مريم العذراء منذ القرن الخامس. وقد يكون أقدم تقليد

حُفظ لنا لقصة الانتقال باللغة القبطية، هو ذلك التقليد المعروف في الصعيدية والبحرية. ومن بعده جاء التقليد اليوناني الذي حُفظ لنا في خطبة منسوبة إلى يوحنا الإنجيلي، من القرن السادس، وكذلك في خطبة ليوحنا التسالونيكي، نحو سنة ٦٢٠ (٦١٠-٦٤٩).

إن أقدم مخطوطة للتقليد السرياني للانتقال ترجع إلى القرن الخامس، وضمن هذا التقليد السرياني القديم، نستطيع التمييز بين نصوص مختلفة، من القصير إلى الطويل في ستة كتب. وإلى جانب هذه التقاليد الرئيسية الثلاثة وصلت إلينا ترجمات قديمة مهمة باللغة اللاتينية (ميليطون المنحول نحو سنة ٥٥٠)، والأرمنية (والجيورجية)، والعربية، والحبشية.

ومن الخطباء والواعظين الذين فسّروا معنى سر الانتقال يمكننا أن نذكر يعقوب السروجي (+٥٢١) باللغة السريانية، وعند البيزنطيين، كسماس الخياط (القرن الثامن)، وجرمانوس بطريرك القسطنطينية (+٧٣٣)، وأندراوس الكريتي (الكرتوني) (+٧٤٠) الذي ألقى خطبته في كنيسة قبر العذراء في القدس نحو سنة ٧١٨، يوحنا الدمشقي الذي ألقى خطبته في نفس المكان سنة ٧٤٠، ويوحنا المساح (القرن الحادي عشر) الذي ربط رؤيا التجلي بالانتقال السماوي.

٢- تقاليد القصص الشعبية

١ - التقليد القبطي

بحسب هذا التقليد، كانت مريم العذراء في أورشليم حين أتى إليها المسيح نفسه ليُعلِمها بموتها القريب. وفي لحظة موتها ونزعها الأخير لم يرد ذكر مجيء الرسل إليها، إلا حضور يوحنا وبطرس ويعقوب، عندما كانت تصلي طالبة المعونة ومستمدة القوة ضد خطر الموت الآتي، فيحضر المسيح إليها مستجيباً ليأخذ نفسها الطاهرة معه إلى الفردوس. وبعد موتها تُقام مسيرة الدفن لجسدها الطهور من بيتها إلى وادي يوشافاط، وهو وادي قيامة الأحياء والأموات. ثم بعد مضي مدة طويلة (٧ أيام إلى ٢٠٦ يوم) يعود المسيح مرة أخرى إلى مكان القبر ليقيم جسد العذراء أمه. وليأخذها معه في حضور الرسل، ويصعدها معه إلى السماء في مركبة نارية.

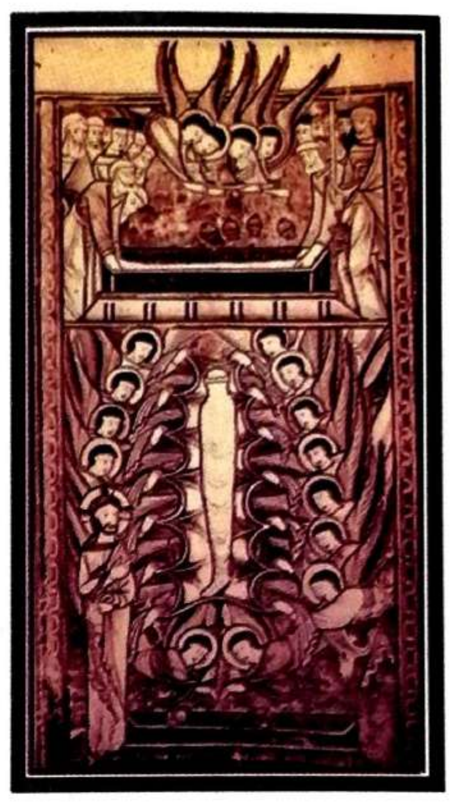
٢ - التقليد السرياني

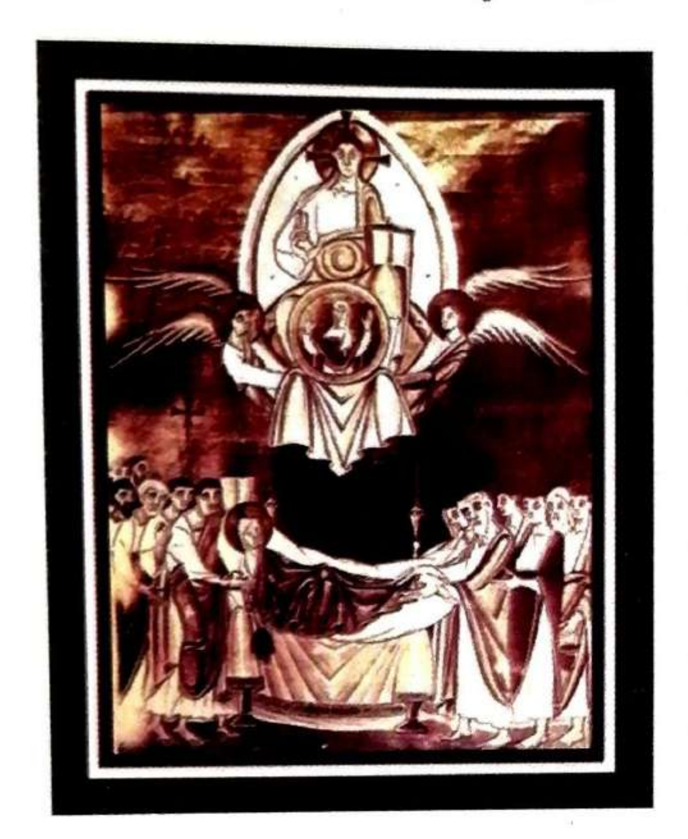
بحسب هذا التقليد، كانت مريم العذراء تصلي عند قبر المسيح في أورشليم عندما ظهر لها الملاك جبرائيل ليخبرها بموتها القريب. فذهبت مريم إلى بيت لحم لتصلي من أجل مجيء الرسل، فيتحقق مجيئهم بطريقة عجيبة، إذ يأتي الرسل من كل أطراف المعمورة راكبين على سحابة كأنها مركبة النقل، ويحيطون بفراش مريم حيث يظهر المسيح مع الملائكة، ليأخذ نفس مريم معه، وسط نور عجيب ورائحة طيبة. وعندما تتم مسيرة الدفن، يحاول أحد اليهود سرقة الجثمان ويدعى يافونياس، لكن يديه تلتصقان بالنعش إلى أن يأتي مار بطرس (أو ملاك) ويشفيه. وبعد مدة قصيرة (٣ أيام)، يأتي المسيح مع الملائكة، ليحمل جسد أمه مريم إلى الفردوس، تحت شجرة الحياة، وهناك يتحد جسد مريم بنفسها مرة أخرى.

والتقليد من القرن التاسع يضيف إلى ما سبق، خبر وصول مار توما متأخراً إلى مكان الدفن حيث طلب أن يُفتح له القبر وعندما فُتح له لم يرى فيه إلا ثياب الدفن، وتنبعث منها رائحة زكية طيبة. بحسب التقليد من القرن الثالث عشر، وصل مار توما متأخراً، ورأى أن مريم قد صعدت إلى السماء، ولكنها تركت له حزامها، برهاناً على حقيقة انتقالها.

٣ - ميليطوس المنحول

يضيف إلى التقليدين المذكورين عناصر غريبة عديدة منها: عندما يعلن الملاك جبرائيل عن موتها، يأتي بثياب الدفن وغصن الزيتون من الفردوس، وبعد مجيء الرسل وظهور المسيح، ليقبل نفسها ويسلمها إلى الملاك ميخائيل ليدخلها إلى الفردوس، يتم الدفن في مسيرة احتفالية، حينما يحاول اليهود سرقة الجثمان ، فيعميهم الله تعالى. (= انتقال النفس) ومن ثم، بعد ٣ أيام يأتي الملائكة، أو المسيح، ليرفع جسدها من القبر ويحمله إلى الفردوس حيث يتحد مع النفس (= الانتقال الجسدي).





رقاد "ينبوع الحياة"

نحن أيضاً اليوم، نقف أمامك، أيتها الملكة، أجل اكرر: "الملكة". والدة الله العذراء. نعلّق عليك رجاءنا، كما بمرساة أمينة وراسخة. نكرّس لك عقلنا ونفسنا وجسدنا، كل منا بجملته، شخصياً. نريد أن نكرمك بقدر ما نستطيع، لأن تكريمك بحسب مقامك يفوق استطاعتنا. ألقي علينا نظرك، أيتها الملكة السامية، دبري مصيرنا كما تشائين. قودي سيرنا نحو مرفأ الإرادة الإلهية الأمين. وانعمي علينا بالفرح العتيد، النور البهيج الذي يتلألأ في وجه كلمة الله عينه، الذي تجسد منك... (يوحنا الدمشقي – ٧٥٠).

في ولادتك حفظت البتولية، وفي رقادك ما تركت (للعالم) الجسد.

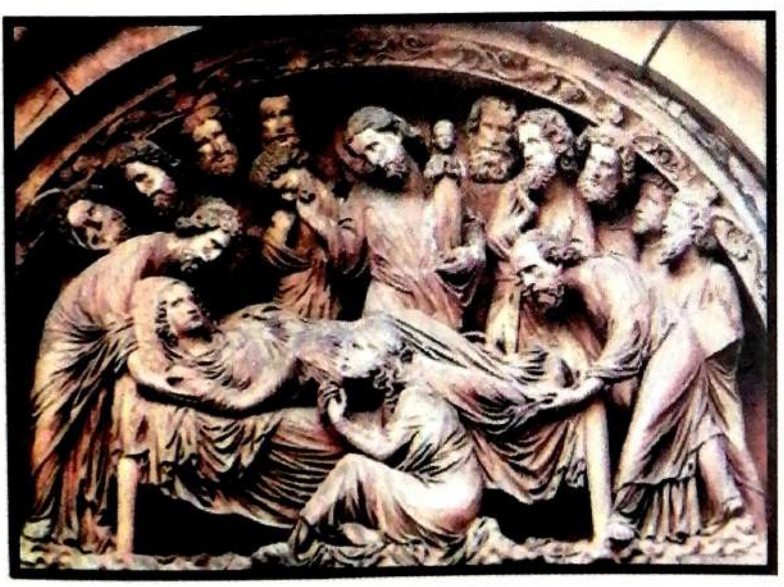
يا والدة الإله. فأنك انتقلت إلى الحياة، بما أنك أم الحياة.

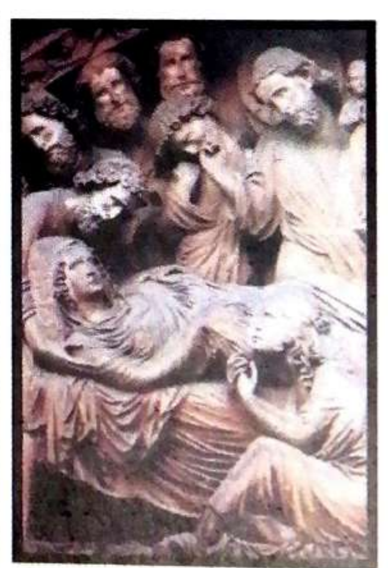
وبشفاعتك تنقذين من الموت نفوسنا.

آه ! كيف يجري ينبوع الحياة نحو الحياة ماراً بالموت؟ يا للعجب أن التي في الولادة تجاوزت حدود الطبيعة تنحني الآن تحت شرائعها فيخضع للموت جسدها الطاهر؟ إذ يقتضي أن نتخلى عن المائت لنلبس عدم الفساد. لأن رب الطبيعة عينه لم يرفض محنة الموت، لأنه يموت بحسب الجسد، وبموته يبيد الموت، فيعطي الفساد عدم الفساد، ويجعل من الموت مصدر القيامة عندما تخرج من المسكن الذي استقبل الله يتقبلها خالق العالم بيديه ويودي لها الإكرام اللائق! كما أن الجسد النقي الذي اتخذه الكلمة الإلهي منها (مريم العذراء)، قام من القبر في اليوم الثالث، هكذا كان يجب أن تؤخذ هي من القبر وان تجتمع الأم بابنها. وكما نزل نحوها هكذا يجب أن ترفع هي عينها وهي موضع محبته. (يوحنا الدمشقي – ٧٥٠).









٣ـ صورة انتقال مريم العذراء

١ - الصور الغربية

من القرن الرابع حُفظ لنا نحت على نعش رخامي (تابوت من حجر المرمر)، تظهر فيه امرأة وهي تصلي بين رسولين، ومن السماء ترفعها يد كبيرة إلى الأعلى. هل يشير هذا المشهد إلى انتقال العذراء؟ وفي القرن السادس ظهرت صورة أخرى لمريم العذراء الملكة التي تجلس على العرش وبيدها قضيب (صاع أو صولجان) السلطة وعلى رأسها إكليل الملكة.

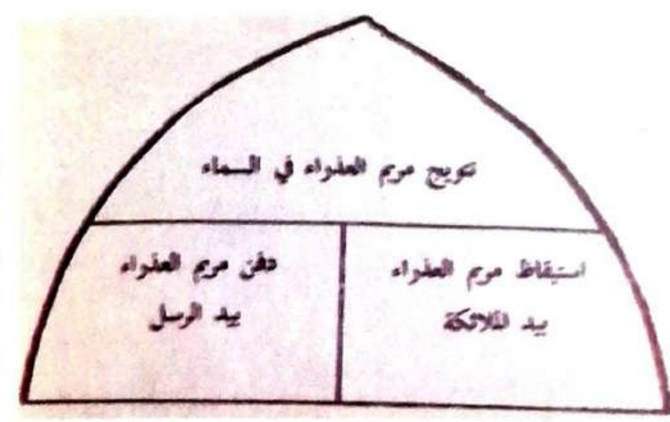




ومن الفترة بين القرنين التاسع والثالث عشر حُفظت صورة تقدّم انتقال مريم العذراء إلى السماء، نفساً وجسداً في مشهد واحد ونرى في هذه الصورة مريم المصلية صاعدة إلى السماء بين الملائكة (إثنين أو أربعة)، أو تحملها الملائكة في منديل أو قرص المجد. وأحياناً نرى مريم وهي تحمل بيدها غصن السلام، أو الكتاب الذي أتاها الملاك معلناً موتها القريب، بعدئذٍ نراها صاعدة على سحابة.

أما بعد القرن الرابع عشر، فقد أصبح النموذج الأكثر قبولاً لصورة الانتقال في الغرب هو ذلك الذي يقدم العذراء الجميلة وهي صاعدة إلى السماء وسط الملائكة. فأولاً نراها مصلية ثم في حركة الإنخطاف (مفتوحة اليدين). وقد أثّر هذا النموذج كثيراً على تشكيل صورة لمريم العذراء المحبول بها بلا دنس المعروفة.

إلى جانب هذه الصورة شُكِّلت في الغرب وخاصةً من القرن العاشر إلى الرابع عشر صور عديدة أكثر تعلقاً وارتباطاً بتفاصيل القصص الشعبية، كذلك تحت تأثير اللاهوت عن الانتقال الجسدي وتفسير نشيد الأناشيد، وكلها تركّز على تمجيد مريم العذراء، وغالباً ما نرى مثل هذه الصور منحوتة أو منقوشة على حنايا وطاقات الأبواب في مدخل الكنائس والكاتدرائيات، وتحتوي الصور على مشاهد ثلاثة : الأول في قمة القوس من الطاق وتمثل تتويج مريم الجالسة إلى جانب ابنها، ثم في الأسفل مشهدان : أولهما يعبّر عن رقاد مريم وسط الرسل والمسيح والثاني يعبّر عن نقل جسدها بيد الملائكة الذين يرفعونها من القبر.

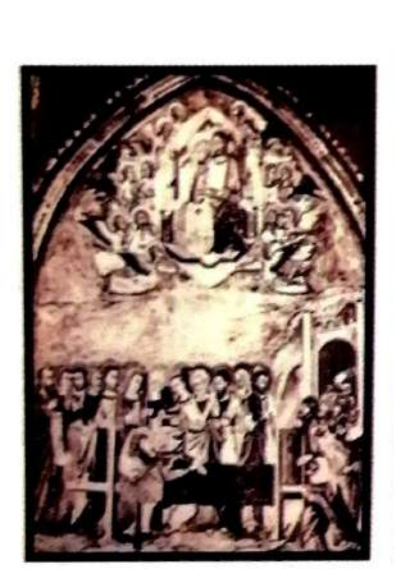




المرحلة الأخيرة التي أُضيفت إلى القصص الشعبية والتي أخذت أهمية كبرى في الغرب خلال القرون الوسطى هي تمجيد العذراء وجلوسها ملكةً إلى يمين الابن على العرش السماوي وتتويجها بيد ابنها. ومنذ القرن الرابع عشر نرى مريم التي تركع ساجدة لقبول التاج من الثالوث الأقدس. (قارن الرسم الجداري في قنوبين (لبنان) مع نص نشيد ٤: ٨ والذي يرجع إلى القرن الثامن عشر).





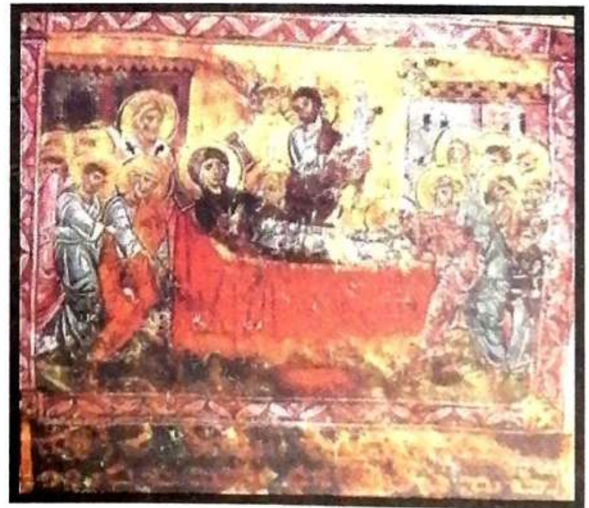


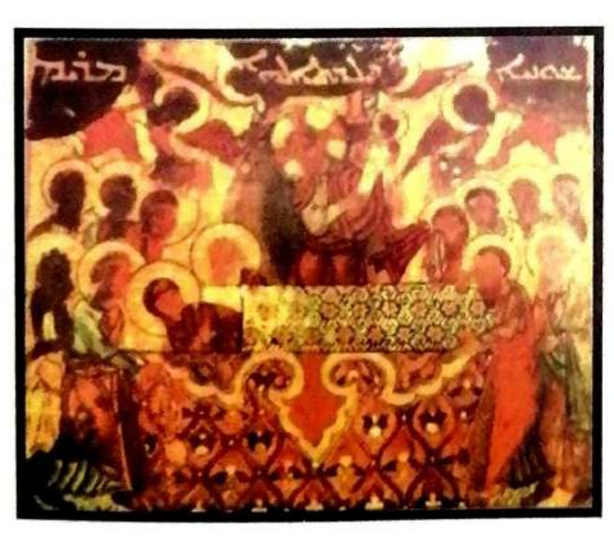
٢ - الصور الشرقية

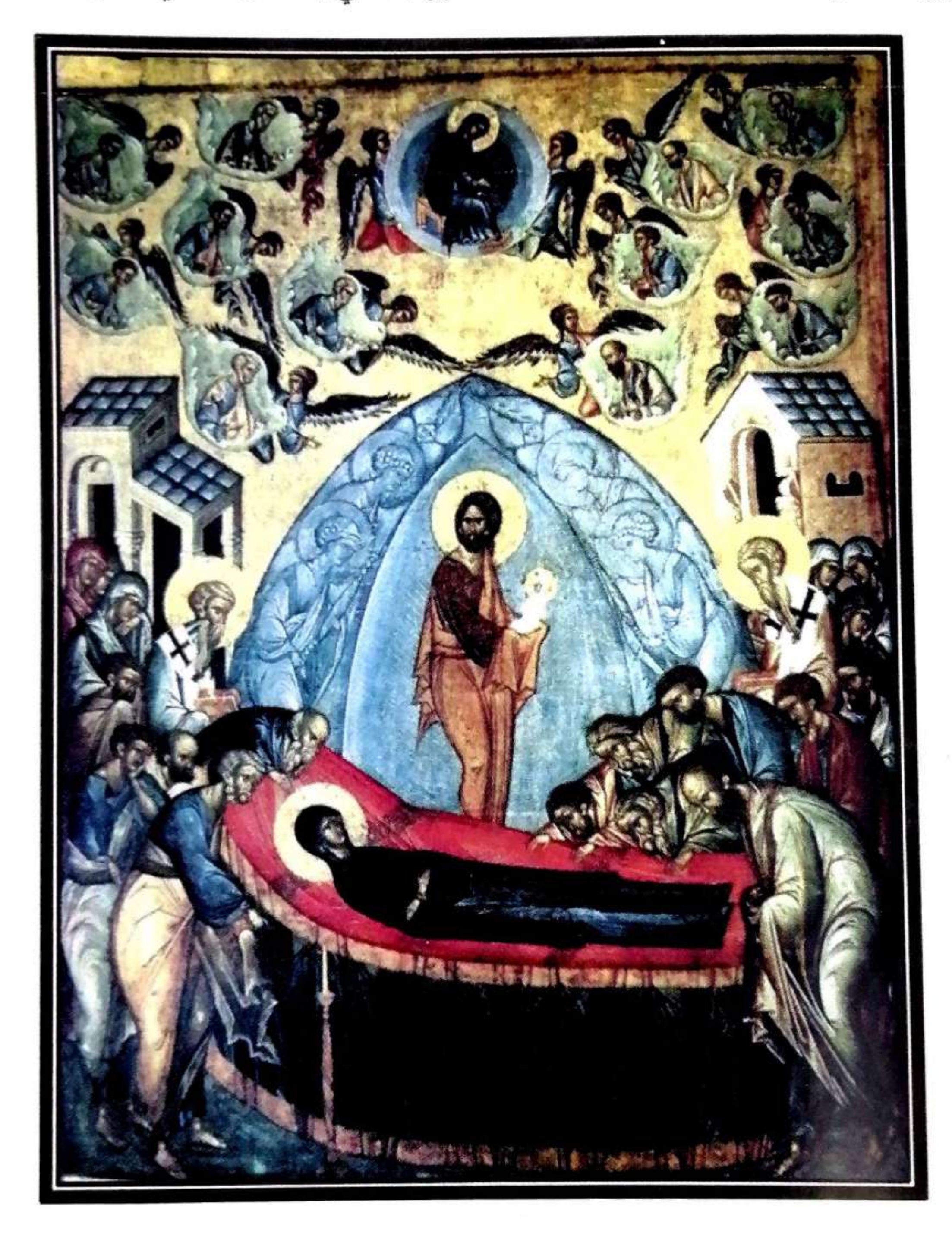
من القرن الثامن إلى العاشر جرى تحقيق بعض المحاولات الفنية التي تعبّر عن سر الانتقال في مشاهد مختلفة، بحسب تسلسل المراحل ابتداءً من وفاة مريم إلى انتقالها إلى السماء. ومن الممكن أن الرسومات في كنيسة قبر العذراء في أورشليم كانت من هذه النوعية. ونحو القرن العاشر ظهرت في الشرق صورة تعبّر، في مشهد واحد، عن كل عناصر العيد، وهي "أيقونة الرقاد" التي يرجع أصل تشكيلها إلى القسطنطينية. نرى فيها مريم راقدة على فراش الموت بين الرسل، ويقف مار بطرس عند رأسها، وفي مركز الصورة يظهر المسيح بين ملاكين ليقبل نفس أمّه.

ومنذ القرن الثاني عشر تحت تأثير صورة التجلي، يظهر المسيح في قرص المجد. هذا ومنذ القرن الرابع عشر تم تحقيق عدد من الرسوم على جدران بعض الكنائس في وسط يوغسلافية، وبعد ذلك في أديار جبل آثوس، اجتمعت فيها كل عناصر الانتقال في كافة مراحله المختلفة: مجيء الرسل، ومسيرة الملائكة حول المسيح الذين يرفعون نفس مريم العذراء ويصعدونها إلى السماء، ثم مسيرة الرسل الاحتفالية الكبيرة، ويفوق تعبير هذه الصور جميع ما تم تحقيقه في هذا المجال للشعور الروحي العميق في تقديم الأشخاص وعرضها والانسجام التام في تركيب المشاهد وارتباطها ببعضها، مما له تأثير بليغ في نفوس المؤمنين ووقع كبير في قلوبهم.

٣ – **تفسير أيقونة الانتقال الروسية** المحفوظة في متحف تريتياكوف (موسكو) والمرسومة سنة ١٣٨٠ في مدرسة ياروسلاف. تحافظ هذه الأيقونة كل التفاصيل، وتقدم النموذج الشرقي أي رقاد مريم بين الرسل الذين جاؤوا من كل الأطراف واجتمعوا حول فراش الموت للوداع الأخير.

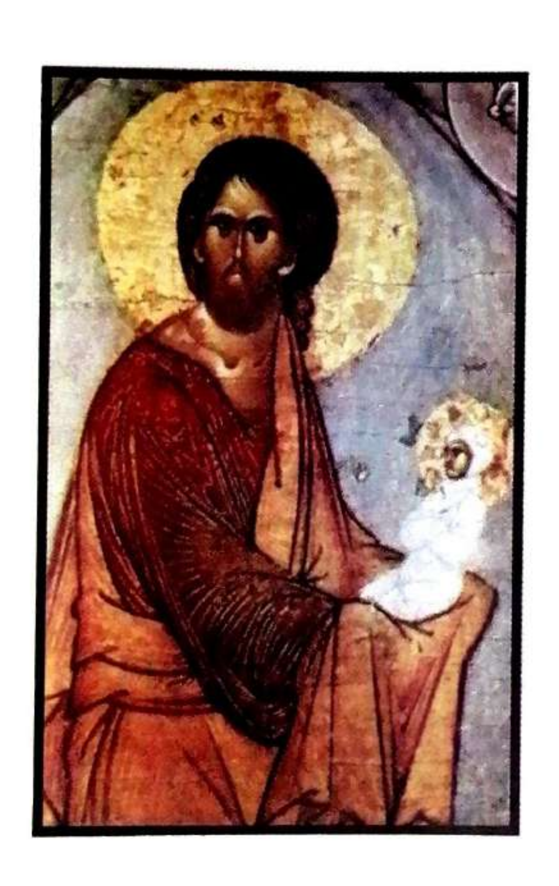






وفي السماء يظهر الملائكة وهم يركبون مركبات في غاية الغرابة والعجب. وفي وسطهم، في قمة الصورة يحمل ملاكان قرصاً صغيراً تجلس ضمنه مريم العذراء، وهو عنصر مأخوذ من التعبير الغربي لا يُشاهَد في الصور الشرقية إلا نادراً.

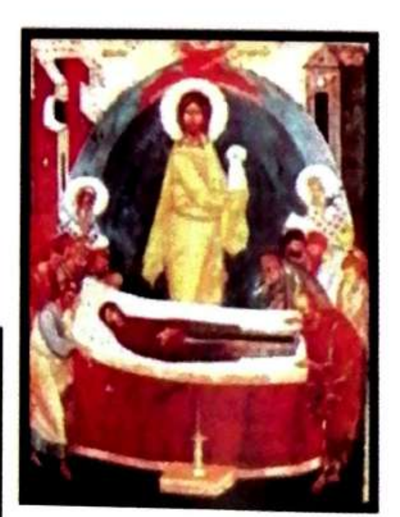
وفي مركز الصورة يظهر المسيح رب الأكوان في القوس الكوني الأزرق الذي يحوي الملائكة الذين يسجدون أمام العرش الإلهي، وبحركة سريعة يأخذ نفس مريم بيديه الملفوفتين بمنديل الاحترام، وتُرسم نفس مريم بشكل طفلة صغيرة مولودة للحياة الجديدة الحقيقية، وهو تعبير عميق يعبّر عن أقصى مشاعر الإيمان بسر قبول مريم وانتقالها إلى السماء روحاً وجسداً بصورة مطلقة. كما يظهر من الطرفين نوع من بناء يشير أو يرمز إلى مدينة أورشليم. أما الآن فهو يرمز إلى المدينة السماوية حيث قبلت مريم للولادة الجديدة.

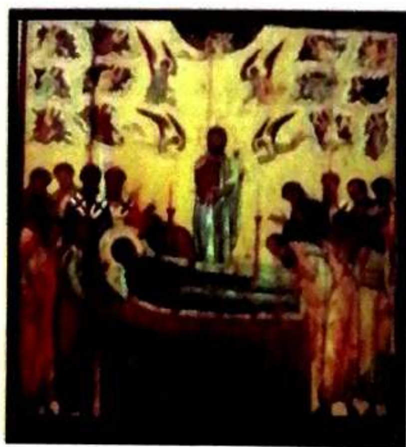


وفي الأسفل ترقد مريم العذراء على الفراش ويوحنا الحبيب القادم من أفسس، والذي يشاهَد هنا بهيئة شيخ طاعن في السن يحني رأسه عادةً على صدر مريم العذراء، بحزن بالغ ليسمع كلامها الأخير أو ليتحقق من موتها. بينما مار بطرس يقف عند رأسها. ويقدّم البخور، طالباً قبول واستجابة الصلاة الأخيرة، ومعبّراً عن الرائحة الطيبة والزكية التي تملأ المكان. "أنت المبخرة الذهبية التي يحترق فيها الفحم الإلهي".

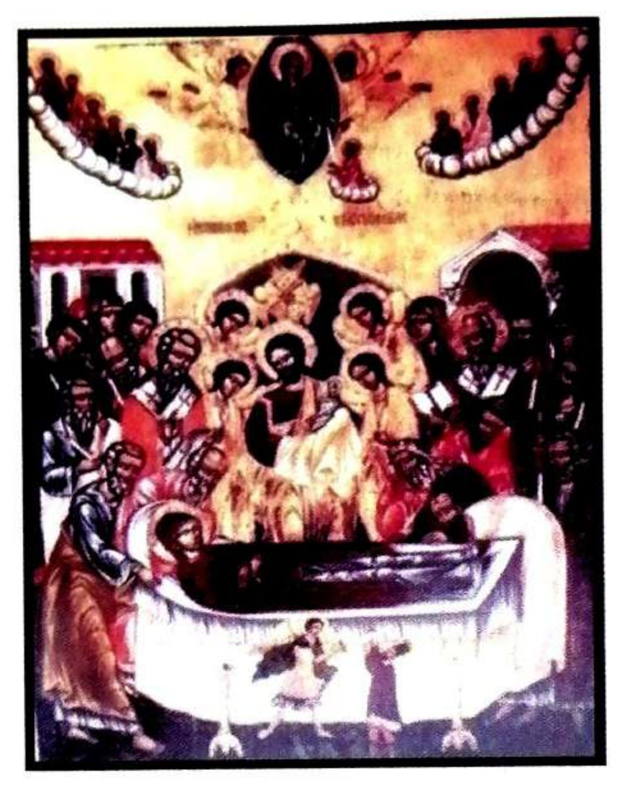
ومن الطرف المقابل يقترب مار بولس والرسل الآخرون من الفراش بحنان وحزن شديدين. ويرافقهم بعض الأساقفة والمعلمين المشهورين في الكنيسة القديمة، وهم يعقوب أسقف أورشليم الأول، وديونيسيوس الأريوفاجي، ومعلمه هيروطيوس، وثيموطاوس أسقف أفسس الأول، الذين بحسب التقليد الشعبي، شهدوا بحقيقة الانتقال، ويربط حضورهم بين الماضي "التاريخي"، والحاضر "الكنسي"، ويدعو المشاهد إلى الاشتراك في سر الانتقال المبارك. وراء الرسل تتقدم بعض النساء، وهن صديقات مريم، أو خادماتها، اللواتي ساعدن مريم في الساعة الأخيرة وحضّرن جسدها الطاهر للدفن.

حقاً برقادها أصبحت مريم أيقونة الكنيسة، أيقونة تعبّر عن مستقبل الكنيسة، لأن المسيح الرب الذي أقام مريم العذراء لحياته، وأدخلها في نوره البهي، سيقيم كنيسته أيضاً، بمثل هذه الطريقة.






















إرتفاع الصليب



الفصل الثاني عشر

إرتفاع الصليب

الأسماء:

"عيد الصليب المقدس" أو "عيد اكتشاف الصليب المقدس"، "عيد رفع الصليب الكريم المحيي في كل العالم"، "عيد ارتفاع الصليب".

التاريخ: ١٤ (١٣) أيلول

المصادر: تك ٤٨: ١٤ / خر ١٥: ٢٢-١٦ : ١ / عدد ٢٠: ١-١٣ / ٢١: ٤-٩ / حكمة ١٦: ٧ / حز ٩: ٢-٦ / لو ٢٤: ٣٠-٣٥ / يو ٣: ١٤ / ١٢: ٣١ / ١٩: ٣١-٣٧ / أعمال ٢: ٢٣-٢٦ / ١٣: ٢٨-٢٩ / ١٧: ٣٤ / ١ قور ١: ١٨ / ٢: ٢ / غل ٢: ١٩ / ٦: ١٢-١٧ / رؤيا ٧: ٣.



ا- أصل عيد ارتفاع الصليب

١ - العيد في الشرق

١) نحو نهاية السنة الطقسية تحتفل الكنيسة بعيد الصليب، والمسمى أيضاً، بـ"عيد ارتفاع الصليب"، ولهذا العيد أصول مختلفة، لا يميز بينها دائماً بطريقة واضحة.

لقد ذكر أوسابيوس القيصري (٣٤٠+/٣١٣/٢٤٣) بأن الملك (الإمبراطور الروماني) قسطنطين الأول الكبير (٣٢٤-٣٣٧)، الذي رأى علامة الصليب (على مثـال نور بهيئـة الصليب) في السـماء، مع هذه الكتابة (الآية) "بهذه العلامة تغلب". فاتخذ لجيشه راية على ذلك النمط هزم خصومه بها، فدخل روما منتصراً، وكسر أصنامها وأبطل عبادة طغاتها. وفي أورشليم بنى قسطنطين الكبير بناية عظيمة، تشتمل على ثلاث كنائس، في مكان الجلجلة والقبر المقدس، حيث تم تكريسها سنة ٣٣٥، وحفظ التذكار السنوي لهذا التكريس باحتفال كبير "كاحتفال عيد الدنح والقيامة المجيدة". أما تاريخ هذا التذكار فيبدو أنه كان ١٣ أيلول (عيد تكريس (أو تجديد) كنيسة الصليب (والقبر).

إن أقدم شهادة عن وجود خشبة الصليب المقدس في أورشليم أتت في خطبة من خطب القديس قورلس الأورشليمي (٣٨٧/٣٤٨/٣١٥)، الذي ذكر في سنة ٣٤٧ بأن "ذخائر خشـبة الصليب المقدس وجدت الآن في العـالم كله"، فمن قوله هذا نستنتج بأن خشبة الصليب اكتشفت فيما بين سنتي ٣٣٥ و٣٤٧.

٢) في أخبار رحلاتها إلى فلسطين، تخبرنا إيجيرية الراهبة الإفرنجية، بأن تذكار اكتشاف الصليب تعلّق بعيد التكريس، وبأن طول العيد كان لمدة ٧ أيام، يجري خلالها تقديم الصليب المقدس للسجود، فيُعرض الصليب الكبير ويرفع على رؤوس الأشهاد من فوق موضع مرتفع (البيم) في الكنيسة، فلذلك سمي هذا العيد بعيد "ارتفاع الصليب". وفي التقليد الكنسي، عيّن تاريخ هذا العيد (منذ القرن السادس) في ١٤ أيلول.





كانت الكنيسة الأرمنية تحتفل بعيد الصليب في الأحد الأقرب من ١٤ أيلول، ومن هذا الأحد إلى السبت التالي. يستمر الاحتفال بالصليب، وبتأسيس (تكريس) الكنيسة الأرمنية (في أدزميادزين). فيما بعد حُدد أسبوع لتحضير العيد، و٧ (أو ٩) أسابيع، بعد أسبوع العيد نفسه، مكرسة للصليب المقدس.

أما كنيسة المشرق (والسريان أيضاً) فاحتفظت في تقسيم السنة الطقسية، فترة (من ٧ أسابيع) للصليب المقدس. وقد ذكر كيوركيس الأربيلي المنحول بأن كنيسة المشرق كانت سابقاً تحتفل بعيد الصليب في ١٣ ايلول، كما جرى قديماً في أورشليم. أما الطقس البيزنطي فيسمى هذا العيد باسم "عيد الارتفاع العالمي لصليب المخلّص الثمين المحيي"، ويطول الاحتفال به لمدة ٨ أيام، مع فترة خاصة للصليب، إلى أسبوع "الفريسي والعشار".



٢- القصص الشعبية عن اكتشاف خشبة الصليب المقدس

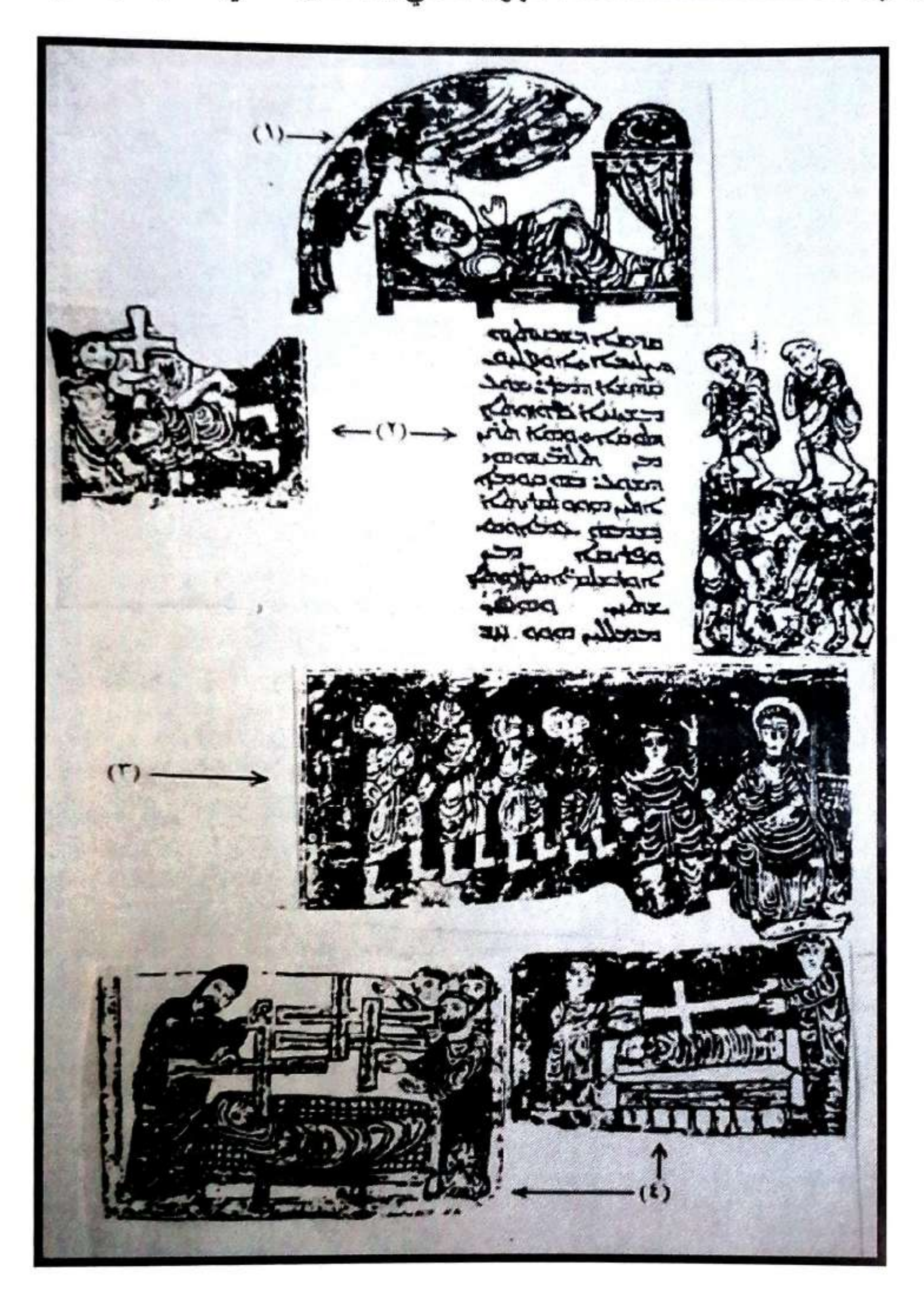
من الواجب أن نذكر هنا أولاً وقبل كل شيء قول القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٨٦ في أنطاكيا / ٣٩٧ في القسطنطينية / ٤٠٧)، في خطبته التي ألقاها بين سنة ٣٩٠ و٣٩٥ والتي ذكر فيها:

بأن الفرق بين الصليب الصحيح وبين الصليبين الآخرين (عندما اكتشفتها الملكة هيلانة؟) تبيّن واضحاً من اللوحة التي كتبت بأمر بيلاطس والتي بقيت معلقة عليه. ويرى ذلك أيضاً القديس أمبروسيوس أسقف ميلانو (٣٧٤/٣٩٧)، ويضيف إلى ذلك بأن هيلانة أم قسطنطين هي التي اكتشفت الخشبة فعلاً.

بصورة عامة نستطيع أن نميز بين ثلاثة تقاليد من القصص، كما سجلها موسى بر كيفا أسقف الموصل (٨١٣/٩٠٣)، في خطبته عن الصليب المقدس:

١) قصة يعود أصلها إلى الرها من القرن الخامس(؟)، وتظهر في كتاب سرياني يسمى "تعليم أدي"، تقول إنه بعد صعود ربنا يسوع المسيح، وفي أيام حكم الإمبراطور طيبريوس (١٤-٣٧ م) عندما كان يعقوب أخ الرب أسقفاً في أورشليم، أتت الملكة بروطونيكة زوجة قلوديوس (٤١-٥٤ م)، إلى الأماكن المقدسة، وطلبت من اليهود الذين تملكوا مناطق الجلجلة... أن يأذنوا لها بالبحث عن خشبة الصليب، وحين دخلت المكان الذي فيه دفن الصليب ماتت ابنتها في هذا المكان ودفنت في الموضع نفسه. وبعد أن تم اكتشاف الصليب قامت بقوته، فسلّمت بروطونيكة خشبة الصليب إلى يعقوب أسقف المدينة، الذي بنى كنيسة في المكان الذي اكتشف فيه.

٢) "قصة القديسة هيلانة" ، والدة الملك قسطنطين الأول الكبير، التي أتت إلى الديار المقدسة في القرن الرابع، بعد انتصار قسطنطين سنة ٣١٢، للبحث عن الصليب المقدس في أورشليم، القدس الشريف، وبعد أن سعت في مبتغاها استدلت على موضع القبر الجليل، توفقت في اكتشافه مدفوناً بالقرب من الجلجلة بين ثلاثة صلبان، وتحقق مكاريوس أسقف أورشليم، صحة عود الصليب المقدس بقيامة ميت وُضع عليه.



٣) "قصة قرياقوس" وترتبط هذه القصة بالقصتين الأولى والثانية، فيُحكى أنه في زمان طريانوس (٩٨-١١٧ م) دُفن الصليب من جديد، وذلك إلى زمان "قرياقوس" وهو رجل يهودي من سكان مدينة أورشليم، واسمه الأصلي "يهوذا"، وكان يعرف المكان الذي دُفن فيه الصليب من فم أجداده، وكان قد رفض من قبل أن يساعد على اكتشاف عود الصليب، ولكن بعـد ارتفاع الصليب تنصّر وفي العماد أخذ الاسم "قرياقوس"، ثم أصبح أسقفاً على أورشليم، واستشهد في عهد ولاية يوليانوس (٣٦١-٣٦٣).

ومن القصص العـــديدة الأخرى يمكننا أن نذكر أيضاً "قصة شجرة الصليب"، التي نجد فيها آثاراً من بعض الكتابات القديمة، وتُرسم مراحل القصة المتسلسلة في أيقونة تذكارية للأماكن المقدسة من القرن ١٧-١٨، وهناك أيقونة من هذا النوع في كنيسة مار أشعيا في الموصل، وحتى في كنيسة السريان في ماردين ودياربكر.

٣- الأعياد الخاصة بالصليب المقدس

١) في بعض الكنائس الشرقية عيّن عيد اكتشاف الصليب قديماً في أحد أيام شهر أيار (٢٢ الخ)، كما تظهر في بعض المخطوطات السريانية من القرن السابع. هذا العيد أيضاً يعود إلى تقليد أورشليم. والكنيسة الأرمنية تحتفل به في الأحد السابع من فترة الصليب، نحو نهاية تشرين الأول. لكن في الغرب عُيّن تذكار اكتشاف الصليب في ٣ أيار (معروف في روما منذ القرن السادس).

٢) في جدول القراءات السريانية من القرن السادس، يرد ذكر ٧ أيار تاريخاً لرؤية الملك قسطنطين الأول الكبير، لعلامة الصليب في السماء. ولكن في اليوم نفسه يذكر الجدول أيضاً رؤية أخرى. كان قد أخبر القديس قورلس الأورشليمي (٣٨٧/٣٤٨/٣١٥) في رسالته إلى الإمبراطور قسطنطينوس (٣٣٧-٣٦١)، ابن قسطنطين الكبير، يذكر فيها ظهور صليب نوري كبير في سماء أورشليم، من الجلجلة إلى جبل الزيتون، دام علانية لعدة ساعات، سنة ٣١٥، خلال فترة الخمسين، وشهده هو بنفسه كما شاهده الشعب كله، "تذكار ظهور علامة الصليب الثمين في الساعة الثالثة تحت حكم الملك قسطنطينوس بن قسطنطين الكبير". وبعد ذلك تعلقت هذه الرؤية بانتصار قسطنطينوس في مورسة. ومن القراءات المذكورة في الجدول (متى ٢٤: ٣-(٢٧-٣٥)٣٧) يظهر بأن الصليب فهم هنا على أنه صليب المجد، الذي سيحمله ابن الإنسان عند مجيئه الثاني الأخير للدينونة، آية الانتصار وسلطانه وإلى حد الآن ما تزال أكثرية الكنائس الشرقية، تحتفظ بتذكار هذه الرؤية في ٧ أيار.

٣) عندما قام الفرس بغزو أورشليم ونهبها سنة ٦١٤، كانت خشبة الصليب بين جملة الغنائم التي أخذوها ونقلوها معهم إلى قطيسفون عاصمة مملكتهم الشتوية، على نهر دجلة، وبقيت في حوزتهم حتى قام الإمبراطور الروماني هرقل، واستظهر عليهم فردّهم على أعقابهم وهزم جيوشهم وانتصر على كسرى الثاني سنة ٦٢٨، وأعاد ذخيرة الصليب المقدس، وبدخول الفاتحين حمل الصليب معه إلى القسطنطينية باحتفال مهيب ومن هناك إلى أورشليم سنة ٦٣١. ويذكر التقليد أن الملك هرقل حمل العود الكريم على كتفيه، وسار به في حفاوة كبيرة إلى الجلجلة، حين أحس بقوة خفية تصده وتمنعه من دخول المكان. فوقف الأسقف زكريا بطريرك أورشليم، وقال للإمبراطور: "حذار أيها الملك، إن هذه الملابس اللامعة، وما تشير إليه من مجد وعظمة تبعدك عن فقر المسيح يسوع، ومذلة الصليب". ففي الحال خلع الملك ملابسه الفاخرة، وارتدى ملابس حقيرة وتابع المسيرة حافي القدمين حتى الجلجلة، حيث رُفع عود الصليب المكرم، فسجد المؤمنون على الأرض، وهم يرنمون: "لصليبك يا ربنا نسجد ولقيامتك المقدسة نمجد". فأضيف تذكار هذه المسيرة إلى عيد ارتفاع الصليب في ١٤ أيلول في أكثرية الطقوس. وفي بعض المناطق ما تزال عادة إيقاد النيران وإطلاق الأسهم النارية تجري في هذا العيد حتى يومنا هذا.

٤) لقد درسنا رتبة "السجود للصليب" التي تجري في طقس يوم الجمعة العظيمة (جمعة الآلام)، وخلال رتبة ارتفاع الصليب من القبر، عند كنيسة إنطاكيا للسريان، يوم سبت النور (أو أحد القيامة). وكذلك السجود الذي يجري في الأحد الثالث من الصوم الكبير، عند الكنيستين البيزنطية والسريانية، والمسمى "أحد السجود للصليب". فمن الممكن أن هذا الاحتفال يعود إلى تذكار نقل ذخيرة الصليب، من مدينة أفامية (سورية)، إلى القسطنطينية سنة ٥٧٤، أو تذكار مسيرة الإمبراطور هرقل سنة ٦٢٨ (٦٣١) التي جرت خلال فترة الصوم الكبير. وفي الكنيسة البيزنطية يظهر هذا السجود في الأحد الثالث من الصوم الكبير منذ القرن الثامن، وكان يدوم لمدة ٦ أيام.

٥) "مسيرة الخشبة الثمينة للصليب المحيي": وهي أيضاً احتفال تكريمي للصليب المقدس وهو محفوظ في طقس الكنيسة البيزنطية ويحتفل به في ١ آب، منذ القرن الثامن، وأصل هذه المسيرة يعود إلى الزمن الذي وقع فيه الطاعون أو ذلك الوباء، الذي أودى بحياة الكثيرين من شعب القسطنطينية، فقام المؤمنون بمسيرة دينية عبر المدينة كلها، يطوفون من شارع إلى شارع، ومن قصر الملك إلى حيث كنيسة الحكمة المقدسة، مع تبريك الماء ليطهر به الناس ويشفيهم من المرض، وكان المؤمنون يقبّلون خشبة الصليب ويلمسونها...

والجدير بالذكر أن المؤمنين كانوا يمارسون عادة "تقبيل الصليب" هذه في بلاد المغول والهند والصين، بحسب ما ذكره لنا الرحالة المسافرون من القرون الوسطى، في وصفهم ومشاهداتهم لعادات المسيحيين في هذه المناطق البعيدة، وبصورة خاصة كلام الراهب داديشوع قطرايا (نحو سنة ٦٩٠) القائل: "قبّل ربنا على الصليب، مرتين على مسمار رجله اليمنى ومرتين على رجله اليسرى... إرسم إشارة الصليب على فمك بالصليب...".





صلوات طقسية

إجعل يا رب صليبك الذي ظهر لقسطنطين نوراً للكنيسة وأبنائها، وابسط ملكك على قلوب البشر جميعاً لأنهم قد افتدوا بالدم الكريم المراق على الجلجلة. وليكن صليبك للأمان والسلام في العالم. (الطقس الماروني).

صليبك ياربنا يسوع المسيح قد ظهر مشعشعاً في السماء، وسيظهر من جديد في آخر الأيام عندما تعود لتدين المسكونة بالعدل : فليظهر علينا ولتسطع أنواره في قلوبنا وعقولنا، فنرى مجدك ونتوق إلى لقياك حاملاً صليبك من خلال حياتنا كلها.

إن القوة الموجودة في الصليب هي عين القوة التي أبدعت العالمين. القوة الأزلية العديمة الابتداء المدبرة للخليقة في كل زمان بدون انقطاع بنوع إلهي يفوق إدراك الكل... إن منظر الصليب يجدي المؤمنين نعماً كبيرة لأن جميع الأسرار تفهم به، فكلما رفع الناس أعينهم ونظروا إليه كأنهم ينظرون شخص المسيح فتنالهم الخشبة منه ويعز عليهم منظره لأنه مخوف ومحبوب، وبصفة كونهم أبناء يشعرون بثقة عظيمة. فكلما اقتربنا إلى الصليب كأننا نقترب إلى جسم المسيح... ونظرنا إليه يرفع عقلنا إلى السماء... السجود لقوة الصليب التي بها استحقينا معرفة الله.
(خطبة لاسحاق النينوي (القرن السابع) محفوظة باللغة العربية)

تعالوا يا إخوتي لنلقى عود الصليب المكرم، لأن اليوم ارتفع الصليب وخلّص العالم من الطغيان.
اليوم ارتفع الصليب وهربت الشياطين.
اليوم تجددت الكنيسة واستنارت الخليقة وسُلب الموت وفضح الجحيم.
وتحطمت أبواب النحاس وفرحت قوات السماء...
اليوم فتح للّص باب الفردوس وأعتق آدم أبو البشر...
برسم الصليب نصب الله فردوس النعيم في المشرق.
برسم الصليب انبع الله عين ماء في وسط الفردوس وقسمها أربعة أنهار.
برسم الصليب بنى هابيل مذبحاً لله وأصعد عليه قرباناً مقدساً.
برسم الصليب صنع نوح الفلك كما أمره الله...
برسم الصليب كتّف إبراهيم ابنه الحبيب ورفعه على المذبح...

برسم الصليب مسح موسى الأبواب بدم الخروف.

وخلّص الشعب من الموت المر... فالسلام عليك أيها الصليب الكريم،

أنت مجد الأنبياء، أنت بهجة الرسل، أنت أبو الأيتام، أنت عزاء الأرامل،

أنت صائن العذارى، أنت حافظ الأطفال، أنت نور للذين لا نور لهم...

السلام عليك لأجل أنه علق عليك كلمة الله الأزلي،

الذي له المجد مع الآب والروح القدس إلى الأبد.

(خطبة منسوبة إلى مار أفرام ومحفوظة بالعربية).





هذا الصليب هو علامة دين النصرانية، هذا الصليب هو مقوي الضعفاء.

هذا الصليب هو الغلبة على إبليس. هذا الصليب هو سلاح القديسين.

هذا الصليب هو فزع الشياطين. هذا الصليب هو فرح البشر.

هذا الصليب هو حافظ الأطفال. هذا الصليب هو قوة الدنيا.

هذا الصليب يفتح أبواب الجحيم. هذا الصليب هو الذي يقود القديسين إلى الملكوت

هذا الصليب هو زينة الصبيان. هذا الصليب هو حارس لنا.

هذا الصليب يحفظنا من فخ الخطيئة. تعالوا أيها الشعوب المؤمنون بالمسيح

حتى نضع هذا الصليب على رؤوسنا، فانه لنا مثل السور على المدينة...

فيجب علينا أن نسبّح المسيح، فانه فدانا بصليبه المقدس معطي الحياة.

(خطبة منسوبة إلى قورلس ،الأورشليمي).

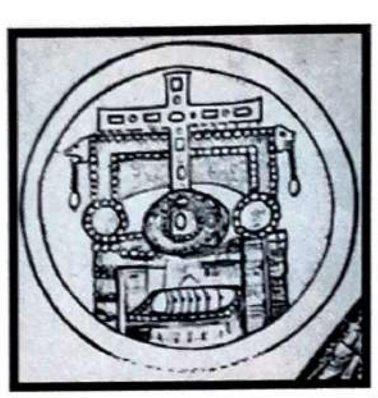




٤ـ صورة الصليب المقدس

١) منذ بداية المسيحية وإلى منتصف القرن الرابع تقريباً لا نجد صورة للصليب إلا ما ندر، لأن عقوبة الموت على الصليب في ذلك الزمان لم تزل عقوبة سارية ومقبولة فلهذا كانت صورة الصليب تشكل عاراً وخطراً على الذين يرسمونه، ولم تكن لتظهر عادة إلا بطريقة مخفية أو رمزية، وذلك في الشرق والغرب على السواء. وهكذا كانت صورة المرساة أو صارى السفينة... الخ ترمز بالخفاء إلى الصليب، وكذلك كانت كل آية رمزية مكونة من حرف أو حرفين من أحرف اسم "المسيح" باليونانية.

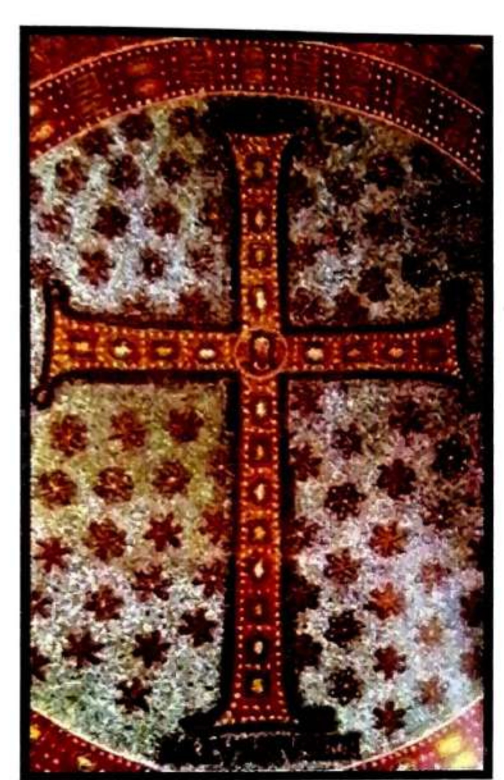


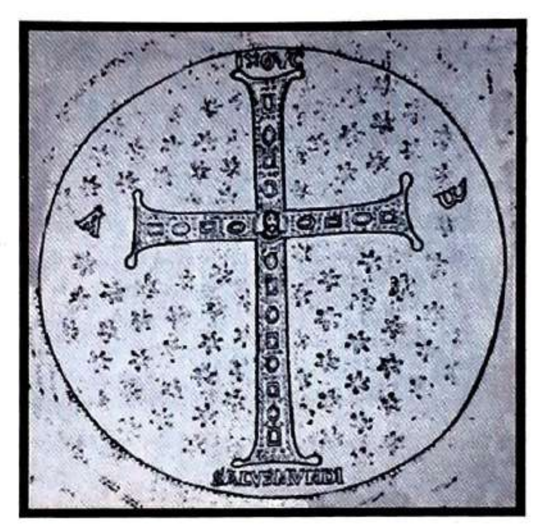




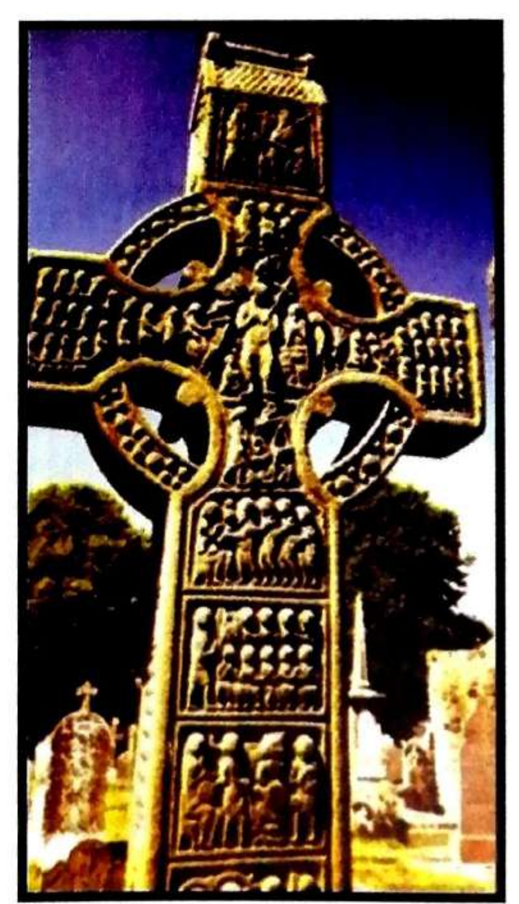


٢) عندما حل عهد ولاية الملك قسطنطين الكبير ظهرت صورة الصليب بشكل علني على الراية الملكية وعلى البيارق التي حملتها جيوشه كعلامة مميزة للملك سنة ٣١٣ والتي سماها أوسابيوس القيصري: "آية الانتصار بالآلام الخلاصية". هذا ومنذ القرن الرابع أخذ الصليب يظهر بأشكال عديدة: صليب المجد الكوني، الصليب مع الحرفين الأول والأخير من الأبجدية اليونانية، الصليب المصري (القديم)، الصليب اليوناني، الصليب اللاتيني، الصليب الشرقي. وأحياناً نراه متعلقاً بإكليل الانتصار، أو مزين بالجواهر، ويحمله المسيح الرب بيديه شهادة للقيامة.









٣) وفي القرن الخامس نرى "صليب المجد" الكوني الكبير، وقد كان مصنوعاً من الـذهب أو من الفضة الخالصة، ومزيناً بأحجار كريمة وجواهر ثمينـة بلـونين: الأزرق، الـلازوردي المدور، ويعبّر عن المجد السماوي، والأخضر الزبرجدي المستطيل، تعبيراً عـن الـسلطان على الأرض.







(أنظر متى ٢٨: ١٨). أو نراه في أعمال فسيفسائية رائعة في صدور الكنائس، أو منحوتاً على النواويس المدفنية، قائماً فوق الجبل الكوني الفردوسي، الذي تجري منه الأنهر الأربعة (عوضاً عن جبل الجلجلة)، أو بين الشـمس والقمر، تعبيراً عن مجد الصليب وشرفه أو بين رسولين أو ملاكين، أو بين حمامتين أو طاؤوسين أو خروفين. ثم "صليب الأواخر" الذي يظهر في السماء وسط الغيوم والنجوم مع رموز الأحياء الأربعة (متى ٢٤: ٣٠).

٤) ومن صور الصليب التي ظهرت منذ القرن السادس نستطيع التمييز بين النمـــاذج المهمـــة التالية:

النموذج الأول

(أ) الصليب "اللاتيني" البسيط وأحياناً مع تزيين في نهاية الأذرع بشكل كرات صغيرة وقائم علي قاعدة صغيرة (مدرجة).

(ب) الصليب الشرقي الذي أذرعه على شكل مثلثات طويلة مفتوحة في رؤوس نهاياتها المتصلة وقائم أيضاً علي قاعدة مدرجة ومرصّع أحيانا بالجواهر أو مع سلسلة تحمل الحجر الكريم أو الحرفين.

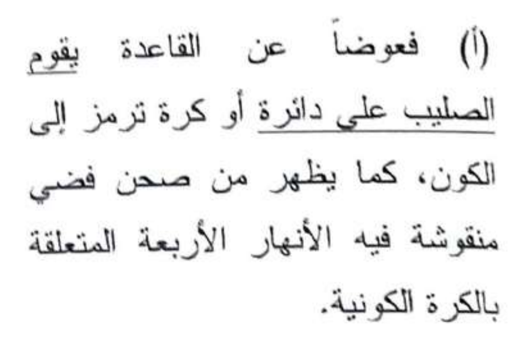




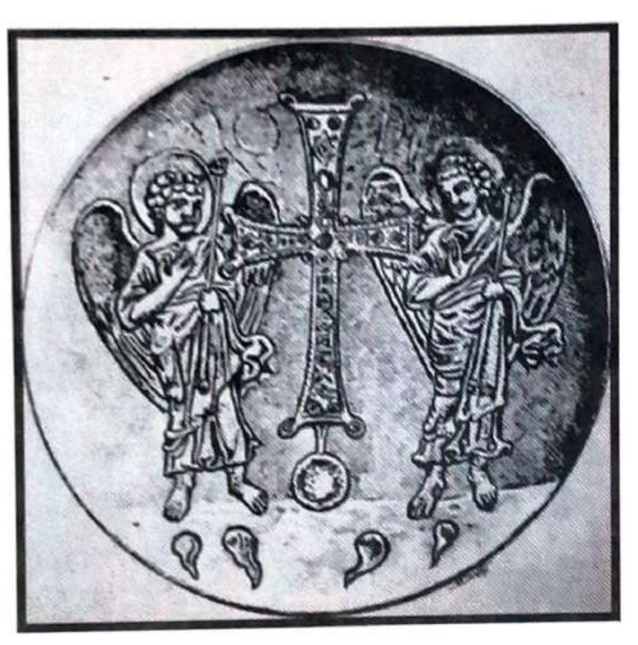
ومن الجائز أن يكون هذا النموذج عائداً إلى شكل الصليب الذهبي الكبير الذي أقامه الإمبراطور ثيادوسيوس الثاني (٤٠٨– ٤٥٠) على مكان الجلجلة نفسها في أورشليم والذي كان يحفظ في داخله الخشبة الصحيحة للصليب الحي الذي أخذه الفرس إلى قطيسفون سنة ٦١٤. ومن أقدم الأمثلة لهذا النموذج يمكننا أن نذكر صورة الصليب الشرقي، مع الكرات الصغيرة في نهاية أذرعه، في مخطوطة سريانية قديمة محفوظة في مكتبة لينينغراد مرقمة ٢ ومكتوبة سنة ٤٦٢، ومن أجملها نذكر رسم الصليب القائم على قاعدة وتحيط به دائرة، في مخطوطة سريانية قديمة محفوظة في المتحف البريطاني مرقمة ١٤٥٩١ من القرن السادس.

النموذج الثاني

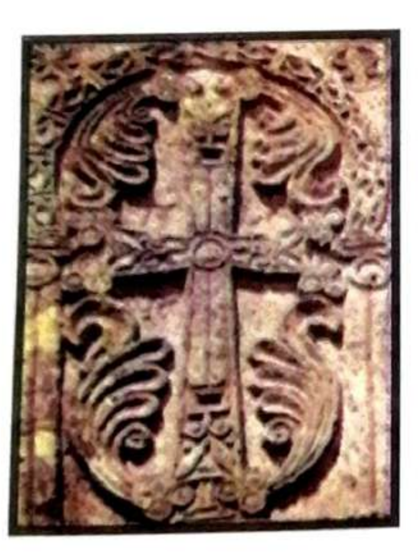
وهو النموذج الذي يستخدم نفس الصليب المذكور في النموذج الأول، ولكن بدون القاعدة.



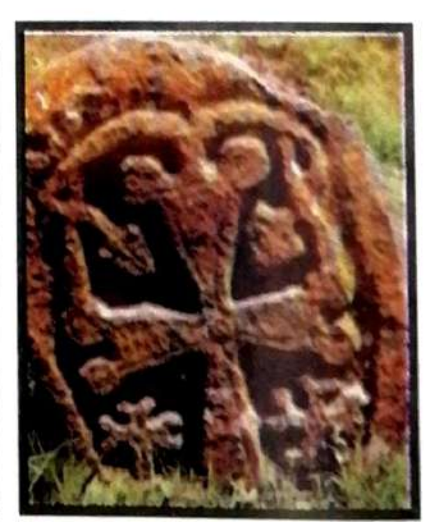
(أ) فعوضاً عن القاعدة يقوم الصليب على دائرة أو كرة ترمز إلى الكون، كما يظهر من صحن فضي منقوشة فيه الأنهار الأربعة المتعلقة بالكرة الكونية.



(ب) أو كما يظهر نفس الصليب مراراً دون القاعدة سوى انه تحيط به دائرة أو إكليل، أو انه يقدم تحت قوس. واكتشف مثل هذا النموذج خاصةً في ما بين النهرين (حمص- دمشق- حلب- نصيبين). وفي التقليد الأرمني بقيت هذه الكرة الكونية محفوظة، كما يظهر من صلبان عديدة منحوتة على الحجر، من القرن الحادي عشر إلى السابع عشر.





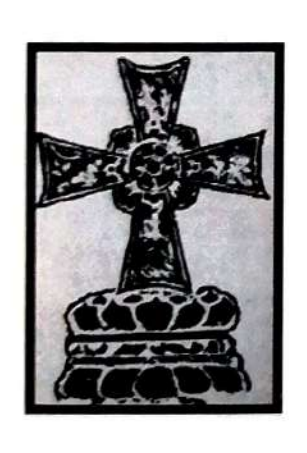


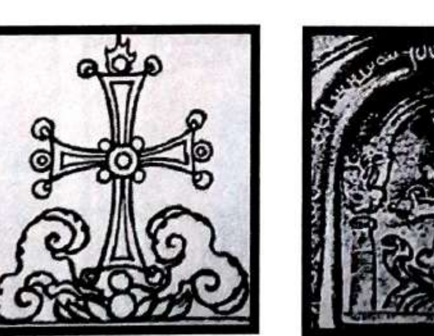




النموذج الثالث

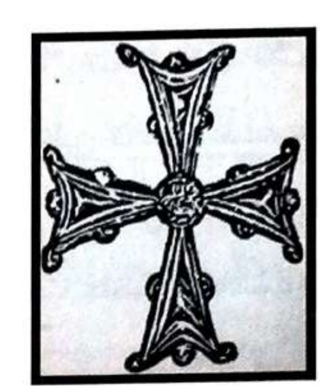
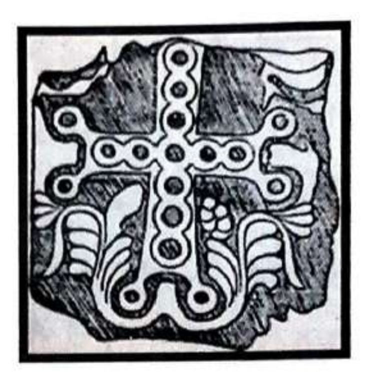
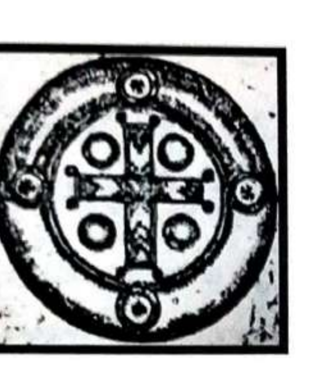
وهو النموذج الأوسع انتشاراً في الشرق، يقدم الصليب الذي تخرج من قاعدته جذور، بشكل غصنين أو جناحين أو ورقتين من شجرة اللوز تصعدان إلى الأعلى من جهتي الصليب، مثل يدين مفتوحتين. إن أقدم نموذج من هذا النوع اكتُشف في القسطنطينية وهو من القرن السادس ثم في الحيرة (القرن الثامن). في بلاد الأرمن، وفي الهند وبلاد المغول والصين.





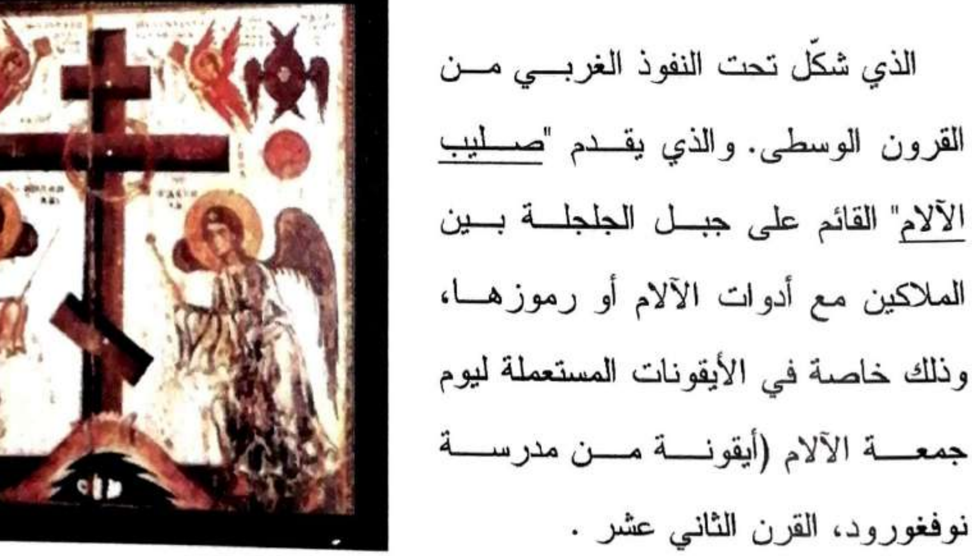


لقد تطور وازدهر هذا النموذج بصورة خاصة في بلاد الأرمن وفي النحت على الحجر الذي حُفظ في كل أطراف البلاد، وتشاهد فيه خطوط الأغصان والورد والأنهار خارجة من جهات الصليب الأربعة بطريقة فنية دقيقة وفريدة.

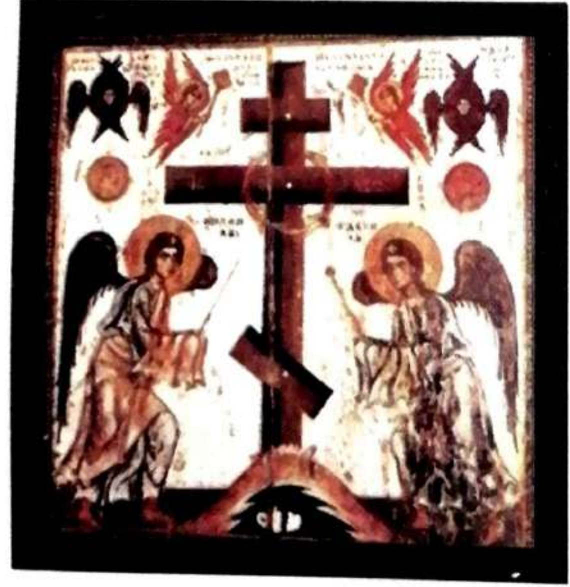






وفي المخطوطات السريانية كذلك حُفظ مثل هذا النموذج للصليب، وقد كثرت وازدادت زينته وأصبح شكل الصليب أكثر تعقيداً ومزخرفاً في خطوط منسوجة وتغيرت الورقتان إلى شجرتين أو إلى قنديلين عليهما طيور. وإلى غير ذلك من الزخارف. وفي بعض الأحيان كانت تكتب على جانب الصليب كتابات خاصة ونذكر منها: "فيك رجاؤنا" أو "بهذه العلامة نغلب أعداءنا" أو "غلب الصليب وسيغلب الصليب"...الخ.



النموذج الرابع



الذي شكّل تحت النفوذ الغربـي مـن القرون الوسطى. والذي يقـدم "صـليب الآلام" القائم على جبـل الجلجلـة بـين الملاكين مع أدوات الآلام أو رموزهـا، وذلك خاصة في الأيقونات المستعملة ليوم جمعـة الآلام (أيقونـة مـن مدرسـة نوفغورود، القرن الثاني عشر .

٥- صورة عيد ارتفاع الصليب

(أ) هي صورة متعلقة بطقس عيد الصليب، والنموذج القديم يقدم لنا خشبة الصليب البسيط بين شخصين، يعرضان أو يرفعان الصليب للسجود. وهما الملك قسطنطين الكبير وأمه الملكة هيلانة. ومن الممكن أن تكون الصورة الأصلية من هذا النوع قد رسمت في إحدى كنائس أورشليم، ونقلت من هناك إلى القسطنطينة واليونان وقبدوقيا... حيث حفظت هذه الصورة كما حفظت أيضاً في المخطوطات منذ القرن الثامن، وحتى في المخطوطات السريانية من القرن الثاني عشر والثالث عشر، أما في المخطوطة الفاتيكانية (المرقمة ٥٥٩) فقد رسمت ملامح وجهها على شبه الوجوه المغولية. لقد ظهرت صورة من هذا النوع مضروبة على الدراهم والمسكوكات البيزنطية من القرن العاشر تمثل الإمبراطور قسطنطين العاشر (٩١٣-٩١٩) مع أمّه زواي استُبعدت بعد وفاة هذا الملك واستعيض عنها دائماً بصورة قسطنطين الكبير وأمه هيلانة.

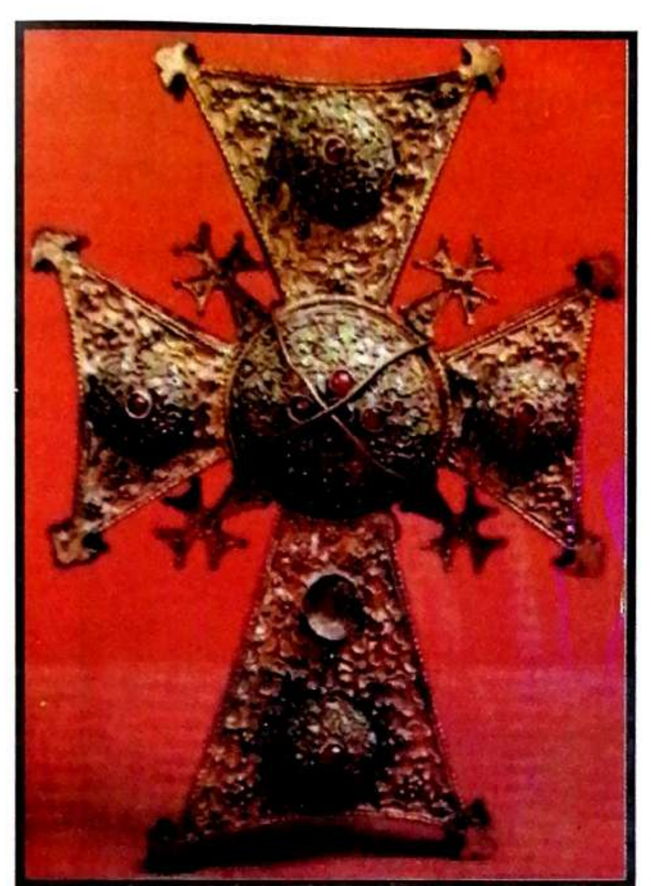
(ب) وصورة أخرى تقدم لنا مشهد رتبة الارتفاع في كنيسة أورشليم، والبطريرك (مكاريوس) وسط الشمامسة والإكليروس وهو يرفع الصليب الكبير ويسند أحياناً ذراعيه شماسان من الجهتين. وتظهر عادةً في الصورة كذلك الملكة هيلانة (والملك). وفي بعض الأيقونات يظهر في نفس الصورة مشهدان وهما : مشهد ارتفاع الصليب الطقسي في الكنيسة، ومشهد اكتشاف الصليب (بعض العمال ينقبون ويحفرون الأرض أمام الملكة وأسقف أورشليم)، أو مشهد مسيرة الإمبراطور هرقل الذي أرجع الصليب إلى المدينة.

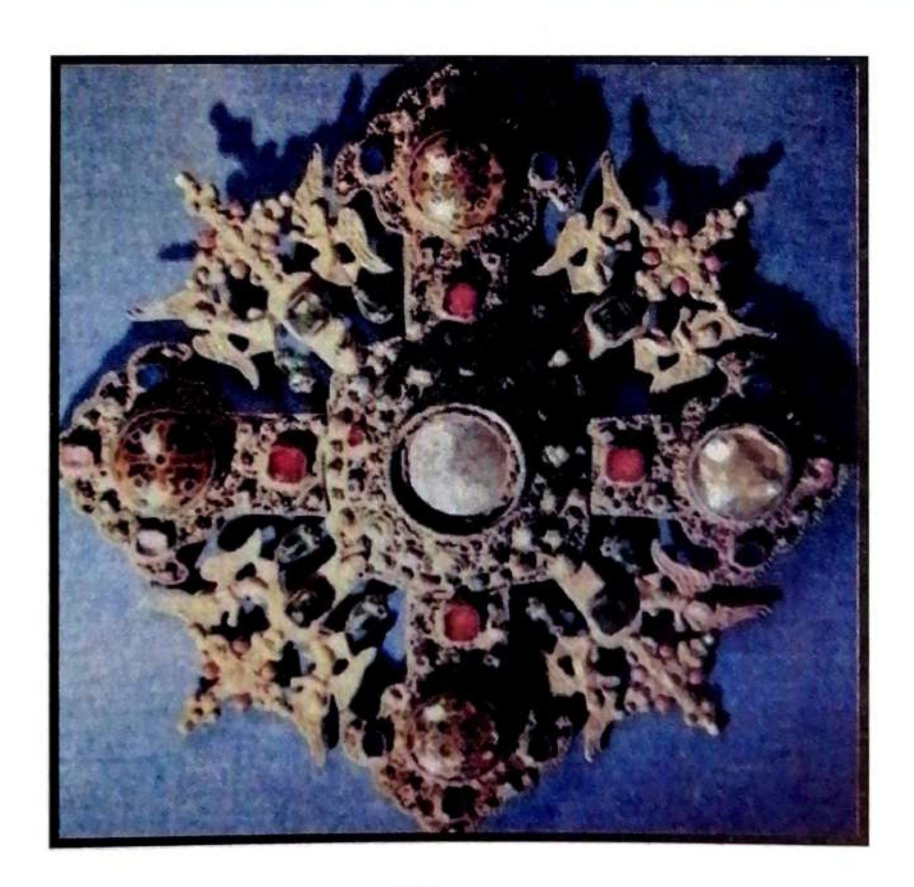
(ت) في بعض المخطوطات حفظت صورة خاصة لاكتشاف الصليب بحسب القصص الشعبية، في مخطوطة يونانية من القرن التاسع (سن ٨٨٠) (مكتبة باريس الوطنية مرقمة ٥١٠ وخطب القديس غريغوريوس النزيانزي)، وفي بعض المخطوطات السريانية تجمع ثلاثة أو أربعة مشاهد في صورة واحدة وهي:

(١) حلم رؤية قسطنطين الأول الكبير. (٢) الملكة هيلانة جالسة على كرسي الحكم وهي تسأل بعض الأسرى عن المكان الصحيح حيث دفن الصليب. (٣) العمال الذين يحفرون الأرض. (٤) في حضور أسقف أورشليم يوضع شخص ميت على الصلبان الثلاثة بغية اكتشاف الصليب الحقيقي. (مخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني مرقمة ٧١٦٩، ومخطوطة في برلين مكتبة ساخو مرقمة ٣٠٤).











فهرست الصور في الجزء الثاني

(بحسب الفصول، ثم الصفحة وتسلسل الصور من الأعلى إلى الأسفل ومن اليمين إلى اليسار)

الفصل الأول: البشارة

- ص ٦٧ (٢) أيقونة بيزنطية، محفوظة في دير القديسة كاثرينة، جبل سيناء، من نهاية القرن ١٢. وسط اللون الذهبي يتقدم الملاك بحركة كأنه يرقص، وفي وسط الصورة تظهر دائرة الروح القدس، وفي الأسفل يجري النهر مع الأسماك، تعبيراً عن لقب مريم "نهر النعمة".
- ص ٦٨: رسم في مخطوطة سريانية للأناجيل الطقسية، نقلها ديوسقوروس ثيودوروس عن نموذج بيزنطي، (القرن ١٣)، محفوظة في دير الزعفران قرب ماردين، وتظهر مريم كأنها تبتسم، رداً على لطف الملاك.
- ص ٦٩ (١) جزء من قلادة ذهبية تعود إلى القرن ٦، ومن عمل بيزنطي قسطنطيني. بحسب النماذج من هذه الفترة تجلس مريم على كرسي من قصب وبجانبها سلة النسيج.
- ص ٦٩ (٢): نحت على العاج لغلاف كتاب الأحياء، من نهاية القرن ٥، محفوظ في كاتدرائية ميلانو. تركع مريم عند النهر وتلتفت إلى الملاك بتعجب.
- ص ٦٩ (٣): أيقونة روسية قديمة من مدرسة نوفغورود (القرن ١٢)، محفوظة في متحف ترتياكوف (موسكو). يظهر "قديم الأيام" (دا ٧: ٩) مرتان، في السماء وفي حضن مريم. وتقوم مريم بحوار مع الملاك، ووجهها الجميل يعكس جمال وجه الملاك.
- ص ٦٩ (٤) رسم في مخطوطة أرمنية تحتوي على الأناجيل الطقسية (نحو سنة ١٢٨٠) من مدرسة كيليكية، حُفظت المخطوطة في إيريفان. يظهر الأسلوب الشخصي الفني من الألوان والحركات الجسدية، عكس الأيقونة الروسية.
- ص ٧٠: رسم في مخطوطة أرمنية بيد غريغور من دير ططعيف (القرن ١٤)، محفوظة في مكتبة إيريفان. تحت حمامة الروح تقوم مريم بين عين الماء والشجرة المثمرة.
- ص ٧١: تفصيل من الأيقونة الروسية المذكورة ص ٦٩.
- ص ٧٢: لوحة زيتية بيد الفنان الغريكو (نحو سنة ١٦١٠)، محفوظة في هافانا، كوبا. نلاحظ الحمامة، رمز الروح القدس الذي يجمع بين يدي مريم والملاك.

الفصل الثاني: الميلاد

- ص ٧٤: رسم في مخطوطة سريانية لسنة ١٢٢٧، نقلت في دير يعقوب في قرية صلاح. صورة متطورة تحتوي على كل العناصر التقليدية، ومريم تجلس إلى جانب الطفل، الذي ينزل شعاع السماء على جبينه. ثم نراه مرة ثانية في جرن العماد على شكل كأس.

- ص ٧٥: رسم في مخطوطة قبطية (القرن ١٢)، محفوظة في مكتبة باريس الوطنية. تنام مريم داخل المغارة، منفصلة عن الطفل ومار يوسف.
- ص ٨١ (١-٢): مجموعة من الأعمال النحتية على مرمر التوابيت في روما، القرن ٤. يتقدم المجوس بالملابس الفرثية، ويشير واحد منهم إلى النجم، ويقتربون من مريم الجالسة على كرسي من قصب.
- ص ٨١ (٣): نحت مرمري من القرن ٤، لا يظهر فيه إلا الطفل في مذود من قصب، وبين الحيوانين.
- ص ٨١ (٤-٥): نحت على العاج في غلاف كتاب الأناجيل (القرن ٥)، محفوظ في كنز كاتدرائية ميلانو. نلاحظ فيه مار يوسف النجار والاسطبل الكبير مع الحيوانين، ومريم الجالسة إلى جنبه.
- ص ٨٢ (١): نحت على العاج في غلاف من كتاب إنجيل أدزميادزين (لسنة ٩٨٩)، ويعود الغلاف إلى القرن ٥. يظهر الملاك وهو يدل المجوس على مريم الملاك المجوس نحو مريم الجالسة على كرسي من قصب، ومار يوسف أو النبي يشير إليها.
- ص ٨٢ (٢-٥) رسم جداري في دياميس روما (القرن ٤)، ونحت على العاج. تجلس مريم في وسط الصورة ويأتي المجوس من الجهتين. في الأسفل تظهر قصة سلومة بحسب إنجيل يعقوب.
- ص ٨٢ (٦): نحت على العاج وعلى الكرسي الأسقفي في رافينا لسنة ٥٥٠. تظهر فيه أيضاً قصة سلومة.
- ص ٨٣ (١-٣): قناني نحاسية تذكارية من الأماكن المقدسة (القرن ٦)، محفوظة في مونزا. على القنينة الثانية تظهر ٧ أماكن مقدسة، مركزها صورة الميلاد: في الأعلى الطفل بين الحيوانين وفي الأسفل مريم ويوسف، وبينهما البناء الصغير فوق مكان الميلاد بحسب مذبح كنيسة بيت لحم. على قنينة أخرى يجمع بين مشهدين: سجود المجوس في الأعلى والبشارة للرعاة في الأسفل، مع كتابة: "دهن من خشبة الحياة في الأماكن المقدسة".
- ص ٨٤ (١): أيقونة سينائية من القرن ٧.
- ص ٨٤ (٢): رسم على الخشب، في صندوق الذخائر من فلسطين (القرن ٦)، محفوظ في معبد القديسين في روما. يظهر الطفل الكبير على المذبح، منفصلاً عن مريم ويوسف.

- ص ٨٥ (١): رسم في مخطوطة "ربولا" (لسنة ٥٨٦)، محفوظة في مكتبة اللورنزيانة (فيرنزا). من وراء المذود ينظر يوسف إلى الطفل، ومريم تتعجب وتتأمل.
- ص ٨٥ (٢): رسم غربي يرجع إلى القرن ١٢، على المذبح في كنيسة مريم القديسة من كول (أسبانيا).
- ص ٨٥ (٣) رسم جداري في صدر كنيسة العذراء في دير السريان (مصر) نحو سنة ١٢٢٥. تظهر مريم "والدة الله" مع طفلها في داخل المغارة، وفي الأسفل وتحت كلمات "المجد" بحسب نص البسيطة، وهي تشير إلى الطفل المقمط النائم في نوع من الصندوق.
- ص ٨٥ (٤): رسم في مخطوطة أرمنية في منطقة بحيرة فان (سنة ١٣٣٢). تظهر مريم والمجوس بملابس أرمنية معاصرة.
- ص ٨٥ (٥): رسم في مخطوطة بيزنطية (القرن ١١)، محفوظة في المكتبة الفاتيكانية مرقمة ١٦١٣. نلاحظ بناية المذبح الكبير الذي يحمل المذود.
- ص ٨٦: رسم في مخطوطة أرمنية (القرن ٧)، موجودة في كتاب إنجيل أدزميادزين (لسنة ٩٨٩)، المحفوظ في مكتبة إيريفان. تجلس مريم على الكرسي الملكي، متوجهة للشاهد، وهي نفسها أصبحت كرسي الحكمة لطفلها. ويأتي المجوس الفرثيين من الجهتين، وإلى جانبها يقوم الملاك الحارس.
- ص ٨٧ (١): رسم في مخطوطة غربية (دير رايخنو، لسنة ١٠٠١)، محفوظة في مكتبة بامبيرغ. ينظر الطفل الكبير إلى الملائكة، وهو في (أمام) اسطبل (مع الحيوانين)، بين مريم ويوسف.
- ص ٨٧ (٢): رسم في مخطوطة أرمنية للأناجيل (القرن ١٣، ارتساخ) نرى فيه مريم أم المخلّص جالسة مقابل المذود وأسفله وجه حواء أم السقوط.
- ص ٨٨ (١): رسم في مخطوطة سريانية شرقية، كُتبت في الموصل سنة ١٤٩٩، محفوظة في المتحف البريطاني ريج (مرقمة ٧١٧٤). في مركز الصورة يظهر رأس "مريم" العذراء، ويخرج من تحت غطاء المذود الكبير وتجلس إلى جانبها "القابلة". وفي الجهة العليا اليسرى رُسم صدر "يسوع"، وفي الأسفل يستلقي مار يوسف، تحت الرسم الرئيسي نرى خمسة "رعاة" يسرعون إلى الطفل. في هذا الرسم قُدم سر الميلاد بحسب تشكيل الفن الإسلامي التركي (القرن ١٥)، وذلك على حساب العناصر التشكيلية القديمة التقليدية.

الفصل الثالث: التقدمة

- ص ٩٩ (١): أيقونة روسية (القرن ١٨).
- ص ٩٩ (٢): رسم جداري في كنيسة آسينو (قبرص) لسنة ١٣٥٠ ومريم تحمل الطفل.
- ص ١٠٠ (١): صليب فسيفسائي من أصل فلسطيني (القرن ٨)، يحتوي على كل المشاهد لعيد الدنح، محفوظ في معبد القديسين في روما.
- ص ١٠٠ (٢): رسم في مخطوطة سريانية من شمال العراق لسنة ١٢٢٠، محفوظة في المكتبة الفاتيكانية مرقمة ٥٥٩، وهنا يحمل شمعون الشيخ الطفل. راجع حول الموضوع كتاب "ممرا في ربنا" لمار أفرام، نشرة بغداد ٢٠١١.
- ص ١٠١ (١): رسم جداري في دير سترافونتيكا على جبل آثوس لسنة ١٥٤٦، وفيه يحمل شمعون الشيخ الطفل الذي يشير إلى مريم أمه.
- ص ١٠١ (٢): رسم في مخطوطة أرمنية للأناجيل الطقسية، المسمى "إنجيل موغني"، من منتصف القرن ١١. في وسط الهيكل تحمل مريم طفلها وتقدمه لشمعون الشيخ.
- ص ١٠١ (٣): فسيفسائية في كنيسة دير القديس لوقا (اليونان)، للقرن ١١، وبعنوان: "اللقاء".
- ص ١٠٢: رسم زيتي بيد الفنان بول روبنس الفلامنكي (سنة ١٦١٤)، وهو قسم من لوحة نزول جسم المسيح من الصليب، في كاتيدرائية مريم العذراء في أنتويربن، وشمعون بالملابس الحمراء يحمل الطفل على مثال مريم عند الزيارة ويوحنا عند نزول الجسد.

الفصل الرابع: الدنح

- ص ١٠٤: رسم في مخطوطة أرمنية (للقرن ٧)، الملقبة بإنجيل أدزميادزين (لسنة ٩٨٩)، محفوظة في مكتبة إيريفان. تحت يد الآب وحمامة الروح ويد المعمدان، يقوم المسيح الشاب في المياه، ضمن اطار غريب يحتوي على صورة الإنجيليين ورموز إفخارستية.
- ص ١١٠ (١) رسم من مخطوطة ربولا (لسنة ٥٨٦) حيث يظهر نزول النار على مياه النهر، بحسب التقليد السرياني القديم (الدياطسروني).
- ص ١١٠ (٢): عملة ذهبية تذكارية (القرن ٧) الأولى من قبرص والثانية من فلسطين.
- ص ١١٠ (٣-٤): رسم من كتاب المزامير اليوناني (خلودوف) من القرن ٩، وتظهر شدة النهر التي تقبض على المسيح، تحت الخط الأفقي القوي من السماء.

- ص ١١١ (١-٣) نحت على المرمر من القرن ٦ (ليون)، وعلى تابوت في روما (لسنة ٢٧٠)، وعلى الكرسي الأسقفي في رافينا لسنة ٥٥٠. قُدم المسيح طفلاً أو شاباً، مع يد المعمدان التكريسية على رأسه.
- ص ١١٢ (١): فسيفسائية سقفية في بيت العماد للأريوسيين في رافينا (لسنة ٥٥٠). يتم العماد وسط دائرة التلاميذ.
- ص ١١٢ (٢): فسيفسائية جدارية في دير القديس لوقا (اليونان) القرن ١١، وتلاحظ في النهر القاعدة الحاملة للصليب، والتي تشير إلى القاعدة التاريخية في نهر الأردن خلال هذه الفترة التاريخية.
- ص ١١٤ (١): عنصر من أيقونة روسية بيد أستاذ ميخائيل من مدرسة ستروكانوف (نهاية القرن ١٦)، محفوظة في متحف سان بيترسبورغ. تظهر رموز النهر والبحر بحسب مز ١١٤: ٣.
- ص ١١٤ (٢): رسم في مخطوطة أرمنية للأناجيل الطقسية لسنة ١٠٣٨، محفوظة في مكتبة إيريفان. يتقدم فيها يوحنا والملاكان من الجهة اليسرى والشجرة من الجهة اليمنى، وفي خط أفقي تظهر يد الآب التكريسية ثم حمامة الروح وأخيراً يد المعمدان على رأس المسيح الابن.
- ص ١١٥ (١): رسم على صندوق خشبي للذخائر من أصل فلسطيني (بداية القرن ٧).
- ص ١١٥ (٢): رسم في مخطوطة سريانية عراقية (سنة ١٢٢٠) محفوظة في المكتبة الفاتيكانية، وتعبّر هذه الصورة تعبيراً رائعاً عن سر عماد ربنا يسوع المسيح.
- ص ١١٦ (٢): رسم في مخطوطة سريانية شرقية كُتبت في الموصل سنة ١٤٩٩. يظهر فيه المسيح جالساً في المياه وسط الأسماك ويوحنا المعمدان بملابس عربية معاصرة يمد يده اليمنى فوق رأس المسيح بدون أن يلمسه. في ركن الصورة اليسرى وُضعت ملابس المسيح على كرسي صغير.
- ص ١١٧ (١): رسم في مخطوطة أرمنية لكتاب الأناجيل، بيد الفنان يوفانيس خيزنتسي (خيزان) لسنة ١٣٣٥، محفوظة في مكتبة باريس الوطنية. هنا الملاك يصب ماء النار لتثمر الشجرة.

- ص ١١٧ (٢): فسيفسائية في كنيسة دير دافني (قرب أثينا) للسنة ١١٠٠ تعبّر عن جمال السيد المسيح الابن الوحيد.
- ص ١١٧ (٣): رسم جداري في معبد آرينا (بادوا - إيطاليا)، بيد الفنان جيوتو (نحو سنة ١٣٠٥)، وقد أخذ جيوتو يعبّر عن شعور الشخصيات بطريقة إنسانية طبيعية.
- ص ١١٨ (١-٢): لوحتان زيتيتان بريشة الغريكو، الأولى في طليطلة سنة ١٦٠٨-١٦١٤، والثانية في مدريد سنة ١٥٩٧-١٦٠٠، حيث تظهر حركة الملائكة من السماء المفتوحة مع رموز الثالوث الأقدس والمعمدان الذي يصب قليلاً من الماء على جبين المسيح.
- ص ١٢١: أيقونة من منطقة آسيا الصغرى لسنة ١٦٠٠، محفوظة في متحف ريكلينهوس (ألمانيا)، حيث يظهر رأس المسيح كبيراً وقوياً.
- ص ١٢٢: رسم في مخطوطة أرمنية للأناجيل الطقسية، بيد الفنان توروس روسلين (سنة ١٢٦٨)، محفوظة في مكتبة إيريفان.

الفصل الخامس / ١: الصوم الكبير - / ٢: السعانين

- ص ١٣٠: رسم في مخطوطة سريانية للأناجيل مكتوبة سنة ١٢٢٧ في دير القديس يعقوب في قرية صلاح.
- ص ١٣٢ (١): رسم في مخطوطة سريانية للأناجيل الطقسية، مكتوبة سنة ١٢٢٠، في شمال العراق، محفوظة في المتحف البريطاني. وسط الزحام ينزل المسيح من جبل الزيتون ويأتي إلى المدينة حيث ينتظره راهب ونبلاء، يظهر النفوذ العربي المعاصر في طريقة الملابس، والهندسة وحتى الأشجار.
- ص ١٣٢ (٢): رسم في مخطوطة فارسية للدياطسرون، مكتوبة بيد كاهن سرياني سنة ١٥٤٧، وقد نقلها من مخطوطة أخرى قديمة (القرن ١٣)، محفوظة في المكتبة اللورنزيانة (فيرنزا)، وقدم فيها "الدخول" بطريقة مبسطة متأثرة بالفن الاسلامي.
- ص ١٣٣: رسم في مخطوطة كلدانية، كتاب الأناجيل (القرن ١٨)، مكتوبة في الموصل ومحفوظة في البطريركية الكلدانية. يدخل المسيح المدينة بدون التلاميذ أو الأطفال أو الأشجار.

- ص ١٣٥ (١): سابقاً وفي بعض الأماكن الغربية استعمل في مسيرة السعانين حمار من خشب، المسمى "الحمار الفصحي".
- ص ١٣٥ (٢): نحت على خشب لعتبة باب كنيسة المعلقة في القاهرة (القرن ٤-٥)، مع كتابة لنشيد يوناني، والحمار الكبير القوي الذي يحمل المسيح ويسير به نحو امرأة تمثل مدينة أورشليم.
- ص ١٣٥ (٣): نحت على تابوت مرمري ليوليوس باسوس (القرن الرابع)، محفوظ في دياميس الفاتيكان، حيث يقدم المسيح الشاب، بدون لحية، قبل شدة الآلام.
- ص ١٣٧: نحت من العاج على غلاف كتاب الأناجيل الأرمني (القرن ٦)، ويجلس المسيح على الحمار كأنه على كرسي مع صليب في يده.
- ص ١٣٨ (١): رسم في مخطوطة سريانية للأناجيل الطقسية (لسنة ١٨٥٠) من نواحي ماردين. يقوم التلاميذ مثل الشيوخ، بدون حركة.
- ص ١٣٨ (٢): رسم في مخطوطة أرمنية للأناجيل، في كاربي سنة ١٣١٧، محفوظة في المتحف البريطاني. يظهر كأن زكى العشار صعد الشجرة.
- ص ١٣٩ (١-٣): رسومات أرمنية، في إنجيل هاغبات (لسنة ١٢١١)، مع كنيسة أرمنية وسط أورشليم، ثم الإنجيل لسنة ١٢٨٧، المنسوب إلى الرسام توروس روسلين، مع الجبل والحمار المتردد، وأخيراً كتاب القراءات لسنة ١٢٨٦، على الترتيب نفسه.
- ص ١٤١: رسم في مخطوطة يونانية من القرن السادس، محفوظة في كاتدرائية روسّنو (إيطاليا).
- ص ١٤٢ (١): أيقونة روسية من مدرسة موسكو (نهاية القرن ١٦)، تظهر بداية مدرسة ستروكانوف في رسم السكان والمدينة.
- ص ١٤٢ (٢): أيقونة من جزيرة كريت، بيد الفنان ثيوفان باثاس (لسنة ١٥٣٥؟)، محفوظة في دير اللافرا الكبرى على جبل آثوس.
- ص ١٤٢ (٣): رسم في مخطوطة أرمنية للأناجيل (القرن ١٣)، يعبّر عن إنجيل متى ٢١: ٢-٧.
- ص ١٤٢ (٤): أيقونة روسية من مدرسة موسكو (القرن ١٥) لكن بتأثير نوفكورود في الهندسة المدنية وطريقة تقديم الشجرة.

- ص ١٤٣ (١): أيقونة روسية من بداية القرن ١٦، محفوظة في لندن (Temple Gallery). وسط الأطفال نلاحظ مشهد نزع الشظية.
- ص ١٤٣ (٢): أيقونة روسية تعود إلى منتصف القرن ١٥ والتي جُددت عدد مرات.
- ص ١٤٣(٣): رسم في مخطوطة سريانية عراقية (نحو سنة ١٢٢٠)، محفوظة في المكتبة الفاتيكانية.
- ص ١٤٤ (١): رسم جداري في كنيسة القديس فرنسيس (أسيزي) بيد الفنان بياترو لورنزيتي (نحو سنة ١٣٢٠)، بحسب إنجيل متى، ويظهر إيمان الحاضرين من هذا المشهد الغربي.
- ص ١٤٤ (٢): رسم زيتي كبير، يدعى "دخول المسيح في مدينة بروكسل"، بيد الفنان جامس أنسور (لسنة ١٨٨٨)، محفوظ في متحف جيتي، لوس أنجلس.

الفصل السادس / ١: خميس الفصح

- ص ١٤٦: أيقونة بيزنطية يعود أصلها إلى القرن ٩، لكنها جُددت في القرن ١٣، كما يتبين من الوجوه المتأثرة بالحزن. محفوظة في المتحف البيزنطي في أثينا.
- ص ١٤٧: رسم في مخطوطة قبطية لسنة ١١٨٠، محفوظة في مكتبة باريس الوطنية، نرى فيه الشيطان الجالس على كتفي يهوذا والسمكتين في الوسط، عوضاً عن الحمل الفصحي.
- ص ١٥٢: رسم في مخطوطة يونانية من القرن السادس، محفوظة في روسّنو. نشاهد يهوذا يمد يده إلى الأكل، ويشير المسيح إليه بحسب إنجيل يوحنا.
- ص ١٥٤: رسم جداري بيد الفنان جيوتو لسنة ١٣٠٥، في معبد سكروفغني, بادوا، وبين صف الرسل المرتب يظهر يهوذا بهالة سوداء.
- ص ١٥٦: نحت على البرونز، في باب كنيسة سان زينو، فيرونا، مع يهوذا في الأسفل.
- ص ١٥٧ (١) رسم جداري في كنيسة بومبوسا، بيد الفنان فيتالي من بولوغنا لسنة ١٣١٥.
- ص ١٥٧ (٢): رسم في مخطوطة يونانية للقرن ١٣، محفوظة في مكتبة باريس الوطنية.
- ص ١٥٨: فسيفسائية في كنيسة سان مرقو (البندقية) للقرن ١٣.
- ص ١٥٩ (١) رسم في مخطوطة سريانية عراقية (لسن ١٢٢٠)، محفوظة في المكتبة الفاتيكانية. نلاحظ رمز الديك إلى جانب قارورة الطيب.

- ص ١٥٩ (٢): رسم في مخطوطة سريانية للأناجيل الأربعة، محفوظة في المتحف البريطاني، من القرن ١٢ ويجلس التلاميذ بحسب دائرة المحبة.
- ص ١٦٠: رسم في مخطوطة روسنو (القرن ٦).
- ص ١٦٢: رسم في مخطوطة أرمنية، كتاب الأناجيل (القرن ١٣) من ولاية أرتساخ. يظهر الصليب على المائدة المدورة التي شُكلت تحت تأثير الفن السرياني. في الركن يترك يهوذا دائرة المحبة.
- ص ١٦٤ (١): رسم جداري في كنيسة قبدوقيا (كارانلك)، من القرن ١٥.
- ص ١٦٤ (٢): نحت على خشب الباب لكنيسة أبو سرخى (القاهرة) للقرن ١١، مع السمك في المركز.
- ص ١٦٥: رسم جداري في دير الدومنيكان في ميلانو، بيد الفنان ليوناردو دا فينشي (نحو ١٤٩٧). جُدد الرسم سنة ١٩٩٩، وقد نقله رسام فلامنكي بعد سنوات قليلة من الاكتمال.
- ص ١٦٦: فسيفسائية في كنيسة سان أبوليناري في رافينا.
- ص ١٦٨ (١) رسم زيتي للفنان ديرك بوتس الفلامنكي (١٤٦٤)، محفوظ في كنيسة القديس بطرس (لوفن، بلجيكا). في إطار اللوحة رسمت ٤ مشاهد من العهد القديم متعلقة بالإفخارستيا.
- ص ١٦٨ (٢) أيقونة روسية (القرن ١٦).
- ص ١٦٨ (٣) رسم في مخطوطة قبطية (القرن ١٣).
- ص ١٦٩: مسودة بيد ليوناردو تحضيرية لرسم المسيح في لوحة العشاء.

الفصل السادس / ٢: جمعة الآلام

- ص ١٧٢: رسم في مخطوطة سريانية لسنة ١٢٢٠، محفوظة في المكتبة الفاتيكانية، حيث يظهر تأثير الفن الإسلامي على الرسم.
- ص ١٧٥ (١): نحت على العاج من الفن القسطنطيني في القرن ١٠، محفوظ في متحف الميطروبوليط، نيويورك. يظهر الصليب الذي سحق شخص الموت.
- ص ١٧٥ (٢): أيقونة بيزنطية من القرن ١٤.
- ص ١٧٨ (١): أيقونة سينائية بيزنطية (القرن ١٣)، مع الوجوه المتأثرة بالحزن.

- ص ١٧٨ (٢): أيقونة بيزنطية (القرن ١٥) محفوظة في قبرص.
- ص ١٧٨ (٣): يوحنا، في الأيقونة البيزنطية المذكورة (ص ١٤٥).
- ص ١٧٩ (١) رسم في مخطوطة سريانية عراقية لسنة ١٢٢٠، محفوظة في المتحف البريطاني.
- ص ١٧٩ (٢): رسم زيتي للفنان تسيامبو (القرن ١٣) في كنيسة أريدزو.
- ص ١٨٠ (١): صليب القديس فرنسيس الأسيزي (القرن ١٢).
- ص ١٨٠ (٢): رسم زيتي في كنيسة سبوليتو (إيطاليا، سنة ١١٨٧)، حيث تشرب جمجمة آدم، المدفون في مغارة جبل الجلجلة، الدم النازل من جروح قدمي المصلوب ليكون له دواء الحياة.
- ص ١٨٢ (١): رسم ساخر على جدران قصر في روما نحو سنة ٢٤٠، مع كتابة تقول: "ألكسامينوس يسجد لإلهه".
- ص ١٨٢ (٢): نحت على تابوت مرمري من القرن ٤، محفوظ في المتحف الفاتيكاني، ويمثل الصليب الرمزي، مع حرفي اسم المسيح باليونانية، الانتصار على قوى الظلام. ومن إكليل المواسم تخرج الأنهار ويشرب منها المؤمنون.
- ص ١٨٢ (٣) فسيفسائية في صدر كنيسة سان قليمنس في روما (القرن ١٢)، تحت يد الآب القديرة ترفع شجرة الحياة، مع ١٢ حمامة تمثل التلاميذ، وتنبع من رجله الأنهار الأربعة، ويشرب منها المؤمنون.
- ص ١٨٣ (١): نحت على خشب الباب لكنيسة سانت سابينة في روما (لسنة ٤٣٨)، يظهر المسيح الكبير المصلوب على أسوار المدينة.
- ص ١٨٣ (٢): نحت على العاج لسنة ٤٢٠، محفوظ في المتحف البريطاني. يضرب الجندي صدر المسيح من الجهة اليسرى، ويُقدَّم الصليب مقابل شجرة تحمل يهوذا الإسخريوطي مع قطع الفضة تحت رجليه.
- ص ١٨٤: نحت على العاج لغلاف كتاب الأناجيل (القرن ٨) من مدرسة ميتز (فرنسا). ويمثل تعبير رمزي لاهوتي عن سر الخلاص الذي ينبع من الصليب. يُستقبل المصلوب من قبل الملائكة، وتقبل الكنيسة الدم في حين يرفضه الشعب القديم، وفي الأسفل تفتح القبور (بحسب متى) ويبشر الملاك النساء، وهو جالس عند "كنيسة القبر".

- ص ١٨٥: رسم في مخطوطة قبطية للأناجيل (سنة ١١٨٠) محفوظة في مكتبة باريس الوطنية. يظهر فيه الكثير من الأشخاص حول المسيح الذي قد مات على الصليب.
- ص ١٨٦: رسم على خشب صندوق الذخائر الفلسطيني (القرن ٦)، محفوظ في المتحف الفاتيكاني. إنه قريب من النموذج الربولي.
- ص ١٨٧ (١): أيقونة (فلسطينية) محفوظة في دير القديسة كاثرينة على جبل سيناء (القرن ٨– ٩)، يظهر فيها الملائكة التي تستقبل نفس المسيح، لأن عينيه مغلقتان ومن صدره يخرج الماء والدم. وعلى رأسه اكليل من الورود وكتبت أسماء اللصين الصغيرين. وفوق رأس المسيح كتب نص من مزمور ٢٣: ٧– ١٠.
- ص ١٨٧ (٢): رسم جداري في كنيسة مريم العذراء القديمة في روما (القرن ٨)، وهو عمل لفنان شرقي. يخرج من صدر المسيح ماء ودم لكن ما زالت عيناه مفتوحتين. ويوحنا المعلم مع كتاب الشهادة (يو ١٩: ٣٤– ٣٥).
- ص ١٨٨ (١): تميمة مصرية من القرن ٦، محفوظة في متحف باريس، تقدم صلب المسيح "عمانوئيل" بالثياب الطويلة مع اللحية والهالة، وبين اللصين والجنديين. وقد تعلق مشهد الصلب بمشهد القيامة.
- ص ١٨٨ (٢): رسم في مخطوطة سريانية كتبها الراهب ربولا سنة ٥٨٦، في زغبة (بلاد ما بين النهرين)، محفوظة في المكتبة اللورنزيانة (فيرنزا). نشاهد عينَي المسيح مفتوحتين رغم ضربة الرمح.
- ص ١٩٠: أيقونة روسية بيد الفنان ديونيسيو (نهاية القرن ١٥)، محفوظة في متحف تريتياكوف (موسكو). جسد المسيح الكبير بين رمز الكنيسة ورمز اليهودية.
- ص ١٩٢: رسم جداري في كاتدرائية التجلي، في دير بيسكوف (روسيا) (القرن ١٢).
- نحت على العاج لغلاف كتاب الأناجيل (القرن ٨–١٠) من مدرسة "ميتس" (فرنسا)، حيث يعبّر عن الأحداث الخلاصية التاريخية واللاهوتية بكل تفاصيلها.
- ص ١٩٣: تفصيل من لوحة الفنان الألماني كرونوالد المتوفى بالطاعون سنة ١٥٢٨، رسم هذه اللوحة في دير الأنطونيين (للبرص)، في إيزنهايم نحو ١٥١٥، تحت نفوذ رؤية القديسة بريجيتة والمسجلة في روما سنة ١٤٥٥ بيد راهب أوغسطيني.

الفصل السادس / ٣: سبت النور

- ص ٢٠٤ (١): رسم في مخطوطة يونانية للقرن ١٢، محفوظة في مكتبة باريس الوطنية. يقوم المسيح في الوسط بدون حركة منتصراً.
- ص ٢٠٤ (٢): نحت على العاج في كنيسة نوثنهام (إنكلترا) للقرن ١٥، يُخرِج المسيح بقوة صليبه آدم والأبرار من فم التنين الذي يمثل الموت.
- ص ٢٠٥ (١): فسيفسائية في دير القديس لوقا (اليونان) (بداية القرن ١١)، يعتمد المسيح على قوة صليبه عندما يصعد من الجحيم.
- ص ٢٠٥ (٢): فسيفسائية في كنيسة انتقال مريم العذراء في دافني (قرب آثينا) من القرن ١١، تعبّر الصورة عن رحمة المخلّص العميقة.
- ص ٢٠٧: فسيفسائية في دير "نياموني" في جزيرة خيوس (القرن ١١).
- ص ٢٠٨ (١) أيقونة سينائية من القرن ١٢، حيث يظهر المسيح صاعداً من الجحيم.
- ص ٢٠٨ (٢): رسم في مخطوطة سريانية عراقية لسنة ١٢٢٠، محفوظة في المكتبة الفاتيكانية. استعمل الرسام نموذجاً بيزنطياً ونقله حرفياً.
- ص ٢٠٨ (٣): أيقونة روسية (القرن ١٧).
- ص ٢٠٨: (٤) نحت على العاج، فن بيزنطي من القرن ١٠، محفوظ في متحف دريسدن، ونشهد فيه المسيح الذي يسحق شخص الموت، ويحمل اللص اليميني الصليب.
- ص ٢٠٩ (١) فسيفسائية من كنيسة سان مرقو (البندقية)، بداية القرن ١٣، حيث يصعد المسيح ويجذب الأبرار كلهم معه نحو الفردوس.
- ص ٢٠٩ (٢): رسم جداري ضخم في كنيسة "المسيح أرض الأحياء" في القسطنطينية سنة ١٣٢٠. تحت رجلي المسيح يموت الموت المقيد. ووراء حواء يقوم هابيل الراعي واللص اليميني والأبرار، وعلى دائرة المسيح الكوني الثلاثي تتبين النجوم والكواكب.
- ص ٢١٠ (١): رسم جداري في كنيسة العذراء (بيس، يوغوسلافيا) من القرن ١٤. يظهر فيه كثرة الأشخاص مع وصف الأحداث التي صارت في الجحيم، من كرازة يوحنا وربط الموت بسلسلة.
- ص ٢١٠ (٢): رسم في مخطوطة أرمنية، كتاب أناجيل حايرابيت لسنة ١٥٦٣، محفوظة في مكتبة إيريفان. هنا يُدمَّر الموت والشيطان عندما يحرر المسيح الأموات من مغارة الجحيم.

الفصل السابع: القيامة

- ص ٢٣٢(٢): رسم في مخطوطة سريانية شرقية لسنة ١٤٩٩، في الأسفل ينام ٦ جنود، إلى جانب القبر المفتوح، وفي القسم الأعلى من اليمين إلى اليسار، نشاهد مريم (المجدلية)، ثم ملاكين (رغم اللحية والتربان)، وأخيراً المسيح الممجد الذي يرفع يده.
- ص ٢٣٣ (١): رسم في مخطوطة أرمنية، كتاب "أناجيل تَعركمانتجاتس" لسنة ١٢٣٢، حيث يشير الملاك إلى القبر.
- ص ٢٣٣ (٢): رسم في مخطوطة سريانية عراقية لسنة ١٢٢٠، محفوظة في المتحف الفاتيكاني. يظهر وجه المسيح كالوجه المغولي، والأشجار منقولة من الفن الإسلامي المعاصر.
- ص ٢٣٣ (٣): رسم في مخطوطة سريانية لسنة ١٢٢٠، محفوظة في المتحف البريطاني.
- ص ٢٣٤: لوحة زيتية للفنان الغريكو لسنة ١٥٩٨، محفوظة في متحف برادو، مدريد. نشاهد المسيح وهو يصعد بجسده الممجد، وبيده علامة الانتصار.

الفصل الثامن: الصعود

- ص ٢٣٦: أيقونة روسية من مدرسة نوفكورود (القرن ١٥)، محفوظة في متحف تريتياكوف (موسكو). يظهر المسيح الجالس في دائرة المجد.
- ص ٢٣٨: رسم جداري رومانسيكي (القرن ١٢)، في كنيسة سان كارلو، ليونتيكا (سويسرا)، يظهر المسيح صاعداً بين آلات الآلام، لكن في دائرة المجد وإكليل الانتصار في يده أمام صف الرسل.
- ص ٢٣٩: رسم جداري قبطي في دير سان أبولو من باويت (البغاوة، كرخى)، من القرن الرابع، حيث تجلس مريم العذراء وسط التلاميذ، تحت صورة المسيح الممجد الجالس بين الأحياء الأربعة.
- ص ٢٤١: جزء من أيقونة فلسطينية (القرن ٩)، محفوظ في دير جبل سيناء.
- ص ٢٤٢: رسم في مخطوطة يونانية للكتاب المقدس (القرن ١٠)، محفوظة في المكتبة الفاتيكانية. يعبّر الرسم عن موسى الذي يصعد جبل سيناء لقبول لوحة الشريعة من يد الله (مز ٣٤: ٣).

- ص ٢٤٣ (١) نحت على خشب باب كنيسة سانت سابينة (روما) لسنة ٤٣٢-٤٤٠، حيث الملائكة يرفعون المسيح ويسحبونه إلى السماء.
- ص ٢٤٣ (٢): نحت على العاج من القرن الخامس (روما)، محفوظ في متحف مونخن الوطني لبايرن. في صورة واحدة يعبّر عن سر القيامة والصعود، ويظهر فيها بناء القبر المقدس مع شجرة الحياة والمسيح الذي يبشر النساء. ثم يصعد الجبل، وتسحبه يد الله، ونشاهد الجنود نائمين مضطربين.
- ص ٢٤٤ (١): نحت على الحجر، في كوتلاند (سويدن)، من القرن ١٢، حيث يظهر المسيح بجناحين وهو يصعد ويطير بين ٤ ملائكة فوق الجنود.
- ص ٢٤٤ (٢): نحت في واجهة كاتدرائية شارتره، المدخل الملكي (القرن ١٢)، فيه يصعد المسيح فوق المياه السماوية، وتنزل ٤ ملائكة إلى طبقة الرسل.
- ص ٢٤٤ (٣): نحت في واجهة كنيسة سان دومنكو (سيلوس) من بداية القرن ١٢، حيث عبّر الفنان الرومانسيكي بكل حرية عن صعود المسيح بين مريم والتلاميذ.
- ص ٢٤٤ (٤) رسم في مخطوطة لاتينية مكتوبة في انكلترا سنة ٩٧٥، محفوظة في مكتبة ديفونشاير. يقدم فيها المسيح بحسب نموذج "المسيح الصاعد من الجحيم"، وهو داخل دائرة المجد الكوني، يحمل الصليب ويرفع يده الأخرى إلى يد الآب، وسط الملائكة، في حين أن مريم والتلاميذ يتعجبون منه.
- ص ٢٤٥: رسم في مخطوطة ربولا (٥٨٦) كتبها الراهب ربولا في دير مار يوحنا في زغبة (ما بين النهرين)، محفوظة في فيرنزا، وفي القسم الأعلى يقوم المسيح في دائرة المجد على عربة حزقيال (مع الأحياء الأربعة). تحت رمزَي الشمس والقمر يقدّم الملائكة إكليل الانتصار، وفي الأسفل تصلي مريم وسط التلاميذ ويبشرهم ملاكان.
- ص ٢٤٦ (١) رسم في مخطوطة قبطية، كتاب الأناجيل من نهاية القرن ١٢، محفوظة في مكتبة باريس الوطنية، حيث يطير المسيح وسط اللهيب، أمام الرسل الساجدين ورؤوسهم على الأرض، بحسب إنجيل لوقا. يظهر تأثير الفن الإسلامي على تشكيل هذه الصورة.
- ص ٢٤٦ (٢): رسم في مخطوطة شرقية لسنة ١٤٩٩، يظهر فيه المسيح بأجنحة وكأنه يطير في السماء فوق رؤوس التلاميذ.

- ص ٢٤٧ (١): رسم في مخطوطة كلدانية مكتوبة في ألقوش سنة ١٧٢٣، محفوظة في مطرانية الكلدان في بغداد. يشاهد الرسل بدون مريم، وهم قائمين مرتبين في خط واحد.
- ص ٢٤٧ (٢-٤): أيقونات روسية من القرن ١٦.
- ص ٢٤٨: رسم في مخطوطة سريانية عراقية، محفوظة في المكتبة الفاتيكانية (سنة ١٢٢٠).
- ص ٢٥٠(١): أيقونة فلسطينية من القرن ٩، محفوظة في دير جبل سيناء، حول مريم العذراء يظهر اللهيب الخاص بالعليقة المتعلقة بجبل سيناء.
- ص ٢٥٠ (٢): رسم في مخطوطة أرمنية للأناجيل من منتصف القرن ١٣. حُفظ فيها رمز الشجرتين والجبلين.
- ص ٢٥٠ (٣): رسم في مخطوطة سريانية للأناجيل الطقسية (القرن ١٢)، محفوظة في المتحف البريطاني مرقمة ٧١٦٩. تظهر في هذا الرسم الأشعة القوية التي تصدر من العرش السماوي.
- ص ٢٥١ (١): رسم في مخطوطة أرمنية من منطقة بحيرة فان بسنة ١٣٠٥، محفوظة في مكتبة إيريفان. تنبعث الأشعة من المسيح والطير الكبير الذي يقف على رأس العذراء. والرسل يجلسون في خطين حولها. لقد جُمع في هذه الصورة بين الصعود والعنصرة في مشهد واحد.
- ص ٢٥٢ (١): طبق من الفضة منقوش من القرن السادس، واكتشف في قيرم (روسيا)، ومحفوظ حالياً في متحف الأرمتاج، سان بيترسبوغ. يصور هذا الطبق العيد الكبير من خلال ثلاثة مشاهد ودائرة تحيط بكل منها: وهي (١) الصليب (والكتابة السريانية تذكر اسماء المصلوبين)، (٢) زيارة النساء إلى القبر (٣) الصعود. وبين هذه المشاهد الكبرى تظهر مشاهد ثانوية تعبّر عن حالتنا الأرضية، وهي (بحسب الكتابة السريانية): مار بطرس مع الديك ودانيال بين الأسود والجنديان الحارسان.
- ص ٢٥٢ (٢): رسم زيتي للفنان الفلامنكي هانس ميملينك لسنة ١٤٧٠، محفوظ في متحف لوفرى باريس. مع مرور الزمن تُركت صورة الصعود في الفن الغربي.

الفصل التاسع: العنصرة

- ص ٢٦٦ (٢): أيقونة روسية من مدرسة نوفكورود (القرن ١٦)، فيها يقوم ملك العالم في الباب المفتوح مع ٧ أو ١٢ ملفاً.
- ص ٢٦٦ (٣): جزء من أيقونة جيورجية للقرن ١٣، محفوظة في متحف تبليس.
- ص ٢٦٦ (٤): رسم في مخطوطة أرمنية للأناجيل رسمها نيكوغايوس (كريميا) سنة ١٦٥٨.
- ص ٢٦٧: رسم في مخطوطة أرمنية (القرن ١٣).
- ص ٢٦٨: لوحة زيتية لمذبح في أوسنابروك (سنة ١٣٧٠)، محفوظة في متحف والراف، كولن. ينزل الروح القدس بين مريم والتلاميذ، والألسنة متعلقة بالقربان.

الفصل العاشر: التجلي

- ص ٢٧٠: صورة المسيح الممجد في أيقونة روسية كبيرة بيد الفنان ثيوفان اليوناني (القرن ١٤)، ومن كل العناصر الحيوية يظهر تأثير الحركة الهيسيخاستية على التعبير.
- ص ٢٧٣: رسم في مخطوطة لاتينية قديمة (القرن ١٠) حيث يقدم سر التجلي متعلقاً بسر الميلاد، والتلاميذ مضطربين في زاوية الصورة.
- ص ٢٧٤: لوحة زيتية للفنان رافائيل (١٤٨٢-١٥٢٠)، وقد أكمل القسم العلوي منها قبل وفاته بقليل، ثم أتمّ الجزء السفلي "أعجوبة الولد المجنون" أحد تلاميذه.
- ص ٢٧٨ (١): فسيفسائية كبيرة (١٢ م) في صدر كنيسة سان أبوليناريوس في الميناء (رافينا- إيطاليا) سنة ٥٤٩، وهو المشهد الأول القديم عن تجلي الصليب المنتصر (مع كتابة "خلاص العالم")، وتحت يد الآب السماوي، وبين (صدر) موسى وإيليا يظهر هذا الصليب في دائرة المجد، أمام ثلاثة خراف التي تمثل التلاميذ. في أسفل المشهد يقوم القديس أبوليناريوس أسقف رافينا وهو يصلي وسط منظر طبيعي وبين الخرفان (المؤمنين).
- ص ٢٧٨ (٢): فسيفسائية في صدر كنيسة دير القديسة كاترينة على جبل سيناء. يعود هذا العمل إلى عهد الإمبراطور يوسطينيانوس (٥٤٨-٥٦٥)، ويظهر الأشخاص كلهم في منطقة سماوية ذهبية بدون آثار أرضية، وهم يشاهدون ألوهية المسيح الممجد، ويسجدون له. في الاطار يشاهد الرسل والانبياء، وفوق مشهد التجلي تبدو صورة مريم العذراء ويوحنا المعمدان، وملاكان يقدمان إكليل الظفر والانتصار للحمل المجيد.

الفصل الحادي العاشر: الانتقال

- ص ٢٨٨: رسم في مخطوطة أرمنية للأناجيل (لسنة ١٣١١) بيد الفنان توعروس تاروناتسي، والذي أضاف صورته الشخصية في الأسفل بملابس الشماس الذي يبخر. تحفظ المخطوطة في مكتبة بيتي، دوبلين.
- ص ٢٩١ (١): نحت على العاج، من عمل فنان قسطنطيني (القرن ١٠)، محفوظ في متحف الفن في فيانه. تنام مريم على فراش فوق على السرير، ومار بطرس يبخر ويوحنا ينظر إليها ومار بولس (؟) واقف عند رجليها.
- ص ٢٩١ (٢): نحت على العاج لغلاف كتاب، من ورشة قسطنطينية (القرن ١٠)، محفوظ في مكتبة مونخن الوطنية. يظهر فيه تعبير عاطفي أكثر مع كثرة الأشخاص.
- ص ٢٩٢: فسيفسائية في صدر كنيسة مريم العذراء عبر نهر تيبر (روما)، يجلس المسيح مع أمه على كرسي واحد، وبيده نصوص من سفر نشيد الأناشيد.
- ص ٢٩٥ (١): رسم في مخطوطة انكليزية، كتاب المزامير ليورك (نحو سنة ١١٧٠)، محفوظ في مكتبة جامعة كلاسكو. تحت إرشاد المسيح ينقل جسد مريم إلى السماء، على يد الملائكة.
- ص ٢٩٥ (٢): رسم في كتاب الأناجيل لهندريك الثاني (القرن ١٠)، محفوظ في مكتبة مونخن الوطنية. يظهر الملائكة وهم ينقلون نفس العذراء.
- ص ٢٩٦ (١): رسم زيتي للفنان شلوش تيرول (القرن ١٨)، محفوظ في إيسبروك. يظهر فيه خروج النفس من فم العذراء.
- ص ٢٩٦ (٢): رسم جداري بيد الفنان تاديو دي بارتولي (القرن ١٦) في قصر مدينة سيانة. نشاهد المسيح وهو يرفع أمه جسداً ونفساً نحو المدينة السماوية.
- ص ٢٩٦ (٣): نحت على واجهة كاتدرائية ستراسبوغ الجنوبية (سنة ١٢٣٥) حيث يظهر حنان المجدلية تجاه مريم العذراء.
- ص ٢٩٧ (١): نحت على العاج لغلاف كتاب الأناجيل سان گالن، القرن التاسع، تقول الكتابة اللاتينية: صعود مريم.

- ص ٢٩٧ (٢): رسم جداري في كنيسة سان قليمنس، روما (القرن ٩) ومنه نقل بيد أيوينك (١٨٦٣). جمع في هذه الصورة القديمة بين صعود المسيح وانتقال مريم.
- ص ٢٩٨ (١- ٢): نحت على واجهة كاتدرائية سانليس (القرن ١٢) فرنسا، وهذه الواجهة مكرسة لمراحل حياة مريم الأخيرة: استيقاظ مريم من نوم الموت، من قبل الملائكة، ثم الدفن على يد الرسل، وأخيراً التتويج السماوي على يد المسيح.
- ص ٢٩٩ (١-٣): في أقدم صور عن التتويج السماوي تركع مريم أمام المسيح الملك، ثم يُجلسها إلى يمينه، ويضع الإكليل على رأسها، وفي الصور المتأخرة يتم التتويج من قبل الثالوث الأقدس نفسه. راجع اللوحة الزيتية للفنان تورون (نحو ١٣٥٠)، المحفوظة في متحف كاستبل فيكيو (فيرنزا). ثم رسم في مخطوطة لاتينية، كتاب المزامير لبلانش دى كستيل (القرن ١٢)، محفوظ في مكتبة ارسال، باريس، حيث تجلس مريم إلى جانب المسيح على نفس العرش.
- ص ٣٠٠ (١): رسم في مخطوطة سريانية للقراءات اللإنجيلية (لسنة ١٢٢٧)، من دير يعقوب من قرية صلاح، تحت تأثير الرسوم البيزنطية.
- ص ٣٠٠ (٢): رسم في مخطوطة سريانية عراقية (١٢٢٠)، محفوظة في المتحف البريطاني.
- ص ٣٠١ – ٣٠٢: أيقونة روسية من القرن ١٥، محفوظة في متحف تريتياكوف/ موسكو، حيث يقدم المشهد المعروف بطريقة بسيطة، مع التركيز على علاقة المسيح بأمه مريم، التي تظهر في قمة الصورة في دائرة المجد.
- ص ٣٠٣ (١-٣): نلاحظ التطور في الأيقونات الروسية التي تعبّر عن الانتقال. من صورة بسيطة نحو صور معقدة ومزدحمة مع كل العناصر الأسطورية الثانوية. أيقونة من مدرسة نوفكورود من القرن ١٣، بألوان غامضة، ثم أيقونة ثانية من المدرسة نفسها (القرن ١٣)، حيث يقوم الرسل بدون حركة لكن مع صور مجيئهم الأعجوبي من السماء. في نهاية القرن ١٤ رسم الفنان ثيوفان اليوناني أيضاً الموضوع نفسه، بطريقته الخاصة، وبدون زيادة أو مبالغة. لكن في الأيقونات المتأخرة غير الروسية تتوفر العناصر الثانوية على حساب الروحانية الأصلية.

- ص ٣٠٤ (١): أيقونة من منطقة سوريا بيد الفنان نحمت المصوّر (القرن ١٨). هنا يأتي المسيح ليأخذ نفس مريم العذراء معه. وقد وصل التلاميذ إلى الغيوم، ٦ من الجهة اليمنى و٥ من اليسرى، مع واحد منفصل، ويحمل الملاكان صورة مريم في المجد. في الأسفل يضرب الملاك ميخائيل يدَي اليهودي جيفانيوس الذي حاول أن يقلب التابوت ويظهر مرتدياً ملابس تركية معاصرة.
- ص ٣٠٤ (٢): أيقونة من فترة الحملات الصليبية، عندما كان فنان غربي يعمل في دير القديسة كترينة، كما يظهر من أسلوبه بالتعبير عن العواطف وتأثير الحزن على الوجوه.
- ص ٣٠٤ (٣): رسم جداري في كنيسة مريم العذراء في دير قنوبين (وادي قديسة، لبنان)، بيد الراهب القبرصي بطرس المصور، الذي رسم "تتويج مريم من قبل الثالوث الأقدس، بحسب نموذج غربي (القرن ١٨).
- ص ٣٠٤ (٤): لوحة زيتية بريشة الفنان الغريكو (سنة ١٥٧٧) في كنيسة القديس دومنيك في طليطلة، ويذكر فيها وصول مار توما مع قصة الحزام. تحفظ اللوحة في معهد الفن، شيكاغو.
- ص ٣٠٥ (١): رسم جداري في كنيسة القديس أقليمس في أوخريد (نحو سنة ١٢٩٥). يظهر فيها تعدد وكثرة الأشخاص والملائكة عند مسيرة الدفن.
- ص ٣٠٥ (٢): رسم جداري في كنيسة دير سوبوساني نحو سنة ١٢٦٨ (سربيا).
- ص ٣٠٦: لوحة زيتية للفنان الغريكو (نحو ١٦١٠)، محفوظة في متحف سان فنسنت، طليطلة.

الفصل الثاني عشر: ارتفاع الصليب

- ص ٣٠٨: نحت من العاج على غلاف كتاب إنجيل أدزميادزين للقرن الخامس، محفوظ في مكتبة إيريفان. في القمة يظهر صليب الانتصار في اكليل المجد، وفي الأطراف يُكمل المسيح الأعجائب بقوة الصليب. في الوسط: صليب برونزي بيزنطي من القرن الرابع، محفوظ في متحف جورج أنطاكي (لبنان).

- ص ٣٠٩: رسم في كتاب إيرلندي، المسمى بـ "كتاب دوروو" وهو كتاب الأناجيل من القرن ٧، محفوظ في كلية الثالوث في دوبلين، يقدم "صفحة السجادة" مع الصليب في مركز الزخارف.
- ص ٣١١ (١): رسم في مخطوطة سريانية عراقية (لسنة ١٢٢٠)، محفوظ في المتحف الفاتيكاني، ويشهد الملك قسطنطين مع أمه هيلانة، وشكل وجهه يشبه شكل وجه هولاغو المغولي وأمه خاتونة.
- ص ٣١١ (٢): علامة برونزية اكتشفت في معسكر حيث رأى قسطنطين في الحلم هذه الصورة: الصليب مع أحرف اسم المسيح، مع الكتابة القائلة: بهذه الآية ستنتصر.
- ص ٣١٢: رسم في مخطوطة يونانية لسنة ٨٨٥، محفوظة في مكتبة باريس الوطنية. تُذكر قصة قسطنطين واكتشاف الصليب في ثلاثة مراحل.
- ص ٣١٤: رسم في مخطوطة سريانية (القرن ١٢-١٣)، محفوظة في المتحف البريطاني مرقمة ٧١٦٩، ومخطوطة أخرى من طور عبدين، محفوظة في مكتبة برلين ساخو مرقمة ٣٠٤ (القرن ١٣)، وتظهر فيها المشاهد نفسها المذكورة في المخطوطة اليونانية: الملك قسطنطين يرى الصليب في الحلم، ثم حكم هيلانة على اليهود الأربعة أمام الشاهد، وأخيراً حرث الأرض بحثاً عن الصليب واكتشافه، مع وضعه على مريض ذي لحية.
- ص ٣١٧ (١): أيقونة من جزيرة كريت، بيد الفنان كيوركيوس كلوتزاس (١٥٨٠-١٦٠٠)، محفوظة في دير القديس يوحنا اللاهوتي على جبل آثوس. جمع فيها بين مشاهد مختلفة: اكتشاف الصليب، وارتفاعه خلال المجمع الاحتفالي في مكان الجلجلة قرب كنيسة القيامة في القدس.
- ص ٣١٧ (٢): أيقونة من مُولدافية (القرن ١٧)، محفوظة في دير بيستريتة. إنها أيقونة شعبية تعبّر بطريقة طبيعية عن ارتفاع الصليب بيد القديس قورلس الأورشليمي أمام الملك قسطنطين.
- ص ٣١٩ (١): رسم في مخطوطة سريانية من نواحي الرها حيث يظهر الصليب مع كرات وأغصان و"صورة المسيح"، مع كتابة مز ٤٤: ٥. يعود أصل هذه الصورة إلى القرن ٦، وانتشر النموذج في القرن ٩، حتى في الصين.

- ص ٣١٩ (٢): رسم في مخطوطة سريانية محفوظة في دير مار بهنام لسنة ١٦٥٣، وقد نبتت إلى جانب الصليب شجرتان، عوضاً عن الورود. "به نتغلب على أعضائنا".
- ص ٣٢٠ (١): نحت على الحجر في واجهة دير مار بهنام (قرب الموصل). يبدو أن المسيح هو الشجرة التي منها تنبع الحياة.
- ص ٣٢٠ (٢): رسم في مخطوطة إيرلندية (القرن ٨)، محفوظة في دير سان كالن (سويسرا)، حيث يقدم المسيح بالشرائط، والجندي يضرب صدره من اليسار.
- ص ٣٢١ (١): نحت على الحجر (مصر) يعود إلى القرن ٥.
- ص ٣٢١ (٢): فسيفسائية على القوس الملكي في كنيسة مريم العذراء الكبرى في روما (سنة ٤٤٠). في قمتها يظهر العرش الإلهي، رمز الحضور، مع صورة الصليب المظفر وإكليل الانتصار والملف ذي سبعة خواتم.
- ص ٣٢١ (٣): حفظ رمز المرساة مراراً في ديماميس روما (القرن ٢- ٤)، وصورة المرساة مع السمكتين ترمز إلى الصليب الذي يأتي بالخلاص لتلاميذ المسيح عندما يقبل سر العماد والقربان المقدس.
- ص ٣٢١ (٤): نحت على الحجر مع الصليب المصري (القرن ٥).
- ص ٣٢٢ (١-٢): فسيفسائية في صدر كنيسة سان أبوليناريوس (رافينا) القرن السادس، وفوق الصليب كُتبت كلمة "السمك" باليونانية، وتحت الصليب عبارة "خلاص العالم"، وإلى جانبيه حرفان رمزيان يعبّران عن مجد الصليب "من البداية إلى النهاية". في مركز الصليب المزيّن بالجواهر، صورة المسيح الرب.
- ص ٣٢٢ (٤ – ٥): نحت على الحجر لصليبين من تقليد إيرلندي: صليب موريداغ (القرن ١٠) في مونستربايز، وصليب آبرلمنو (القرن ٨)، في آغنوس، سكتولندا.
- ص ٣٢٣ (١): رسم في مخطوطة سريانية للنوافير مكتوبة قرب ملاتية في سنة ١٠٥٩، مع الصليب المزين بزخارف.
- ص ٣٢٣ (٢): صليب يدوي أرمني (القرن ١٨)، محفوظ في متحف أدزميادزين.
- ص ٣٢٣ (٣): نحت على الحجر: صليب أرمني (ياكيكناتسور، سنة ١٠٠١)، مع القاعدة "التاريخية".

- ص ٣٢٤ (١): رسم في مخطوطة سريانية (ميامر اسحق النينوى)، مكتوبة في القرن السادس، محفوظة في المتحف البريطاني. في دائرة من الورود يظهر الصليب على قاعدة صغيرة، على مثال قاعدة الصليب في كنيسة الجلجلة في القدس.
- ص ٣٢٤ (٢): رسم في مخطوطة سريانية قديمة (سنة ٤٦٢)، "تاريخ أوسابيوس"، مكتوبة في الرها أو في ماردين. يظهر فيها صليب مزين بكرات صغيرة وقائم على قاعدة.
- ص ٣٢٥ (١): صحن فضي من القرن السادس (؟)، اكتُشف في سيبيريا سنة ١٨٦٧، محفوظ في سان بيترسبوغ. يقوم الصليب المظفر بين الملاكين، وعلى الكرة الكونية مع رموز الأنهار الأربعة.
- ص ٣٢٥ (٢-٤): نحت على الحجر لصلبان أرمنية، من القرن ١١، ١٢، ١٤ ثم صليب فاردنيس لسنة ٨٨١، وصليب مبني بيد الفنان بوغوس لسنة ١٢٩١، وأخيراً صليب طومانيان دسيخ (القرن ١٣). نلاحظ التطور من خلال ٣ مراحل في طريقة تقديم الصلبان. عادة تخرج من الساق أوراق وأنهار، وتحت الصليب تعلّق الكرة (الكونية) في قمة ازدهار النحت الأرمني.
- ص ٣٢٦ (١-٣): صلبان أرمنية.
- ص ٣٢٦ (٤): نحت على عمود في كنيسة مريم العذراء في القسطنطينية (القرن ١٠)، حيث تخرج الأنهار من قاعدة الصليب.
- ص ٣٢٦ (٥): نحت على الحجر في قبر مار توما الرسول (الهند) (القرن ٥؟)، وتحت الكتابة والحمامة يقوم الصليب الشرقي على قاعدة تخرج منها أوراق وأنهار.
- ص ٣٢٦ (٦-٧): نماذج من صلبان اكتشفت في مناطق الصين ومنغولية، ويقوم الصليب على قاعدة تشكل وردة لوطس، وهي رمز إلى الحكمة ومعرفة الحياة الخالدة.
- ص ٣٢٧ (١): نحت على الحجر: صليب شرقي منحوت على قبر الربان هرمزد في ألقوش (القرت ٧).
- ص ٣٢٧ (٢): عمل زجاج ملون: صليب اكتُشف في الحيرة (القرن ٧)، واكتُشفت صلبان على النمط نفسه في بزيان (قرب كركوك).
- ص ٣٢٧ (٣): رسم في مخطوطة سريانية، بيد الفنان سهدا، حيث يظهر الصليب وسط دائرة الانتصار، وتعود إلى طور عبدين، لسنة ١٢٤١.

- ص ٣٢٧ (٤): نحت على الحجر في مذبح بيمون (القرن ٧؟)، حيث يظهر الصليب بين الشجرتين والأحياء الأربعة. والجدير بالذكر أن الصليب الذي يقوم على قبر الربان هرمزد، ترافقه أيضاً شجرتين.
- ص ٣٢٧ (٥): أيقونة روسية من مدرسة نوفكورود (القرن ١٢)، محفوظة في متحف تريتياكوف (موسكو)، وفيها يسجد الكروبيم عند قمة الصليب، مع رمز الشمس والقمر، ثم يقدّم ملاكان أدوات الآلام مع إكليل الشوك الذي علّق على الصليب عوضاً عن إكليل الانتصار القديم، وفي مغارة الجلجلة تنام جمجمة آدم بانتظار قبول الخلاص من الصليب.
- ص ٣٢٩: نحت من الذهب على غلاف كتاب لندو، (القرن ٨)، محفوظ في دير سان كالن.
- ص ٣٣٠ (١): نحت مرمري، في كنيسة دير مار بهنام (القرن ١٢؟).
- ص ٣٣٠ (٢): صليب أرمني للذخائر (القرن ١٨)، محفوظ في متحف أدزميادزين.
- ص ٣٣٠ (٣): صليب أرمني لحفظ الذخائر (القرن ١٨)، محفوظ في متحف أدزميادزين.
- ص ٣٣١: نحت على الحجر داخل ضريح مار بهنام. يقوم الصليب تحت رموز أقراص الخبز، ويتدلى من ضلعيه عنقودا عنب، مع رموز العسل، وكرة العالم، وإلى الأسفل في الطرفين، حمامة مطوقة أمامها قرص خبز مستدير، ويتفرع من قاعدة الصليب ورق عرعر. (القرن ١٣).

الغلاف الأمامي: لوحة زيتية للفنان البلجيكي مارغريت (١٨٩٨-١٩٦٧) وعنوانها "العائلة الكبرى" (١٩٦٣)، محفوظة في متحف الفن (طوكيو). وكأن الروح أخذ يرفرف على مياه الفوضى.

الغلاف الخلفي: فسيفسائية على جدران كنيسة الحكمة في القسطنطينية (الشفاعة، القرن ١٢).

جدول الكتب والمقالات المفيدة

في السنوات الأخيرة لاحظنا في المحيط المسيحي العراقي، ازدهار المقالات والمجلات والكتب التي تخص الليتورجيا وحتى الأيقونات. لا يمكننا أن نذكرها كلها بل فقط المهمة منها، وذلك لورود معلومات جديدة فيها غير مذكورة في كتابنا، فمن الضروري مراجعتها لتحقيق وتكميل اقتراحاتنا في هذا الكتاب.

وقد حُققت أكثرية البحوث من قبل تلاميذ المعهد الشرقي في روما وتحت تأثيرهم، أولاً باللغات الأجنبية ومن ثم بالعربية. من المجلات العديدة المختصة بالليتورجيا لا نذكر إلا مجلة "المشرق السرياني" التي نشرها المرحوم الخورأسقف خوري سركيس الذي فتح مجالاً جديداً للبحوث في الطقوس السريانية.

أصدرت في مصر، في المحيط القبطي، كتابات عديدة، من نشرات لنصوص ودراسات نقدية، لكن أكثريتها متعلقة بالطقس القبطي، وحتى الدراسات العلمية ليست منفتحة بدرجة كافية على تراث الشرق السرياني. أما المطبوعات اللبنانية، فبلا شك مهمة من كل النواحي، أولاً بالنسبة إلى نشر النصوص، حيث وفرت لنا النشرة اللبنانية ترجمات لنصوص الآباء، مثل مار أفرام، يعقوب السروجي، مار نرساى وغيرهم، مع نصوص طقسية مارونية ترافقها الكثير من التفاسير الليتورجية العلمية الرائعة. نذكر في هذا المجال منشورات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس (الكسليك – لبنان)، بالخصوص كتاب رقم ١٠، "السنة الطقسية" (١٩٨٨)، مع مكتبة البحوث باللغات الأجنبية ومجلة "كلمة المشرق". ثم المنشورات البولسية، وخاصة ما صدر من مركز الدراسات والأبحاث المشرقية للرهبانية الأنطونية المارونية (CERO)، مع "مجلتنا الليتورجية" الصادرة من الجامعة الأنطونية (لبنان).

أما في ما يخص العراق، فرأينا تأسيس "المجلة الليتورجية" (سنة ٢٠٠٨)، التي تصدر عن جمعية إخوة يسوع الفادي الرهبانية (قره قوش)، مع نشرات للنصوص السريانية (كتاب "المعدعدان، ٢٠١٠)، وفي المحيط نفسه صدرت دراسات في المنمنمات السريانية القديمة على يد الأب لويس قصاب: "فن التصوير عند السريان في التاريخ الوسيط"، و"أيقونات القراءات الإنجيلية للسنة الطقسية السريانية" دمشق ٢٠٠٨، و"منمنمات المخطوطة السريانية ٥٥٩ في المكتبة الفاتيكانية"، دمشق

٢٠٠٨. وفي بغداد صدرت عدة كتب ومقالات في الأمور الليتورجية السريانية على يد الخورأسقف بيوس قاشا ونذكر بصورة خاصة من كتبه الرائعة "السنكسار" بغداد ٢٠٠٣ وكتابه "حسايات على مدار السنة" بيروت ٢٠٠٩. كما صدرت عدة مقالات مفيدة في المجلتين السريانيتين "سفينة النجاة" و"الزنبقة". وفي بغداد أيضاً قام المطران مار كيوركيس صليوا بنشرات جديدة مصححة للنصوص الطقسية لكنيسة المشرق بطبعة جميلة ونفيسة. أما الكلدان فبذلوا أيضاً جهوداً حثيثة في ميدان تجديد الطقوس مع نشرات للصلوات والرتب الطقسية، وفي المقدمة نذكر المطران لويس ساكو الذي حاول تطبيق قرارات المجمع الفاتيكاني عن الليتورجيا في أبرشية كركوك، كما اهتم اساقفة آخرون بالحياة الليتورجية الراعوية، مثلاً المطران أميل في أبرشية الموصل وكتابه "روحانية الصلوات الطقسية الكلدانية" (أربيل ٢٠١١)، والمطران بشار متى في أبرشية أربيل ونشرة الكرازات الطقسية. لقد أصدر المطران شليمون وردوني أيضاً كتاب "الكرازات" الطقسية لفائدة القسان والمؤمنين. لكن أكثر من ذلك ينبغي لنا ذكر المطران د. جاك اسحق. إذ إنه حقيقةً المجدد الليتورجي الأساسي، بفضل جهوده الطويلة لمدة تزيد عن ٤٠ سنة، في ميدان التدريس والنشر، حيث بدأت أخيراً آثار الحركة الليتورجية في العراق وتحققت قرارات المجمع الفاتيكاني في الليتورجيا عند صفوف المؤمنين المسيحيين في العراق. وعلى يده تعلم الطقوس الكثير من القسان والشمامسة، وجمع نتائج دروسه في كتب نفيسة عن الأسرار بحسب الطقس المشرقي: عن الإفخارستيا (١٩٨٢)، رتبة العماذ (٢٠٠٧)، ممارسة سر التوبة (٢٠٠٨)، صلاة الفرض (٢٠١١). إنه صاحب امتياز مجلة "بين النهرين" (تأسست ١٩٧٣)، ورئيس التحرير لمجلة "نجم المشرق" (تأسست ١٩٩٥).

كتب ومقالات في موضوع الليتورجيا

المطران د. جاك اسحق،

"صلاة المساء"، مجلة "بين النهرين" ١٨ (١٩٩٠، عدد ٦٩-٧٠) ٧٣.

١٨ (١٩٩٠، عدد ٧١-٧٢) ٤٩.

صلاة الصباح، "بين النهرين" ٢٠ (١٩٩٢، عدد ٧٧-٧٨) ٣٥.

٢٠ (١٩٩٢، عدد ٧٩) ٥٥.

"السنة الطقسية"، "نجم المشرق" ١ (١٩٩٥، عدد ١) ١٤.

"الصليب الظافر في التقليد الشرقي"، "نجم المشرق" ١ (١٩٩٥، عدد ٢) ٩٦.

" تقاليد ميلادية"، "نجم المشرق" ٣ (١٩٩٧، عدد ١٠) ٢٢٧.

"زمن تقديس الكنيسة"، في "نجم المشرق" ٣ (١٩٩٧، عدد ١١) ٣١٩.

"سهرة القيامة"، "نجم المشرق" ٤ (١٩٩٨، عدد ١٣) ٤٢.

"عيد العنصرة..."، "نجم المشرق" ٤ (١٩٩٨، عدد ١٤) ١٥٢.

"كيف تقرأ الأسفار المقدسة..."، "نجم المشرق" ٨ (٢٠٠٢، عدد ٣١) ٣١٠.

"الفصح السعيد"، "نجم المشرق" ٩ (٢٠٠٣، عدد ٣٣) ٢٤.

"أزمنة إيليا والصليب وموسى"، "نجم المشرق" ١٠ (٢٠٠٤، عدد ٣٩) ٣٢٦.

"مراسيم عيد القيامة الطقسية"، مجلة "نجم المشرق" ١٣(٢٠٠٧، عدد ٤٩) ٢٥-٢٨.

"عيد انتقال مريم العذراء إلى السماء"، "نجم المشرق" ١٣ (٢٠٠٧، عدد ٥٠)١٣٥.

"تعليمات البطريرك إيشوعياب.."، ١٥ "نجم المشرق" (٢٠٠٩، عدد ٥٧) ٢٥ .

أسبوع الأسابيع"، "نجم المشرق" ١٧ (٢٠١١، عدد ٦٥) ٢- ٥.

"زمن الرسل الطقسي" "نجم المشرق" ١٧ (٢٠١١، عدد ٦٦) ١١٤- ١١٧.

المطران سرهد جمو،

"الكنيسة الطقسية متى نبنيها؟" مجلة "نجم المشرق" ٦ (٢٠٠٠، عدد ٢٢) ١٩٧.

الأب د. بطرس حداد،

"الأب بيجان والكتب الطقسية"، في مجلة "بين النهرين" ١٤ (١٩٨٣، عدد ٥٣-٥٤) ٧٥ .

"احتفالات عيد الصليب"، "نجم المشرق" ٣ (١٩٩٧، عدد ١١) ٣٣٣.

"نار الرعاة"، في نجم المشرق ٨ (٢٠٠٢، عدد ٣٢) ٥٠٦.

"القيامة والبيض والربيع"، "نجم المشرق" ١٠ (٢٠٠٤، عدد ٣٧) ٧٠.

الأب يوحنا عيسى،

"الباعوثا بين الأمس واليوم"، في نجم المشرق ٩ (٢٠٠٣، عدد ٣٦) ٥٣٢.

الأب منصور المخلّصي،

"الفصح في كنيسة المشرق"، بغداد ٢٠٠٦.

"ظهور الرب"، بغداد ٢٠٠٧.

"الصوم الكبير"، بغداد ٢٠٠٨.

"أصرخ إليك"، بغداد ٢٠١٠.

كتب ومقالات في موضوع صور الأعياد

بسام نكارا،

"صورة القيامة" منمنمة سريانية (القرن ١٣)، "نجم المشرق، ١٣ (٢٠٠٧، عدد٤٩) ٢١-٢٤.

" إنتقال العذراء" منمنمة سريانية (القرن ١٣)، نجم المشرق، ١٣ (٢٠٠٧، عدد ٥٠) ١٦٣-١٦٦.

"لوحة الصليب المقدس" (شجرة الحياة)، نجم المشرق، ١٣ (٢٠٠٧، عدد ٥١) ٢٤٩-٢٥٢.

"ميلاد يسوع" منمنمة سريانية (القرن ١٣)، نجم المشرق، ١٣ (٢٠٠٧، عدد ٥٢) ٣٥٧-٣٦٠.

"أيقونة المنديل المقدس" (الأيقونة الحقيقية)، نجم المشرق، ١٥ (٢٠٠٩، عدد ٥٨) ١٥٣-١٥٥.

"وجه الله ولاهوت الأيقونة"، نجم المشرق، ١٥ (٢٠٠٩، عدد ٦٠) ٣٦٣-٣٦٦.

"أيقونات ميلاد يسوع"، في مجلة "نجم المشرق"، ١٦ (٢٠١٠، عدد ٦٤) ٣٧٩.

"لوحة القديس توما الرسول" في مجلة "نجم المشرق"، ١٧ (٢٠١١،، عدد ٦٦) ١٥٣.

الخورأسقف روفائيل قطيمي،

أيقونة "التجلي" بريشة الأب بارتولوميو (١٩٩٨م) رومانيا، "نجم المشرق" ١١ (٢٠٠٥، عدد٤٢) ٢١٤.

الأخت نجلة توما،

"لوحة تقدمة يسوع إلى الهيكل"، "نجم المشرق" ١١ (٢٠٠٥، عدد ٤٤) ٥٠١.

مازن إيليا شعاوي،

"نماذج من صلبان في كنائس بغداد"، "نجم المشرق ١٤ (٢٠٠٨، عدد ٥٥) ٢٤٨-٢٥١.

الأب منصور المخلّصي،

"رسوم المخطوطات في الفن الأرمني"، "الفكر المسيحي" ٣٥ (١٩٩٩، عدد ٣٤١-٣٤٢) ٥٠.

" أيقونة صعود ربنا يسوع المسيح إلى السماء"، "ربنوثا" ٧ (٢٠٠٢، عدد ٢) ٦٦.

"أيقونة تجلي ربنا يسوع المسيح على جبل طابور"، "ربنوثا" ٧ (٢٠٠٢، عدد ٣) ٦٦.

"أيقونة بشارة الملاك للعذراء مريم"، "ربنوثا" ٧ (٢٠٠٢، عدد ٤) ٦٦.

أيقونة الميلاد برؤية معاصرة"، "ربنوثا" ٩ (٢٠٠٤، عدد ٣١) ٦٦.

"إنتقال مريم العذراء " أيقونة من ورشة الكسليك – الأب عبدو، "سفينة النجاة" ٣ (٢٠٠٧، عدد ١٤) ٤٧.

" ظهور الرب" أو "عماذ ربنا يسوع المسيح"، "سفينة النجاة" ٣ (٢٠٠٧، عدد ١٥)٤٧.

"المجوس" في لوحة الفنان زوربران، "سفينة النجاة" ٤ (٢٠٠٨، عدد ١٩) ٤٦-٤٧.

"الصعود" بحسب مخطوطة ربولا، "سفينة النجاة" ٤ (٢٠٠٩، عدد ٢٠) ٤٧.

"التجلي بحسب مخطوطة سريانية"، "سفينة النجاة" ٤ (٢٠٠٩، عدد ٢١) ٤٦-٤٧.

"ميلاد ربنا يسوع المسيح"، "سفينة النجاة" ٥ (٢٠٠٩، عدد ٢٣) ٥٤-٥٥.

"أيقونات كلدانية ؟"، "بين النهرين" ١٩ (٧٣-٧٤) ٦٩-٨٥.

"أيقونة القيامة المجيدة في أقدم المخطوطات السريانية"، "نجم المشرق" ٤ (١٩٩٨، عدد ١٣) ٨٤.

"أيقونة البشارة"، "نجم المشرق"، ٤ (١٩٩٨، عدد ١٦) ٥٢٢.

كتاب: "نار وروح"، بغداد ٢٠١٠.

د. عبد العزيز حميد،

"المسيح في المخطوطات الإسلامية المصورة "، "بين النهرين" ٢٠ (٧٥-٧٦) ١٧.

"مشاهد دينية مسيحية على مجامر مخطوطة في المتحف العراقي"، "بين النهرين" ٢٠ (٧٧-٧٨) ٤٦.

قيس السندي،

"لوحة سجود المجوس للطفل يسوع للفنان روبنس"، "نجم المشرق" ١ (١٩٩٥، عدد ٣ /٤) ٢٢٣.

"لوحة عماذ المسيح، للفنانين فيروكيو ودافنشي"، "نجم المشرق" ٦ (٢٠٠٠، عدد ٢٤) ٥٤٢.

"بشارة العذراء مريم في لوحات الفنانين"، "نجم المشرق" ٧ (٢٠٠١، عدد ٢٧) ٣٨٨.

د. قيس بهنام شعاوي،

"لوحة الغلاف : أيقونة الميلاد"، "نجم المشرق" ٣ (١٩٩٧، عدد١٢) ٤٦٧.

الأب بطرس حداد،

"الصليب في الفن"، "نجم المشرق" ٥ (١٩٩٩، عدد ١٩) ٣٢١.

"العشاء الأخير" بريشة دافنشي، "نجم المشرق" ٦ (٢٠٠٠، عدد ٢١) ٦٩.

الأب فرنسيس شير،

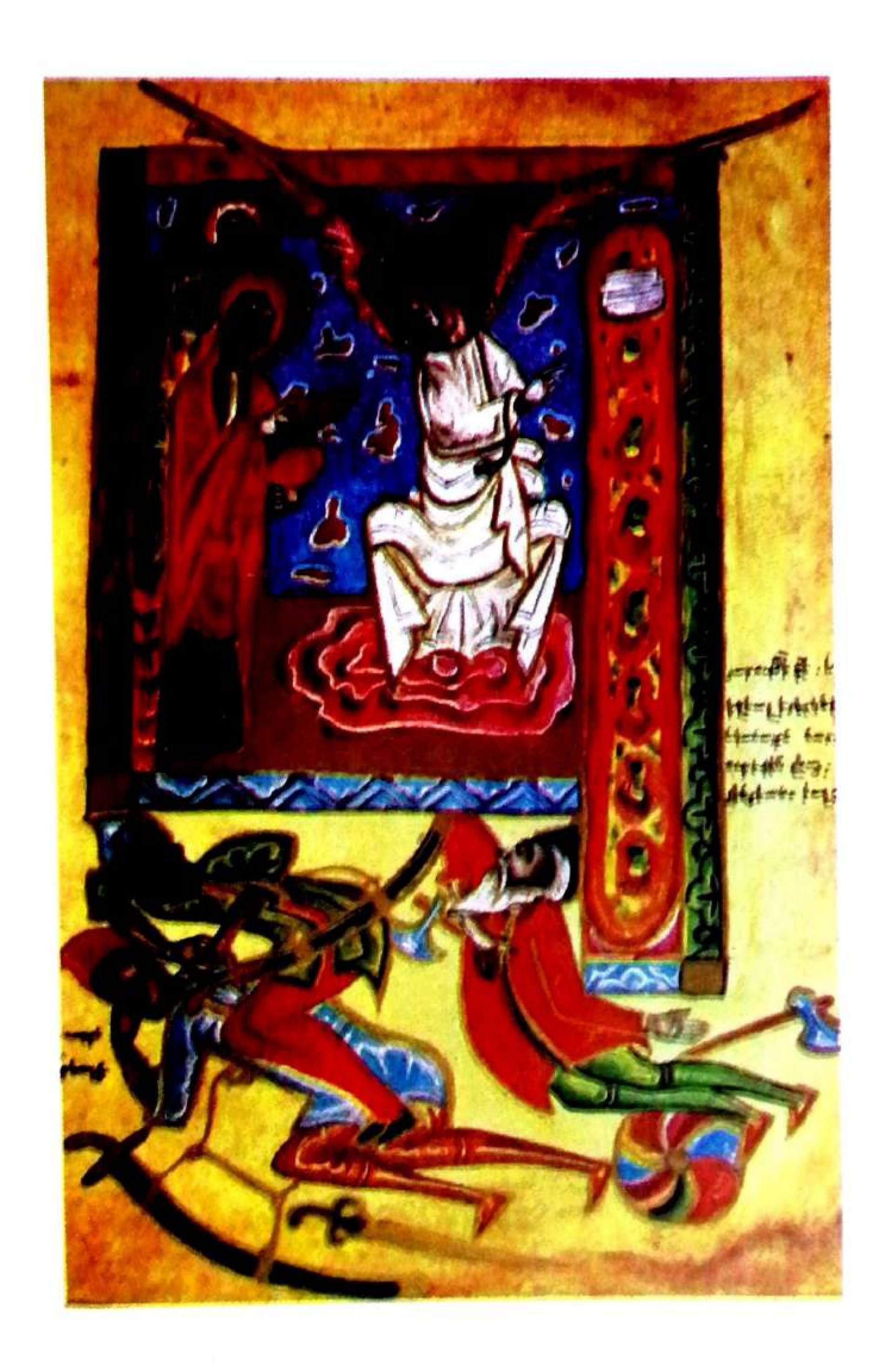
"لوحة سجود الحمل الإلهي"، "نجم المشرق" ٨ (٢٠٠٢، عدد ٢٩) ٧٨.

"لوحة دخول المسيح إلى أورشليم"، "نجم المشرق" ٩ (٢٠٠٣، عدد ٣٣) ٧٠.

"لوحة العذراء المحبول بها بلا دنس"، "نجم المشرق" ٩ (٢٠٠٣، عدد ٣٤) ٢١٤.

فهرست الكتاب







تم الطبع في شركة الطيف للطباعة المحدودة
العراق - بغداد

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد(١٦٥١) لسنة ٢٠١١

12
Christian Feasts

Origin
Liturgy
Icon

Vincent van Vossel

Baghdad
2011

